رسائل ابن عربي

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد
ابن عربي الحاتمي الطائي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

وضع حواشيه
محمد عبد الكريم النمري





منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رسائل ابن عربي

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد
ابن عربي الحاتمي الطائي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

وضع حواشيه
محمد عبد الكريم النمري

يحتوي على الكتب والرسائل التالية :

١ـ كتاب الفناء في المشاهدة
٢ـ كتاب الجلال والجمال
٣ـ كتاب الألف . وهو كتاب الأحدية
٤ـ كتاب الجلالة ، وهو كلمة الله
٥ـ كتاب أيام الشأن
٦ـ كتاب القربة
٧ـ كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام
٨ـ كتاب الميم والواو والنون
٩ـ رسالة القسم الإلهي
١٠ـ كتاب الياء ، وهو كتاب الهو
١١ـ كتاب الأزل
١٢ـ رسالة الأنوار
١٣ـ كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى
١٤ـ رسالة إلى الإمام الرازي
١٥ـ رسالة لا يعول عليه
١٦ـ كتاب الشاهد
١٧ـ كتاب التراجم
١٨ـ كتاب منزل القطب ومقامه وحاله
١٩ـ رسالة الانتصار
٢٠ـ كتاب الكتب
٢١ـ كتاب المسائل
٢٢ـ كتاب التجليات
٢٣ـ كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار
٢٤ـ كتاب الوصايا
٢٥ـ كتاب حلية الأبدال
٢٦ـ كتاب نقش الفصوص
٢٧ـ كتاب الوصية
٢٨ـ كتاب اصطلاح الصوفية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3205-9
90000>
9 782745 132055

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة ابن عربي(*)

نسبه

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي عديّ بن حاتم من قبيلة طيّ مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليّتها وإسلامها. يكنى أبا بكر ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بالحاتمي وبابن عربي لدى أهل المشرق تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي.

مولده ونشأته:

ولد في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية الموافق ٢٨ يولية سنة ألف ومائة وخمس وستين ميلادية في مدينة «مرسية» بالأندلس، وهي مدينة أنشأها المسلمون في عهد بني أمية. وكان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقيّة ورعة نقيّة من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج محيي الدين في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان، وفيه عزمات لرجال أقوياء ينشدون نصراً وفوزاً في محاريب الهدى والطاعة.

وانتقل والده إلى إشبيلية، وحاكمها إذ ذاك السلطان محمد بن سعد، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس، وفيها شب محيي الدين ودرج. وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب «الكافي»، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهماً في المعاني والإشارات. ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه، يذكرهم لنا الإمام شمس الدين بن مسدي في روايته عن محيي الدين فيقول واصفاً متحدثاً عن أساتذته الأول: «كان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق، والتقدم الذي لا يسبق، سمع في بلاده في شبابه الباكر من ابن زرقون، والحافظ ابن الجد، وأبي الوليد الحضرمي، والشيخ أبي الحسن بن نصر». ثم لا يذكر لنا التاريخ بعد ذلك شيئاً ذا بال عن شباب محيي الدين، ولا عن شيوخه، ومقدار ما حصل من العلوم والفنون؛

(*) مقتبسة من بحث للدكتور محمد غلاب بعنوان «المعرفة عند محيي الدين بن عربي» ضمن «الكتاب التذكاري لمحيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده» الصادر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٩م.

وإنما هو يحدثنا أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً. وفي أثناء شدة الحمى رأى في المنام أنه محوط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلحين يريدون الفتك به. وبغتة رأى شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرّقها شذر مذر، ولم يبق منها أي أثر، فيسأله محيي الدين من أنت؟ فقال له أنا سورة يس.

وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس. ثم لم يلبث أن برىء من مرضه، وألقي في روعه أنه معدّ للحياة الروحية، وآمن بوجوب سيره فيها إلى نهايتها ففعل.

وفي طليعة هذا الشباب المزهر بفضل ثروة أسرته تزوج بفتاة تعتبر مثالاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها.

وفي هذه الأثناء كان يتردد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم سراً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز والتأويلات الموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة التي تدرس لتلاميذها المبادىء الخفية والتعاليم الرمزية منذ عهد ابن مسرة المتوفى بقرطبة في سنة ٣١٩هـ ـ ٩٣١م والذي لم يعرف المستشرقون مؤلفاته إلاّ عن طريق محيي الدين. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفى في سنة ١١٤١ م فلم يره محيي الدين، ولكنه تتلمذ على منتجاته وعلى رواية تلميذه المباشر وصديق محيي الدين الوفي أبي عبد الله الغزال.

ومما لا ريب فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة التقية، واختلافه إلى تلك المدرسة الرمزية، كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكرة وعلى صورة ناصعة لا تتيسر للكثيرين ممن تشوب حياتهم الأولى شوائب الغرائز والنزوات. فلم يكد يختتم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني بخطوات واسعة ثابتة، وأنه بدأ يطلع على أسرار الحياة الصوفية، وأن عدداً من الخفايا الكونية قد تكشف أمامه، وأن حياته منذ ذلك العهد المبكر لم تعد سوى سلسلة من البحث المتواصل عما يحقق الكمال لتلك الاستعدادت الفطرية التي تنير أضواؤها جوانب عقله وقلبه. ولم يزل عاكفاً على ذلك النشاط الروحاني حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار. ولم تكن آماله في التغلغل إلى تلك الأسرار وبحوثه عن وسائلها الضرورية تقف عند حد، لأنه أيقن منذ نعومة أظفاره بأنه مؤمن بمبادىء عقيدة حقيقية أزلية مرت بجميع الأزمان الكونية، وطافت بكل الأجناس البشرية متممة ما فيها من نقص وقصور، وأنها جمعت كل الروحانيات في الوحدة الفطرية التي تتمثل من حين إلى آخر في صور تنسكية رفيعة تبدو على مسرح الإنسانية ردحاً من الزمن ثم تختفي، ولا يدرك حقيقتها إلا القليلون.

وأكثر من ذلك أنه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشف له من أقطاب العصور البائدة

عدد من حكماء الهند وفارس والإغريق كفيثاغورس، وأمبيذوقليس، وأفلاطون ومن إليهم ممن ألقيت على كواهلهم مسؤولية القطبية الروحية في عصررهم المتعاقبة قبل ظهور الإسلام. وهذا هو السبب في أنه قد شغف بأن يطلع على جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقيين بهيئة مباشرة، وبصورة مؤسسة على الشرف العلمي الذي يحمل الباحث النزيه على الاعتماد عليه دون أدنى تردد أو ارتياب.

غير أن هذه السكينة الروحانية التي بدأت لدى هذا الشاب مبكرة والتي كانت ثمارها فيما بعد تتمثل في تلك المعرفة التي أشرنا إليها آنفاً، لم تدم طويلاً على حالة واحدة، إذ أنه لم يلبث أن تبين أول الأمر بالإلهام، ثم عن طريق الكشف الجلي أنه لم يعد له بدّ ـ في تلك البيئة المغربية إذ ذاك ـ من أحد أمرين: إما أن يجاري التيار العام الذي كان يحدق به إحداق السوار بالمعصم، وهو أن يتقيد في جميع أفكاره وتعقلاته وأحاسيسه ومشاعره وحركاته وسكناته بحرفية الدين التي لا روح فيها ولا حياة ولا سرّ ولا رمز ولا تأويل وبهذا تختفي شخصيته الحقيقية وتفشل رسالته الطبيعية، وهذا شيء لا يستطيعه بأي حال، وإما أن يسير على فطرته وحسب تكوين عقله وقلبه فيصطدم في كل خطوة من خطواته مع أهل الحل والعقد في البلاد. وقد حدث ذلك فعلاً حيث احتدمت بينه وبين بعض الأمراء الموحدين مجادلات عنيفة، وحيكت حوله دسائس قوية اتهمته بإحداث اضطراب في سياسة الدولة.

وإذ ذاك رأى في حالة اليقظة أنه أمام العرش الإلهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر، ورأى طائراً جميلاً بديع الصنع يحلق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق وينبئه بأنه سيكون هو مرشده السماوي، وبأن رفيقاً من البشر يدعى فلاناً ينتظره في مدينة فاس، وأن هذا الأخير قد أمر هو أيضاً بهذه الرحلة إلى الشرق، ولكنه يجب ألا يرتحل قبل أن يجيء إليه رفيق من الأندلس، فيفعل ما أمر به ويرتحل بصحبة هذا الرفيق.

وفيما بين سنتي ٥٩٧، ٦٢٠ هـ ـ ١٢٠٠، ١٢٢٣ م يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلى بلاد الشرق فيتجه في سنة ١٢٠١م إلى مكة فيستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح. وفي هذه الأسرة التقية يلتقي بفتاة تدعى «نظاما» وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حبتها السماء بنصيب موفور من المحاسن الجسميّة، والميزات الروحانية الفائقة، فاتخذ منها محيي الدين رمزاً ظاهرياً للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذه الرموز قصائد سجلها في ديوان ألفه في ذلك الحين.

وفي هذه البيئة النقية المختارة له من قبْل سطعت مواهبه العقلية والروحية، وتركزت حياته الصوفية، وجعلت تصعد في معارج القدس شيئاً فشيئاً حتى بلغت شأواً عظيماً. ومن ذلك أنه في إحدى طوفاته التأملية والبدنيّة بالكعبة يلتقي من جديد بمرشده السماوي الذي أمره سالفاً بالهجرة من الأندلس والمغرب إلى الأصقاع الشرقية، فيتلقى منه الأمر أيضاً بتأليف كتابه الجامع الخالد «الفتوحات المكية» الذي ضمنه أكثر وأهم آرائه الصوفية والعقلية ومبادئه

الروحية، والذي لا يتطاول إلى قمته في عصره أي كتاب آخر فيما نعلم من إنتاج هذا الصنف من المتنسكين.

وفي سنة ١٢٠٤ م يرتحل إلى الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم ألبس محيي الدين إياها بدوره.

وفي سنة ١٢٠٦ م نلتقي به في القاهرة مع فريق من الصوفية الذين يطبقون حياة تنسكية قوية محافظة. وهنا يظهر له رائد سماوي يأمره بإدخال شيء من الكمال على مذهبه، ولكنه لا يكاد يفعل حتى يتنمر له عدد من الفقهاء يحيكون حوله وحول أصحابه شباكاً من الدسائس تهدّد اطمئنانهم بل حياتهم، ولولا نفوذ أحد أصدقائه لوقع في ذلك الخطر، ولكنه لحسن حظه يستطيع أن ينجو بنفسه ويفر إلى مكة في سنة ١٢٠٧ م فيلتقي فيها بأصدقائه القدماء الأوفياء، ويقيم بينهم في هدوء وسكينة نحو ثلاثة أعوام، ثم يرتحل إلى قونية بتركيا حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج.

وهناك يتزوج بوالدة صدر الدين القونيوي، وهو أحد تلاميذه المفضلين ثم لا يلبث أن يرتحل إلى أرمينيا، ومنها إلى شاطىء الفرات.

وفي سنة ١٢١١ م نلتقي به في بغداد حيث يتصل بالصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي.

وفي سنة ١٢١٤ م يعود إلى مكة ولا يكاد يستقر فيها حتى يجد أن عدداً من فقهائها المنافقين الدساسين قد جعلوا يشوهون سمعته ويرمونه بأن قصائده التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاماً كانت تصور غرامه المادي الواقعي بالفتاة «نظام» ابنة صديقه الشيخ الإيراني التي أشرنا آنفاً إلى أنه اتخذ منها رمزاً نقياً للحكمة الخالدة. وعندما تبيّن هذه التهمة الرخيصة وعرف مصادرها الحقيقية حمل عليها وعلى واضعيها حملة قوية كشفت زيفها للجميع بصورة جعلت القائمين بها يعترفون بأخطائهم ويعتذرون إليه عنها.

وبعد ذلك يرتحل إلى حلب فيقيم بها ردحاً من الزمن معززاً مكرماً من أميرها. وأخيراً يلقي عصا التسيار في دمشق في سنة ١٢٢٣ م حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقائه ويظل بها يؤلف ويعلم، ويخرج التلاميذ والمريدين يحوطه الهدوء وتحف به السكينة حتى يتوفى بها في ٢٨ ربيع الثاني من سنة ٦٣٨ هـ الموافق ١٦ نوفمبر من سنة ١٢٤٠ م.

مؤلفاته وشيوخه(*)

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء» ضمن ترجمته للشيخ ابن عربي:

وقد اطلعت له على إجازة أجاز بها الملك المظفر ابن الملك العادل الأيوبي، ذكر فيها كثيراً من مشايخه ومؤلفاته، ولتمام الفائدة أذكرها هنا بحروفها فأقول: قال رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين: أقول وأنا محمد بن عليّ بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، وهذا لفظي: استخرت الله تعالى، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي، ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله تعالى أبي بكر بن أيوب وأولاده، ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي، من قراءة وسماع ومناولة وكتاب وإجازة، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تعبيري هذا الخط، وذلك في غرة محرم سنة ٦٣٢ بمحروسة دمشق وكان قد سألني في استدعائه أن أذكر من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكره منهم، وبعض مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي، فأجبت استدعاءه نفعه الله تعالى بالعلم، وجعلنا وإياه من أهله، إنه وليّ كريم.

فمن شيوخنا أبو بكر بن أخلف بن اللخمي، قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع بكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني في مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدثني عن ابن المؤلف.

ومن شيوخنا في القراءة أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني، عن أبيه المؤلف.

ومن شيوخنا في القرآن أيضاً أبو القاسم عبد الرحمن بن غالب الشراط، من أهل قرطبة، قرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور وحدثني أيضاً عن ابن المؤلف أبي الحسين شريح عن أبيه المؤلف محمد بن شريح المقري.

ومن شيوخنا القاضي أبو محمد عبد الله البازلي قاضي مدينة فاس، حدثني بكتاب «التبصرة في مذاهب القراء السبعة» لأبي محمد مكي المقري عن أبي بحر سفيان ابن القاضي، عن المؤلف بجمع تآليف مكي أيضاً، وأجازني إجازة عامة.

(*) انظر جامع كرامات الأولياء (ج١ ص١٦٣ ـ ١٦٩).

ومن شيوخنا القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي حمزة، سمعت عليه كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة لأبي عمرو عثمان بن أبي سعيد الداني المقري، حدثني به عن أبيه عن المؤلف وبجميع تآليف الداني وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن دربون، سمعت عليه كتاب البقعي لأبي عمر يوسف بن عبد البر النميري الشاطبي، وحدثني به عن أبي عمران موسى بن أبي بكر ابن المؤلف وبجميع تآليفه مثل الاستذكار، والتمهيد، والاستيعاب، والانتقاء، وأجاز لي إجازة عامة في الروايتين، أجاز لي أن أرويه عنه وجميع تآليفه.

ومن شيوخنا المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي، حدثني بجميع مصنفاته في الحديث، وعين لي من أسمائها تلقين المبتدي، والأحكام الصغرى والوسطى والكبرى، وكتاب العاقة ونظمه ونثره، وحدثني بكتاب الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، عنه.

ومن شيوخنا عبد الصمد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، سمعت عليه صحيح مسلم حدثني به عن الفراوي عن عبد الغفار الجلودي، عن إبراهيم المروزي عن مسلم، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا يونس بن يحيى أبي الحسن العباسي الهاشمي نزل مكة سمعت عليه كتباً كثيرة في الحديث والرقائق، منها كتاب صحيح البخاري.

ومن شيوخنا المكيين أبو شجاع زاهد بن رستم الأصفهاني إمام المقام بالحرم، سمعت عليه كتاب الترمذي لأبي عيسى، حدثني به عن الكرخي عن الخزاعي المحبوبي عن الترمذي، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا البرهان نصر بن أبي الفتوح بن عمر الحصري إمام مقام الحنابلة بالحرم الشريف، سمعت عليه كتباً كثيرة منها السنن لأبي داود السجستاني، حدثني بها، عن أبي جعفر بن عليّ بن السمناني، عن أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن أبي داود، وأجاز لي إجازة عامة. وحدثني بكتب ابن ثابت الخطيب عن أبي جعفر السمناني.

ومن شيوخنا سالم بن رزق الله الإفريقي، سمعت عليه كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري، حدثني به عنه وبجميع مصنفاته وتآليفه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا محمد أبو الوليد بن أحمد بن محمد بن سبيل، قرأت عليه كثيراً من تآليفه، وناولني كتاب «نهاية المجتهد وكفاية المقتصد» والأحكام الشريفة من تأليفه.

ومن شيوخنا أبو عبد الله بن العزي الفاخري، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو سعيد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور الصفا، حدثني بكتب الواحدي كتابة عبد الجبار بن محمد بن أحمد الحواري عنه.

ومن شيوخنا أبو الوابل بن العربي، سمعت عليه سراج المهتدين للقاضي ابن العربي ابن عمه، حدثني به عنه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو الثناء محمود بن المظفر اللبان، حدثني بكتب ابن خميس عنه.

ومنهم: محمد بن محمد بن محمد البكري، سمعت عليه رسالة القشيري، وحدثني بها عن أبي الأسعد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، عن جده عبد الكريم، المؤلف، وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: ضياء الدين عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة شيخ الشيوخ ببغداد، أجازني إجازة عامة، وأخذ عني وأخذت عنه، وسمعت عليه بمدينة باب السلام بحضور ابنه عبد الرزاق.

ومنهم: أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، حدثني بتآليف البيهقي وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر السلفي الأصبهاني، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن عمرو بن شريح الرعيني المقري، أجازني وكتب إليّ أن أروي عنه كتب عبد الرحمن السلمي، وحدثني عن محمد نصار البيهقي عنه.

ومنهم: جابر بن أيوب الحضرمي، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقري.

وممن أجازني إجازة عامة محمد بن إسماعيل بن محمد القزويني، والحافظ الكبير ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.

ومنهم: أبو القاسم خلف بن بشكوال.

ومنهم: القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الشافعي.

ومنهم: يوسف بن الحسن بن أبي النقاب بن الحسين وأخوه أبو العباس أيضاً، وأجازنا أبو القاسم ذاكر بن كامل بن غالب.

ومنهم: محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الخفّاف.

ومنهم: أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن عمر بن أحمد القرشي المياستي.

ومنهم: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحافظ، كتب إليّ بالرواية عنه بجميع تآليفه ونظمه ونثره وسمى لنا من كتبه «صفوة الصفوة» و«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» وغير ذلك.

ومنهم: أبو بكر بن أبي الفتح الشيخاني.

ومنهم: المبارك بن علي بن الحسين الطباخ.

ومنهم: عبد الرحمن ابن الأستاذ، المعروف بابن علوان.

ومنهم: عبد الجليل الزنجاني.

ومنهم: أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن شداد الموصلي.

ومنهم: أحمد بن أبي منصور.

ومنهم: محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهب بن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن الثناء.

ومنهم: محمد بن أبي بكر الطوسي.

ومنهم: المهذب بن علي بن هبة الله الطيب الضرير.

ومنهم: ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب، وأخوه شمس الدين أبو عبد الله.

ومنهم: القرباني ببغداد.

ومنهم: ثابت بن قرة الحاوي، قرأت عليه من كتبه وتآليفه، ووقفها بروايتها بمسجد العمادين الجلادين بالموصل.

ومنهم: عبد العزيز بن الأخضر.

ومنهم: أبو عمر عثمان بن أبي يعلى بن أبي عمر الأبهري الشافعي من أولاد البراء بن عازب.

ومنهم: سعيد بن محمد بن أبي المعالي.

ومنهم: عبد الحميد بن محمد بن علي بن أبي المرشد القزويني.

ومنهم: أبو النجيب القزويني.

ومنهم: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم الفاسي، قرأت عليه جميع مصنفاته.

ومنهم: أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين الرازي.

ومنهم: أحمد بن منصور الجوزي.

ومنهم: أبو محمد بن إسحاق بن يوسف بن علي.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحجري.

ومنهم: أبو الصبر أيوب بن أحمد المقري.

ومنهم: أبو بكر محمد بن عبيد السكسكي.

ومنهم: ابن مالك، حدثني بمقامات الحريري عن مصنفها.

ومنهم: عبد الودود بن سمحون قاضي النبك.

ومنهم: عبد المنعم بن القرشي الخزرجي.

ومنهم: علي بن عبد الواحد بن جامع.

ومنهم: أبو جعفر بن يحيى الورعي.

ومنهم: ابن هذيل.

ومنهم: أبو زيد السهيلي، حدثني بالروض الأنف في شرح السيرة والمعارف والأعلام وجميع تآليفه.

ومنهم: أبو عبيد الله بن الفخار المالقي المحدث.

ومنهم: أبو الحسن بن الصائغ الأنصاري.

ومنهم: عبد الجليل مؤلف المشكل في الحديث وشعب الإيمان.

ومنهم: أبو عبد الله بن المجاهد.

ومنهم: أبو عمران موسى بن عمران المزيلي.

ومنهم: الحاج محمد بن علي ابن أخت أبي الربيع المقومي.

ومنهم: عليّ بن النضر. ولولا خوفُ الملال وضيق الوقت لذكرنا جميع من سمعنا عليه ولقيناه.

وها أنا أذكر من تآليفي ما تيسّر فإنها كثيرة، وأصغرها جرماً كراسة واحدة، وأكبرها ما يزيد على مائة مجلد وما بينهما.

فمن ذلك كتاب المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث. اختصار مسلم. اختصار البخاري. اختصار الترمذي. اختصار المحلى. الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سني الأحوال.

وأما الحقائق في طريق الله تعالى التي هي نتائج الأعمال، فمن ذلك وهو السابع كتاب من تصانيفنا «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» أفرغ في أربعة وستين مجلداً إلى قوله تعالى في سورة الكهف ﴿وإذْ قال موسى لفتاه لا أبرح﴾ [الكهف: ٧٠]. الجذوة المقتبسة

والخطرة المختلسة مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى طريق الإرادة. المثلثات الواردة في القرآن العظيم. الأجوبة عن المسائل المنصورة. متابعة القطب. مناهج الارتقا إلى افتضاض أبكار النقا بجنان اللقا، يحوي ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى على ثلاثمائة باب، كل باب عشرة مقامات. كنه ما لا بد للمريد منه. المحكم في المحكم وأذان رسول الله ﷺ. الخلاف في آداب الملإ الأعلى. كشف الغين: سرّ أسماء الله الحسنى. شفاء العليل في إيضاح السبيل. عقلة المستوفز جلاء القلوب. التحقيق في الكشف عن سرّ الصديق. الإعلام بإشارات أهل الأوهام والإفهام في شرحه. السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج. المنتخب في مآثر العرب. نتائج الأفكار وحدائق الأزهار. الميزان في حقيقة الإنسان. المحجة البيضاء. كنز الأبرار فيما روي عن النبي ﷺ من الأدعية والأذكار. مكافأة الأنوار فيما روي عن النبي ﷺ عن الله تعالى من الأخبار. الأربعين المتقابلة الأحاديث الأربعين في الطول. العين. التدبيرات الإلهية في إصلاح المحاكمة الإنسانية تعشق النفس بالجسم. إنزال الغيوب على سائر القلوب. أسرار قلوب العارفين.. مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية. الخلاء. المنهج السديد في شرح أنس المنقطعين. الموعظة الحسنة. البغية. الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة من إنسان وحيوان ونبات ومعدن. المبادي والغايات فيما في حروف المعجم من الآيات. مواقع النجوم. الإنزالات. الموجود. حلية الأبدال. أنوار الفجر. الفتوحات المكية عشرون مجلداً. تاج التراجم. الفحوص. الرصوص. الشواهد. القطب والإمامين. روح القدس. التنزلات الموصلية. إشارات القرآن في العالم والإنسان. القسم الإلهي. الأقسام الإلهية. الجمال والجلال. المقنع في إيضاح السهل المتتنع. شروط أهل الطريق. الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار. عنقاء مغرب. عقائد أهل علم الكلام. الإيجاد والكون. الرسائل. الإشارات في الأسرار. الإلهيات والكتابات. الحجة. إنشاء الجداول والدوائر. الأعلاق في مكارم الأخلاق. روضة العاشقين. الميم والواو والنون. المعارف الإلهية وهو الديوان. المبشرات. الرحلة. العوالي في أسانيد الأحاديث. الأحدية. الهوية الرحمية. الجامع وهو كتاب الجلالة العظيمة. المجد. الديمومية. الجود. القيومية. الإحسان. الفلك والسعادة. الحكمة. العزة. الأزل. النون. الإبداع. الخلق والأمر. القدم. الصادر والوارد. الملك. الوارد والواردات. القدس. الحياة. العلم. المشتبه. الفهوانية. الرقم. العين. المياه. ركن المدائن. المبادي. الزلفة. الرقيم. الدعاء. الإجابة. الرمز. الرتبة. البقاء. القدرة. الحكم والشرائع. الغيب. مفاتيح الغيب الخزائن العلمية. الرياح اللواقح. الريح العقيم. الكنز. التدبير والتفصيل. اللذة والألم. الحق. الحمد. المؤمن والمسلم والمحسن. القدر. الشأن. الوجود. التحويل. الوحي. الإنسان. التركيب. المعراج. الروايح والأنفاس. الملل. الأرواح. النحل. البرزج. الحسن. القسطاس. القلم. اللوح. التحفة والعرافة. المعرفة. الأعراف. زيادة كبد النون. الإسفار في نتائج الأسفار. الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة. الجبال. الطبق. النمل. العرش.

مراتب الكشف. الأبيض. الكرسي. الفلك المشحون. الهباء. الجسم. الزمان. المكان. الحركة. العالم. الآباء العلويات والأمهات السفليات. النجم والشجر. سجود القلب. الرسالة والنبوة والمعرفة والولاية. الغايات التسعة عشر. الجنة. النار. الحضرة. المناظرة بين الإنسان الكامل. التفضيل بين الملك والبشر. المبشرات الكبرى. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار. الأولين. العبادة. ما يعول عليه وهو كتاب النصائح. إيجاز اللسان في الترجمة عن القرآن. المعرفة. شرح الأسماء. الذخائر والأعلاق. الوسائل. النكاح المطلق. فصوص الحكم. نائج الأذكار. اختصار السيرة النبوية المحمدية. اللوامح. اللوائح. الاسم والرسم. الفصل والوصل. مراتب العلوم. الوهب. انتقاش النور. النحل. الوجد. الطالب والمجذوب. الأدب. الحال. الشريعة والحقيقة. التحكم والشطح. الحق. المخلوق. الإفراد وذوو الأعداد. الملامية. الخوف والرجاء. الفيض والبسط. الهبة والأنس. اللسانين. التواصي الليلية. الفناء والبقاء. الغيبة والحضور. الصحو والسكر. التجليات. القرب والبعد. المحو والإثبات. الخواطر. الشاهد والمشاهد. الكشف. الولد. التجريد والتفريد. العزة والاجتهاد. اللطائف والعوارف. الرياضة والتجلي. المحق والسحق. التودد والهجوم. التلوين والتمكين. اللمة والهمة. العزة والغيرة. الفتوح والمطالعات. الوقائع. الحرف المعني. التدني والتدلي. الرجعة. الستر والخلوة. النون. الختم والطبع. انتهت، ولعزتها ذكرتها هنا فإنها من أعظم كراماته رضي الله عنه، فلم أخرج بذكرها عن الصدد الذي ألف الكتاب لأجله، وقد رأيت كتاباً مستقلاً في ذكر مؤلفاته وفيه كثير منها لم يذكر هنا في هذه الإجازة، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ٦٣٨.

محتوى هذه المجموعة من الكتب والرسائل

١ ـ كتاب الفناء في المشاهدة
٢ ـ كتاب الجلال والجمال
٣ ـ كتاب الألف، وهو كتاب الأحدية
٤ ـ كتاب الجلالة، وهو كلمة الله
٥ ـ كتاب أيام الشأن
٦ ـ كتاب القربة
٧ ـ كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام
٨ ـ كتاب الميم والواو والنون
٩ ـ رسالة القسم الإلهي
١٠ ـ كتاب الياء، وهو كتاب الهو
١١ ـ كتاب الأزل
١٢ ـ رسالة الأنوار
١٣ ـ كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى
١٤ ـ رسالة إلى الإمام الرازي
١٥ ـ رسالة لا يعوّل عليه
١٦ ـ كتاب الشاهد
١٧ ـ كتاب التراجم
١٨ ـ كتاب منزل القطب ومقامه وحاله

١٩ ـ رسالة الانتصار

٢٠ ـ كتاب الكتب

٢١ ـ كتاب المسائل

٢٢ ـ كتاب التجليات

٢٣ ـ كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار

٢٤ ـ كتاب الوصايا

٢٥ ـ كتاب حلية الأبدال

٢٦ ـ كتاب نقش الفصوص

٢٧ ـ كتاب الوصية

٢٨ ـ كتاب اصطلاح الصوفية

كتاب الفناء في المشاهدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قدر وقضى وحكم فأمضى ورضي وأرضى وتقدس عظمة وجلالاً أن يكون عوضاً لما تنزه أن يكون جوهراً أو عرضاً وطهر قلوب من اختار من عباده فلم يجعل بها من علل الشكوك والشبه مرضاً. ولا نصبهم لسهام المجادلة والمخاصمة غرضاً. أضاء لهم بذات الأضا حسام الهدى المنتضى فضاق بهم الفضا. فمنهم من لبس ونضا ومنهم الجعافير والأضا، فمن لبس ثوبه جعل ما منحه قرضاً، ومن نضا[1] ثوبه قلب عين سنته فرضاً. فعرضهم لمباهاة الملأ الأعلى عرضاً، وحكمهم في العالم العلوي والسفلي فأورثهم سماء وأرضاً، فهم يقطعونها بقدم القدم طولاً وعرضاً، ويتحكمون في قواعدهم إبراماً ونقضاً، والصلاة على من قيل له ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، فتميز بهذا المقام عمن قال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] صلاة دائمة بلسان القدم فلا يجوز عليها انقضا، وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالرضا وعلى إخوانه المصدقين به من المقام العلي المرتضى.

أما بعد فإن الحقيقة الإلٰهية تتعالى أن تشهد بالعين التي ينبغي لها أن تشهد، وللكون أثر في عين المشاهد فإذا فني ما لم يكن وهو فانٍ ويبقى من لم يزل وهو باقٍ حينئذٍ تطلع شمس البرهان لإدراك العيان فيقع التنزه المطلق المحقق في الجمال المطلق، وذلك عين الجمع والوجود ومقام السكون والجمود فترى العدد واحداً لكن له سير في المراتب فيظهر بسيره أعيان الأعداد ومن هذا المقام زل القائل بالاتحاد، فإنه رأى مشي الواحد المراتب الوهمية فتختلف عليه الأسماء باختلاف المراتب، فلم ير العدد سوى الأحد، فقال بالاتحاد فإذا أظهر باسمه لم يظهر بذاته فيما عدا مرتبته الخاصة وهي الوحدانية ومهما ظهر في غيرها من المراتب بذاته لم يظهر اسمه وسمي في تلك المرتبة بما تعطيه حقيقة تلك المرتبة فباسمه يفنى، وبذاته يبقى فإذا قلت الواحد فني ما سواه بحقيقة هذا الاسم وإذا قلت اثنان ظهر عينها بوجود ذات الواحد في هذه المرتبة لا باسمه وإن اسمه يناقض وجود هذه المرتبة لا ذاته.

وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق لما فيه من العلو فغوره

---

(١) نضا الثوب عنه: خلعه وألقاه عنه.

بعيد، والتلف فيه قريب فإن من لا معرفة له بالحقائق ولا بامتداد الرقائق ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به وهو لم يذقه ربما قال أنا: من أهوى ومن أهوى أنا فلهذا نستره ونكتمه.

وقد كان الحسن البصري[(١)] رحمه الله إذا أراد أن يتكلم في مثل هذه الأسرار التي لا ينبغي لمن ليس من طريقها أن يقف عليها دعا بفرقد السبخي ومالك بن دينار[(٢)] ومن حضر من أهل الذوق وأغلق بابه دون الناس وقعد يتحدث معهم في مثل هذا الفن فلولا وجوب كتمه ما فعل هذا وكذا قال أبو هريرة[(٣)] رضي الله عنه فيما ذكره البخاري في صحيحه: حملت عن النبي ﷺ جرابين فأما الواحد فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم[(٤)]، وقال ابن عباس[(٥)] رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ

(١) الحسن البصري (٢١ ـ ١١٠ هـ = ٦٤٢ ـ ٧٢٨م).
الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد. تابعي. كان إمام أهل البصر، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف عليّ بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه، أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في «فضائل مكة» توفي بالبصرة. ولإحسان عباس كتاب «الحسن البصري» الأعلام ٢/ ٢٢٧، وميزان الاعتدال ١/ ٢٥٤، وحلية الأولياء ٢/ ١٣١، وذيل المذيل ٩٣.

(٢) هو مالك بن دينار البصري (توفي ١٣١ هـ = ٧٤٨م) أبو يحيى، من رواة الحديث. كان ورعاً، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة.
الأعلام ٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦١، ووفيات الأعيان ١/ ٤٤٠، وحلية الأولياء ٢/ ٣٥٧.

(٣) أبو هُرَيْرة (٢١ ت هـ ٥٩ هـ = ٦٠٢ ـ ٦٧٩م).
عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة، صحابي. كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي ﷺ، فروى عنه ٥٣٧٤ هـ حديثاً. وولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولاً بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها. وكان يفتي.
الأعلام ٣/ ٣٠٨، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٧٠، والإصابة، الكنى ت ١١٧٩، والجواهر المضية ٢/ ٤١٨، وصفة الصفوة ١/ ٢٨٥، وحلية الأولياء ١/ ٣٧٦.

(٤) أخرجه البخاري (علم ٤٢).

(٥) ابن عباس (٣ ق هـ ٦٨ هـ = ٦١٩ ـ ٦٨٧م).
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع عليّ الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغيرهما. ١٦٦٠ حديثاً الأعلام ٤/ ٩٥، والإصابة ت ٤٧٧٢، وصفة الصفوة ١/ ٣١٤، وحلية الأولياء ١/ ٣١٤، وذيل المذيل ٢١.

سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]: لو ذكرت تفسيره لرجمتموني ولقلتم أني كافر وعن علي بن أبي طالب عليه السلام ضرب بيده إلى صدره ويقول: آه إن ههنا لعلو ما جمة لو وجدت لها حملة وقال عليه السلام: ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقع في صدره[1] ولم يبين ما ذاك الشيء فكتمه عليه وليس كل علم يلزم به للعالم تبيينه وقال النبي ﷺ: **«خاطبوا الناس على قدر عقولهم»** فينبغي لمن وقع في يده كتاب الله في علم لا يعرفه ولا سلك طريقه لا يبدي فيه ولا يعيد ويرده إلى أهله ولا يؤمن به ولا يكفر ولا يخوض فيه البتة، رب حامل فقه ليس بفقيه ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩] ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦] فقد ورد فيهم الذم حيث تكلموا فيما لم يسلكوا طريقه وإنما سقنا هذا كله لأن كتب أهل طريقتنا مشحونة بهذه الأسرار ويتسلطون عليها أهل الأفكار بأفكارهم وأهل الظاهر بأول احتمالات الكلام فيقعون فيهم ولو سئلوا عن مجرد اصطلاح القوم الذي تواطؤا عليه في عباراتهم ما عرفوه فكيف ينبغي لهم أن يتكلموا فيما لم يحكموا أصله.

وربما قالوا: إذا عاينوهم يتكلمون بمواجيدهم مع أصحابهم دين مكتوم، دين مشوم، وما عرفوا جهات الدين وهؤلاء ما تكتموا بالدين فقط وإنما تكتموا بنتائجه وما وهبهم الحق تعالى في طاعته حين أطاعوه وبما صح عندهم من أحاديث الأحكام ما اتفق على ضعفه وتجريح نقلته وهم أخذوه من الكشف عن قائله صحيحاً فتعبد به أنفسهم على غير ما تقرر عند علماء الرسوم فينسبونهم إلى الخروج عن الدين وما أنصفوا فإن للحق وجوهاً يوصل إليه منها هذا أحدها ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف ويتركون العمل به مثل ذلك سواء، فما أحسن من سلم واستسلم واشتغل بنفسه حتى يفارق موطنه بموطنه فذلك السعيد الفائز بحقائق الوجود، فالساترون لهذه الأسرار في ألفاظ اصطلحوا عليها غيرة من الأجانب والقائلون بوجود الآثار بالهمم لا يزالون مقيمين على مناهجهم حتى يلوح لهم أعلام بأيدي الروحانيات العلى القائمين بالمرتبة الزلفى الفهوانية فيها كتب مرقومة مقدسة تقوم لهم شواهد على تحقيق ما هم عليه وتعظيم الانتقال عن هذا الوصف إلى وصف آخر انتقالاً ميزها فينتهك ستر الساتر فيكشف ما ستر ويفك معناه ويحل قفله بفتح مغالقه، ويتحد همم ذلك الآخر بمطالعة الحقيقة الأحدية فلا يرى إلا هماً واحداً لا غير، عنه تكون الآثار على الحقيقة فتارة تكون عنه تحويراً وتارة تكون عنه عند تكون هذه الهمم عنه فهو المتوجه إليه بكل وجه وإن لم يعلم والمطلوب بكل هم وإن لو يوصل إليه والمنطوق به في كل لسان وإن لم ينقال فما أشدها من حيرة وما أعظمها من حسرة إذا كشف الغطا واتحد البصر وجمع الشمس والقمر وظهر الموثر في الأثر وأدرك بعين

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٦٦).

البصر وتحول لهم في الصور ووقع المكر بمن مكر وربح من آمن وخسر من كفر.

وجاء الخطاب الإلٰهي باللسان الأقدس المترجم عنه بعبارة الإخلاص فمن استخلص عبادته من يد جزائه وكان حنيفي المذهب قريب المذهب فقد وفى بامتثال الأمر، وكان من عالم النور لا من عالم الأجر ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩] ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨] فيقول: أنا ربكم فيتبعونه.

فالجزاء عند المحققين مصروف إلى الله لا يتمكن عندهم طلب له منه لضيق الوقت والشغل به تعالى أكد عليهم فمن فاته حظه من الله فذلك الخاسر والعمل الذي هو سبب به من إقامة فرض أو سنة يطلب ثوابه بحاله فلا تشغل نفسك به فإن حركة الأبدان لا بد لها من نتائجها المحسوسة فلا تسأل ما تعطيها الحركات بذاتها فيضيع وقتك عليك كما أن الحق سبحانه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فاليوم الزمن من الفرد وشأنه في حقك فإنه لك يوجد ويكون لا لنفسه لنزاهته عن الأغراض أو يعود عليه من خلقه ما لم يكن عليه ولا خلق فمن أجلك يخلق فكن في مقابلة هذا الأمر واشتغل به وكن أنت كل يوم في شأن ربك كما أن ربك هو في شأنك وإنه ما خلقك إلا لتعبده وتتحقق به لا لتطلب الشغل بغيره وما سواك وسواه رزق لك فإليك يصل ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٧ ـ ٥٨] فإذا قال لك: خذ فقل: أنت وإذا قال لك: ارجع فقل منك إليك وإذا قال لك: كيف أقول لك خذ فتقول: أنت وأنا لا أتخذ فقل له: وكذلك أنا على الحقيقة لا آخذ فإن الأخذ فعل ولا فعل لي وأنت الآخذ إذا أنت الفاعل فخذ أنت لي ما أعطيتني ولا تقل لي: خذ يا من لا يأخذ فتحجبني بالأخذ عنك ولا أخذ لي فلا أنت لي ولا أخذ لي فاحصل في العدم وهو أشر الشر وإلا فالإقالة من هذا الخطاب المهلك يا من يدرك ولا يدرك ويملك ولا يملك.

وربما يقام لك في بعض هذه المواطن الدين المستقيم الحكمي النبوي الاختصاصي الخالصي والدين غير المستقيم الحكمي الممزوج الفكري العقلي وتميز بينهما وترى غاية كل طريق منهما الحق سبحانه من حيث سعادتك لا من حيث الشقاوة، فاسلك دين الاختصاص الخالص النبوي فإنه أرفع وأنفع وإن كان الآخر رفيع المنار ولكن بوجود هذا الآخر يضمحل رسمه وإن كان حقاً من وجه وربما لو كان واضعه في عالم الأحياء حاضر الرجع إلى دين الاختصاصي النبوي الخالص نسخاً أليست الشرائع التي كانت عليها الأمم من قبل كأمة موسى وعيسى عليهما السلام قد نسخ بعض وجوهها شرع محمد ﷺ وقال: **«لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني»**(١)، فأحرى الشرع الحكمي الابتداعي الفكري وهو أولى بالرفع وإن كان حقاً

(١) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ٨٣، ٢٩٢).

كما ذكرناه من وجه ثم لتعلم أن أشقى الأشقياء صاحب كتاب ضل واتبع هواه مع إيمانه بكتابه، ولكن هنا نكتة أحب بيانها وإن قليلاً ما يقع التنبيه عليها وربما غلط فيها قوم من حيث الجواز الإمكاني والوجود قد ثبت على إحدى طرفي الممكن فلا سبيل إلى انقلابه وهو أن الحق سبحانه ما تجلى بشيء قط واحتجب عنه ولا كتب في قلب إيماناً فمحاه وكل من قال استتر عني بعد التجلي فما تجلى له قط ولكن جلى له فقال هو هو ولا ثبات للكون على حال فتغير عليه فقال بالحجاب فكذلك كتبه الإيمان وإتيان الآيات والبينات إذا أعطيت في القلوب وقامت شواهدها منها فلا تزال أبداً فإذا أزيل عن شخص مثل هذا فاعلم أنه ما كتب قط في لوح قلبه ولا كان رداً عليها لكن كانت رداً عليه وأعطى عبارتها ولسانها لأعيانها ووجودها فمثل هذا العطاء يسترد ويزال ولذلك قال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] فقوله فانسلخ منها كما ينسلخ الرجل عن ثوبه والحية عن جلدها فكانت عليه رداً كما ذكرنا لم يكن عنده سوى النطق فإذا نطق ظهر مكنون الاسم وأثره بالخاصية ولا يشترط في الخواص المفردة تطهير ولا تقديس ولا حضور ولا جمعية فلا كفر ولا إيمان إلا بمجرد ما يكون النطق بتلك الحروف المعينة ظهر الأثر ولو كان القائل غافلاً عن نطقه وقد اتفق مثل هذا لبعض أصحابنا وهو يقرأ القرآن فمر بآية فرأى أثراً عندها فتعجب من ذلك ولم يدر ما سببه فتفطن لقراءته على الآيات المتقدمات فقرأ فلما وصل إلى آية معينة رأى الانفعال فكلما كررها رأى الانفعال وعرف أن الآية صادفت عند التلاوة محلها الذي تفعل فيه بالخاصية فاتخذها اسماً فكان يفعل به ذلك الأمر متى شاء فمثل هذا لا يغتر به المحقق وإنما فرحه بما تحقق به كما قيل لأبي يزيد: ما اسم الله الأعظم؟ فقال: أصدق وخذ أي اسم شئت وأحاله على التحقيق لا على النطق واللفظ فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وللقلب وجهان ظاهر وباطن فباطنه لا يقبل المحو بل هو إثبات مجرد محقق وظاهره يقبل المحو وهو لوح المحو والإثبات فيثبت فيه وقتاً أمر ما ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد: ٣٩] فلو كان صاحب الكتاب مؤمناً بكل كتابه ما ضل أبداً ولكن آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة: ٦] وبهذه المثابة هم أصحاب علم الرسوم وأكثر أهل النظر الفكري من الفلاسفة وأصحاب الكلام يصدقون ببعض ما يأتي به أولياء الله مما يتحققون به من المواجيد والأسرار التي شاهدوها ووجدوها فما وافق نظرهم وعلمهم صدقوا به وما لم يوافق نظرهم وعلمهم ردوه وأنكروه وقالوا: هذا باطل لمخالفة دليلنا

ولعل دليل هذا المسكين لم يكمل أركانه وهو يتخيل أنه كامل فهلا سلم هذا القول لصاحبه ولا يلزمه التصديق فكان يجني ثمرة التسليم وأنا والله أخاف على المنكرين على هذه الطائفة وقد قال بعضهم من قعد معهم يعني أهل الحقائق من الصوفية وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه.

وقد سأل بعض النظار ممن يدعي الحكمة بعض المحققين من أهل الوجود عن مسألة وأنا حاضر وطلبته قعود فأخذ المحقق يتكلم في تلك المسألة فقال له الناظر: هذا لا يصح عندي فبيّنه لي فلعلي فيه على غلط فعرف المحقق أن قوله واهية منه فسكت عنه من أجل الجدل والخصام فإنهم لا يقولون به لما فيه من سوء الأدب ورفع البركة قال ﷺ وقد تنازع أصحابه عنده: «عندي لا ينبغي التنازع»[١]، وقال ﷺ: «رأيت ليلة القدر فتلاحى رجلان فرفعت»[٢].

فطريق الكشف والشهود لا تحتمل المجادلة والرد على قائله وحرمانه، يعود على المنكر وصاحب الوجود مسعود بما حصل عليه فقام واحد من طلبة ذلك الشيخ وقال للنظار المسألة التي أوردها سيدنا في غاية الإيضاح صحيحة وإن لم أقدر على العبارة عنها فقال الفقيه كلام مليح مزخرف حسن النسج تقبله العقول بأول وهلة فإذا حككته في محك النظر وسبرته بالأدلة ذهب ولم يكن له وجود وكان باطلاً محضاً مثل هذه المسألة التي أوردها سيدنا الساعة فسكت ذلك الشيخ عن الكلام فيها ولم يتفطن الناظر لما قاله وما جرى على لسانه وكان ذلك تعريفاً لهذا المحقق بما في نفس هذا الناظر ليمسك عن الكلام معه في مثل هذه الأمور.

ثم لتعلم أن الإيمان المؤيد بالأعمال الصالحة أقسامه في يد الحضرة المقدسة فيرى عند إقامته فيها تفجر أنهار العلوم والمعارف والحكم والأسرار من بين تلك الأنامل ويرى ما ملكته تلك اليد لأصحاب المقامات المحمدية فتتغذى بذلك روحانية ساكن هذه الحضرة وهي رابعة أربعة كلهم مشتركون في هذا المقام الأقدس فهذه حضرة الإقامة والثانية حضرة النور والثالثة حضرة العقل والرابعة حضرة الإنسان.

وحضرة الإنسان أتم الحضرات وجوداً فحضرة الإقامة إذا نزلها العبد شرب من نهر الديمومية وأنتج له هذا المقام بهذه الحضرة مقام الخشية الربانية والرضا الإلٰهي فإن الخشية الإلٰهية تفتح حضرة أخرى غير هذه سيرد ذكره في منازل **«الفتوحات المكية»** وكذلك خشية الهوية سترد أيضاً في منازل الفتوحات المكية سكتنا عنهما.

وهذا المنزل الذي تكلمنا عليه في هذا الكتاب فهو منازل الفناء وطلوع الشموس

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ٣٩) وابن عبد البر في (التمهيد ١/ ١٦٩).
(٢) أخرجه صاحب (معاني الآثار ٣/ ٩٠).

وله مرتبة الإحسان الذي يراك به لا الإحسان الذي تراه به قال جبرائيل عليه السلام للنبي ﷺ: ما الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه»[١] وأشار لأهل الإشارات بقوله: «فإن لم تكن تراه» أي رؤيته لا تكون إلا بفنائك عنك.

وأثبت الألف من تراه لأجل ظهوره لتعلق الرؤية إذ لو حذفها وقال فإن لم تكن تره لم يصح الرؤية فإن الهاء من تراه كناية عن الغائب والغائب لا يرى والألف محذوفة فكان يرى بلا رؤية هذا لا يصح فلهذا ثبت. وأما حكمة ثبوت الهاء فإنه كان معنى فإن لم تكن تراه إشارة إلى أنك إذا رأيت بوجود الألف فلا تقل أحطت فإنه تعالى يجل ويعز عن أن يحاط به وما لم يحط به فتكون الهاء الذي هو ضمير ما غاب عنك من. حقيقة الحق عند الرؤية تشهد لك بعدم الإحاطة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، تم الكتاب بحمد الملك الوهاب.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ٢٠)، ومسلم في الصحيح (الإيمان ١، ٥)، والنسائي في (السنن ٨/ ٩٩، ١٠٢)، والترمذي في (السنن ٢٦١٠)، وأبو داود في السنن (السنة ب ١٦)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٥١، ٥٣، ٢/ ٤٢٦، ٤/ ١٢٩، ١٦٤)، والألباني في (إرواء الغليل ١/ ٣٢، ٣٣)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ١١٤، ١٠/ ٢٧١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٣٦٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٩٤)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٨/ ٣٣٨).

كتاب الجلال والجمال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله العظيم جلاله لظهور جماله، القريب في دنوه، الرقيب في سموه، ذي العزة والسناء والعظمة والكبرياء الذي جلت ذاته أن تشبه الذوات وتعالت عن الحركات والسكنات والحيرة والالتفات وعن درك الإشارات والعبارات كما جلت عن التكييف والحدود وعن النزول بالحركة والصعود وعن الاستواء المماس للمستوى عليه والقعود وعن الهرولة لطلب المقصود وعن التبشبش[1] المعهود للقاء المفقود إذا صح منه المقصود كما جلت أن تفصل أو تجمل أو يقوم بها ملل أو تتغير باختلاف الليل وتلتذ أو تتألم بالعمل أو توصف بغير الأزل كما جلت عن التحيز والانقسام أو يجوز عليها ما تتصف به الأجسام أو تحيط بكنه حقيقتها الأفهام أو تكون كما تكيفها الأوهام أو تدرك على ما هي عليه من اليقظة أو المنام أو تتقيد بالأماكن والأيام أو يكون استمرار وجودها بمرور الشهور عليها والأعوام أو يكون لها الفوق أو التحت أو اليمين أو الشمال أو الخلف أو الأمام أو تضبط جلالها النهى أو الأحلام، كما جلت أن تدركها العقول بأفكارها أو أرباب المكاشفات بأذكارها أو حقائق العارفين بأسرارها والوجوه بأبصارها على ما يعطيه جلال مقدارها لأنها جلت عن القصر خلف حجبها وأستارها، فهي لا تدرك في غير أنوارها كما جلت أن تكون على صورة الإنسان أو تفقد من وجود الأعيان أو يرجع إليها حالة لم يكن عليها من خلقها الأكوان أو تكون في تقييد ظرفية السوداء الخرساء وإن ثبت لها بها الإيمان أو تتحيز بكونها تجلى في العيان أن ينطلق عليها الماضي أو المستقبل أو الآن كما جلت أن تقوم بها الحواس أو يقوم بها الشك والالتباس أو تدرك بالمثال أو القياس أو تتنوع كالأجناس أو يوجد للعالم طلباً للإيناس أو يكون ثالث ثلاثة للجلاس، كما جلت عن المصاحبة والولد أو يكون لها كفؤاً أحداً ويسبق وجودها عدم أو توصف بجارحة اليد والذراع والقدم أو يكون معها غيرها في القدم، كما جلت عن الضحك والفرح المعهود بتوبة العباد وعن الغضب والتعجب المعتاد وعن التحول في الصور كما يكون في البشر فسبحانه من عزيز في كبريائه وعظيم

(١) تبشبش به: تبشَّش، أي آنسه وواصله وأقبل عليه.

في بهائه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

أما بعد فإن الجلال والجمال مما اعتنى بهما المحققون العالمون بالله من أهل التصوف[١] وكل واحد منهما نطق فيهما بما يرجع إلى حاله وإن أكثرهم جعلوا الأنس بالجمال مربوطاً والهيبة بالجلال مربوطة وليس الأمر كما قالوه وهو أيضاً كما قالوه بوجه ما وذلك أن الجلال والجمال وصفان لله تعالى والهيبة والأنس[٢] وصفان للإنسان فإذا شاهدت حقائق العارفين الجلال هابت وانقبضت وإذا شاهدت الجمال أنست وانبسطت فجعلوا الجلال للقهر والجمال للرحمة وحكموا في ذلك بما وجدوه في أنفسهم وأريد إن شاء الله أن أبين عن هاتين الحقيقتين على قدر ما يساعدني الله به في العبارة.

فأقول أولاً: إن الجلال لله معنى يرجع منه إليه وهو منعنا من المعرفة به تعالى، والجمال معنى يرجع منه إلينا وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندنا به والتنزلات والمشاهدات والأحوال وله فينا أمران: الهيبة والأنس وذلك لأن لهذا الجمال علواً ودنواً فالعلو نسميه جلال الجمال وفيه يتكلم العارفون وهو الذي يتجلى لهم ويتخيلون أنهم يتكلمون في الجلال الأول الذي ذكرناه وهذا جلال الجمال قد اقترن معه منا الأنس، والجمال الذي هو الدنو قد اقترنت معه منا الهيبة، فإذا تجلى لنا جلال الجمال أنسنا ولولا ذلك لهلكنا فإن الجلال والهيبة لا يبقى لسلطانهما شيء فيقابل ذلك الجلال منه بالأنس منا لنكون في المشاهدة على الاعتدال حتى نعقل ما نرى ولا نذهل وإذا تجلى لنا الجمال هنا فإن الجمال مباسطة الحق لنا والجلال عزته عنا فنقابل بسطه معنا في جماله بالهيبة فإن البسط مع البسط يؤدي إلى سوء الأدب وسوء الأدب في الحضرة سبب الطرد والبعد ولهذا قال من المحققين ممن عرف هذا المعنى: اقعد على هذا البساط وإياك والانبساط فإن جلاله في أنفسنا يمنعنا في الحضرة من سوء الأدب كما أن هيبتنا في جماله وبسطه معنا يمنعنا من سوء الأدب فكشف أصحابنا صحيح وحكمهم بأن الجلال يقبضهم وأن الجمال يبسطهم غلط وإذا كان الكشف صحيحاً فلا نبالي فهذا هو الجلال والجمال كما تعطيه الحقائق.

واعلم أن القرآن يحوي على جلال الجمال وعلى الجمال فإما الجلال المطلق فليس لمخلوق في معرفته مدخل ولا شهود انفرد الحق به وهو الحضرة التي يرى فيها الحق سبحانه نفسه بما هو عليه فلو كان لنا فيه مدخل لأحطنا علماً بالله وبما عنده وهذا محال.

(١) التصوف: هو علم تُعرف به أحوال تزكية النفس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية، فموضوعه: (التزكية والتصفية والتعمير).

(٢) الهيبة والأنس: وهما على درجة من (درجات) القبض والبسط، فكما أن القبض فوق رتبة الخوف والبسط فوق منزلة الرجاء، فالهيبة أعلى من القبض، والأنس أتم من البسط.
(الرسالة القشيرية ص ٦٠).

واعلم يا أخي أن الله تعالى لما كانت له الحقيقتان ووصف نفسه باليدين وعرفنا بالقبضتين خرج على هذا الحد الوجود فما في الوجود شيء إلا وفيه ما يقابله، وغرضنا من هذه المقابلة ما يرجع إلى الجلال والجمال خاصة وأعني بالجلال جلال الجمال كما ذكرنا فليس في الحديث المأثور عن المخبرين عن الله تعالى شيء يدل على الجلال إلا وفيه ما يقابله من الجمال وكذلك في الكتب المنزلة وفي كل شيء كما أنه ما من آية في القرآن تتضمن رحمة إلا ولها أخت تقابلها نقمة كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: ٣] يقابله ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] وقوله: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [الحجر: ٤٩] يقابله ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٥٠] وقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨﴾ [الواقعة: ٢٧، ٢٨] الآيات يقابلها ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ۝٤٢﴾ [الواقعة: ٤١، ٤٢] الآيات وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ يقابلها ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ۝٢٤﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٤] وقوله: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾ يقابله ﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٤] الآيات يقابله ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩﴾ [الغاشية: ٨ ـ ٩] وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩] يقابله ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤١] وإذا تتبعت القرآن وجدته كله في هذا النوع على هذا الحد وهذا كله من أجل الرقيبتين الإلهية في قوله: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ وقوله: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨] وقوله في المعطى المصدق: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٧] ويقابله في البخيل المكذب قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ١٠] فاعلم، وهكذا أيضاً آيات الجلال والجمال في كتاب الله وأنا أحب أن أذكر من آياتهما قليلاً وأتكلم عليها من طريق الإشارات بما تدركه الأفهام المتفرغة لطلب هذه المعاني المقدسة عن الكدورات البشرية والشهوات الحيوانية والله يؤيد بالعصمة والإصابة في القول والعمل آمين، بعزته وأجلها إشارات بدلاً من قولنا فصل أو باب وابتدىء بآية الجلال ثم أردفها بآية جمالها ثم انتقل إلى آية جلال أخرى على هذا الحد إن شاء الله وقد يكون للآية وجهين، وجه في الجلال ووجه في الجمال فأسوقها بعينيها في الجلال والجمال لكونها تتضمن التقابل إن شاء الله تعالى.

إشارات الجلال. قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] وهذه آية تقابلها فيها وتقابلها أيضاً تمامها وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ويقابلها من الأحاديث قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته»(١)، فاعلم يا

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (البر والصلة ١١٠)، (الجنة ٢٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/٢٤٤، ٢٥١، ٣٢٣، ٤٣٤، ٤٦٣، ٥١٩)، والحميدي في (المسند ١١٢٠، ١١٢١)، وابن عساكر في (تهذيب =

من غرق في بحر المشاهدة أن المثلية في الجلال معقولة كما أنّ المثلية في الجمال لغوية فنفى بهذه الآية المماثلة التي في الاشتراك في صفات النفس وهنا بحور عظام منها أن المماثلة بين الشيئين لا يقضي بالكمال فيهما والفضائل وغير ذلك فإن تماثلا من طريق صفات النفس فقد تماثلا أو تناقضا من طريق صفات المعاني كرجلين قد اشتركا في صفات النفس الواحد منها عاجز قاصر جاهل أبكم أعمى أصم والآخر عالم قادر مريد متكلم بصير سميع وقد جمعهما حد واحد وهو أنهما حيوان ناطق مائت مثلاً فإذا كان ذلك فهي إشارة فافهم كما يقع الاشتراك والتماثل في صفات المعاني ولا يقع الاشتراك بالمثلية وإن كانت حقيقة الشيء من صفات نفسه فتعدد ويشتركه شيء آخر في بعضها فليس ذلك الشيء بمثل لذلك الشيء الآخر من جميع الوجوه كالحيوان الذي يطلق على الإنسان وعلى البهيمة فليس الإنسان بمثل للفرس لأن من شرط المثلية الاشتراك في جميع الصفات النفسية ولا يكون ذلك إلا في أشخاص النوع الواحد.

وهذه المثلية تسمى عقلية فلتكن هذه المماثلة الكاملية الكلية والمماثلة الجزئية هو أن يقع الاشتراك في بعض صفات النفس وهو مثل من حيث ذلك ثم يقع الانفصال وتأبى الحقائق أن تقبل المماثلة في صفة المعاني فإنها ليست بحقيقة لذات الموصوفة بها فهي كالأعراض وإن كانت لازمة ويستحيل عدمها لأن المماثل هناك إنما هو بين المعنيين لا بين الشيئين اللذين قام بهما هذان المعنيان المتماثلان كالعالمين فوقع التماثل بين العالمين عقلاً وحقيقة فإن تماثل العالمان فمن غير هذا الوجه وتشخصت المعاني بتشخص من قامت بهم فتشخصها بحكم التبعية كتحيز العرض بالتبعية في تحيز محله لأنه بحيث محله لأن العرض يتحيز فهذه إشارة إلى أن الباري ليس بيننا وبينه اشتراك في صفات النفس بوجه كلي ولا جزئي فلهذا انتفت المثلية من جهة الحقائق بيننا وبينه ولا يغرنك إن وصفك بما وصف نفسه من كونه عالماً أو مريداً وغير ذلك وكذلك البهيمة سميعة وبصيرة ومريدة فافهم ذلك.

الجمال. الآية بعينها قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] مثلية لغوية كقولهم زيد مثل الأسد والكاف هنا بمعنى الصفة فيقول ليس مثل مثله شيء فنزل الحق في مقام البسط بصفة الجمال لقلوب العارفين به ونفى في هذه الآية أن يشبههم شيء من جميع مخلوقاته كما نفى فيها من كونها جلالاً أن تشبهه فنبه بهذه الآية على شرف الإنسان على جميع المبدعات والمخلوقات فحقيقته لا أين وأثبت له صفات التمام والكمال فجعله فياضاً وملكه مقاليد الأسماء وبهذه المثالية اللغوية صحت له الخلافة

= تاريخ دمشق ١/ ٣٩٥)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٣)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٦٦)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ١٠٧٧)، وابن أبي عاصم في (السنة ١/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٩٠، ٢٩١).

وتعمرت به الداران وبها سخر الأرواح وبها قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الجاثية: ١٣] فهذه الآية تدل على مباسطة إلٰهية إذا تجلت إلى قلب المحقق يكون حاله في ذلك الوقت المعاني التي تقدم في جلالها كما أنه إذا تجلى إلى قلب المحقق جلال هذه الآية يكون حاله في ذلك الوقت معنى جمالها وهكذا في كل تجلّ كما قررناه فجلالها بفرض المثل ونفي شبهه ومماثله وجمالها بوجد المثل ونفي مماثله فالجلال يثبت تقديس الحق والجمال يثبت رفعة العبد وكما قال في جلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] في حقائقه المقابلة للحقائق الإلٰهية ثم ارتفع في مقابله نزول الحق إلى مقام المثلية بالسميع البصير فافهم هذه الإشارة فإن بقاء العبد بأوصاف نفسه ببقاء الله وإن بقاءه بأوصاف كماله الثابتة في الربوبية العارضة في العبودية بإبقاء الله فالمحقق ببقاء الله مشغوف لأنه في مشاهدة لا تنقطع فإنه مع التقابل وغير المحقق بإبقاء الله مشغوف لأنه محجوب بالتأله فهو مع الله من طريق الفعل في الكون على التماثل وهو الحال يقول أهل الجنة في الجنة للشيء يريدونه كن فيكون فيرى المحقق تكوين ذلك الشيء عن معنى قوله لا عن قوله ويرى غير المحقق ذلك التكوين عن القول لوقوعه عنده وقد اشتركا في نفي القدرة عنهما فافهم.

إشارات الجلال: قال الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فيها تقابلها وقيل للنبي ﷺ: أرأيت ربك فقال: نور أنّى أراه[١] فلا يزال حجاب العزة منسدلاً لا يرفع أبداً جل أن تحكم عليه الأبصار هكذا عند مشاهدتها إياه لأنها في مقام الحيرة والعجز فرؤيتها لا رؤيتها كما قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك.

إشارة، لا تدرك الأبصار الهواء لكونها سابحة فيه فمن كان في قبضه شيء فإنه لا يدرك ذلك الشيء.

إشارة: يريد البصر أن يدرك لون الماء والشفافة الغالية في الصفاء فلا يدركها لأنه لو أدركها لقيدها وذلك لأنها اشبهته في الصفاء والإدراك لا يدرك نفسه لأنه في نفسه ويدركها فهو البصر المبصر.

إشارة. إذا نظر البصر إلى الشيء الصقيل فيرى فيه الصورة فإدراكه للصورة للجسم الصقيل لأنه لو جهد أن يدرك ما يقابل الصورة التي في الصقيل من الصقيل لم يقدر والصقيل لا يتقيد فإذا سئل ما رأى فلا يقدر أن يقول: رأيت الصقيل لأنه لا يتقيد له ولا يحكم عليه بشيء وإن قال ذلك فهو جاهل لا معرفة له بما شاهده ولكن يقول: رأيت فيخبر عن الصورة أو الصور التي رآها وهو الصدق فقد عرت هذه الأشياء عن

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٣٩١)، والترمذي (تفسير سورة ٥٣، ٧)، وأحمد بن حنبل ٥/١٥٧، ١٧١، ١٧٥).

إدراك البصر مع كونها مخلوقة فافهم ولكنه أدرك هذه الأشياء بغير تقييد وقبول هذه الأشياء إلى الصور ذاتي لا ينفك عن الصورة البتة عند رؤية الرائي وهي رؤيتك فتحقق ما ذكرناه.

واعلم أن الله تعالى إن يحيط به بصر أو عقل ولكن الوهم السخيف يقدره ويحده والخيال الضعيف يمثله ويصوره هذا في حق بعض العقلاء الذين قد نزهوه عما تخيلوه وتوهموه ثم بعد التنزيل يتسلط عليهم سلطان الوهم والخيال فيحكم عليه بالتقدير وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وهو رجوعهم إلى ما أعطاهم العقل بالبرهان الصحيح من التنزيه عن ذلك.

الجمال، وأما جمال هذا الجلال فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] فنزل سبحانه في جماله مباسطة معنا إلى أن ندركه بأبصارنا وينظر إلى هذا قوله عليه السلام: «ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب لا تضارون في رؤيته»(١) وقال تعالى في حق أصحاب الجحيم ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] والنظر بإلى في كلام العرب لا يكون إلا بالبصر وبفي يكون بالعقل وبالفكر وباللام يكون للرحمة وبغير أداة يكون للتقابل والمكافحة والتأخير. والإبصار من صفات الوجوه وليس العقل منها فلا بد من رؤيته، وقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] لموسى عليه السلام حكم يرجع إلى حال ما علمه من سؤال موسى عليه السلام لا يسعنا التكلم فيه وقد أحاله على الجبل ودك الجبل وصعق موسى والإدراك لا يصعق، وليس من شرطه بنية مخصوصة ولا البنية من شرطه، وإنما من شرطه موجود يقوم به لأنه معنى والصعق قام بالبنية الكثيفة فلما أفاق سبح ولا فائدة للتسبيح عند القيام من ذلك الموطن إلا المشاهدة ما ثم أعطته المعرفة التوبة من اشتراط البنية ثم أقر بأنه أول المؤمنين بما رآه في تلك الصعقة لأن الإيمان لا يتصور إلا بالرؤية في أي عالم ولهذا قال النبي ﷺ لحارثة ما حقيقة إيمانك قال: «كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً»(٢) الحديث فأثبت الرؤية في عالم ما وبها صحت له حقيقة الإيمان وأقر له النبي ﷺ فيها بالمعرفة وما عدا هذا فهو الإيمان المجازي فلا فائدة للإيمان بالغيب إلا لحوقه بالمشاهدة ولهذا لا يدخله الريب، فموسى أول من أدرك بالبصر على وجه ما وهذه المرتبة لها حال ومقام فإن كان في المقام فهو أول من أدركه وإن كان في الحال فيمكن إن رآه غيره وتكون الأولية موقوفة على الحال بكمال القصة وهذا يوجد كثيراً فإذا باسطك الحق في المشاهدة لهذه الآية

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٢/ ٣٣٣)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢١٨).
(٢) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ٥٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٢٧)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ١٦٣)، وابن كثير في (التفسير ٣/ ٥٥٣).

فتقنع بأنه لا يدركه الأبصار وإن لم تفعل هلكت كما أخبرتك وإياك أن تبسط بل تكون الهيبة عليك قائمة فهي حافظتك فاعلم والله المرشد سبحانه.

إشارات الجلال. قال الله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] إشارة إلى الإحاطة الإلٰهية بجميع الأسماء الكائنة الماضية والكائنة في الحال والكائنة في المستقبل فهي لا تختص إلا بالوجود الكائن والذي كان ويكون فهو تعلق أخص من تعلق قوله أحاط بكل شيء علماً من الواجبات والجائزات والمستحيلات وإن كان بعض العلماء لا يسمي شيئاً إلا الموجود فلا نبالي فإن الله قد أحاط بكل شيء علماً وقد علم المحال ولو خصص صاحب هذا الاصطلاح العلم المحيط في هذه الآية بالموجودات فليس له دليل على ذلك إلا كونه اصطلح على أنه لا يسمي شيئاً إلا الموجود فالإحاطة هنا على بابها من العموم والإحصاء يقتضي التناهي في الشيء الذي أحصى والإحاطة إنما هو عبارة عن تعلق العلم بالمعلومات الغير المتناهية هنا وقد يكون الإحصاء ههنا على العموم بمعنى الإحاطة ولكن كما قلنا في الكائنات المستقبلة وهي لا تتناهى فإن مقدورات الله لا تتناهى ومعلوماته كذلك أكثر من مقدوراته وغير ذلك والإحصاء بالعدد لا يتعلق به لأنه لا يجوز عليه فيحصي نفسه، والمحال لا يوصف بالعدد فيتعلق به الإحصاء ولكن يحيط به العلم أي معنى لعلمه من جميع الوجوه فإذا كان الحق قد أحصى كل شيء عدداً فأنت من الأشياء المعدودة فحفظه ورقبته عليك فإذا شاهدته الأسرار من هذه الآية ناهت في جلال الحق وحارت في أنفاسها ولحظاتها ولمحاتها ونفحاتها وخطراتها وكل ما يكون فيها ومنها فإذا تحققت بهذه المشاهدة بسطها الحق بالآية التي أذكرها بعد هذا في جمال هذا الجلال فعندما تريد الأنس بذلك يتجلى لها في هذا الجلال في تلك الآية فيحيره ويتلفه فافهم.

الجمال. قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٧] فجاء بأو التي للشك وهذا محال على الله تعالى فلما نزل الحق في جماله في هذه الآية مباسطة معنا والشك منوط بها فقام للعبد ضرب من المناسبة فإن كان العبد جاهلاً حمل ربه على نفسه ووصفه بالشك فضل وإن كان محققاً هرب إلى قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] فوقف على سر ذلك وألحق الشك بالرؤية البشرية المعتادة على الخطاب المتعارف بين العرب بالكثرة فيعود الشك على المخلوق وإن أراد إحصاء العدد وأراد أن ينزه نفسه من غير الوجه الذي نزه بارئه فليأخذها على إرادة الكثرة لا عن العدد وإن كانت لا تخلو عن عدد محقق ولكن لم يرد القائل هنا الإعلام بتعيين العدد وإنما تعلقت الإرادة بالإعلام بالكثرة فهذه الصيغة إذا كانت المتعارفة بين المرسولين إليهم لا يريدون بها الوقوف على عدد محقق فإذا شاهد العبد إرادة الكثرة هنا انكشف له إحصاء ما علمه من وقت وجوده إلى وقته وما يكون إلى ما يتناهى ولكن

بحقيقة يخالفنا فيها بعض العلماء والمتكلمين وذلك أن يكون العلم يتعلق بمعلومين فصاعداً وهذا محال عند بعضهم ومن جوز ذلك كالإمام أبي عمرو السلالفي رضي الله عنه فإنه لا يخالفنا في هذه المسألة.

وأما قول الإسفرائني أبي إسحاق: إن القلب لا يحمل في الزمان إلا علم واحد فقد يمكن أن يشير إلى ما ذهبنا إليه وكذلك في حده العلم بما يتصور منه احكام الفعل واتقانه ففيه أيضاً تلويح إلى هذا ونحن إنما نتكلم مع أرباب الحقائق والأسرار من أهل الله تعالى وإنما طلب التعلق ببعض أقوال علماء الرسوم تأنيساً للقلوب الشاردة عن هذه الطريقة من جهة هذه الحقائق فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

إشارات الجلال. قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] تقابلها فيها أيضاً هو خطاب ينسحب على كل مألوه متعبد.

إشارة. وذلك أن سر الألوهية لولا ما وجدها كل عابد في معبوده أي عند عبادته لمعبوده ما عبده وهكذا لو مكنوا من فصل الخطاب لقالوا وإنما ضل المضل لنسبة الألوهية لمن ليس بإلٰه وهو إنما عبد من ذلك المعبود سر الألوهية التي هي لله تعالى لما انسحب أثرها على ذلك المعبود ربنا تبارك وتعالى فهذا روح قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] فأثبت عين ما نفى في حكم الحقيقة وإنما أخذوا هؤلاء بالنسبة التي أضافوها لما نحتوه ونصبوه ورفعوا إليه حوائجهم فافهم ذلك فإنه سر عجيب.

إشارة. نفي الشريك الذي لا وجود له فما نفى شيئاً فإن الشريك موضوع غير موجود والموضوعات إضافات والإضافات لا حقيقة لها فإذا نفي الشرك إثبات الوحدانية وإثبات الوحدانية أمر يرجع إلى الوجود ونفي الشرك أمر يرجع إلى العدم فافهم.

إشارة. تجلي الوحدانية وهو الاستواء الإلٰهي على العرش الإنساني وهو بخلاف الاستواء الرحماني فإن الاستواء الإلٰهي في نقطة الدائرة وهو قوله تعالى: «وما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»(١) والاستواء الرحماني محيط للدائرة وهو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فالعرش في الاستواء الرحماني بمنزلة الحق في الاستواء الإنساني والقلب في الاستواء الإلٰهي بمنزلة الحق في الاستواء الرحماني فإذا تجلت الوحدانية لم يعاين المشاهد سوى نفسه سواء كان في مقام وحدانيته أو في غيرها فإن كان في مقام وحدانيته فهو بمنزلة ضرب الواحد في الواحد

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٢٣٤)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٠، ٣١٠، ٣٧٦)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٨٣)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١٣٩)، و(أحاديث القصاص ١).

فلا يخرج لك إلا الواحد في الأعداد على المثال والتقريب هكذا اضرب ١ في ١ يخرج لك ١ فإذا كان غير وحدانية فهي بمنزلة من يضرب واحداً في اثنين فإنه لا يخرج له إلا اثنان وكذلك في جميع الأعداد بالغاً ما بلغ مثال ذلك أن تضرب ١ في ١٥ الخارج ١٥ أو تضرب واحداً في ١٥٥ الخارج لك ما ضربت فيه الواحد وهو ١٥٥ فاعلم ذلك.

الجمال. وأما جمال هذا الجلال فقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ﴾ [الإسراء: ١١٠] نزل الحق في جماله مباسطة معنا برحمانيته وبهذا الاسم استوى على العرش وهي المعرفة العامة وإليها ينتهي العارفون وفيها ينبسط المحققون ويقبضهم جلالها وهو قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ولما كان الله جامعاً لكل شيء وكان الرحمن جامعاً لحقائق العالم وما يكون فيه ولهذا قيل رحمان الدنيا والآخرة لهذا قيل لهم: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ﴾ [الإسراء: ١١٠] فإن دعاءهم إنما هو تعلقهم به لمنافعهم على قدر معارفهم وهي عند اسمه الرحمٰن وهذا الاسم الرحمٰن يتضمن جميع الأسماء الحسنى إلا الله فإن له الأسماء الحسنى والرحمان وما يتضمنه الاسم الله وإذا ناديت الله قائماً تنادى منه الرحمان خاصة وتنادى من الرحمٰن الاسم الذي تطلبه الحقيقة الداعية إلى الدعاء فيقول الغريق: يا غياث والجائع يا رزاق والمذنب يا غفور وكذلك في جميع الأسماء فافهم ما أشرنا به إليك فإنه باب عظيم نافع.

إشارات الجلال. قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وهذه الآية متعلقة بالقهر والجبروت وإثبات الملك فإذا ثبتت هذه الأوصاف في قلب العبد استحال عليه طلب العلة وكل ما يكون فيه اعتراض.

إشارة. من علم ما في نفسه فإنه لا يسأل نفسه إلا بتقدير سائل لا يعلم يقيمه فيوقع السؤال منه فإذا كان هذا فلا يسأل عما يفعل فإنه ليس إلا الله وصفاته وأفعاله وبجانب هذا المعنى في هذه الآية قوله وهم يسألون فإن الحقيقة واحدة فإنه السائل عن فعله بهم وما ظهر عنهم فلا يجيبون إلا بفعله فيهم فافهم فإني أريد الإيجاز لأهل الإشارات.

الجمال. جمال هذه الآية قوله تعالى: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: ٧٧] نزل في جماله مباسطة فنطقنا بالسؤال جمال هذه الآية إدلالنا بمغيبنا عن معرفة الجلال في ذلك الوقت فينبغي للعبد أن يحضر عند السؤال مع قوله لا يسأل عما يفعل. إشارة هذه البنية بعد بنائها إنما يعسر على من يتكلف ويتغنى في إقامتها من لا كلفة عليه في ذلك بل الخلق وعدمه في حقه سواء فلا يقال فيه إذا فعل هذا أنه ليس بحكيم.

إشارة. من أن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها ومنها رد الصور على ما يقتضيه الموطن الذي تكون فيه وليس موطن الآخرة كموطن الدنيا فلا ينبغي أن تكون نشأة

الآخرة بل كما قال عليه السلام من الصفاء والرقة والحسن والاعتدال في أهل النعيم ونقيضه في أهل الجحيم فإن الدنيا كدرة متغيرة فنشأتها مريضة سقيمة مظلمة ولا بد من النقلة فلا بد من تغير النشأة ولما تحققوا هذا قالوا في آخر الآية ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍۗ﴾ [النساء: ٧٧] فإنه لا بد من تغير النشأة.

إشارة. ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: ٧٧] طلب المعرفة بالله من طريق الفكر ورد الشبه المظلمة وطلب المشاهدة بالمجاهدة والمكابدة وهذا كله من بسط الحق لهم فحكم عليهم بالإدلال فأساؤا الأدب بخلاف المحققين.

إشارات الجلال. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] دائرة لا إلٰه إلا الله تعم كل موحد ولا يخلد في النار ولا يظهر سلطانها إلا فيمن ليس له خير غيرهما ولا يشفع في أصحابها إلا أرحم الراحمين خاصة وما سوى الله فإن شفاعته إنما تكون فيمن عنده مثقال ذرة من خير من غير التوحيد وغرضنا أن نفرد كتاباً إن شاء الله في لا إلٰه إلا الله وأهلها خاصة فجلال لا إلٰه إلا الله صعب فإنه يقتضي أن لا يكون في البشر اعتماد على غير هذا المعنى وهذا صعب فبسطهم هذا الجلال الأعظم في سريان سر الألوهية بالفعل العام في الموجودات المعبودات من الأداني إلى الأعالي فإذا وقفوا على هذا السريان سر الألوهية بالفعل انبسطوا في الأسباب وعرفوا منه ما خلقوا له وما خلق لهم فافهم هذا.

الجمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] والشرك من الذنوب وهو لا يغفر نزل الحق في جماله مباسطة لنا فأشهدنا سريان الألوهية في المعبودات فانبسطوا في الشرك فقبضهم جلال قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] لما ستروه في نفوسهم فأظهروا نقيض ما هم عليه ستر الله ما كان منهم من المخالفة عليهم جزاء لسترهم إياه في قلوبهم وقسمهم في ذلك الستر على قسمين فقسم سترهم عن غيرهم وقسم سترهم عن نفوسهم كما سترهم عن عين الآلام أن تراهم إذا دخلوا النار بأن يميتهم فيها إماتة فذلك الذي ستروه في قلوبهم من توحيده هو الذي ستر القلب الذي هو محل الآلام أن تراه عين الآلام وهذه إشارة بديعة يبسط القلوب جمالها ويورث الإدلال حنانها ولطفها.

إشارة. لما لم يستروه لم يسترهم في موطن من المواطن فأفضحهم على رؤوس الأشهاد.

إشارة الله هنا معناه الغفار وإنما جاء بالاسم الجامع لكونه قال في الآية جميعاً والغفار ليس له مقام الجمع فقال الله.

إشارات الجلال. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧] المعرفة تتعلق بأمرين من كل معروف الأمر الواحد الحق والآخر الحقيقة فالحق من مدارك

العقول من جهة الدليل والحقيقة من مدارك الكشف والمشاهدة وليس ثم مدرك ثالث البتة فلهذا قال حارثة: أنا مؤمن حقاً، فأتى بالمدرك الأول فكان عنده مؤيداً بالمدرك الثاني ولكن سكت فقال له النبي عليه السلام: فما حقيقة إيمانك، يرى إن كان عنده المدرك الثاني فأجابه بالاستشراف والاطلاع والكشف فقال له النبي عليه السلام عرفت فالزم، فلا تصح المعرفة للشيء على الكمال إلا بهاتين الحقيقتين الحق والحقيقة فإذا أخبر الله تعالى بأنا عاجزون عن إدارك حق قدره فكيف لنا بحقيقة قدره وليس القدر ههنا إلا المعرفة بما يقتضيه مقام الألوهية من التعظيم ونحن قد عجزنا عنه فأحرى أن نعجز عن معرفة ذاته جلت وتعالت علواً كبيراً فلما عاين المحققون هذا الإجلال وقطعوا أنهم لا يقدرون قدره مع ما تقرر عندهم من التعظيم وقدر ما هم بالتقصير فعرفوا أنه ليس في وسع المحدثات أن تقدر قدر القديم لأن ذلك موقوف على ضرب من المناسبة الحقيقية ولا مناسبة في مفاوز الحيرة لهذا الجلال.

الجمال. جمال هذا الجلال قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] فأنست نفوس المحققين أنه ما أحالهم إلا على ما هم متمكنين من تحصيله بتوفيقه فلما تحققوا ببسط هذا المقام قبضهم جلال ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧].

إشارة. إذا أردت أن تعرف حد المعرفة التي طلب منك في هذه الآية فانظر إلى ما خلقه من أجلك وأجعلك سلطاناً عليه وانظر ما تجد في نفسك أن تطلب من ذلك المخلوق من أجلك أن يعرفك ذلك بعينه طلب الحق منك أن تعرفه من غير زيادة ولا نقصان وأنك لا تطيق ذلك لعدم توفيقك ومما أوحى الله تعالى به في توراته: يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك.

إشارة. إذا اعتاص عليك من خلق من أجلك فلا تذمه فإن الذم منك إنما يطلب الفاعل لذلك الأمر الذي لم ترضه وما ثم إلا الله وليس بأهل الذم فقد شهدت على نفسك بالجهل وسوء الأدب ومن هذه المباسطة تفرع ولهذا استعمل الهيبة منا عند الجمال فإن لم يكن عندنا في وقت هذه المباسطة وما قدروا الله بجلالها وإلا هلكنا.

تنبيه. إذا اعتاص عليك ما خلق من أجلك فانظر ما طلبت منه وارجع إلى نفسك وانظر ما يناسب ذلك الطلب منك مما يطلبك به ربك فإنه تجده قد طلب ذلك واعتصت وأربيت فاعتاص عليك ذلك الأمر المناسب فإن الله تعالى إذا أوقر في نفسك طلباً مما خلق من أجلك سواء كان مثلك أو لم يكن فإن الله تعالى قد طلب ذلك منك وأنت لم تشعر فإن كنت أطعته في ذلك فإن ذلك يطيعك وإن كانت الأخرى فذلك كذلك، واعلم أن الله خلق هذا النوع الإنساني من أجل الإنسان قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا

﴿بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] فافهم هذه الإشارة ترشد إن شاء الله تعالى.

إشارات الجلال. قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ما من آية في كتاب الله تعالى ولا كلمة في الوجود إلا ولها ثلاثة أوجه جلال وجمال وكمال فكمالها معرفة ذاتها وعلة وجودها وغاية مقامها وجلالها وجمالها معرفة توجهها على من تتوجه عليه بالهيبة والأنس والقبض والبسط(1) والخوف والرجاء(2) لكل صنف شرب معلوم منها وإنما عدلنا في هذا الجزء إلى ذكر جلال آية وجمال أخرى ليعرف الطالب المريد صور المناسبة بين المتباينين فليس لكلمة مقام رابع ويظهر سر ذلك في الإلٰهية في معرفة الحق نفسه ويديه وقبضته فاعلم ذلك، فأفزع المحققون جلال هذا القول إذا حالهم على استطاعتهم فرمى بهم في بحر البعد وظهر في عزته فما قدر أحد من المكلفين أن يفي باستطاعته في تقواه فأهلكهم جلال هذا السهل الممتنع فلما اشتد عليهم هذا الجلال حتى كاد أن يهلكهم بسطهم الحق وآنسهم فأشهدهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الجمال. قال الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] فنزل إليهم في جماله مباسطة حين أمرهم بالوفاء بالحق فأنسوا واطمأنوا فخافوا على أنفسهم من غوائل البسط فاستعملوا نفوسهم وإسرارهم في ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فحفظت عليهم هذه الآية أدب الحضرة إشارة اتقوا الله بالله وهو قوله عليه السلام: وأعوذ بك منك(3) قال الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] وقال: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] إشارة اتقوا الله من كونه ساخطاً بالله من كونه راضياً.

إشارة عامية كونية. اتقوا الله المعاقب بالله المعافي فمن عرف حقائق الأسماء فقد أعطي مفاتيح العلوم ويكفي هذا القدر فإن الغرض من ذكري تفصيل هذه الآيات تعليم المدخل إلى هذا الفن ومعرفة مأخذه فإنه مأخذ عزيز والله يعصمنا وإياك من الدعوى.

---

(١) القبض والبسط: وهما حالتان بعد ابتعاد العبد عن حالتي الخوف والرجاء، فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف، والبسط العارف بمنزلة الرجاء للمستأنف.

ومن الفصل بين القبض والخوف والبسط والرجاء: أن الخوف إنما يكون من شيء في المستقبل، فإما أن يخاف من زوال محبوب أو قدوم محذور، وكذلك الرجاء إنما يكون بالأمل في محبوب في المستقبل أو بتطلع زوال محذور، وكفاية مكروه في المستأنف. (الرسالة القشيرية ص ٥٨).

(٢) انظر حديث القشيري عن الخوف والرجاء برسالته ص ١٢٤ ـ ١٣٨.

(٣) أخرجه مسلم (صلاة ٢٢٢)، وأبو داود (صلاة ١٤٨)، (وتر، ٥)، والترمذي (دعوات ١١٢)، والنسائي (طهارة ١١٩)، (سهو ٨٩)، وابن ماجه (دعاء، ٣)، وأحمد بن حنبل ١/ ٩٦، ١١٨، ١٥٠، ٦، ٥٨، ٢٠١.

تنبيه. اعلم يا أخي أن القرآن العزيز خاطبنا الحق به على طريقين منه آيات خاطبنا بها يعرفنا فيها بأحوال غيرنا وما كان منهم وإلى أين كان مبدؤنا وإلى أين كان غايتنا وهو الطريق الواحد ومنه آيات خاطبنا لها لنخاطبه بها وهي على قسمين خاطبنا بآيات لنخاطبه بها مخاطبة فعلية مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] وغير ذلك ومخاطبة لفظية مثل قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦] ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ﴾ [آل عمران: ١٦] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وأشباه ذلك كثير وليس القرآن يحوي على غير هذا وينبغي لك أن تنتبه للتفرقة في كلام الله تعالى إذا قرأته مثل قوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٤] قالوا وقف هنا وبين قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾ وقف ثم قل: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٤] وقف ثم قل: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وقف ثم قل: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ [البقرة: ١٥] فإنك إذا قرأته على هذا الحد عرفت أسراره وميزت مواقع الخطاب وحكايات الأحوال والأقوال والأعمال وتناسب الأشياء فاعلم ذلك وقد تبين المقصود فلنقبض العنان والله ينفعنا وإياكم بالعلم ويجعلنا من أهله والحمد لله رب العالمين، تم الكتاب.

كتاب الألف

وهو

كتاب الأحدية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

به الحول والقوة

أحدية حمد الواحد في وحدانيته، وحدانية حمد الأحد في أحديته فردية حمد الوتر في وتريته وترية حمد الفرد في فرديته الله أكبر استدرك الناظر النظر، وقف الخاطر بهذا حين خطر، لاح بالتضمين لا بالتصريح وجود البشر، وحدانية حمد الواحد في أثنينيته، فردية حمد الفرد في زوجيته، وترية حمد الوتر في شفعيته وبقي حمد الأحد أحداً في أحديته صلى الواحد سبحانه بتسبيحه على الإنسان الواحد محمد الخارج بعد الضرب الموقوف على صناعة العدد وهكذا الفرد والوتر ما عدا الأحد، فإذن عادت الصلاة عليه لما لم يجد من يستند إليه وسلم من هذا المقام تسليماً.

إخوتي الأمناء الاتقياء الأبرياء الأخفياء سلام عليكم ورحمة الله وبركاته اسمعوا وعوا ولا تذيعوا فتقطعوا. هذا كتاب الألف وهو كتاب الأحدية جاءكم به رسوله الواحد لأحديتكم بأحده جاءكم بها رسولها الواحد لتثنيتكم يوحدها ورسولها الفرد لزوجيتكم يفردها ورسولها الوتر لشفيعتكم بوترها فتأهبوا لقدوم رسلها وتحققوا غايات سبلها والله يمدكم بالتأبيد آمين. أما بعد فإن الأحدية موطن الأحد عليها حجاب العزة لا يرفع أبداً فلا يراه في الأحدية سواه لأن الحقائق تأبى ذلك.

واعلموا أن الإنسان الذي هو أكمل النسخ وأتم النشآت له مخلوق على الوحدانية لا على الأحدية لأن الأحدية لها الغنى على الإطلاق فالواحد لا يقوى ولا يصح هذا المعنى على الإنسان وهو ـ واحد فالوحدانية لا تقوى قوة الأحدية فكذلك الواحد لا يناهض الأحدية لأن الأحدية ذاتية للذات الهوية والوحدانية اسم لها سمتها بها التثنية ولهذا جاء الأحد في نسب الرب ولم يجيء الواحد وجاءت معه أوصاف التنزيه فقال اليهود لمحمد عليه السلام انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

[الإخلاص: ١] فجاء بالنسب ولم يقولوا صف ولا انعت.

ثم إن الأحدية قد أطلقت على كل موجود من إنسان وغيره لئلا يطمع فيها الإنسان فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقد أشرك المشركون معه الملائكة والنجوم والأناسي والشياطين والحيوانات والشجر والجمادات فصارت الأحدية سارية في كل موجود فزال طمع الإنسان من الاختصاص وإنما عمت جميع المخلوقات الأحدية للسريان الإلٰهي الذي لا يشعر به خلق إلا من شاء الله وهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقضاؤه لا سبيل أن يكون في وسع مخلوق أن يرده فهو ماضٍ نافذ فما عبد عابد غيره سبحانه فإذن الشريك هو الأحد وليس المعبود هو الشخص المنصوب وإنما هو السر المطلوب وهو سر الأحدية وهو مطلوب لا يلحق وإنما يعبد الرب والله تعالى الجامع ولهذا أشار لأهل الإفهام بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فإن الأحد لا يقبل الشركة وليست له العبادة وإنما هي للرب فتنبه على توفية مقام الربوبية وإبقاء الأحدية على التنزيه الذي أشرنا إليه فالأحد عزيز منيع الحمى لم يزل في العمى لا يصح به تجل أبداً فإن حقيقته تمنع وهو الوجه الذي له السبحات المحرقة فكيف هو فلا تطمعوا يا إخواننا في رفع هذا الحجاب أصلاً فإنكم تجهلون وتتعبون ولكن قووا الطمع في نيل الوحدانية فإن فيها نشأتم فإنها المتوجهة على من سواكم وقد ظهرت في جنة عدن وغيرها ثم ثنيت لكم وأضافها إلى الأنا سبحانه.

وقد ذكرنا الأنا والإضافة وما أشبه هذه الضمائر في كتاب الياء المعروف بكتاب الهُوَ فينظر هناك والواحد لم يثن بغيره أصلاً وإنما ظهر العدد والكثرة بتصرفه في مراتب معقولة غير موجودة فكل ما في الوجود واحد ولو لم يكن واحد لم يصح أن تثبت الوحدانية عنده لله سبحانه فإنه ما أثبت لموجده إلا ما هو عليه كما قيل.

وفي كل شيء له آية ـ تدل على أنه واحد

وهذه الآية التي في كل شيء التي تدل على وحدانية الله هي وحدانية الشيء لا أمر آخر وما في الوجود شيء من جمال وغيره وعال وسافل إلا عارفاً بوحدانية خالقه فهو واحد ولا بد ولا تتخيل أن المشرك لا يقول بالواحد بل يقول به لكن من مكان بعيد ولهذا شقي بالبعد والمؤمن يقول به من مكان قريب ولهذا سعد بالقرب وإلا فهذا المشرك قد أثبت وحدانية ذات المعبود وأثبت وحدانية الشريك ثم أعطى لوحدانية الشريك وحدانية حسية وأعطى لوحدانية الحق وحدانية سره كما توجه الوجه للكعبة وتوجه القلب إلى الحق غير أنه لما كان الأمر مشروعاً كان قربة وكما سجدت ذوات الملائكة لآدم وإسرارهم لخالقها فكل عبادة قامت عن أمر أثنى عليها وكل عبادة لم تقم عن أمر ذمت ولم يثن عليها لكن قامت على المشيئة التي هي مستوى ذات الأحدية

ولهذا قال تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧] فأثبت أن لها حقاً ينبغي أن يراعى ويحفظ وذلك للغيرة الإلهية فإنه لولا سر الألوهية التي تخيلوها في هذا المعبود ما عبدوه أصلاً فقام لهم سر الألوهية مقام الأمر لنا غير أن الحق قرن السعادة بأمر المشيئة وقرن الشقاء بإرادة المشيئة فما ثم مشرع غير الله فشرع ينزل على الأسرار من خلف حجاب العقل نزل به رسول الفكر عن إرادة المشيئة ويسميها الحكماء السياسة ولهذا تخيلوا أن شرع الأنبياء هكذا ينزل عليهم وهكذا هو أصله وما عرفوا أمر المشيئة.

وسبب هذا جهلهم بالمشيئة فإذن المعبود بكل لسان وفي كل حال وزمان إنما هو الواحد، والعابد من كل عابد (إنما هو الواحد) فما ثم إلا الواحد والاثنان إنما هو واحد وكذلك الثلاثة والأربعة والعشرة والمائة والألف إلى ما لا يتناهى ما تجد سوى الواحد ليس أمراً زائداً فإن الواحد ظهر في مرتبتين معقولتين فسمى اثنين هكذا ـ ١١ ـ مثلاً ثم ظهر في ثلث مراتب هكذا ـ ١١١ ـ مثلاً فسمى ثلاثة ثم زدنا واحداً فكان أربعة وواحد على الأربعة فكان خمسة كذلك أيضاً كما نشأه يفنيه بزواله عن تلك فتكون الخمسة موجودة فإذا عدم الواحد من الخمسة عدمت الخمسة وإذا ظهر الواحد ظهرت وهكذا في كل شيء.

فهذه وحدانية الحق فبوجوده ظهرنا ولو لم نكن ولا يلزم من كوننا لم نكن أنه سبحانه لا يكون كما لا يلزم من عدم الخمسة عدم الواحد فإن الأعداد تكون عن الواحد لا يكون (الواحد ـ ١) عنها فلهذا تظهر به ولا يعدم بعدمها وهكذا أيضاً فيما تناله من المراتب إن لم يكن هو في المرتبة المعقولة لم تظهر معاً فتفطن لهذا الواحد والتوحيد واحذر من الاتحاد في هذا الموضع فإن الاتحاد لا يصح فإن الذاتين لا تكون واحدة وإنما هما واحدان فهو الواحد في مرتبتين.

ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لم يتضعف ولم يتولد منهما كثرة لأن هما ما هو فإنك ضربت الشيء في نفسه فلم يظهر لك سوى نفسه فاضرب أنا في أنا يخرج لك في الخارج أنا واضرب هو يخرج لك في الخارج هو وهكذا كل مضروب في نفسه حتى الجمل إذا ضربت الجملة في الجملة يخرج لك من الأعداد إحدى الجملتين كاملة في مرتبة كل واحد من آحاد تلك الجملة المضروب فيها وذلك لأن الجملة واحدة في الجمل والجمل والجملة آحاد والآحاد تكرار الواحد في المراتب فالوحدانية سارية ما ثم غيرها والتثنية مثل الحال لا موجودة فإن الحقيقة تفنيها أو تأباها ولا معدومة فإن الحق يثبتها.

ومثال ما ذكرنا من الجمل أن تقول أربعة في أربعة فيكون المجتمع من ذلك ستة عشر فكأني قلت إذا مشت الأربعة بجملتها في آحاد هذه الأربعة أو في آحاد نفسها وهو

الصحيح بالضرورة وتكون (ستة عشر لأن الأربعة حقيقة واحدة والستة عشر واحدة فما صدر عن الواحد إلا واحد وهو معنى قولنا وهو الصحيح - ١) وكذلك إذا قلنا سبعة في ثمانية وهذا من الضرب المختلف فيكون المجتمع المتولد منهما ستة وخمسين فكأني قلت إذا مشت السبعة في آحاد الثمانية أو الثمانية في آحاد السبعة كم من مرتبة تظهر من الآحاد فلا بد أن تقول ستة وخمسين واحداً فكأنه قال الواحد مشى ستة وخمسين منزلاً فهكذا فليعرف الواحد إلا أن معنى الواحد لا يشركه اسم سوى اسم الوتر فإنه شاركه في المبدأ ولهذا يجوز الوتر بركعة وبثلاثة فيشرك الفرد أيضاً فإن الفرد لا يظهر إلا من الثلاثة فصاعداً في كل عدد لا يصح أن ينقسم (كالخمسة والسبعة) والتسعة والأحد عشر وما أشبه ذلك فكأن الوتر طالب ثأر من الواحد لأنه أخفى رسمه وعزله من أكثر المواضع وما أبقى له إلا القليل مثل الوتر في مراتب الصلاة وفي أسماء الحق والواحد مسترسل منسحب على كل المراتب والمنازل فقد جاء في اللغة الوتر الذحل وهو طلب الثأر فإنما يشارك الوتر للواحد في المبدأ لكونه عزله من أكثر المراتب وبالعكس.

وإنما عزل الواحد الوتر من المراتب لكونه شاركه في المبدأ وإبقاء الفرد يتميز في المراتب مثل الواحد لأنه لم يشاركه في المبدأ لكن قد أباحه له لأنه فيه بتوليته فلا يبالي لأنه تحت حكمه والوتر ما ولاه الواحد فلهذا ينبغي فيما ذكرناه.

فأول الأفراد الثلاثة ولهذا فردانية اللطيفة الإنسانية تخالف وحدانيتها فإن فردانيتها ثبتت له بتقدم الاثنين وهو تسوية البدن وتوجه الروح الكلي فظهرت النفس الجزئية التي هي اللطيفة الإنسانية فكانت فرداً فإن بعل هذا الجسد المسوى إنما هو الكلي فبقي هذا الجزئي المولد بينهما فرداً فطلب أهلاً يألف إليه ويسكن كسكون أبيه الذي هو الروح الكلي إلى أمه الذي هو الجسد المسوى فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] لعلمه بأن الأمر بعده يعود إلى ربه وهنا يصح استخلاف العبد ربه في مقابلة استخلاف الرب إياه في قوله: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وقد ظهر هذا من النبي عليه السلام عالم العلماء في دعائه في السفر «اللهم أنت الخليفة في الأهل»[1]، فاستخلفه في أهله فكأن الحق في حكم العبد وجار بأمره لا إله إلا هو العزيز الحكيم وكذلك في الميرات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقال له العبد الفرد ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠] فأين العقول ما لها لا تنظر أين هذا النزول من جري الحق عن أمر العبد من قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] ومن وصفه بالعزة قلت وظهرت الفردية في الأجسام

(١) أخرجه ابن السني في (عمل اليوم والليلة ٤٨٨).

الإنسانية في موضعين في آدم عليه الصلاة والسلام ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] وفي عيسى عليه الصلاة والسلام قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] فصار عيسى عليه الصلاة والسلام لمريم كروح آدم لآدم عليهم الصلاة والسلام وإنما خرج جسماً لظهوره في عالم الأجسام فهو أقرب إلى الجسدية منه إلى الجسمانية فشأنه كشأن الأرواح الملكية والنارية إذا ترآت للأبصار تجسدت فوقعت الأبصار على الأجسام وهو في نفسه على روحية الجسدية ما يرى في الخيال في صورة الجسدية فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] فهذا الاشتراك في الفردية غير أن جسد عيسى عليه الصلاة والسلام أخلص ولهذا سماه روحاً وسمى ذلك آدم من الأدمة فإنه مأخوذ من أديم الأرض وأين الأدمة من الصفاء النوراني ولهذا قال تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ولم يقل خلقهما والضمير يعود على أقرب مذكور ومن معرفتنا بالقصة فإن آدم عليه الصلاة والسلام خمرت طينته خمرتها اليد المقدسة وكذلك خمر عيسى عليه الصلاة والسلام طينة الطائر الذي خلقه بإذن الله تعالى ينبىء لما وقع التشبيه بينه وبين آدم أن الأمر ليس كما تظنون وأن القوة الروحية لي وأني جسد وآدم جسد وأني من اليد اليمنى وأن آدم من حيث هو آدم من كلتي يديه يمين وهو من حيث أنا من اليد المطلقة ولهذا قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] فجمع له بين يديه فكل سبب اليوم فهو نائب اليوم عن تلك اليد المقدسة فلو عرفت الأسباب من نابت عنه لعرفت قدر ما هي عليه لكنها عميت عن ذلك فقالت: أنا لا غير وسنكشف عنها غطاءها فيكون بصرها حديداً وكذلك أنا من حيث أنا يقول عيسى من اليد المطلقة ومن حيث مريم من اليد المعروفة وبكلتي يدي ربي يمين فجسدي ابن بنت أبي وأنا روح أبي وأمي وبنيه فلما جمعت بين اليدين وتميز ثاني الفردية لهذا كان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فهذا من بعض أسرار الفردية.

فأما حواء عليها الصلاة والسلام فمن الوحدانية لأن الفرد لم يعلم حتى استيقظ وخلقت كاملة على صورتها من حي نائم كما خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته من غير مزيد تعقل نفسه فيها وكانت الشهوة النكاحية في الموضع الذي عمرته حواء حين خرجت فإنه ليس في الوجود خلاء فأثبت الشهوة الموضع لنزول حواء فيه ونزلت بالموضع الذي خرجت الشهوة فيه أقوى مما جرت في حواء فإن حواء حكم عليها موضع الشهوة فالنساء أغلب على شهواتهن من الرجال فإن الشهوة في الرجل بذاتها وفي المرأة بما بقي من آثار رحمتها في مواطنها الذي عمرته وكانت الشهوة كالثوب على حواء من أجل صورة الموضع وانفشت الشهوة في آدم فعمتهما جميعاً لكن بهذا الحكم ولهذا تعم شهوة الجماع عند الإنزال جميع البدن ولهذا أمر بتطهير جميع البدن فإنه فني

بكليته في تلك اللحظة فأمر بتطهير كليته من ذلك لأجل مناجاة الحق تعالى قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٧] فآدم فرد وحواء واحد وواحد في الفرد مبطون فيه فقوة المرأة من أجل الوحدانية أقوى من قوة الفردانية ولهذا تكون المرأة أقوى في ستر المحبة من الرجل ولهذا هي أقوى إلى الإجابة وأصفى محل كل ذلك من أجل الوحدانية.

ولما كان الفرد لا يكون إلا بعد ثبوت الاثنين ضعف عن عزة الوحدانية فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩] فلا تقل أنه طلب الرجوع إلى الوحدانية فإن ذلك لا يصح لأمرين الأمر الواحد أنه فرد لا واحد والثاني أن الله استجاب دعاءه فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ولما وهب له زوجه فظهر فرد آخر وهو يحيى ثم أشار الحق بوحدانية المرأة وفردانية الرجل وقوة المرأة وضعف الرجل بصورة الميراث فأعطى الأكثر للأضعف كي يقوى من جهة الضعف ومن جهة النشء فإن الوحداني لا يقبل الأمثلة فأعطى قسماً واحداً والفرد إنما هو عين اثنين فهو ناظر لما هو عنه فأخذ قسمين فمن الوجهين معاً للمرأة الثلث وللرجل الثلثين إذا لم يكن سواهما فافهم فإن الحكم أبداً إنما هو للموطن ولهذا قلنا إن عيسى عليه الصلاة والسلام لولا الموطن ما ظهر له جسم البتة فحكم عليه موطن هذه الدار الحسية موطن مريم عليها السلام.

ولما بانت اثنينية الواحد وزوجية الفرد طالبنا الوتر بشفعيته أن نبينها للأخوان فإن فيها عزة الواحد فإن الشفعية تبقى لك حظاً في الملك ولما كان للوتر حظ كثير في المبدأ لكن ليس هو كالواحد فإن الواحد هو أصله ولهذا قرن معه الشفع دون غيره فقال عز من قائل: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر: ٣] فأقسم بهما ولم يكن له ذلك السريان فجاءت الفهوانية بالوحدانية من جهة غيبها إلا من جهة عينها من أجل الوتر أن يقوم بالشفعة فتعارض الوحدانية في السريان وليس له ذلك فقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر: ٤] فهو تنبيه على سير الواحد في المراتب لإظهار الأعداد وكنى عنه بالليل لطموس عين الوحدانية في الأعداد من جهة الظاهر إلا في كل مبدأ فإنها تظهر بذاتها فإنك لا تقول بعد الواحد واحد أبداً وإنما تقول اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة كذلك إلى عشرة وأشبهت بسائط العدد التي هي اثني عشرة لفظة الواحد من كونها تظهر في المراتب ظهور الواحد فيها فهي نائبة عنه من حيث الاسم لا من حيث المعنى وهي واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة ألف وما ثم أكثر فإن الحكم إنما هو للاثنا عشر الذي قد ربط الله الوجود بها وهي (البروج الاثني عشر المشهورة) الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالواحد للحوت والاثنا عشر للحمل ويتمشى بالأعداد

على الترتيب والحوت مائي قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وما في الوجود إلا حي لأن كل ما في الوجود يسبح الله بحمده والتسبيح لا يكون إلا من حي فسر الحياة سار في جميع الموجودات كذلك الواحد سار في جميع الأشياء كما ذكرنا فصار لا يظهر في الأعداد إلا هذه الاثنا عشر لفظة فنقول واحد وعشرون اثنان وثلاثون ثلاثة وأربعون أربعة آلاف خمسة عشر ألفاً مائة ألف فكذلك حكم هذه الاثني عشر برجاً في جميع المولدات.

والأفلاك الروحانية فتأمل قوة سلطان الوحدانية ما أعزها وأعظمها وإنما لم يظهر الواحد باسمه في الأشياء وظهر بمعناه لأنه لولا معناه لم يوجد لهؤلاء عين ولو ظهر باسمه لم يوجد لهم عين والغرض وإنما هو في ظهور هذه الموجودات فلا بد أن يكون فيها بمعناه ولا يكون فيها باسمه ومهما ظهر اسمه بطل الوجود ومهما زال معناه بطل الوجود وانظر يا سيدي بعقلك هل تصح نتيجة قط عن واحد لا تصح أبداً وإنما تكون النتيجة بظهور معنى الوحدانية في مرتبتين وبازدواج الواحدين تكون النتيجة ويظهر الوجود ولكن أكثر الناس ممن لا يعرف يتخيل أن النتيجة إنما هي عن اثنين وهو باطن وإنما هو على ثلاثة وهو الاثنان والفرد فإن الواحد مهما لم يصحب الاثنين لم يكن بينهما قوة النتاج أصلاً فانظر إلى الأنثى والذكر ما أنتجا إلا بالحركة المخصوصة على الوجه المخصوص ولولا ذلك لم يكن النتاج وقد كان الاثنان موجودين ولم تكن ثم حركة مخصوصة على وجه مخصوص فلم يكن ثم نتاج فثبت أن الحركة أمر ثالث وهو الواحد الفرد حتى لا يظهر شيء إلا بوجود التوحيد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وكذلك في المقدمات العلمية لتصور المعلومات بالبراهين ما يتصور قط برهان إلا من مقدمتين وكل مقدمة من مفردين يكون أحد المفردين خبراً عن الآخر وهذا أيضاً لا ينتج فإنه كقولنا السلطان جائر وخالد إنسان فهذه أربعة ولا واحد فيها فلا نتاج لكن هذه الأربعة إن لم تكن ثلاثة من كل وجه من أجل الوحدانية فإنها لا تنتج إلا أن يكون واحد من هذه الأربعة يتكرر في المقدمتين فيكون إذ ذاك ثلاثة فتصح النتيجة فلا بد للإنتاج من وجه خاص به وهو أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساوٍ لها ولا بد أن يكون على شرط مخصوص وهو أن يتكرر واحد من الأربعة (في المقدمتين إن أردت نتيجة الإفادة وإلا فقد يكون الإنتاج بغير فائدة) ـ فتكون ثلاثة ليست أربعة.

والغرض من هذا وجود النتاج لا غير لا ظهور الصدق في ذلك ولا الكذب، والصدق والكذب إنما يقع في الأصول التي هي المقدمات فتخبر عن إحدى المقدمتين أو عنهما بما ليس لها أو بما لها وتنسب كاذبة أو صادقة وغرضنا من هذا أن النتاج الذي هو ظهور أعيان الموجودات لا يصح إلا بالواحد الفرد لا بالواحد غير الفرد.

ألا ترى الحق سبحانه هل أوجد العالم من كونه ذاتاً فقط أو من كونه واحداً وإنما أوجده من كونه ذاتاً قادرة فهذان أمران ذات وكونها قادرة معقول آخر يعقل منه ما لا يعقل من كونه ذاتاً وكذلك التخصيص من كونه ذاتاً أو من كونه مريداً أو عالماً مثل قولنا في كونه قادراً ثم عندنا ذاتاً وكونها قادرة من غير أن تكون متوجهة للإيجاد هل يظهر شيء فكونها متوجهة من غير كونها قادرة وهذا حكم ثالث وهو حكم الفرد الواحد فإنا قد أثبتناه أزلاً ذاتاً قادرة ولا وجود لكون الحكم الثالث الذي هو التوجه لم نثبته فلم يكن الوجود والفعل يستحيل أزلاً والقادر لا يستحيل أزلاً فتأمل.

وأما ما ذكرناه هناك من نتائج المقدمات فأخاف أن لا تعقل ما ذكرناه حتى أضرب لك منه مثلاً فيما ذكرناه شرعياً ليكون أقرب لفهمك لمعرفتك بالدين فأقول إذا أردت أن تظهر في الوجود أن النبيذ حرام(١) فتقول كل نبيذ مسكر فهذان اثنان مسكر وحرام ثم تقول والنبيذ مسكر فهذان اثنان ومسكر فبالضرورة تنتج أن النبيذ حرام بلا خلاف، أعني في النتيجة لكن هل الحكم صحيح أم لا أمر آخر يحتاج إلى معرفة أخرى ليس هذا الكتاب محلاً لها وإنما نريد الإنتاج الذي هو ظهور الوجود خاصة بوجود الفرد الواحد فانظر إلى هاتين المقدمتين تجدها مركبة من ثلاثة في أربع مراتب وهو قولك مسكر وحرام ونبيذ ما ثم رابع لكن تكرر قولك مسكر وهو الواحد المطلوب الذي به يقع النتاج فوجهه المخصوص تكراره.

وأما حكم الشرط المخصوص في هذا الازدواج أن الحكم أعم من العلة وهذه المسألة وهو أن العلة الإسكار وأن الحكم هو التحريم والتحريم أعم من الإسكار فإن المحرمات كثيرة منها المسكرات وغير المسكرات فقد بان لك أن الأمر والشأن في الواحد وهو كان المطلوب.

ثم اعلموا أنه لما كان الألف يسري فيه مخارج الحروف كلها سريان الواحد في مراتب الأعداد كلها لهذا سميناه كتاب الألف وهو قيوم الحروف له التنزيه بالقبلية وله الاتصال بالبعدية فكل شيء يتعلق به ولا يتعلق هو بشيء فأشبه الواحد لأن وجود أعيان الأعداد يتعلق به ولا يتعلق الواحد بها فيظهرها ولا تظهره وتشبهه في هذا الحكم الدال والذال والراء والزاي والواو ويشبه في حكم السريان الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها.

وقد ذكرنا هذا كله في كتاب الحروف لنا مستوفى فلينظر هناك وكما أن الواحد لا يتقيد بمرتبة دون غيرها ويخفي عينه أعني اسمه في جميع المراتب كلها كما قدمنا ذكره كذلك الألف لا يتقيد بمرتبة ويخفي اسمه في جميع المراتب فيكون الاسم هناك للباء

(١) النَّبِيذُ: شراب مُسْكِرٌ يُتخذ من عصير العنب أو التمر أو غيرهما، ويُترك حتى يختمر (ج) أنبذة.

والجيم والحاء وجميع الحروف والمعنى للألف ـ مثل الواحد فلهذا سميناه كتاب الألف وقد نجز الغرض من هذا الكتاب على قدر ما اقتضاه محل المخاطب به حين سأل والله أعلم والحمد الله رب العالمين. تم كتاب الأحدية وهو كتاب الألف ويتلوه إن شاء الله كتاب الجلالة والحمد لله رب العالمين.

كتاب الجلالة

وهو كلمة الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله حمداً لا تعلمه الأسرار ولا تعرفه الأرواح ولا تدركه العقول ولا تضمره القلوب ولا تستشرف عليه النفوس ولا تنطق به الأفواه، الجامع للمحامد الأزلية والممد للمحامد الأبدية بالتقديس للحامدين عن النظراء والأشباه، والصلاة على السيد المؤتى جوامع الكلم محمد ﷺ الذي عنت لقيومية مشرفة الوجوه وسجدت له الجباه صلاة دائمة قائمة ما نطقت بمجده الألسنة وتحركت بالصلاة عليه الشفاه وسلم تسليماً عليه وعلى الذين اصطفى من كل حليم أواه.

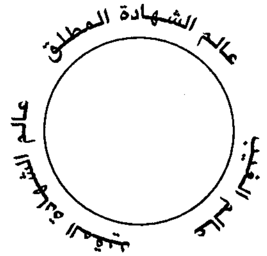
أما بعد فإني ذاكر في هذا الكتاب بعض ما تحوي عليه بالجلالة من الأسرار والإشارات فأقول إن الله للأسماء بمنزلة الذات لما تحمله من الصفات فكل اسم فيه يندرج ومنه يخرج وإليه يعرج وهو عند المحققين للتعلق لا للتخلق وحقيقته أنه دليل الذات لا غير ثم إنه يظهر في مواطن كثيرة ومراتب جمة إذ لا فائدة لتصور الذات في تلك المواطن لما تطلبه تلك المراتب من المعاني والأحكام فتكون الجلالة في ذلك الموطن تعطي بما تحتوي عليه من معاني الأسماء ما يعطيه ذلك الاسم من جهة ذلك المعنى الذي يختص به وفيه شرف ذلك الاسم من حيث إن الجلالة له قامت مقامه في ذلك الموطن بمهيمنيتها على جميع الأسماء وخصوصيتها بالإحاطية فيها كالمذنب إذا قال يا الله اغفر لي فالجلالة ههنا نائبة مناب الغفار فلا يجيبه منها إلا معنى الاسم الغفار وتبقى الجلالة مقدسة عن التقييد. ثم أنها غيب كلها ما فيها من عالم الشهادة شيء إلا استرواح ما في وقت تحريكها بالضم في قولك الله لا غير فإن الهو يظهر هناك وما عدا هذا فغيب مجرد أعني في اللفظ وأما في الخط والرقم فغيب مطلق لا غير.

قال: واعلموا أنها تحوي من الحروف على ستة أحرف وهي ا ل ل اه وأربعة منها ظاهرة في الرقم وهي الألف الأولية ولام بدء الغيب وهي المدغمة ولام بدء الشهادة وهي المنطوق بها مشددة وهاء الهوية.

وأربعة منها ظاهرة في اللفظ وهي ألف القدرة ولام بدء الشهادة وألف الذات وها الهو وحرف واحد منها لا ظاهر في اللفظ ولا في الرقم لكنه مدلول عليه وهو واو الهو في اللفظ وواو الهوية في الرقم وانحصرت حروفه واللام للعالم إلا وسط وهو البرزخ[١] وهو معقول والهاء للغيب والواو لعالم الشهادة ولما كان الله هو الغيب المطلق وكان فيه واو عالم الشهادة لأنها شفهية ولا يتمكن ظهورها في الله لهذا لم تظهر في الرقم ولا في اللفظ فكانت غيباً في الغيب وهذا هو غيب الغيب ومن هنا صح شرف الحس على العقل فإن الحس اليوم غيب في العقل والعقل اليوم هو الظاهر فإذا كان غداً في الدار الآخرة كانت الدولة في الحظيرة الإلٰهية وكثيب الرؤية للحس فنظرت إليه الأبصار وكانت الغايات للأبصار والبدايات للعقول ولولا الغايات ما التفت أحد إلى البدايات فانظر ما هنا من الأسرار وهو أن الآخرة أشرف من الدنيا قال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] وقال: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلى: ١٧] .

ثم إن الآخرة لها البقاء والدنيا لها الزوال، والفناء، والبقاء والديمومية أحسن وأشرف من الذهاب والفناء.

ثم إن المعرفة بالله ابتداء علم وغايتها عين وعين اليقين أشرف من علم اليقين والعلم للعقل والعين للبصر فالحس أشرف من العقل فإن العقل إليه يسعى ومن أجل العين ينظر فصار عالم الشهادة غيب الغيب ولهذا ظهر في الدنيا من أجل الدائرة فإنه ينعطف آخرها على أولها فصار عالم الشهادة أولاً وهو مقيد عما يجب له من الإطلاق فلا يبصر البصر إلا من جهة ولا تسمع الأذن إلا في قرب. فخلافه إذا مشى حقيقة وانطلق من هذا التقييد كسماع سارية[٢] ونظر عمر رضي الله عنه إليه من المدينة وبلوغ الصوت وما أشبه ذلك وصار عالم الغيب وسطاً وهو عالم العقل فإنه يأخذ عن عالم الحس براهينه لما يريد العلم به وصار عالم الشهادة المطلق غيباً في الغيب وله يسعى العقل ويخدم وصورته في الدائرة هكذا.



(١) البَرزَخُ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى يوم البعث.

(٢) هو سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الكناني الدئلي (توفي نحو ٣٠ هـ = نحو ٦٥٠ م) صحابي، من الشعراء القادة الفاتحين. كان في الجاهلية لصاً كثير الغارات، يسبق الفرس عدواً على رجليه. و لما ظهر الإسلام أسلم وجعله عمر أميراً على جيش، وسيره إلى بلاد فارس سنة ٢٣ هـ، ففتح بلاداً، منها أصبهان في رواية، وهو المعني بقول عمر: يا سارية، الجبل». (الأعلام ٣/ ٦٩ ـ ٧٠)، والإصابة ت ٣٠٣٤، والنجوم الزاهرة ١/ ٧٧).

فصل

لكل شيء ظل وظل الله العرش غير أنه ليس كل ظل يمتد والعرش في الألوهية ظل غير ممتد لكنه غيب ألا ترى الأجسام ذوات الظل المحسوس إذا أحاطت بها الأنوار كان ظلها فيها والنور ظله فيه والظلمة ضياؤها فيها ولما استوى الله على قلب عبده فقال: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي(١) حين استوى الاسم الرحمٰن على العرش المعروف الظاهر فالعرش الظاهر ظل الرحمٰن والعرش الإنساني ظل الله وبين العرشين في المرتبة ما بين الاسم، الله والرحمٰن وإن كان قد قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فلا يخفى من كل وجه على كل عاقل تفاوت المراتب بين الاسمين ولهذا قال المكلفون وما الرحمٰن حين قيل لهم ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] ولم يقولوا: وما الله حين قيل لهم: اعبدوا الله لما كان العرش سريراً صار غيباً في الرحمانية ولما كان الاستواء الإلٰهي على القلب من باب وسعني صارت الألوهية غيباً في الإنسان فشهادته إنسان وغيبه إلٰه ولسريان الألوهية الغيبية في هذا الشخص الإنساني ادعى الألوهية بالاسم الإله فقال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] ولم يتحر من أجل أن قالها عن المشيئة لا عن الحال لا من طريق الأمر أن يقول: أنا الله ولا قال إلٰه وإنما قالها بلفظة غيري فتفطن وصرح بالربوبية لكونها لا تقوى قوة الألوهية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] بخلاف من قالها عن الحال من طريق الأمر بمساعدة المشيئة فكان جمعاً مثل أبي يزيد حين قال إنني أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدوني وقال مرة أنا الله فلم يكن للألوهية فيه موضع فراغ ترمي سهمها فيه لكمال سعة السريان فعزة الألوهية على سائر المراتب الأسمائية ظاهرة وغالبة فلا مقاومة لاسم معها البتة.

فصل

الله كلمة نفي شدت في العالم العلوي فارتفع بها الترجمان ومن عاد نفياً بعد الإثبات فلا عين له ولو ظهر في اللفظ كما نفى الشريك بقوله: لا شريك له فلا عين له في الحكم واللفظ به موجود وما بقي بعد نفي لا إلا الألفان وهو الأول والآخر فاضرب أحدهما في الآخر يخرج الهاء بينهما وينتفيان وهو الهو فإن الأول له تعالى اسم إضافي لا حقيقة له فيه فإنه بوجودنا وحدوث عيننا كان له حكم الأولية وبتقدير فناء أعياننا كان حكم الآخرية ونحن من جانب الحقيقة في عين ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٢٣٤)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٠، ٣١٠، ٣٧٦).

[مريم: ٩] ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فكأنا لم نكن فلا أولية إذن ولا آخرية إذ لا نحن فبقي هو خاصة وهو المطلوب.

فصل

لام هذا الاسم الأولى لام المعرفة فإن الألف واللام للتعريف كما جاء والألف الأولى لكان الله ولا شيء معه فبقيت اللام الثانية والهاء وكلامنا على صورة الرقم فهي لام الملك فإن بزوال الألف واللام الأولى تبقى صورة له فهي لام الملك والهاء كناية عن غيب الذات المطلقة فإن الهاء أول الحروف ولها المبدأ وهي غيب في الإنسان ولكن أقصى الغيب فصار هذا الاسم بهذه الإشارات يحوي على كان الله ولا شيء معه من حيث الألف ويحوي على مقام المعرفة من حيث اللام الأولى ويحوي على مقام الملك وفيه ظهور كل ما سواه من حيث اللام الثانية ويحوي على ذكر العالم له من حيث الهاء لأنها دليل الغيب وهو غيب عنهم فلا يطلقون عليه تعالى إلا هو فبالألف يذكر نفسه وبالهاء يذكره خلقه وبالوجه الذي يلي الألف من لام المعرفة يعرف نفسه أزلاً وبالوجه الآخر منها الذي هي لام الملك يعرفه خلقه أبداً بالمعرفة المحدثة ومن حيث اللام نفسها التي هي لام المعرفة تعرفه المعرفة فقد كمل في هذا الاسم الوجود المحدث والقديم صفته (حقيقة) وموصوفه فانظر ما أتم هذا الاسم وما أكمله.

وأما الألف الظاهرة في اللفظ بعد لام الملك المتصلة بالهاء في الخط والواو الغيبية في الهاء إذا نطق بالهاء الروح فإن نطق بها الجسم عادت الواو ياءاً فإن نطقت بها النفس المثلية عادت ألفاً فحكم هذه الألف النطقية والواو المتحولة من صورة إلى صورة بحسب الناطق حكم آخر وذلك أن الهاء لما كانت تنظر إلى الألف الأولى ومقام الألف هناك أن لا يتصل به شيء ظهرت الألف بعد اللام فاتصلت بها اللام في النطق فبقيت الهاء ولا شيء معها ما دام الكون لا يذكرها فهي ساكنة سكون حياة لا سكون موت فإن نطق بها الكون أو ذكرها فلا بد أن يكون الذاكر كما قدمنا فيظهر بعدها من الحروف كما ذكرنا.

فصل

ثم تحقق ما ذكرناه في الهو والهاء في كتاب الهو من التحام الهويات لإيجاد الكائنات إذا نطقت بقولك بالله بكسر الهاء والله بفتح الهاء والله بضم الهاء تجد الهو في الضم والهاء في الفتح والهي في الخفض وبقي في السكون لهذا الباب كما ذكرناه وهو الثبوت.

فصل

لما كانت له المهيمنية على سائر الأسماء سرت فيه الأسماء إذ ظهر وسرا فيها إذا ظهرت سريان الماء في الماء وكان التعيين عن واحد من هذه الأسماء فيها أو تعيينها فيه

للحكم والأثر وما توجهت عليه فالقصص تبدي الأسماء والألوهية في العلم والأسماء والألوهية توجد القصص فكأن الأمر دوري.

فصل

حكم هذا الاسم في العالم الذي يخصه الزائد على مقام الجمعية والمهيمنية هو الحيرة السارية في كل شيء عندما يريد المعرفة به والمشاهدة وحضرته الفعل وهو المشهد الذي لا يشهده منه سواه وكل من تكلم فيه فقد جهل ما يتكلم فيه ويتخيل أنه قد أصاب وهو مخطىء وبهذا المشهد الكوني والحضرة الفعلية صحت الألوهية لا غير حتى أن العقلاء وأصحاب القياس من أصحابنا مثل أبي حامد وغيره تخيل أن المعرفة به تتقدم على المعرفة بنا عند الأكابر وهو غلط، نعم يعرفونه من حيث التقسيم العقلي أن الموجودات تنقسم قسمين إلى ما له أول وإلى ما لا أول له وغير ذلك وهذا كله صحيح ولكن لا يفرقون أبداً كونه إلٰهاً ابتداء قبل معرفتهم بهم وكونه ذاتاً معلوم صحيح غير كونه إلٰهاً وكلامنا إنما هو في الألوهية لا في أنه ثم ذات قديمة يستحيل عليها العدم فالقائلون بهذا القول لا تثبت لهم المعرفة بالألوهية واسمه الله إلا بعد معرفتهم به ولهذا صرح الشرع بالربوبية على حد ما ذكرنا فقال: من عرف نفسه عرف ربه، ولم يقل من عرف الرب عرف نفسه فإنه لا يصح فإذا كانت الربوبية التي هي الباب الأقرب إلينا لم تتمكن معرفتنا بها إلا بنا فأين أنت والألوهية وقد كنى الشرع عن هذا المقام الإلٰهي إن حضرته الحيرة في قوله حين قيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض فقال ﷺ: في عما، بالقصر والمد، ما فوقه هواء[(١)]، وما تحته هواء كلمة نفي فالقصر للحيرة وجعلها للاسم الله فلهذا حارت البصائر والألباب في إدراكه من أي وجه طلبته لأنه لا يتقيد بالأين، والمد للسحاب وهو الجو الحامل للماء الذي هو الحياة ومنه كل شيء فهو في ذاته لا يقال فيه أين ودل عليه بموجود برزخي بين السماء والأرض وفي البرازخ حارت الحيرات فكيف المتحيرون كالخط بين الظل والشمس والمتوهم بين النقطتين وبين الخطين وبين السطحين وبين كل شيئين فعادت الكلمة البرزخية إلى الحيرة بعينها فما ثم إلا الحيرة فما حصل أحد منه إلا ما عنده لم يحصل غريباً ولا ينبغي أن يحصل، فإن قلت: هو هو فهو هو وإن قلت: ليس هو هو فليس هو هو وحارت الحيرة.

ولما أراد الله تعالى تحيير بعض المخلوق من باب بعيد خلق القدرة الحادثة في القادر الحادث وأحال التأثير وخلق التوجه من القادر الحادث على الفعل وهو الكسب فظهر ما لم يكن فقال القادر الحادث فهو فعلي فقال القادر الحادث الآخر هو كسبي

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ١٢)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٣٩)، والطبري في (التفسير ١٢/ ٤)، والطبري في (التاريخ ١/ ٣٨).

فقال القادر الحادث الثالث ليس فعلي ولا كسبي وقال القادر القديم هو فعلي وقال الحق ولم يستحل عند السليم العقل أن يكون مقدور بين قادرين وإنما الذي يستحيل مؤثر بين مؤثرين فتفهم هذا الفصل ترشد إن شاء الله. فالله تعالى لا يعلم ولا ينعلم ولا يجهل ولا ينجهل ولا يشهد ولا يكشف ولا يرى بظريق الإحاطة ولا يعقل ولا يدرك وإنما يتعلق هذه الإدراكات كلها بأسماء الألوهية وبأحكام الأسماء التي تستحق كالرب والمالك والمؤمن ولهذا أثبت الكتاب والسنة الرؤية في الدار الآخرة للربوبية وفي هذه الدار فقال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلم يجعل الألوهية مدخلاً بل قد نفى فقال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فأتى بالهو وأثبت أنه لا يدرك وهو الصحيح وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] وبها علق الحجاب فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٍ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] وقال عليه السلام: «ترون ربكم كما ترون القمر»[1] وفي حديث: «كما ترون الشمس» كما ذكره مسلم في صحيحه وجاء في الحديث الصحيح في كتاب مسلم: «أن الرب يتجلى على طائفة في الحشر فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فما ظهر لهم إلا الرب وما عرفوا إلا الرب ولا خاطبهم إلا الرب وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] ولو جاء الله فإنما معناه الرب كما قدمناه فإن الأحوال والقرائن تطلب بحقائقها من الله الأسماء الخاصة بها والله هو الجامع المحيط.

فصل

ما أحسن ما نبه الله تعالى أمر نبيه وأدرجنا معه في ذلك الأمر فقال: فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله فهذه كلمة تدل على أن النفي هو عين الإثبات هو عين النافي هو عين المثبت هو عين المثبت هو عين المنفي فإنه ما نفى إلا الألوهية وما أثبت إلا الألوهية وما كان الثابت والمثبت إلا الألوهية والمثبت فإنه لو لم تثبت هي في عينها لم يصح أن يثبتها سواها ولو أثبت مثبت ما ليس بثابت لكان كذباً فهي المثبتة نفسه حقيقة وكلامنا في مقام الحقائق من مقام الحقائق فهذه ستة أحكام، هي واحدة في الحقيقة وهكذا الوجود كله هو واحد في الحقيقة لا شيء معه ولهذا ما ألطف إشارة الشرع ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] فالشهيد هو الهو والقلب والسمع فقال: كان الله ولا شيء معه[2]. وتممها العلماء بالله فقالوا: وهو الآن على ما هو عليه كان فالآن هو والهو وكان هو

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٢/ ٣٣٣)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢١٨).

(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٠٥)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٣) والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ١٨٩).

الهو فما ثم إلا هو ونحن موجودون وقد أثبت أن الحال الحال والعين العين فما ثم إلا غيب ظهر وظهور وغاب ثم ظهر ثم غاب هكذا ما شئت فلو تتبعت الكتاب والسنة ما وجدت سوى واحداً أبداً وهو الهو فلم يزل الهو غائباً أبداً.

وقد أجمع المحققون أن الله لا يتجلى قط في صورة واحدة لشخص مرتين ولا في صورة واحدة لشخصين وهذا هو توسع الهو وقال أبو طالب: لا يرى من ليس كمثله شيء إلا من ليس كمثله شيء، فالرائي عين المرئي وقد قال: ليس كمثله شيء فإن كان كما زعم زاعم ليس كهو فالشيء هو الهو وإن كانت الكاف صفة أو زائدة كيف ما كانت فلا تبال فإن كان صفة كان لماماً قال أبو طالب: وإن لم تكن صفة كما ليس هو الهو وكان الشيء هو الهو والهو هو فلا هو إلا هو.

ومما يؤيد ما ذكرناه في الله قوله ﷺ إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه[1] ما أدركه بصره من خلقه فهذا هو الله وهو الهو كما ذكرناه فما أعلمه ﷺ بالمقامات وما أكشفه للاشيئاً وليس المراد العدد وإنما المراد أن الله لا يمكن أن يظهر وأيد هذا الكلام بالبصر وهذا من أشرف البصر أنه وصف لله والعقل ليس كذلك لأن العقل متعلقه بالغيب وما في حق البارىء غيب فالكل له شهادة فلهذا كان البصر ولم يكن العقل.

ومن هذا الباب على ما قدمناه أن حضره الحيرة ما دخل من الحيرة على النظار وأرباب الأفكار والاستبصار في الصفات أعني في إثبات أعيانها لله أو نفيها وأما حكامها فلا خلاف بين العقلاء في ذلك وصورة الحيرة في ذلك إن من أثبت أعيانها زائدة على الذات الموصوفة فقد أثبت العدد والكثرة والافتقار في الله وهو واحد من جميع الوجوه (غني بالذات كامل بالذات) فكيف يكون هذا وإن قلنا لا يلزم مثلاً من هذا إثبات العدد على وجه ما فثم ما هو علينا أشد من العدد وهو أن تكون الذات كاملة بغيرها وكل كامل بغيره ناقص بذاته ومن نفى أعيانها وفر من مثل هذين المقامين إما الكثرة وإما النقص تلقاه أمر آخر وهو أن الحكم لا يقدر من جهة الدليل الذي قد نصبتموه على معرفة الله إن ثبتت هذه الأحكام للذات مجردة فإنه إذا أثبتت كونه قادراً لنفسه وقع الفعل أزلاً وهذا محال فإثباته قادراً لنفسه محال.

ثم إن القلب لا يجد ذلك الجلاء بقياس الشاهد على الغائب ولا سيما وقد عرف مأخذ العقول من أين هو ومن أين يركب براهينها وأدلتها فالقصور منوط والإقدام على هذه الأمور غير حسن وكل ما لا يمكن حصوله إلا بالمشاهدة والرؤية أو التعريف

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٧٢، ٥/ ١٣٧)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٠١)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٤٥٠).

فحصوله من غير هذه الطرق افتيات على المقام وجرأة.

فالأولى بأصحاب العقول الوقوف والإقرار بالوجود وأحكام الصفات ولا سبيل للتعرض لا لنفيها ولا لإثباتها فإن العقل أعجز من أن يقف على مثل هذا بل على أقل شيء فانظر تسلط هذا الاسم العجيب والكلمة العجيبة على جميع العوالم بالحيرة والعمى فيه، فأصحاب العقول انظر ما أشد حيرتهم ما اجتمعوا على شيء لا المثبتين ولا غيرهم من النفاة وأصحاب المشاهدات قد ظهر إليهم ووقع الإنكار والعياذ منه حين لم يوافق صورة معرفتهم به، فمعرفتهم به رأوا وهو الظاهر لم يزل لكن إذا كان مطلوبك في المرآة أن ترى فيها وجهك فلم تأتها على التقابل بل جئتها على جانب. فرأيت صورة غيرك فيها فلم تعرفها وقلت: ما هذا أردت فقابلتك المرآة فرأيت صورتك فقلت: هذا صحيح فالعيب منك لا من المرآة.

ولما قيدت الطلب بصورة معقولة فاتك خير كثير فقد صار أهل المشاهدة في حيرة أشد من حيرة أصحاب العقول من المشاهدة وكذلك أصحاب الرؤية أول رؤية تقع لهم فإن الرؤية خلاف المشاهدة ولهذا جاء الخبر بالرؤية غداً غداً لا بالمشاهدة، وقد ذكرنا هذا الفصل في كتاب العين فلينظر هناك، فيمسكون أصحاب الرؤية على ما وقع لهم فيها فإذا رأوه مرة أخرى رأوا خلاف ذلك وكذلك في كل رؤية فحاروا كما حار أهل المشاهدة هنا فما ثم إلا حيرة في حيرة فلو كان الهو ظاهراً لما صح هذا الخلاف ولو كان الهو ظاهراً ما كان الهو ولكان الأنا ولا بد من الهو فلا بد من الخلاف ولنا فيه من قصيدة:

وإذا أردت تـمـتـعـاً بـوجـوده	قسمت ما عندي على الغرماء
وعدمت من عيني مكان وجوده	فظهوره وقف على إخفاء

فصار ظهور الهو الذي هو الله إذا لم أكن أنا حتى لا يكون هو الهو هو وإلا لو بقيت أنا عند ظهور الهو لكان الأنت والهو لا بد منه فيبقى لا بد منه ولا بقاء وما ينتفي الهو إلا في الهو فإن الهو ليس من نفسه في الهو ولا في غيره ومن هذا الباب باب الحيرة الإلهية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وافعل يا عبدي ما لست بفاعله بل أنا فاعله ولا أفعله إلا بك لأنه لا يتمكن أن أفعله بي فأنت لا بد منك وأنا بدك اللازم فلا بد مني فصارت الأمور موقوفة علي وعليه فحرت وحارت الحيرة وحار كل شيء وما ثم إلا حيرة في حيرة وكم قلت:

الرب حق والعبد حق	يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك نفي	أو قلت ربٌ فما يكلف

وكم قلت:

حـيـرة مـن حـيـرة صـدرت ليـت شـعـري ثـم مـن لا يـحـار
أنـا مـجـبـور ولا فـعـل لـي فـالـذي أفـعـلـه بـاضـطـرار
والـذي أسـنـد فـعـلـي لـه لـيـس فـي أفـعـالـه بـالـخـيـار
أنـا إن قـلـت أنـا قـال لا وهـو إن قـال أنـا لـم يـغـادر
فـأنـا وهـو عـلـى نـقـطـة ثـبـتـت لـيـس لـهـا مـن قـرار

وكم قلت:

تعجبت من تكليف ما هو خالق لـه وأنـا لا فـعـل لـي فـأراه
فيا ليت شعري من يكون مكلفاً ومـا ثـم إلا الله لـيـس سـواه

ومع قولي هذا كله قيل لي: افعل ومن باب الحيرة الإلٰهية قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩] فالعاقل يأخذه على إمضاء الحكم وإنفاذه ولا مرد له بقوته والمحقق يأخذه من باب الحيرة وأنه لا يتمكن إلا هذا وإلا فكما وصلت الخمسون إلى خمسة ولم يتمكن أن ينقص منها كذلك لم يتمكن أن تبقى الخمسين أصلاً لما سبق بها القول فهذا بعض ما في الجلالة من الجلالة وقد نجز الغرض الذي أعطاه الوقت والحمد لله.

تم كتاب الجلالة بحمد الله ومنه وعونه والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتاب أيام الشأن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله العلي الشأن العظيم السلطان الذي هو كل يوم في شأن، المدلول على ذلك يستفرغ لكم أيها الثقلان[1] بالحركة المحيطة فتعينت وأوجد فيها ما تحت تلك الحركة من الأدوار والأكوار فظهرت أعيانها وثبتت، وأظهر في تلك الأكر بحكم الأدوار وجود الليل والنهار فتحكمت روحانياتها في الأركان وتمكنت وأفشت هذه الأركان لتحكيم هذا الدور الزمان ما كان كتمته من التكوينات وأعلنت فبرزت المولدات على قدر الاستعدادات وتكونت فتاهت الأرواح السيارة الحاكمة حين تسلطنت وأثبتت بالأرض الأريضة في يوم الأحد السعيد عند نزول الشمس بيت شرفها فاهتزت لالتحامها وربت لحملها وتحسنت بما وضعته من حملها وازينت فسبحان مسخر الأيام ومنزل الأحكام لا إله إلا الله هو العلي العلام. وصلى الله على من كان يومه المعروف ويومه المشهود المؤثر الثلاثاء ويومه المخصوص بذاته الجمعة وله في كل يوم دقائق وعلى كل ساعة حقائق، صلاة تامة وسلاماً دائماً ما انفرد عن جميع الخلائق بأحسن الخلائق.

أما بعد فهذا كتاب سميته كتاب «أيام الشأن» وهو ما يحدث في أصغر يوم في العالم من الآثار الإلٰهية والانفعالات من تركيب وتحليل وتصعيد وتنزيل وإيجاد وشهادة وكنى عز وجل على هذا اليوم الصغير باليوم المعروف في العامة فوسع العبارة من أجل فهم المخاطبين فقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩] ثم تلاه جل ثناؤه بقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١] فهو يفرغ لنا منا لأنا المقصودون من العالم لا غير فنحن روح العالم المنفوخ فيه بالنفخة الإلٰهية فالعالم جسم سوّاه الله وحسن خلقه وأكمل نشأته الظلمانية ثم نفخ فيه روحاً من روحه فانفتق رتقه واستنار وجوده وانطردت ظلمته فنطق بالثناء والحمد فنحن الخلفاء فلنا دارت الأفلاك وبنا تنزلت الروحانيات والأملاك فكل يوم هو منا سبحانه في شأن فالشأن مسألة السائلين فإنه ما من موجود إلا وهو تعالى سائله لكن هم على مراتب في السؤال.

فأما الذين لم يوجدهم الله عن سبب فإنهم يسألونه بلا حجاب لأنهم لا يعرفون

---

(١) الثَقَلان: الإنس والجنُّ.

سواه علماً وغيباً، ومنهم من أوجده الله تعالى عند سبب يتقدمه وهو أكثر العالم وهم في سؤاله على قسمين: منهم من لم يقف مع سببه أصلاً ولا عرج عليه فهم من سببه أنه يدله على ربه لا على نفسه فسؤال هذا الصنف كسؤال الأول بغير حجاب. ومنهم من وقف مع سببه وهم على قسمين: منهم من عرف أن هذا سبب قد نصبه الحق وأن وراءه مطلباً آخر فوقه وهو المسبب له ولكن ما تمكنت قدمه في درج المعرفة لموجد السبب فلا يسأله إلا بالسبب لأنه أقوى للنفس، ومنهم من لم يعرف أن خلف السبب مطلباً ولا أن ثم سبباً فالسبب عنده نفس المسبب فهذا جاهل فسئل السبب فيما يضطر إليه لأنه تحقق عنده أنه ربه فما سأل إلا الله لأنه لو لم يعتقد فيه القدرة على ما سأله فيه لما عبده وذلك لا يكون إلا الله فهو ما سأل إلا الله.

ومن هذا المقام يجيبه الحق على سؤاله لأنه المسؤول ولكن بهذه المنابة فعلى هذا هو المسؤول بكل وجه وبكل لسان وعلى كل حال المشهود له بالقدرة المطلقة النافذة في كل شيء، فما من جوهر فرد في العالم إلا وهو سائله سبحانه في كل لحظة وأدق في اللحظة لكون العالم في كل لطيفة[1] ودقيقة مفتقراً إليه ومحتاجاً أو لها في حفظه لبقاء عينه ومسك الوجود عليه بخلق ما به بقاؤه، وليس من شرط السؤال هنا بالأصوات فقط وإنما السؤال من كل عالم بحسب ما يليق به ويقتضيه أفقه وحركة فلكه ومرتبته وقد قال فيما شرف سليمان به أنه علمه منطق الطير فعرف لغتها وتبسم ضاحكاً من قول النملة للنمل: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨] وقال الهدهد[2]: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] وقالت السموات والأرض: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وأبت السموات والأرض والجبال حمل الأمانة وأشفقن منها.

وفي صحيح الأخبار: «ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة»[3]، وكان عليه السلام راكباً على بغلة فنفرت عند قبر لما سمعت عذاب صاحبه حتى كادت أن تلقيه، وقال في أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[4]، وسبح الحصى في

(١) اللَّطِيفَةُ من الكلام: الرَّقيقة (ج) لطائف.

(٢) الهُدْهُدُ: جنس طير من الجواثم الرقيقات المناقير. أشهر أنواعه الهُدهُد الشائع، وهو مبذول في لبنان وغيره. ذو خطوط وألوان كثيرة وهو متوسط الجسم، له منقار مستطيل وقنزعة على رأسه كبيرة القدّ سوداء الأطراف. وذنبه مقطوم الطرف، أسود اللون، أبيض الجانبين والوسط. يألف الهدهد الأماكن المبعثرة الأشجار. وقوته الحشرات والديدان (ج) هداهد وهداهيد. الواحدة هُدهدة.

(٣) أخرجه الشافعي في (المسند ٧٢).

(٤) أخرجه البخاري في (الصحيح ٢/ ١٥٥، ٤/ ٤٢، ٤٣، ١٧٧، ٥/ ١٣٢، ١٧٧، ٥/ ١٣٢، ٧/ ٩٩، ٨/ ٩٧، ٩/ ١٢٩) ومسلم في (الصحيح (الحج ٤٦٢، والترمذي في (السنن ٣٩٢٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٤٩، ١٥٩، ٢٤٣)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٥/ ١٩٧، ٦/ ٣٠٤، ٩/ ١٢٥)، وابن حجر في (تغليق التعليق ٥٣٣، ١٠٤٣)، وسعيد بن منصور في (السنن ٢٦٧٦)، وابن أبي شيبة في =

كفه، وهذا حجر يسلم علي، ولا تقوم الساعة حتى يحدث الرجل فخذه بما فعل أهله، وقالت الجلود أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وقد أخبر تعالى أن الظلال ومن في السمٰوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس فما ترك شيئاً من العالم إلى درجة الإنسان إلا وقد أخبر عنه أنه يسجد لله وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ومعلوم أن ما هنا صوت معهود ولا حرف من الحروف المعلومة عندنا ولكن كلام كل جنس مما يشاكله وعلى حسب ما يليق بشأنه ويعطيه استعداد القبول الروحانية الإلٰهية السارية في كل موجود، وكل يعمل على شاكلته، فما من موجود بعد هذا إلا ويتفق منه السؤال، فشأنه في كل دقيقة خلق السؤال في السائلين وخلق الإجابة بقضاء الحاجات، وتنزل على أصحابها بحسب دورة الفلك الذي يخلق منه الإجابة، فإن كان الفلك بعيداً عن حركة التقدير التي بها تنزل على صاحبها بعد كذا وكذا حركة فتتأخر الإجابة وقد تتأخر للدار الآخرة بحسب حركتها، وإن كان فلكها قريباً أعني حركة التقدير التي خلقت الإجابة فيها ظهر الشيء في وقته أو يقرب، ولهذا أخبر النبي عليه السلام أن كل دعوة مجابة، ولكن ليس من شرطها الإسراع في الوقت، فمنها المؤجل والمعجل بحسب الذي بلغ حركة التقدير.

حقيقة

واعلم أن الأيام وإن كثرت فإن الأحكام الفعلية الذي هو الشأن يقللها إلى أن يردها أسبوعاً لا غير وتتكرر هذه الأيام في المشهور كما تكرر الليل والنهار في الأيام وكما تتكرر الساعات في الليل والنهار وكذلك الشهور في السنين والسنون في الدهور والأعصار فالله لم يزل يجري في الأشياء على ما تعطيها الحقائق وإن جوز العقل خلافها فلقصوره فإن الحقائق لا تتجلى إلا بالكشف الرباني وإما بهذا الأدلة التي بأيدي النظار فما تعطي إلا النزر اليسير وقدر بما لا تحصل الثقة فللعقول حد تقف عنده لا تتعداه وهذه الأمور وراء طوره حسبه فيها التسليم واللجاء إلى الله حتى يلقيها فيه ضرورة أو يكشفها له عيناً، فالحق سبحانه أبداً يعطف بالإعجاز على الصدور فالأمر دوري لا يزال في الروحانيات والجسمانيات ويحدث بينهما الأشكال العجيبة الغريبة ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ

= (المصنف ١٤/ ٣٩٨، ٥٤٠)، وعبد الرزاق في (المصنف ١٧١٦٩، ١٧١٧٠)، والطبراني في (المعجم الكبير ٦/ ١٥٢)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٣٧٧، ٩/ ٥٥٤، ١٣/ ٣٠٩)، والبغوي في (شرح السنة ١١/ ٢٥)، ومالك في (الموطأ ٨٩٣)، والربيع بن حبيب في (المسند ٢(٣)، وصاحب (شرح معاني الآثار ٤/ ١٩٣)، وأبو نعيم في (تاريخ أصفهان ١/ ٣٥٨)، وابن حجر في (المطالب العالية ١٢٤٩)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٧٤٥)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٤(١٣)، والدولابي في (الكنى والأسماء ١/ ١٤٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٩٩٢، ٣٤٩٩٣، ٣٨١٨٢، ٣٨١٨٣، ٣٨١٨٤).

﴿مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: ٣٩] فنهار يكر على ليل وليل على نهار وفلك يدور وخلق يدور وكلام يدور وحروف تدور وأسماء تدور ونعيم يدور وصيف يدور وشتاء يدور وخريف يدور وربيع يدور وسيارة تدور ﴿بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الواقعة: ٦٢].

انظر إلى العرش على مائه سفينة تجري بأسمائه
واعجب له من مركب دائر قد أودع الخلق بأحشائه
يسبح في بحر بلا ساحل في حندس الغيب وظلمائه[١]
وموجه أحوال عشاقه وريحه أنفاس أنبائه
فلو تراه بالورى سائراً من ألف الخط إلى يائه
ويرجع العود على بدئه ولا نهايات لإبدائه
يكور الصبح على ليله وصبحه يفني بإمسائه

فأعداد تدور وحركات تكر فسبحان مدبرها ومديرها لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

بيان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨] مع قدرته على خلقه إياها دفعة واحدة من غير تدريج لكن القدرة لا تؤثر في القدر وإنما أثرها في المقدور يشاهد القدر فإن شهد بها القدر بالتأثير أثرت وإلا أمسكت عن إذن القدر على عن أنفسها فمن حكم القدر كونها في ستة أيام فلا سبيل إلى عدول القدرة عما حكم به القدر ما يبدل القول لدي، واليوم عندنا عبارة عن دورة واحدة من دورات فلك الكواكب الثابتة الذي السمٰوات والأرض في جوفه وتحت حيطته وهو من النطح إلى النطح ومن البطين إلى البطين ومن الثريا إلى الثريا آخر المنازل ومن درجة المنزلة ودقيقتها إلى درجتها ودقيقتها وأخفى من ذلك إلى أقصى ما يمكن الوقوف عنده لكن أبين ما تكون فيه هذه النكتة الدرجات فنقول: إنه ما من يوم من هذه الأيام المعروفة في العامة، وهو من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس أو من غروبها إلى غروبها أو من استوائها إلى استوائها أو ما بين ذلك إلى ما بين ذلك على حسب صاحب اليوم، فما من يوم قلنا من هذه الأيام وفيه نهاية ثلاث مائة وستين يوماً هذا موجود في كل يوم ولهذا ما من يوم إلا ويصلح أن يتكون فيه كل ما يتكون في أيام السنة من أولها إلى آخرها لأن فيه نهاية كل يوم من أيام السنة ففيه حكم ذلك اليوم ولا بد لكنه يخفى من أجل أنه ما فيه منه إلا نهاية خاصة فاليوم طوله ثلاث مائة وستون

(١) الحِندِسُ: الظُّلمة. و ـ: الليل الشديد الظلمة (ج) حنادس.

درجة لأنه يظهر فيه الفلك كله وتعمه الحركة وهذا هو اليوم الجسماني، وفيه يوم روحاني فيه تأخذ العقول معارفها والبصائر مشاهدتها والأرواح أسرارها كما تأخذ الأجسام في هذا اليوم الجسماني أغذيتها وزيادتها ونموها وصحتها وسقمها وحياتها وموتها، فالأيام من جهة أحكامها الظاهرة في العالم المنبعثة من القوة الفعالة للنفس الكلية سبعة: الأحد الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت، ولهذه الأيام أيام روحانية يعرفها العارفون لها أحكام في الروح والعقول تنبعث من القوة العلامة للحق الذي قامت به السمٰوات والأرض وهو الكلمة الإلٰهية، وعلى هذه الأيام السبعة يكون الكلام في هذا الكتاب فإنها التي تدور ويدور الحكم بدورانها، ولما كانت هذه الأيام سبعة من جهة الحكم الظاهر فيها لم يتمكن لنا إلا أن نثبتها كيف هي أنها ما هي على ما تشهد لأن المشهود إنما هو يوم واحد نهار وليل وكونها سبعة تدور ليس بمشهود ولهذا جعلناها على ترتيب الحكم وهو أثبت في العلم.

فنقول قال الله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥] فهذا هو المشهود من الأيام المحسوسة، ثم أبان الحق من طريق الحكم على حقيقتين بعدها فقال في الواحدة ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] فهذا قد أنبأ أن الليل أصل والنهار كان غيباً فيه ثم سلخ كاندراج النور في الظلمة، وليس معنى السلخ معنى التكوير فقد عدل في هذه المرتبة عن اليوم المشهود عند العامة فيتعين علينا أن نبين ليل كل نهار من غيره حين ينسب كل ثوب إلى لابسه فيرد كل فرع إلى أصله ونلحق كل ابن بأبيه فإنه ملعون من انتسب إلى غير أبيه.

وقال تعالى في الإبانة عن الحقيقة الأخرى وهو أقوى في الحكم ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١] فجعله نكاحاً معنوياً لما كانت الأشياء تتولد فيهما معاً وأكد هذا المعنى بقوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] من قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ [الأعراف: ١٨٩] فأراد النكاح فكنى ولهذا كان كل واحد مولج ومولج فيه فكل واحد منهما لصاحبه أهل وبعل فكل ما تولد في النهار فأمه النهار وأبوه الليل وكل ما تولد في الليل فأمه الليل وأبوه النهار فليس إذن حكم الإيلاج حكم السلخ فإن السلخ إنما هو في وقت أن يرجع النهار من كونه مولجاً ومولجاً فيه والليل كذلك إلا أنه ذكر السلخ الواحد ولم يذكر السلخ الآخر من أجل الظاهر والباطن والغيب والشهادة والروح والجسم والحرف والمعنى وشبه ذلك فالإيلاج روح كله والتكوير جسم هذا الروح الإيلاجي ولهذا كور الليل والنهار في الإيلاج كما كورها في التكوير هذا في عالم الجسم وهذا في عالم الأرواح فتكوير النهار لإيلاج الليل وتكوير الليل لإيلاج النهار وجاء السلخ واحداً للظاهر لأربابه، ولم يذكر السلخ الآخر لأنه معلوم فيه ولولا ذلك التكوير ما كرره ما احتاج الناظر إلى تكرار الإيلاج لأنه لو لم يكن

تكرر كل واحد منهما لتكرار كل واحد من الآخرين لكان في الوجود روح بلا جسم أو جسم بلا روح وهذا لا يوجد أصلاً فلا بد من تكرارهما.

إفصاح

فأقول: قال الله تعالى في اليوم المشهود في العامة المعروف عند الكافة ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] على الليل فكان حساب العجم تقديم النهار على الليل وزمانهم شمسي فآيات بني إسرائيل ظاهرة وكانت فيهم العجائب وقال في بلعام بن باعورا ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] منها فدل على أنها كانت عليه في الظاهر كالثوب فإنه أعطي الحروف فكان يفعل بالخاصية لا بالصدق فليلة السبت عندهم هي الليلة التي يكون في صبيحتها يوم الأحد. وكذا في أيام الجمعة ـ وكان حساب عامة العرب بتقديم الليل على النهار وزمانهم قمري فآياتهم ممحوة من ظواهرهم مصروفة إلى بواطنهم واختصوا من بين سائر الأمم بالتجليات وقيل فيهم: كتب في قلوبهم في مقابلة قوله فانسلخ منها فنحن على ما عندنا حادون فالصدق لنا ـ ولما كان في الخضر قوة عربية للحوقه بنا لهذا ما عثر صاحبه على السر الذي منه حكم بما حكم فليلة السبت عندنا هي الليلة التي يكون في صبيحتها السبت وعامتنا أعني الدولة العربية أقرب إلى العلم من العجم فإنهم يعضدهم السلخ في هذا النظر الذي عولوا عليه غير أنهم لم يعرفوا الحكم فنسبوا الليلة إلى غير يومها كما فعل أيضاً أصحاب الشمس وذلك لأنهم لا يعرفون سوى أيام التكوير وأيام السلخ يعرفها العارفون وأيام الإيلاج يعلمها العلماء الحكماء وارثوا الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

تتميم

قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] اعلم أنه لما كانت الأيام شيئاً كان لها ظاهر وباطن وغيب وشهادة وروح وجسم وملك وملكوت ولطيف وكثيف فكان لليوم نهار وليل في مقابله ظاهر وباطن وهي سبعة أيام فلكل يوم نهار وليل من جنسه وإن النهار هو ظل ذلك الليل وعلى صورته في الحكم بالحقيقة فإن كل يوم مولج في أيام الأسبوع كما قلنا أن الأيام الستة مولجة في اليوم الواحد فقد قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١] فيدخل هذا في هذا وهذا في هذا على ما سنذكره إن شاء الله وإنما جعلنا النهار ظلاً لليل لأن الليل هو الأصل وكذلك الجسم هو الأصل فإنه بعد التسوية انسلخ منه النهار عند النفخ فكان مدرجاً فيه من أجل الحجاب فلما أحس بالنفخة الإلٰهية سارع إليها فظهر فكان مسلوخاً منه وقد تكلمنا في كتاب الجلالة على شرف البصر الحسي على العقل وتضيق هذه الأوراق عن تبيين معنى تولد الروح وقد ذكرنا هذا في كتاب النشأة وبينا فيه أن الروح تولد كما يولد

الجسم ورتبناه ترتيباً عجيباً فلينظر هناك، ولما قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] لم يبين أي نهار سلخ من أية ليلة ولم يقل ليلة كذا سلخ منه نهار كذا لكن أرسلها مجملة ليفصلها من الهمة الله العلم بذلك من عباده أنه منعم كريم وهذا هو فصل الخطاب والحكمة فصل الفصل فكلامنا في السلخ من باب فصل الخطاب وكلامنا في الإيلاج من باب الحكمة التي هي فصل في الفصل.

فأقول على مفهوم من اللسان العربي بالحساب القمري من تقديم الليل على النهار إن ليلة أحد سلخ الله منه نهار الأربعاء فالشأن الذي هو فيه في ليلة الأحد فيه في نهار الأربعاء وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس والشأن كالشأن وسلخ من ليلة الثلاثاء نهار الجمعة والشأن هو الشأن وسلخ من ليلة الأربعاء نهار السبت والشأن الذي يفعله في ليلة السبت يفعله في نهار الثلاثاء وفرغ الأسبوع فجعل سبحانه بين كل ليلة ونهارها المسلوخ منها ثلاث ليال وثلاثة نهارات فكانت ستة وهي نشأتك يا أخي ذات الجهات الست فالليالي منها للتحت والشمال والخلف، والنهار منها للفوق واليمين والأمام، فلا يكون الإنسان نهاراً ونوراً تشرق شمسه وتشرق به أرضه حتى ينسلخ من ليلة شهوته ولا يقبل على من لا يقبل الجهات حتى يتنزه عن جهات هيكله كما بعد هذا النهار من ليله بثلاث ليال وثلاثة نهارات وحينئذٍ أشرق وظهر وحكم وشاهد وشوهد فمن أراد أن يتحقق فلينظر فيما ذكرناه ونبهنا عليه نظر منصف وإنما يشاهد النسبة من جهة الاشتراك بينهما في الشأن والله قد ربط الفعل هكذا والحكم لأول ساعة من الليل ولأول ساعة من النهار فنسب الليل لوكيل الساعة الأولى منها الذي وكله الله بها هو زوجها وكذلك النهار فلهذا نسبناه هذه النسبة.

تكملة

ولما استوفينا البيان في آية السلخ فلنذكر الإيلاج قال الله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١] واليوم عندنا أربع وعشرون ساعة وإذا كان اليوم قد أخبر الله تعالى أنه فيه في شأن ولم يقل في شؤون علمنا أن ساعاته تحت حكم واحد وتحت نظر وإلى حاكم واحد قد ولاه الله وتولاه وخصه بتلك الحركة وجعله أميراً، فيومنا الصحيح إنما هو ما تكون ساعاته كلها سواء فإن اختلفت فليس بيوم واحد وطلبنا هذا من جهة الحكم في يوم السلخ فلم نجده إلا قليلاً، وأما يوم التكوير فبعيد من ذلك فنظرنا يوم الإيلاج فوجدنا مطلوبنا فيه مستوفى وأرسله الحق مطلقاً ولم يقل يولج الليل الذي صبيحته الأحد في الأحد ولا النهار الذي مساؤه ليلة الاثنين أولجه في ليلة الاثنين فلا يلزم أن ليلة الأحد هي ليلة الكور ولا ليلة السلخ وإنما يطلب وحدانية اليوم من أجل أحدية الشأن ولنقدم الليل ونبني على ساعته الأولى وننظر حاكمها الذي ولاه الله عليها ما لها من ساعات تلك الليلة ونهارها إلى آخر الأسبوع فإنا سنجد له

أربعاً وعشرين ساعة فنجعلها يوماً كاملاً وهو يوم الشأن ثم نعدل إلى الليلة الأخرى حتى نكمل سبعة أيام مميزة بعضها من بعض مولجة بعضها في بعض نهارها في ليلها وليلها في نهارها بحكمة التولد والتناسل وذلك لسريان الحكم الواحد في الأيام ونمشيها على الساعات للتقريب كما مشينا ما تقدم على درجات السنة ومن شاء أن يعلو إن عرف فليقل، فأقول على الأيام المعروفة عند العامة وهي أيام التكوير ونبتدىء بيوم الأحد تبركاً بالاسم فإنه من صفات الحق وله الأولية وله القلب فقد جمع الشرف من وجوه لا توجد في غيره ونبدأ بليله قبل نهاره لأني عربي بدري وعلى ذلك الحساب عينه يكون العجمي فاعلم أن ليلة الأحد الإيلاجي مركبة من الساعة الأولى من ليلة الخميس والثامنة منها والثالثة من يوم الخميس والعاشرة منها والخامسة من ليلة الجمعة والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الجمعة والثانية من ليلة السبت والتاسعة منها والرابعة من يوم السبت والحادية عشرة منها والسادسة من ليلة الأحد فهذه ساعات ليله.

وأما ساعات نهاره من أيام التكوير كما قلنا فالساعة الأولى من يوم الأحد من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الاثنين والعاشرة منه والخامسة من يوم الاثنين والثانية عشر منه والسابعة من ليلة الثلاثاء والثانية من يوم الثلثاء والتاسعة منه والرابعة من ليلة الأربعاء والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الأربعاء فهذا يوم الأحد الإيلاجي الشأني قد كمل بأربع وعشرين ساعة كلها كنفس واحدة لأنها من معدن واحد فلا ينبعث فيه إلا معنى واحد وتتنوع في الموجودات بحسب استعداداتها فتتكثر بتكثر الأشخاص وتتنوع بحسب الاستعدادات فإن في هذا اليوم يوحي الله إلى النفس الواحدة الكلية أن تحرك ركن النار لتسخين العالم ثم يأمر سبحانه روحانية الفلك الرابع بمساعدتها فيتحرك الأثر فيسخن العالم فمن كان قابلاً للحرق احترق ومن كان قابلاً للسخانة سخن وكذلك أمر روحانية الفلك السابع بالمساعدة فساعدها بنصف قوته وساعدتها روحانية الفلك الخامس بقوتها وساعدتها روحانية الفلك السادس بنصف قوتها وساعدتها روحانية الفلك الثاني بربع قوتها ولم تكن لروحانية الفلك الأول والفلك الثالث هنا مساعدة وعن شأن هذا اليوم سرت الأرواح في الروحانيات والحركات في المتحركات فهذا من شأن هذا اليوم الذي هو فيه.

وأما ليلة الاثنين الإيلاجي الشأني فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الجمعة والثامنة منها والثالثة من يوم الجمعة والعاشرة منه والخامسة من ليلة السبت والثانية عشرة منها والسابعة من يوم السبت والثانية من ليلة الأحد والتاسعة منها والرابعة من يوم الأحد والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة السبت فهذه ساعات ليلته من أيام التكوير.

وأما ساعات نهاره فمركبة من الساعة الأولى يوم الاثنين والثامنة منه والثالثة من ليلة الثلاثاء منها والخامسة من يوم الثلثاء والعاشرة والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة

الأربعاء والثانية من يوم الأربعاء والتاسعة منه والرابعة من ليلة الخميس والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الخميس فهذه أربع وعشرون ساعة أبرزتها من أيام التكوير لظهور يوم الاثنين الإيلاجي فظهر والحمد لله، والشأن فيه واحد وهو أن الله سبحانه أوحى إلى النفس الواحدة أن تمد المولودات بركن العصارات وأمر لروحانية الأفلاك أن تساعدها، منهم من هو تحت شأن هذا اليوم بوجوهه كلها أو بوجه ما فساعدها الأول والثالث بكليته وساعدها الثاني بربعه في هبوطه وبربعه الثاني في سيره لهبوطه وساعدها السادس بنصف قوته في هبوطه وكذلك السابع ولم يساعدها الرابع والخامس، ومن شأن هذا اليوم ينمو كل جسم ويزيد من شأن هذا اليوم هبوب الرياح الممطرات ولا تقوى فيه الحركات.

وأما ليلة السبت والثامنة منها والثالثة من يوم السبت والعاشرة منه والخامسة من ليلة الأحد والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الأحد والثانية من ليلة الاثنين والتاسعة منها والرابعة من يوم الاثنين والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الثلاثاء فهذه ساعات ليلته من أيام التكوير.

وأما ساعات نهاره فمركبة من الساعة الأولى من يوم الثلثاء والثامنة منه والثالثة من ليلة الأربعاء والعاشرة منها والخامسة من يوم الأربعاء والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الخميس والثانية من يوم الخميس والتاسعة منه والرابعة من ليلة الجمعة والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الأحد فهذا يوم الثلاثاء قد أنشأه الله من ساعاته التي كان الولوج مددها في الأيام السبعة أيام التكوير فمن حافظ عليها عرف الشأن الذي لله فيها الذي أوحى الله به للنفس الواحدة فأرسلت قوتها الفعالة فظهر بلطيف الأهوية السخيفات وساعدتها من الأرواح الفلكية عن أمر الحق والحد الإلٰهي المشروع لهم في حقائقهم ما بينها وبين ذلك ومناسبه أما من جميع الوجوه أو من وجه أو من وجهين فأما الأول والثالث فلا مساعدة لهما هنا وأما السابع فساعدها بنصف قوته في أوجه كذلك السادس وساعدها الرابع بقواه كلها وساعدها بربع قوته في أوجه وبربعها في صعوده، من أحكام شأن هذا اليوم الحميات وانتشار الغضب والفتن وأشياء من هذا الفن هذا شأنها والغرض الاختصار فإنا قد استوفينا هذه الشؤون في كتاب الجداول والدوائر مضروب الأشكال.

وأما ليلة يوم الأربعاء الشأني الإيلاجي فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الأحد والثامنة منها والثالثة من يوم الأحد والعاشرة منه والخامسة من ليلة الاثنين والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الاثنين والثانية من ليلة الثلاثاء والتاسعة منها والرابعة من يوم الثلاثاء والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الأربعاء فهذه ساعات ليله.

وأما ساعات نهاره فمركبة من الساعة الأولى من يوم الأربعاء من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الخميس والعاشرة منها والخامسة من يوم الخميس والثانية

عشرة منه والسابعة من ليلة الجمعة والثانية من يوم الجمعة والتاسعة منها والرابعة من ليلة السبت والحادية عشرة منها والسادسة من يوم السبت فهذا يوم الأربعاء قد استوفينا ساعاته من أيام التكوير، ثم الشأن الكلي الذي فيه تمزيج البخار الرطب بالبخار اليابس أمر الله تعالى النفس بهذا التمزيج وأمر لروحانيات الأفلاك أن تساعدها بما فيها من القوة المناسبة لروحانية هذا فما بقيت روحانية في فلك إلا ساعدت ويبتني على هذا علم كثير.

وأما ليلة الخميس الإيلاجي الشأني فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الاثنين والثامنة منها والثالثة من يوم الاثنين والعاشرة منه والخامسة من ليلة الثلاثاء والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الثلاثاء والثانية من ليلة الأربعاء والتاسعة منها والرابعة من يوم الأربعاء والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الخميس.

وأما نهاره فمركبة ساعاته من الساعة الأولى من يوم الخميس من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الجمعة والعاشرة منها والخامسة من يوم الجمعة والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة السبت والثانية من يوم السبت والتاسعة منه والرابعة من ليلة الأحد والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الأحد فهذا يوم الخميس قد تممنا نشأته من ساعات أيام التكوير والشأن الإلٰهي فيه السيلان والتحليل أمر الله تعالى روحانيات الأفلاك بمساعدة في النفس في هذا الشأن فساعدها الفلك الأول بنصف قوته وكذلك جميع روحانيات الأفلاك ساعدوها بنصف قواهم إلا الفلك السابع وأما السادس فساعد بقوته كلها وإذا تقرب العشاق الذين حنوا في هواهم إلى هيكل هذا اليوم بما يليق به من الدعوات والصدقات ويلجؤون فيه إلى الله فالشأن بره وتحليل ما يعقد من أمره وقد ذكرنا هذا في كتاب الهيكل وثم تكلمنا في شأن هذه الأيام على الاستيفاء وهو كتاب شريف.

وأما ليلة الجمعة فمركبة من الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء والثامنة منها والثالثة من يوم الثلثاء والعاشرة منه والخامسة من ليلة الأربعاء والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الأربعاء والثانية من ليلة الخميس والتاسعة منها والرابعة من يوم الخميس والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة الجمعة.

وأما ساعات نهاره فمؤلفة من الساعة الأولى من يوم الجمعة والثامنة منه والثالثة من ليلة السبت والعاشرة منها والخامسة من يوم السبت والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الأحد والثانية من يوم الأحد التاسعة منه والرابعة من ليلة الاثنين والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الاثنين فهذا قد كمل يوم الجمعة والشأن في هذا اليوم تقطير ما رطب من ركن البخار بمساعدة روحانية الفلك الثلث والأول للنفس الكلية عن القول الإلٰهي بقوتيهما وساعدها الثاني بنصف قوته في هبوطه وكذلك السادس والسابع وقصدنا الشأن

الواحد الأصلي في كل يوم وعنه تكون الشؤون لكن بالقول الإلهي وتوجه الإرادة لا بمباشرة ولا معالجة ولا محاولة بل كما أخبر عن نفسه ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠] فالقول يتوجه والمراد يتكون فسبحان العليم القدير.

وأما ليلة السبت وهي آخر أيام الأسبوع فمركبة ساعاتها من الساعة الأولى من ليلة الأربعاء والثامنة منها والثالثة من يوم الأربعاء والعاشرة منه والخامسة من ليلة الخميس والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الخميس والثانية من ليلة الجمعة والرابعة من يوم الجمعة والحادية عشرة منه والسادسة من ليلة السبت.

وأما نهاره فمؤلفة من الساعة الأولى من يوم السبت من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الأحد والعاشرة منها والخامسة من يوم الأحد والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الاثنين والثانية من يوم الاثنين والتاسعة منه والرابعة من ليلة الثلاثاء والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الثلثاء فهذا يوم السبت الإيلاجي قد كملت بنيته، والشأن الإلهي حفظ بقاء صور العالم وإمساكها وتكوينها بمساعدة قوة روحانية الفلك السابع للنفس المأمورة بذلك والموكلة به ونصف قوى روحانيات الأفلاك إلا الفلك السادس.

لاحقة

لا زال الخالق في شأن فلا تزال هذه الأيام دائمة أبداً ولا يزال الأثر والفعل والانفعال في الدنيا والآخرة وقد أثبت الحق تعالى دوام هذه الأيام فقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] وخلودهم لا يزال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار والسماوات والأرض لا تزال والأيام دائمة لا تزال فمن مقعر تلك الكواكب الثابتة إلى المركز نازلاً لا تزال الأيام دائرة فيها أبداً بالتكوين كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها فالكون والفساد فيها دائم مستمر والتسعة عشر عليها طالعة وغاربة ومقعر هذا الفلك هو سقف النار نعوذ بالله منه وسطح هذا الفلك هو أرض الجنة والعرش سقفها وهو روح هذه الأيام كما قد ذكرنا في أول الجزء أن لها أرواحاً فتكون في الجنة أيام بحركة هذا الفلك بعينه وهي الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض وأيام أهل النار الأيام المعلومة الدنياوية المشهودة بالشمس فهو في الجنان بعلامات مقدرة يعرف بها الأوقات ويعرف بها نتاج الأعمال الكائنات في أوقات أيام الدنيا قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] والكون لا يزال في الجنة محسوساً مشاهداً لأنها محسوسة والاستحالات فيها من لذة إلى لذة ومن نعيم إلى نعيم متجدد ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] والتغيير فيها من صورة إلى صورة من حسن إلى أحسن ومن جمال إلى أجمل من كمال إلى أكمل وذلك لما أودع الله من الأسرار في هذه الحركة

الفلكية ورتب فيها من الحكم والآيات والأخبار يقصد ما ذهبنا إليه مثل قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة: ٦٠] ومن أكل شيئاً فقد أزال نظم ذلك وأحاله عن صورته إلى صور أخرى وهذا هو المعبر عنه بالفساد في الاصطلاح وأما نحن فنفر من هذه اللفظة ومن لفظة التعبير إلى التحويل وإلى التحليل والتركيب فما استحال عينه كان تحويلاً وما تغير وصفه كان تحليلاً أو تركيباً وقد يتجوز في التحويل إلى بقاء العين وتغيير الوصف ومما يعضدنا من الأخبار الصحيحة عن الرسول عليه السلام أن ما يأكلونه أهل الجنة لا يتغوطونه ولا يبولونه ولكن هو عرق يخرج من أعراضهم أفوح من المسك وأين التفاحة ولحم الطير من العرق فهذا تغيير وتكوين في الجنة فإن العرق تكون ولحم الطير بالأكل تغير واستحال وكذلك التنوع في الصور التي يدخل فيها في سوق الجنة مثل تنوع الأحوال علينا اليوم في بواطننا ولا بد عند المحققين للعالم من هذا التحويل للمقام الإلٰهي الذي يعطيه منها قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فهذا تحول من صورة إلى صورة ومن أمر إلى أمر وكما قال النبي عليه السلام: إذا تعوذت من الله طائفة عندما يتجلى لها في غير الصورة التي تعرفه فيها أنه يتحول لهم في الصورة التي يعرفون فالتحول سار في العالم لا بد منه وتجسد الروحانيات النارية والنورية غير منكور عندنا.

فالتنوعات والتبدلات ينبغي للعاقل أن لا ينكرها وأهل الشأن الذي هو الله فيه في كل يوم إلا في مثل هذا فإن لله في حق كل موجود في العالم شأناً فانظر في هذا التوسع الإلٰهي ما أعظمه فقد تبين أن الأيام لا تزال أبداً والشأن لا يزال أبداً فإن الفعل لا يزال أبداً فلا بد أن يكون الانفعال لا يزال وفي قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١] ترتيب الفعل ويكفي هذا القدر في الأيام فإن فيه غنية، وأما يوم المثل الذي هو من سبعة آلاف سنة يوم الرب الذي هو من ألف سنة ويوم معارج الهو الذي هو خمسين ألف سنة ويوم القمر الذي هو من ثمانية وعشرين يوماً ويوم الشمس الذي هو من ثلاثمائة وستين يوماً سنة كاملة ويوم زحل على التقريب الذي هو من ثلاثين سنة وكذلك سائر السيارة من السبعة ويوم الحمل الذي هو من اثني عشر ألف سنة وكذلك سائر أيام البروج الذي هو عمر الدهر ويوم السنبلة ونحن على آخر اليوم وأول الميزان وهو من ستة آلاف سنة فمذكور هذا كله في الفتوحات المكية[١] فلينظر هناك فإن هذه العجالة لا

(١) «الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية» مجلدات للشيخ محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي الطائي المالكي المتوفى سنة ٦٣٨ من أعظم كتبه وآخرها تأليفاً. قال في الباب الثامن والأربعين واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكري، وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، وقد نذكر كلاماً بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده وذلك شبيه بقوله سبحانه وتعالى: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة ووفاة. وقال: واعلم أن جميع ما أتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه، فإن أعطت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه. وفي أوله مقدمة في فهرسه ذكر فيه خمسمائة وستين =

تحتملها لضيق الوقت والله ينفعنا بالعلم ويؤيدنا بالعين. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ـ يتلوه كتاب القربة إن شاء الله تعالى.

= باباً، والباب التاسع والخمسون وخمسمائة منه باب عظيم جمع فيه أسرار الفتوحات كلها، وكان الفراغ من هذا الباب فى شهر صفر سنة ٦٢٩.
(كشف الظنون ٢/١٢٣٨).

كتاب القربة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله مخصص من شاء من عباده بخصائص علوم الإلهام والتجلي لهم في كل مشهد وموقف بحضرة الجلال والإكرام، والمسدي إليهم عوارف الآلاء ولطائف الأنعام، ومصرفهم في لطائف عوالم الأرواح وكثائف الأجسام، بفنون التصرفات الإلٰهية وضروب الأحكام، ومقيمهم سبحانه على ما صرفهم فيه بين النقض والإبرام، فأبرموا من الأمر ما كان منقوضاً ما له من نظام، ونقضوا منه ما كان مبرماً محكم الإبرام والالتحام، فصارت الكلمة عربية عرباء ذات سداد وقوام، بعدما كانت أعجمية خرساء ذات عوج وميل ما له من قيام. فقربت مأخذها على أهل البصائر والأفهام، وتسهل منها ما كان يتعسر عند الأفهام وانتقلت إلى مقام الإيضاح من مقام الإبهام، أكرم به من موقف عال وأعزز به من مقام مؤيدهم سبحانه في أحوالهم بالشواهد العزية القهرية القائمة الإعلام. فهم المتبرزون المقامات المحمدية الجسام، المقول عليها بلسان القرآن يا أهل يثرب لا مقام لكم في صدر تشريف فارجعوا رحمكم الله إلى مناهج الإرشاد والإعلام فأنتم الملائكة البررة المشهودون في صور البشرية وأنتم السفرة الكرام. وهم الطاهرون بنعوت العز الأحمى عند المبعوث بالتقريب والمخصوص بالكلام، المظهرون عيون الحقائق، وامتداد الرقائق بفنون دقائق المعارف في موارد العقول ومصادر الأوهام. الأدباء عند نسبة الأفعال إلى حضرة العلي الخلاق العلام لما تقتضيه الأفعال من الممادح الوضعية والمذام، فمنها ما هو خالص في باب الذم تام، كخرق السفينة فأردت أن أعيبها ولم يقل فأردت أن أخلصها، وإذا مرضت بتحكم سلطان الأوجاع والآلام، ومنها ما هو مشترك بما تعطيه قضية الإلزام، كالمسألة المعروفة من قتل صاحب موسى عليهما السلام للغلام، ومنها ما هو خالص للمدح كقوله ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وإقامة جدار كنز الأيتام، فهم المتنزهون البرآء من تعدي الحدود الإلٰهية وارتكاب الآثام، الموصوفون بالغيرة على الإسرار فهم أهل السير والاكتتام، وهم الموسومون بالسطوة على الجبابرة العظام، لما خصهم به سبحانه عند التجلي الذاتي بمنزل السلام، الموصوفة ذواتهم في مقاصيرهم العزة فهن الحور المقصورات في الخيام، ولما كانوا على بينة من ربهم وتلاهم شاهد منهم رفعهم به إلى ما تعطيه واجبات الإحسانين الإيمان والإسلام،

وأيدهم بالقوة الإلٰهية فمكنهم من المستر على عيون الأنام بل على عيون الليالي والأيام، وإن كان قد خرج لهم التشريف بقدم محمد ﷺ دون سائر الإقدام فما منعهم عن ما ذكرنا من الهجوم والإقدام، لكن زادهم قوة إلى قوتهم في مواطن الإقحام والإحجام، فهم الأفراد الذين لا يعرفهم الأبدال[1] ولا يشهدهم الأوتاد[2] ولا يحكم عليهم الغوث والقطب والإمام وصلى الله على من هذه كلها بعض أنواره الساطعة المخصوص بالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمحاميد المكتومة بالمقام المحمود وحالة الكمال والتمام، وعلى آله ما تاقت نفوس العلماء بالله وهم في قصورهم إلى الظل من الغمام، لا ما لاح نجم وناح حمام، فإنها حالة لها انقضاء وانصرام، وغرض العارفين ما يعطيه البقاء ويشهد له الدوام، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فإن الحقيقة العامة إذا تحكم سلطانها في العبد الكلي وبدت دلالاتها على شاهده وظهرت آياتها وعجائبها على ظاهره شهد كل صديق من حيث صديقيته بزندقته وكذلك الإمام صاحب النفوذ والأحكام، وذلك أنه أخذ من وجه الحق الذي منه ينظر إلى مبدعه وموجده ولذلك سموا أفراداً أي ليس لهم حكم العموم ولكن من هذا مقامه له قوة التستر عن أعين الخلق حتى لا يتسلط الخلق على فساد بنيته، ومنهم من له هذا المقام ولكن أعطى من القوة من يحمله ولا تظهر أحكامه عليه كأبي بكر الصديق وغيره ولكن له مواطن يظهر فيها سلطان هذا المقام بحيث لا يشهد عليه لسان الإنكار إلا بغفلة ونسيان من المنكر ثم يرجع إلى حضوره مع علمه بهذا الموطن فيقوله بالحق وإن كان لا يعطيه شرعه كقصة موسى والخضر عليهما السلام وكقول عمر رضي الله عنه: «فما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

ومن هذا المقام قابل ومن هذا المقام حكم المجتهدين من علماء الإسلام إذا اجتهدوا يلوح لهم منه تجليات يعرفون بها الأحكام بتعريفها ولا يعرفونها فينسبونها إلى نظرهم بجهلهم بهذه المرتبة ثم إذا رأوها على من ليس بمجتهد وهو يحكم وقد أخذ ذلك بعينه من غير طريقة الاجتهاد المعلوم واختلفت الطريق واتحد الحكم أفتوا بقتله وشهدوا بزندقته وقالوا: هذا لا يجوز ولا يحل ولو قيل لهم هذه الشروط التي وضعتموها للمجتهد في دين الله هل هي وضعكم أو نقلتموها عن رسول الله ﷺ فإن كانت عن وضعكم فلا كرامة لكم وإن كنتم نقلتموها عن الكتاب والسنة والإجماع على قول من يقول بها فهاتوا الدليل.

فإن قالوا: قال رسول الله ﷺ كل: مجتهد مصيب وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله

(١) الأبدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، فإذا مات واحد أبدل الله تعالى مكانه آخر.
(٢) الأوتاد: هم الذين يُحفَظ بهم الدين، والشافعي رضي الله عنه منهم.

أجر وإذا أصاب فله أجران[١]، قلنا: صدق رسول الله ﷺ وفهمتم مقالته لا غير ما اعترضنا عليكم في المجتهد وإنما كلامنا في شروط المجتهد من نصبها لكم وسلمنا أن ما اشترطتموه في المجتهد فلنطالبكم بماذا حصرتم وجوه الاجتهاد في ذلك ثم نقول ذلك شروط المجتهد النقلي وللاجتهاد طريقة أخرى وهي تصفية النفس وتزكيتها وتحليتها بالحق الحميدة وتخلقها بالخلق الربانية وتهيؤها واستعدادها لقبول العلوم من الله فإذا صفى المحل بهذا النوع من التصفية لاح له علم الحق في مسألة من مسائل الأحكام مثل ما لاح للمجتهد عندكم فاختلف الطريقان واتحد الحكم فبأي وجه أخذتموه من الشافعي[٢] ولم تأخذوه مثلاً من شيبان الراعي صاحبه والعلم لله ليس لكم وإنما لكم الاجتهاد والنظر ويخلق الله (العلم عنده) عقيبه إن كان في المعقولات والحكم إن كان في الظنيات كذلك صاحبنا له (الاجتهاد في) التصفية والتهيؤ بالفقر واللجأ إلى الله تعالى وصدق العزم في الأخذ وعدم الاتكال على قوته وحوله فيخلق الله العلم عنده عقيب هذا الفعل مثلكم فهل هذا إلا تعصب منكم قال به أحد من المجتهدين المتقدمين ولو انفرد به واحد منه ربما وجدتموه ثم إذا وجدتموه صار حقاً عندكم بعدما كان باطلاً وفسقاً وما شهد لكم بعصمة ذلك الذي استندتم إليه وغايتكم أن تقولوا اجتهادنا أدانا إلى تصديق ذلك وتكذيب هذا وهو محل النزاع فالله يعفو عنا وعنكم ولقد ورد حديث مسند وإن لم يكن إسناده بذلك القائم أن النبي ﷺ أمر أن يجعل الحكم إذا لم يوجد له دليل شورى بين الصالحين فما حكموا به قبل، ولكن لسنا ممن يتعرض للاحتجاج بمثل هذه الأخبار التي لم يقم إسنادها على ساق يقربه الخصم ولا بما يحتمل التأويل وشبه ذلك بل ما يعطي طريقنا مخاصمتكم وإنما أوردنا هذا تنبيهاً لغافلكم عسى ينصف ويرجع فإن الغالب علينا وما يعطيه حال هؤلاء الأفراد ترك التحكم في العالم بالصورة الظاهرة لكن لهم الهمم فإن المراد من القبول الذي يفتي المجتهد بقتله من كونه على حاله ويعطي لذلك في الشرع ولكن يمنع من قتله عزه وسلطانه فللمجتهد أن يفتي بقتله ولا يعظم عليه سلطانه وهذا أقوى ما عند علماء الرسوم

(١) أخرجه البخاري (اعتصام ٢١، ٢٠)، ومسلم (أقضية ١٥)، وأبو داود (أقضية ٢)، والنسائي (أحكام ٢)، (قضاة ٣)، وابن ماجه (أحكام ٣)، وأحمد بن حنبل ٤/١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ = ٧٦٧ ـ ٨٢٠م).

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. له تصانيف كثيرة أشهرها كتاب «الأم» في الفقه، ومن كتبه «المسند» في الحديث، و«أحكام القرآن» و«السنن» و«الرسالة» في أصول الفقه، و«السبق والرمي» و«فضائل قريش» وغير ذلك.

الأعلام ٦/٢٦ ـ ٢٧، وتذكرة الحفاظ ١/٣٢٩، وتهذيب التهذيب ٩/٢٥، والوفيات ١/٤٤٧، وإرشاد الأريب ٦/٣٦٧ ـ ٣٩٨.

وأصحابنا إذا أعطاهم وأرادهم بأن ذلك يجب قتله لم يمنعه منهم سلطانه ولا حصنه أحالوا عليه همتهم فعرض له عارض من ذاته أو من غيره فقتله فلا يحتاجون من هذا إلى الحكم بما ينكرونه عليهم ويسلمونه لكم، وإن تنبهتم فقد أفدناكم وإلى طريق الحق أرشدناكم، ولنرجع إلى أصحابنا ولنقل: يا أولياءنا وأصفياءنا الأخفياء الأبرياء الغرباء الذين قصرت بهم الهمم عن هذه المراتب الفردانية أنصتوا وإذا أنصتم فلتسمعوا وإذا سمعتم فعوا وإذا وعيتم فاعملوا واتكلوا لعلكم تفلحون.

اعلموا أن كثيراً من أهل طريقنا كأبي حامد الغزالي[1] وغيره تخيل أنه ليس بين الصديقية والرسالة مقام وأن من تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة وبابها مسدود عندنا دوننا فلا سبيل إلى تخطيهم لكن لنا المزاحمة معهم في صفهم هذا غايتنا، ولسنا نعني بالصديق أبا بكر ولا عمر ولا أحداً رضي الله عنهم فإن أبا بكر من جملة أحواله كونه صديقاً وقد شاركه في هذا المقام غيره من الصديقين ولذلك قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] وقد فضل الصديق بسر وقر في صدره أعطاه الله إياه وشهد له به رسول الله ﷺ فعندنا بين الصديقية والرسالة مقام وهذا هو المقام الذي ذكرناه والذي أقول به أنه ليس بين أبي بكر رضي الله عنه وبين النبي ﷺ رجل ولا نذكر الصديقية فأرفع الأولياء أبو بكر رضي الله عنه فاجتهدوا رضي الله عنكم في تحصيله وأنا أنبهكم على العلامات التي تستدلون بها عليه، وذلك أنكم إذا قمتم بشرائط الخلوة كما ذكرناها في كتاب الخلوة ورفعت لكم أعلام المشاهد وقطعتموها وشاهدتم وعاينتم وأطلعتم ونزهتم ووقفتم المواقف المقدسة وقلبتم العوارف العرفانية فأنتم من أهل الولاية العظمى والدائرة المحيطة الكبرى لا تتسلطوا في التحكم في العالم بالهمم أو بالصورة الظاهرة إن كانت لكم قوة سلطان أصلاً لعلو المقام الذي أنتم عليه فإن الله مستدرجكم فيه من حيث لا تعلمون وقد قال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٨١ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨١ ـ ١٨٣] ولم يقل من الدنيا فقد يملي لكم من هذه الصنف فإنه سبحانه

(١) الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ ـ ١١١١ م).
محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف مولده ووفاته في الطابران. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى غزالة (من قرى طوس). من كتبه «إحياء علوم الدين» أربع مجلدات و«تهافت الفلاسفة» و«الاقتصاد في الاعتقاد» و«محل النظر» و«البسيط» في الفقه و«المعارف العقلية» و«جواهر القرآن» و«الطير» رسالة، و«شفاء العليل» في أصول الفقه، و«الوجيز» في فروع الشافعية، وغير ذلك.
الأعلام ٧/ ٢٢ ـ ٢٣، ووفيات الأعيان ١/ ٤٦٣، وطبقات الشافعية ٤/ ١٠١، وشذرات الذهب ٤/ ١٠، ومفتاح السعادة، ٢/ ١٩١ ـ ٢١٠.

يملي أنه يملي لكل طائفة من حيث ما تشتهيه وتتعشق به واستوى في ذلك أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والاستدراج والمكر لهذه الطائفة أسرع وأنفذ من غيرهم من الطوائف فالله الله لا تنفذوا حكماً ولا تتعدوا حداً من الحدود المعلومة عند أهل الرسوم وإن اختلفوا في ذلك وحرم الواحد عين ما حلله الآخر فلا تتقلد هذا الرسمي في شيء من ذلك ولا تخالفه واعمل ما توجه عليك في وقتك مما فيه سلامتك واشتغل بنفسك شغلاً كلياً واهرب إلى محل إجماعهم فإن لم تجد إجماعاً فكن مع أكثرهم فإن لم تجد كثرة فكن مع أصحاب الحديث في تلك المسألة المطلوبة، وقل أن يحتاج أهل الطريق إلى مثل هذا لأنهم قد زهدوا في الدنيا فقلت أفعالهم فقل الحكم عليهم فإذا بدت لكم وفقكم الله حضرة الأحكام وتنزلات الشرائع ورأيتم خازنها جبريل عليه السلام فذلك أول أعلام تحصيل هذا المقام فإن مد بين يديك هذا اللوح الذي يتضمن الأحكام فستعاين الأوضاع والشرائع الحكمية والنبوية وستعاين الأعصار والأماكن وستعاين الأحوال وستعاين توجه هذه الأحكام على الأحوال لقيامها بالأشخاص فينفذ الحكم في الشخص للحال لا لعينه فاحفظ ما تراه.

واعلم أن جبريل لا ينزل على غير رسول يوحي أبداً ولا ينسخ شريعة فتعمل هناك في وسيلة ورقيقة تكون من ذلك اللوح إلى قلبك إن أردت تحصيل هذا المقام فتسجد صورة جبريل وما هي بجبريل وهي مختصة بالأولياء فانظر إليها فإن رأيتها ناظرة إليك فاعلم أنك منهم وإن لم ترها ناظرة إليك فاعلم أنك غير مراد لذلك المقام فتأدب وانصرف وكن من الأولياء الذين ما لهم تصريف واجعل بالك إلى الحقيقة التي تراها على الصورة الجبرائيلية فسترى منها رقائق كثيرة ممتدة نافذة قد تجللتها تنزلات حكمية فأنزل معها بعينك نحواً لكون الأسفل فستراها متصلة منها ما هي بقلوب الأفراد ومنها ما هي بقلوب المجتهدين من علماء الرسوم فإذا عاينت هؤلاء الأشخاص آخذين منهم ما تعطيهم الأحكام بالأدب الكامل وسترى المجتهدين من علماء الرسوم عيونهم مصروفة إلى أفكارهم وأفكارهم حائلة في الوقائع، ولك الرقائق تندرج لهم في الوقائع فتبدو لهم الأحكام من خلف حجاب رقيق فيقولون الحكم في هذه المسألة كذا فحقق الزمان والمكان والحال من جميع وجوهه فسترى تلك الواقعة بعينها عند ذلك المجتهد بعينه قد رجع من ذلك الحكم إلى حكم آخر فانظر إلى الرقيقة فتجدها تهب على حسب الزمان أو الحال أو المكان ولهذا اختلفت معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وخرق العوائد عند أربابها بالمكان والحال والزمان.

ثم انظروا وفقكم الله إلى تلك الحقيقة التي على صورة جبريل التي بيدها ذلك اللوح هي الملقية لجبريل ما يلقى على الرسل صلوات الله عليهم وجبريل هو على الحقيقة على صورتها، وإنما عكسنا الأمر لمعرفتكم بجبريل دون معرفتكم بها، ولهذا

ينقل عن بعض العارفين أنه يقول: يتنزل جبريل على قلوب الأولياء للاشتراك في الصورة والإحساس بالتنزل ولكن ما أنصف ولا وفّى صاحب هذا القول الحقائق حقها بل ما يقولها من له مثل هذا المقام ثم ارتفع بالنظر في هذه الحضرة عن النظر لهذه الرقائق وانظر مراتب القوم فيها فستجد مرتبة الرسل من كونهم عارفين فأولياء لا من كونهم رسلاً فوق المراتب البشرية كلها ثم ترى مدرجتهم من ذلك المقام إلى ذلك اللوح إلى القبول إلى النزول بالحكم فتخلع عليهم خلع الرسالة عند هذا اللوح فينزلون بها فهم من كونهم أولياء عارفين أرفع من كونهم رسلاً فإن الولاية والمعرفة تحصرهم في بساط المشاهدة في الحضرة المقدسة والرسالة تنزلهم إلى العالم الأضيق ومشاهدة الأضداد ومكابدة الأسماء الإلٰهية القائمة بالفراعنة الجبابرة فلا شيء أشد عليهم من مقارعة الأسماء بالأسماء، ولهذا كان يقول ﷺ بعد استعاذته من الأفعال والأحوال: أعوذ بك منك[1] لشدة سلطان هذا المقام، وإذا شهدتم هذا يا إخواننا فانظروا إلى حظ الورثة من هذه الرسالة في قوله عليه السلام: العلماء ورثة الأنبياء[2] وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فلهم الحكم فيها وإذا سمعتم لفظة من عارف محقق مبهمة وهو أن يقول الولاية هي النبوة الكبرى والولي العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول فاعلم أنه لاعتبار الأشخاص من حيث ما هو إنسان فلا فضل ولا شرف في الجنس بالحكم الذاتي وإنما يقع التفاضل بالمراتب فالأنبياء صلوات الله عليهم ما فضلوا الخلق إلا بالمراتب، فالنبي ﷺ له مرتبة الولاية والمعرفة والرسالة ومرتبة الولاية والمعرفة دائمة الوجود ومرتبة الرسالة منقطعة فإنها تنقطع بالتبليغ والفضل للدائم الباقي والولي العارف مقيم عنده والرسول خارج وحالة الإقامة أعلى من حالة الخروج فهو ﷺ من كونه ولياً وعارفاً أعلى وأشرف من كونه رسولاً وهو الشخص بعينه واختلفت مراتبه، لأن الولي منا أرفع من الرسول نعوذ بالله من الخذلان، فعلى هذا الحد يقولها أصحاب الكشف والوجود إذ لا اعتبار عندنا إلا للمقامات ولا تتكلم إلا فيها لا في الأشخاص فإن الكلام في الأشخاص قد يكون بعض الأوقات غيبة والكلام على المقامات والأحوال من صفات الرجال ولنا في كل حظ شرب معلوم ورزق مقسوم فاجتهدوا وفقكم الله في نيل هذا المقام وقد نبهتكم عليه وأظهرت لكم سبيله ونصبت لكم أعلامه

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٥٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٢٢٣)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٣/ ١٦٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ٧١، ٣٣٨، ٤٥٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٨٦٧٩) والقرطبي في (التفسير ٤/ ٤١، ١٣/ ١٦٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٦)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٨/ ٣٣٧)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٢، ٨٣)، والسهمي في (تاريخ جرجان ٣٣٦)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٤)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٤)، وعلي القاري (الأسرار المرفوعة ٢٣٠، ٢٤٧)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠).

وأقمت لكم معاذير علماء الرسوم في أحكامهم ومن أين مأخذهم فلا تطعنوا عليهم ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً واشتغلوا بنفوسكم عما هم الخلق عليه حتى يأتي أمر الله تعالى فعند ذلك يقف العارف به عند حده والله المرشد لا رب غيره.

وانتهى بعض الغرض من هذا الكتاب في بيان هذا المقام وكنت ما رأيت أحداً من أصحابنا نبه عليه ولا ندب إليه بل منع ذلك أكثرهم لعدم الذوق فبقيت به وحيداً وبين أقراني فريداً لا أستطيع أفوه به من أجل منكريه إلى أن وفقت لأبي عبد الرحمٰن السلمي في بعض كتبه عليه نصاً وسماه مقام القربة فسررت بالمساعد الموافق والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب على قدر الوقت لا على قدر الوارد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، يتلوه كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام إن شاء الله تعالى.

كتاب الإعلام

بإشارات أهل الإلهام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

قال الشيخ الإمام المحقق المتبحر محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه، هذا كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام سألنا في تقييده بعض من يكرم علينا من الإخوان فامتثلنا مرسومة على وفق ما تمنى ولم أتعدّى فيه غرضه والله ولي التوفيق لا رب غيره قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩] وقال رسول الله ﷺ للسوداء: أين الله وكانت خرساء فأشارت إلى السماء فقال ﷺ لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة(١).

باب في الرؤية

قال الصديق رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، وقال الفاروق رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه، وروي عن عثمان رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله عنده، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً حين رأيت، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً، ومنهم من قال: من رآه لم ير شيئاً، ومنهم من قال: لا يرى إلا في شيء، ومنهم من قال: أغلقت عيني ثم فتحتها فما رأيت إلا الله ومنهم من قال: من رأى نفسه فقد رآه فإن الرؤية تتبع ومنْ عرف نفسه عرف ربه، ومنهم من قال: لا تثبت الرؤية إلا بنفيها فمن لم يره فقد رآه، ومنهم من قال منذ رأيته لم أر غيره، ومنهم من قال: لا يراه إلا من عرفه على ما عرفه.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (المساجد ٣٣)، والنسائي (وصايا)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٢٢٢، ٣٨٨، ٣٨٩، ٥/ ٤٤٧)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٣٨٨، ٣٨٩) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٩٢)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ١٩٣)، وابن عبد البر في (التمهيد ٧/ ١٣٤، ٩/ ١١، ١١٥، ٢٤٢، ٢٤٣)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١١/ ٢٠)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٩/ ٩٨، ٣٩٩)، ومسلم في الصحيح (إيمان ٨٤)، وابن أبي عاصم في (السنة ١/ ٢١٥)، والربيع بن حبيب في (المسند ٢/ ٦٣).

باب في السماع(١)

قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] قال بعضهم ومن سمعه سمع كل شيء؛ ومنهم من قال: لا يسمع كلامه إلا من كان له سمع بلا آلة، ومنهم من قال: من سمعه في شيء ولم يسمعه في شيء فما سمعه، ومنهم من قال: لا يسمع أحد ابتداء حتى يناديه من سره؛ ومنهم من قال: من سمعه لم يتميز عنده القرآن، ومنهم من قال: من ادعى أنه سمعه فاطلبوه بالفهم عنه فإنه لا يسمع إلا بالفهم، ومنهم من قال: إنه سمعه يقرأ الكتب المنزلة والصحف وكل كلام ظهر من العالم بلسان واحد، ومنهم من قال: كن أنت المخاطب إذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [المائدة: ١]، ومنهم من قال: منذ سمعته لم أجهل لغة ولا اعتاص عليّ معنى، ومنهم من قال: إذا صحت النيابة في الكلام صحت النيابة في السماع وقد صحت النيابة في الكلام فأجره حتى يسمع كلام الله فسمعت الآذان عبارات محمد ﷺ وسمع السمع كلام الحق جل وعلا، ومنهم من قال: العبارات والدلالات للتوصل والكلام وراء ذلك والسمع يتبع الكلام فالسمع وراء ذلك كله، ومنهم من قال: دليل من سمع حزنه على حكم ما سمع.

باب في الكلام

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] قال بعضهم لا تسمعه إلا منك، ومنهم من قال: لا يكلمك إلا منك، ومنهم من قال: من كلمه فيه فقد كلمه، ومنهم من قال: لو كلمه منه ما ناداه، ومنهم من قال: لا يكفيك إلا من بطنت حياته، ومنهم من قال: ما ثم متكلم إلا هو فمن سمعه عرف ما قلت، ومنهم من قال: من لم يسمعه لم يعرف كلامه، ومنهم من قال: إذا كلمك من ظهرت حياته وسمعته فأنت أقرب الأقربين وإذا لم تسمعه فيه فأنت أبعد الأبعدين وإذا كلمك من بطنت حياته وسمعته فأنت القريب وإذا لم تسمعه فأنت البعيد ومن قال: من كلمه من الجانب فهو ذاهب، ومنهم من قال: من لم يسمع بكلامه ولم يتكلم بسمعه فما كلمه الحق ولا سمعه، ومنهم من قال: من صار لساناً كله فذلك كلام الحق ومن صار سمعاً كله فذلك سمع الحق كله، ومنهم من قال: من فرق بين العبارة والكلام فما كلمه الحق، ومنهم من قال الكلام كلام فمن لا أثر عنده فما صح له كلام.

باب في التوحيد(٢)

قال بعضهم: لا لسان له إذ لا مخاطب، ومنهم من قال: لا لسان يتميز بل

(١) انظر حديث القشيري عن السماع في رسالته ص ٣٣٠ ـ ٣٥٠.
(٢) انظر حيث القشيري عن التوحيد في رسالته ص ٢٩٨ ـ ٣٠٣.

الألسنة كلها لسانه فخطابه يتردد إليه منه وهكذا نظره وسمعه وعلمه، ومنهم من قال: القدرة والإرادة تنافي التوحيد فإن التوحيد لا غير وهو غير مقدور ولا مراد فبطل توحيد الوجود لأن توحيد الفعل ثابت، ومنهم من قال: التوحيد إذا كان له مثبت فهو شرك وإذا لم يكن له مثبت فليس بمقام، ومنهم من قال: من وحده به فما وحده ومن وحده بنفسه فإنما وحده نفسه؛ ومنهم من قال: التوحيد أنا والمتكلم الحق؛ ومنهم من قال: التوحيد نفي التوحيد والتشريك فيبقى هو كما ينبغي له؛ ومنهم من قال: إن جعلت العالم واحد أصح لك التوحيد وإن جعلته متعدداً لم يصح التوحيد؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين الواحد وحكم الأحدية مع قضاء المثبت بإثبات الواحد نفسه بحكم أحدية نفسه؛ ومنهم من قال: التوحيد أن تغيب فيه أو يغيب فيك؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات الأحكام ونفي المعاني عن الذات؛ ومنهم من قال: التوحيد عين لا علم فمن رآه عرف التوحيد ومن علمه فلا توحيد له، ومنهم من قال: التوحيد إثبات واحد بلا أول؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات الواحد من غير مشاركة في وصف ولا نعت؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين بلا وصف ولا نعت؛ ومنهم من قال: التوحيد معرفة الأسماء؛ ومنهم من قال: التوحيد نفي الفعل؛ ومنهم من قال: لا يعرف التوحيد إلا من كان واحداً؛ ومنهم من قال: التوحيد لا تصح العبارة عنه لأنه لا يعين إلا للغير ومن أثبت غيراً فلا توحيد له؛ ومنهم من قال: التوحيد سريانه في نفسه بحكم ما هو عليه.

باب المعرفة(١)

قال بعضهم: المعرفة ربانية؛ ومنهم من قال: المعرفة إلاهية؛ ومنهم من قال: المعرفة قدسية؛ ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه وما هو عليه، ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه وتعجز عما هو عليه، ومنهم من قال: المعرفة أن تعجز عن معرفتك بك؛ ومنهم من قال: المعرفة رؤية المعروف من المعروف؛ ومنهم من قال: المعرفة جمعية بينك وبينه؛ ومنهم من قال: المعرفة علم الحد الذي بينك وبينه فتكون أنت أنت وهو هو؛ ومنهم من قال: المعرفة أن تلحظ ما سواه منه به ثم تفنيه فيه فيبقى هو وأنت مدرج؛ ومنهم من قال: المعرفة على الحكم؛ ومنهم من قال: المعرفة من روائح التوحيد يعرفها أصحاب الأنفاس، ومنهم من قال: المعرفة الاستشراف على الكل بعينه؛ ومنهم من قال: المعرفة لمن استوى على العرش؛ ومنهم من قال: من كان عرشاً له صحت له المعرفة وقيل: فيه عارف؛ ومنهم من قال: المعرفة خطاب مخصوص من الحق لعبده يسمى به عارفاً؛ ومنهم من قال: المعرفة ما

(١) انظر حديث القشيري عن المعرفة في رسالته ص ٣١١ ـ ٣١٧.

تواطأ عليه الحق والعبد واستعمل في العالم؛ ومنهم من قال: السؤال عن المعرفة جهل فإن المعرفة مثبوتة في العالم فما ثم إلا عارف على قدره، أين الله قالت في السماء، وكان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وكلاهما عارف؛ ومنهم من قال: المعرفة سر التكوين؛ ومنهم من قال: من أعطى كن فقد أعطى المعرفة، قلت لبعضهم: سمعت عن شيخ أنه قال: الزاهد من أعطى كن فزهد فيه فقال: كذا زعم والزعم باطل؛ ومنهم من قال: المعرفة شطح؛ ومنهم من قال: المعرفة إلحاق السوء بالحسن مع ثبوت الحكم.

باب الحب[١]

قال بعضهم: الحب لا يصح، ومنهم من قال: ما تم إلا حب، ومنهم من قال: الحب نعت لا صفة، ومنهم من قال: الحب سر إلٰهي يعطى في كل ذات على حسب ما يليق بها، ومنهم من قالّ: كيف تنكر الحب وما في الوجود إلا هو ولولا الحب ما ظهر فمن الحب ما ظهر وبالحب ظهر والحب سار فيه والحب ينقله، ومنهم من قال: لا يصح نكران الحب فبالحب حرك المحرك وبالحب تحرك المتحرك وسكن الساكن وبالحب تكلم المتكلم وصمت الصامت، ومنهم من قال: الحب سلطان يتبعه كل شيء.

باب في إشاراتهم في أنواع شتى

منها المتشابه، قال بعضهم من نظر نظر، وقال بعضهم: من صام صام، وقال بعضهم: من صلى صلى، وقال بعضهم: من قام قام، وقال بعضهم: من اعتبر عبر، وقال بعضهم: من زكى زكى، وقال بعضهم: من آمن آمن، وقال بعضهم: من أسلم أسلم؛ وقال بعضهم: من أحرم أحرم، ومن غير المزدوج والمزدوج، قال بعضهم: دعيت فلم أجب فسكرت، وقال بعضهم: رأيته فعميت، وقال بعضهم: كما كان ولم أكن فيكن الآن وليس هو، وقال بعضهم: الوجود في الآن، وقال بعضهم: من كنته فإنه يكونك، وقال بعضهم العرش ظل الله والإنسان العرش، وقال بعضهم: وقد قيل قد أذن بالصلاة فقال: إنما جعل النداء للغافلين، مذ دخلت إليه لم أخرج، وقال بعضهم: الصلاة مناجاة لا رؤية ولهذا شرعت بالحركات، وقال بعضهم: الجناية جناية، وقال بعضهم: من تكلم تكلم، وقال بعضهم: التقوى زاد والزاد للمسافر لا للمقيم، من لا سفر له لا زاد له، وقال بعضهم: الحج عرفة[٢]، والراحة المبيت في

---

(١) انظر حديث القشيري عن المحبة في رسالته ص ٢١٧ ـ ٣٢٩.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (المناسك ب ٦٩)، والترمذي في (السنن ٨٨٩)، والنسائي في (السنن ٥/ ٢٥٦، ٢٦٤)، وابن ماجة في (السنن ٣١٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٥/ ١٥٢، ١٧٣) والحاكم في =

المزدلفة[1] والحثي في منى[2]، وقال بعضهم: من أعطانا شيئاً فعليه الكون لنا لا له، هو له ما نحن له، وقال بعضهم: أشهدني فلم أره باسطني فلم أعرفه، قال بعضهم ليس لي أمر فأفوضه إليه، وقال آخر حين سمع قارئاً يقرأ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]: كيف يحشر إليه من هو جليسه، وقرأ بعضهم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وقرأ بعض الناس: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٩] وقرأ بعضهم: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال آخر: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ [طه: ١٢١] إذ كان عصى غيره ما كانت، وقال بعضهم:

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وقال بعضهم: ما لي إلى الله حجة والحمد لله، وقال بعضهم: إنما يتوكل عليه من يرى غيره، وقال بعضهم: عجبت لمن عرف الله كيف أطاعه، وقال بعضهم: لا تغتروا بدخول إبليس النار فإنه تعالى يقول: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ [ص: ٨٥]، وقال بعضهم: رجال الله كالسراب، وقال بعضهم: الشرع أمانة والحقيقة أمن، وقال بعضهم: لا يصام إلا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقال بعضهم: الرحمٰن على العرش وقف، والابتداء استوى له ما في السمٰوات، وقال بعضهم: ما أنا بليلة مباركة يفرق في كل أمر حكيم.

وقال بعضهم: رسل الله، وقال بعضهم: المطيع يسيىء الظن بربه، والعاصي يحسن الظن بربه، وقال بعضهم: الطاعة تجر إلى النور والمعصية تجر إلى النار والنور أشد إحراقاً، وقال بعضهم: الأخلاق ربانية والآداب شرعية، وقال بعضهم العلائق حقائق فمن غاب عنها سمى في قطعها، وقال بعضهم: على قدر ما يقطع العبد من العلائق يفوته من الحقائق، وقال بعضهم المحجوب من اتسعت معارفه والعالي من قلت معارفه، وقال بعضهم: هجران الخلائق من سوء الخلائق، وقال بعضهم: ليس فوق الصلاح مرتبة وهي مطلب رسل الله وهم أعلم بالخلائق بالله، وقال بعضهم: العلم للخلق والحقيقة للحق، وقال بعضهم: الأحكام لا تبطل الحكمة والحقيقة لا ترفع الاسم والرسم وقال بعضهم: الإمام لا يلتفت، وقال بعضهم: المريض أكله دواء، وقال

= (المستدرك ١/ ٢٦٤، ٢/ ٢٧٨)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٩٤)، والألباني في (إرواء الغليل ٤/ ٢٥٦)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ٢٨٩)، والزيلعي في (نصب الراية ٣/ ٩٢، ٩٣)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٢/ ٢٥٥)، وابن الجوزي في (زاد المسير ١/ ٢١٠) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٢٠٦١، ١٢٠٦٥)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٢/ ١١١، ٥/ ٢٤١) وابن خزيمة في (الصحيح ٢٨٢٢)، والعقيلي في (الضعفاء ٢/ ٣٢)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٤٠)، والدارقطني في (السنن ٢/ ٢٤١).

(١) مُزْدَلِفَةُ: موضع بين عرفات ومنىً. قيل: سميت بذلك لاقتراب الناس من منىً بعد الإفاضة من عرفات.

(٢) مِنَى ومِنىً: بلد قرب مكة، ينزله الحجّاج أيام التشريق، وفيه تُنحر الأضاحي (يُصرِف ولا يُصرَف).

بعضهم الحرج كلامه التجاء، وقال بعضهم: الصفا بلا كدر وهو الصفا، وقال بعضهم: ليس التكحل في العينين كالكحل، وقال بعضهم: الكحل يحتاج إلى العين لأنه يحب الثناء، وقال بعضهم: العيون تحتاج إلى الكحل لأنها تحب الزينة، وقال بعضهم: من لم تكن له جهة كان وجهاً كلياً وقال بعضهم: (العلم) العلم الإرادي وقال بعضهم: قلة الغذاء غذاء، وقال بعضهم من هرب من الخلق إلى الله ما عرف الله، وقال بعضهم: السكون من الله تهمة، وقال بعضهم: الحركة مع الله رحلة، وقال بعضهم: الرجل من يقابل الألوهية بالعبودية، وقرأ بعضهم: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في، وقال بعضهم: لا يكون رباً حقيقة من لم يكن عبداً، وقال بعضهم: تجريد التوحيد شرك لأنه ممن تجردت، وقال بعضهم: إخلاص المعاملة للواحد لا تصح، وقال بعضهم ترك الحلال محال لأنه لا بد منه، وقال بعضهم: ادعى الهوى الألوهية ومن غالبه فقد أثبت له ما ادعاه، وقال بعضهم: منازعة الطباع جهل الحكيم من استعمل طبعه، وقال بعضهم: من استعمل طبعه وصلى إلى الله مستريحاً، وقال بعضهم: بنى الشرع على ضد الطبع وأنا أسمع فقلت: بني الشرع على الطبع ولهذا قبله.

وقال بعضهم: من تباعد من الشهوات جهل سرها ومن تبعها يحتاج إلى ميزان، وقال بعضهم: الحلف قعوده رصد، وقال بعضهم: ليل الغريم فكره ونهاره ذله، وقال بعضهم: المظلوم حي قيوم، وقال بعضهم: المحزون در مكنون، سر مصون لا يعرفه إلا مثله، وقال بعضهم: الكلام هو، والمنزل عند؛ والجملة على، والطينة مع، والرؤية إلى، والفرح ب، والسماع من، والمعرفة ل، وقال بعضهم: الحرية عبودية كاملة، وقال بعضهم: العقل سراج إلى زيت الشجرة، المباركة، وقال بعضهم: من ارتحل لم ينتقل، وقال بعضهم: سقط القصر في الصلاة عن العارفين إذا سافروا؛ وقال بعضهم: سفر الأجسام بضع شطر الصلاة وسفر الأرواح يضع الصلاة لأن الخطاب سفلي، وقال بعضهم السرور في البلا بليس، وقال بعضهم: التلذذ بالكلام حجاب وليس بصاحب كلام، وقال بعضهم: من اشتغل بربه لم يعرفه، وقال بعضهم: الصمت ضالة، وقال بعضهم: النعمة حياة، وقال بعضهم: الإفلاس بضاعة الرجال، وقال بعضهم: الفتوة ترك الحول والقوة، وقال بعضهم: ولي الله لا، وقال بعضهم: الدواء داء، والنظرة إلى المحبوب دواء العيل وهي تسقم القلوب، وقال بعضهم: من سافر احتاج إلى الزاد، قلت له: ومن أقام احتاج إلى القوت فأين يهرب، وقال بعضهم: الإنسان ساعته وساعته نفسه، وقال: من فصل بين الأخلاق النسية والدنية اتسع بحره فغرق، وقال بعضهم: ما ثم إلا رفعة مطلقة ما ثم تواضع أصلاً لأن الكل إليه يصير ومن صار إليه فهو في رفعة، وقال بعضهم: ما في الوجود مقابل أصلاً، غني بلا فقر، من قتل نفسه لشيء فهو لما قتلها، وقال بعضهم: غرائب الأمر عند الغرباء، وقال بعضهم: التقلل من الدنيا علة

والتكثير منها علة، وقال بعضهم: الاعتماد على الله يقوي ألوهية الأسباب، وقال بعضهم: الرغبة في الطاعات حرص، وقال بعضهم: الصبر مقاومة وهو سوء أدب في حق الكامل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فتمييز اليد عند الأخذ شرك محض في الملك وقال بعضهم الذكر الخفي حين إلا في موطنه بأهله، وقال بعضهم: تحقيق الإخلاص تقوية إبليس، وقال بعضهم: الرجل من جعل نفسه سفينة نوح، وقال بعضهم: الرجل من كان الروح أباه، وقال بعضهم: الرجل ذو نفس واحدة، وقال بعضهم: الرجل من كانت له رجلان ولم يسع بهما، وقال بعضهم: ليس الرجل من يخترق الهوى وإنما الرجل من سكن وقرىء على بعضهم في حمام ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الأنعام: ١٣] فقال: وما له ما تحرك فقلت له: هذه إشارة لا حقيقة فإن الحركة للدعوى والسكون ما فيه دعوى وأعرف الموطن حقيقتها ما سكن أي ما ثبت فدخلت الحركة والسكون، وقال بعضهم: الرجل من لا ينتظر، وقال بعضهم: الرجل من لا يعرف ما سوى الله، وقال بعضهم: الرجل من نفذ في كل شيء، وقال بعضهم: الرجل من اعتدل فعامل الأوقات بحسب ما جاءت به وعامل الموطن بحسب ما يقتضيه، وقال بعضهم: الرجل من إذا نطق سمعه كل شيء ما سوى الثقلين، وقال بعضهم: الرجل من إذا سجد سجدة لله لم يرفع رأسه أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقال بعضهم: الرجل من أعطى النيابة، وقال بعضهم: الرجل من يعرف جميع الألسنة ولا يعرف له لسان فيقيد به، وقال بعضهم: الرجل من أعطى ما أعطيت الرسل وثبت على أتباعهم ولم يتزلزل، وقال بعضهم: الرجل معتكف في الحضرة يسره، وقال بعضهم: الرجل من لا يؤثر فيه فقدان العوائد، وقال بعضهم: الرجل من استحق أن يأخذ كل شيء ويضيف إلى نفسه كل شيء، وقال بعضهم: الرجل من قال: الله فاعدم كل شيء، فقال له: من كان حاضراً الرجل من قال: الله فأوجد كل شيء، وقال بعضهم: الفتى من تفتى على الحق، وقال بعضهم: الرجل من نزع القدر، فقلت له بعد الاطلاع، فسكت، وقال بعضهم: الرجل من عرف قيمة كل موجود عند الله فوفاه قسطه، وقال بعضهم: الرجل من لا يغتاب بحضور كل شيء، وقال بعضهم: المشيئة عرش أعلى لا عرض فوقه، وقال بعضهم: ما في الوجود مختار، وقال بعضهم: خلع النعلين حكم لا حقيقة، وقال بعضهم: إثبات العلل زلل، وقال بعضهم: القبضتان ميزان، وقال بعضهم: الإنسان هو المقصود من الوجود، وقال بعضهم: الإمداد واحد، وقال بعضهم: النفخة واحدة، وقال بعضهم: ما ثم محجوب، وقال بعضهم: لأهل النار حجاب، ولأهل الجنة حجاب، وقال بعضهم: كل مركب محجوب، وقال بعضهم: الراجل أشرف من الفارس لأن الفارس صاحب مركب وكل صاحب مركب محجوب لأنه محمول، وقال بعضهم: الفوت غنيمة، وقال بعضهم: الرجل سماء ظليلة؛ وأرض ذليلة، وقال بعضهم: الرجل شمس، وقال بعضهم: الرجل بدر، وقال

بعضهم: الرجل من ظهر عليه ما عبد له ولو كان جماداً، وقال بعضهم: الأرض مقام في البلاء، وقال بعضهم: الرجل عاطش أبداً، وقال بعضهم: الرجل من ينفق، وقال بعضهم: الرجل من ينفق عليه.

قال جامع هذه الإشارات ما قيدت منها إلا ما سمعته من قائله إلا ما ذكرت اسمه والحمد لله وجملتها مائتان وبضعة وستون كلمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم يتلوه كتاب الميم والواو والنون إن شاء الله تعالى.

كتاب الميم والواو والنون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله فاتح الغيوب وشارح الصدور، وعاطف الأعجاز بفنون الإعجاز على الصدور، وواهب العقول أنواع المعارف عند الورود ومحليه بها عند الصدور، مخصص أهل المعروف، بخصائص الأسماء وخواص الحروف، جاعل الحروف أمة من الأمم، مودعها ما تغطيه ذواتها من الحكم، عند تركيبها وانفرادها مع الهمم، كق و ش و غ، فهذه حروف مفردة وهي من جملة ما تفيد من الكلم، وضعها على ضروب شتى من الوضع بحكم ما تعطيه حقيقة الطبع مراتب في المعارج الروحانية، ومراتب في المخارج الظلمانية، ومراتب في المدارج الرقمية، وذلك بتقدير العزيز العليم.

ومن أسناها وجوداً وأعظمها شهوداً: «الميم والواو والنون» المعطوفة أعجازها على صدورها لوسائط حروف العلل المؤيدة بسلطان: «كن» ليكون ما لا بد أن يكون وهي الألف في قولك: «واو» اللازمة حضرة الجود المنزل بالقدر المعلوم، وإن كان كان غير مخزون والواو المضموم ما قبلها في قولك: «نون» وهي دليل العلل الروحانية لقوم ينظرون، والياء المكسور ما قبلها في قولك: «ميم» وهي دليل العلل الجسمانية لقوم يتفكرون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وسلم تسليماً كثيراً ما فصل القلم وأجمله النون.

أما بعد فهذا منزل شريف يعطيك من المعارف الإلٰهية الوجودية ما يناسب في المشاهد الميم والواو والنون الذي آخرها أولها فلا أول ولا آخر، فاعلموا وفقكم الله إن الحروف سر من أسرار الله تعالى والعلم بها من أشرف العلوم المخزونة عند الله، وهو من العلم المكنون المخصوص به أهل القلوب الطاهرة من الأنبياء والأولياء وهو الذي يقول فيه الحكيم الترمذي[1]: «علم الأولياء»، ولنا فيه موضوعات منها باب في الفتح

---

(١) الحكيم الترمذي (توفي نحو ٣٢٠ هـ = نحو ٩٣٢م). محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي. باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، من أهل «ترمذ» نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر وقيل: اتهم باتباع طريقة الصوفية في الإشارات ودعوى =

المكي وسيط.

ومنها باب بسيط في الفتح الفاسي، وسميناه المبادي والغايات بما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات.

ومنها كتاب بسيط أيضاً تكلمنا فيه على الحروف المجهولة التي في أوائل سور القرآن وهي بضع وسبعون حرفاً بالتكرار وأربعة عشر حرفاً من غير تكرار في تسعة وعشرين سورة لما فسرنا القرآن على هذه الطريقة الإلٰهية.

ومنها كتب وجيزة مثل هذا وغيره، ولتعلموا أن العلم بالحروف مقدم على العلم بالأسماء تقدم المفرد على المركب ولا يعرف ما ينتجه المركب إلا بعد معرفة نتيجة المفردات التي تركبت عنه.

ولأصحابنا في هذه المسألة خلاف في الظاهر وليس بخلاف أصلاً، إلاّ لأن الواحد شاهد مشاهد لم يشهدها الآخر وشاركه في مشاهده فهذا أعم وهذا أخص.

فلو وقف المخالف القائل بالنفي عندما شاهده ولم يتعد أنصف، وإنما جعله في ذلك ربط الحضرة الإلٰهية في الإيجاد بعالم التركيب مِنْ الحروف وهي كلمة«كن» فجاء بالحرفين لم يأت بحرف واحد وهذا هو والله أعلم الذي أوقعهم في ذلك.

وليعلموا أن الواحد المفرد له في ذاته خاصية وأن المفردات إذا تركبت أعطى التركيب خاصية لا توجد في كل مفرد بعينه وهي أيضاً خاصية لمفرد، وما شعر بها أصحابنا فإنها خاصية التركيب وهو معنى مفرد.

وكذلك جميع النتائج لا تكون إلا عن الفردية، ألا ترى إلى المقدمتين عند المنطق مركبة من ثلاثة يتكرر الواحد من المقدمتين فتظهر أربعة وهي ثلاثة، ولولا هذا الواحد الذي أعطى الفردية لهذين الاثنين ما صح نتاج أصلاً.

وكذلك الذكر والأنثى لا ينتجان أصلاً ما لم تقم بينهما حركة الجماع وهي الفردية.

ولهذا يقول أصحاب العدد: أول الأفراد ثلاثة فبالأحدية ظهرت الأشياء لأنها ظهرت عن الله تعالى الواحد من جميع الوجوه وعند ظهور الموحد صدر بثلاث اعتبارات وهي أصل النتاجات كلها، وهو كون الذات وكون القادر وكون التوجه، فبهذه

= الكشف. وقيل: فضّل الولاية على النبوة وردّ بعض العلماء هذه التهمة عنه. أما كتبه، فمنها «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» و«الفروق» و«غرست الموحدين» و«الرياضة وأدب النفس» و«غور الأمور» و«المناهي» و«شرح الصلاة» و«المسائل المكنونة» وكتاب «الأكياس والمفترين» وغير ذلك.

الأعلام ٦/ ٢٧٢، ولسان الميزان لابن حجر ٥/ ٣٠٨، ومفتاح السعادة ٢/ ١٧٠، وطبقات السبكي ٢/ ٢٠، وكشف الظنون ١/ ٩٣٨.

الثلاثة الوجوه ظهرت الأعيان، فتأمل هذه الإشارات تنفعك إن شاء الله تعالى، ولنرجع إلى ما كنا بسبيله.

فنقول: للحروف ثلاث مراتب من وجه ما، وهي الحروف الفكرية، والحروف اللفظية، والحروف الرقمية.

والحروف الرقمية في الوضع على رتبتين، وضع المفرد وهي حروف ـ ا ب ت ث ـ والوضع المزدوج وهي حروف «أبي جاد» فالوضع المفرد منه الحرف المركب وهي ـ لام ألف ـ فبقي ثمانية وعشرون حرفاً على عدد المنازل، وعندنا الألف ليست من الحروف.

وعند جابر بن حيان(١) أن الألف نصف حرف والهمزة النصف الآخر فالألف والهمزة حرف، وقد بينا هذا كثيراً في غير هذا الموضع.

وهذه الحروف لها وجوه كثيرة تكاد لا تحصى ولكل وجه خصوص أمر لا يكون إلا له بما هو ذلك الوجه.

ثم إن الحروف وإن كانت مفردة في الخط بالاصطلاح العربي وبعض ما وقفنا عليه من الأقلام فهي مركبة بعضها من بعض كالياء في بعض خاصيتها من كونها ياء خاصية الذال ولذلك كانت بنقطتين لكل ذال نقطة، وكذلك اللام مركبة من ألف ونون والنون مركبة من زاي وراء ففي اللام قوة الألف والنون زيادة على خاصيته وفي النون قوة الزاي والراء كذلك.

وهكذا أيضاً في المخارج فإن الهواء انبعاثه من الصدر إلى خارج الفم فيتقطع في المخارج فتبدو الحروف متميزة الذوات في حاسة السمع، فالأول حرف الصدر الآخر حرف الشفة فحرف الصدر لا يعطي سوى نفسه خاصة وهو أصل وما عداه إلى حرف الشفة الذي الواو آخرها في مقابله، ففي الواو وخواص الحروف كلها وقواها لأنه لا يظهر عينه عند انقطاع الهواء في مخرجه حتى يمشي ذلك الهواء على جميع المخارج كلها

---

(١) هو جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي (توفي ٢٠٠ هـ = ٨١٥م) أبو موسى: فيلسوف كيميائي كان يعرف بالصوفي. من أهل الكوفة، وأصله من خراسان. اتصل بالبرامكة، وانقطع إلى أحدهم جعفر بن يحيى. وتوفي بطوس. له تصانيف كثيرة وقيل: عددها ٢٣٢ كتاباً، وقيل: بلغت خمسمائة ضاع أكثرها، وتُرجم بعض ما بقي منها إلى اللاتينية. ومما بين أيدينا من كتبه ـ أو الكتب المنسوبة إليه «مجموع رسائل» نحو ألف صفحة، و«أسرار الكيمياء» و«علم الهيئة» و«أصول الكيمياء» و«المكتسب» مع شرح بالفارسية للجلدكي، وكتاب في «السموم» و«تصحيحات كتب أفلاطون» و«الخمائر» و«الرحمة» وكتاب «الخواص» الكبير المعروف بالمقالات الكبرى والرسائل السبعين و«الرياض» و«صندوق الحكمة» و«العهد» في الكيمياء. ولجابر شهرة كبيرة عند الإفرنج بما نقلوه، من كتبه في بدء يقظتهم العلمية.
الأعلام ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤، وفهرست ابن النديم ١/ ٣٥٤، وأخبار الحكماء ١١١، وهدية العارفين ١/ ٢٤٩.

فحصل فيه من قوة كل حرف، ثم تأخذ ما سكتنا عنه من الحروف على هذا النحو.

وكل حرف من الحروف الرقمية يصح أن يكون أولاً وآخراً ووسطاً وتتنوع خواصه بتنوع هذه المراتب.

وهذه طريقة الإمام جعفر الصادق(١) رضي الله عنه وغيره، كان يقول بصور الحيوانات والأشكال وتضع الحروف عليها ونحن لا نقول بصور الحيوانات ولكن نقول بالأشكال، وما أظن والله أعلم إلا أنه مكذوب عليه في ذلك من حيث أنه صورها أو أمر بها.

وأما إن كان نبه عليها فصورها التلميذ عن غير معرفة منه فهذا هو الذي يليق بمقامه ورتبته فإنه أجل من أن يجري عليه لسان ذنب فإني وإن كنت من بعض حسناته فإني لا أقول بهذا فأحرى مثل ذلك السيد المجتبى حساً وعلماً.

وكذلك أيضاً وإن كانت للحروف خواص فبعضها أكثر خاصية من بعض فليست تشبه الحروف الرقمية العربية التي لها الاتصال البعدي وليس لها الاتصال القبلي مثل الدال والذال والراء والزاي والواو والألف وغيرها من الحروف ممن لها الاتصالات ولا يشبه الحرف المشاكل الفلك كرأس الميم والواو والحرف المشبه لما ظهر به من الفلك كالنون الخاصية فلكل صنف من الحروف ومرتبة فضائل وأمور تختص بها والحرف يشبه الحرف من وجوه كثيرة فتارة يشبهه من جهة الصورة كالياء والباء إذا عريا عن دليلهما وهو النقط وتارة يشبهه من جهة إعداد بسائطه كالعين والغين والسين والشين وكالألف والزاي واللام وكالنون والصاد والضاد وما بقي من حروف يشبه بعضها بعضاً في هذه الحقيقة مثل هؤلاء فإذا أخذوا من هذه الحروف ينوب كل واحد عن صاحبه في العمل فينوب السين مناب الشين والعين مناب الغين وكذلك كل واحد منهم وإنما نبهنا عليه لأن قد يكون الحرف يعطي في العمل معنى وتفسيراً فتنظر إلى شبيهه في البسائط ممن يعطى ضده فتجعله بدله فينجح العمل كالهاء مثلاً والواو فإن بسائطهما واحدة بالعدد وأفلاكهما كذلك فيكون في الشكل حرف الواو وهو بارد والبرد يعطي البطء في الأشياء، وأنت تحب السرعة فيها فتأخذ الهاء بدله الذي هو حرف حار أو الطاء أو الميم أو الفاء أو الذال.

---

(١) جعفر الصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٥م).
جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق. له «رسائل» مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال: إن جابر بن حيان قام بجمعها. مولده ووفاته بالمدينة.
الأعلام ٢/ ١٢٦، ونزهة الجليس للموسوي ٢/ ٣٥، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٥، والجمع ٧٠، وصفة الصفوة ٢/ ٩٤، وحلية الأولياء ٣/ ١٩٢.

ومن مراتب أسرار الحروف أيضاً أن يكون آخر الحرف كأوله في بعض الألسنة كالميم والواو والنون في اللسان العربي وهو لساننا وهو من مراتب المخارج لا من مراتب القوم فكلامنا على أسراراه كطريقة ابن مسرة الجيلي[١] وغيره لا على خواصه فإن الكلام على خواص الأشياء يؤدي إلى تهمة صاحبه وإلى تكذيبه في أكثر الأوقات.

أما تهمته في دينه فهو أن يكون من أهل الكشف والوجود فيلحق بأهل السحر والزندقة وربما يكفر فهو يتكلم على الأسرار التي أودعها الله في موجوداته وجعلها أمناء عليها والناس ينسبونه إلى أن يقول بنسبة الأفعال إليها فيكفرونه بذلك فيأثمون عند الله حيث لم يوفوا من النظر في حقنا ما يجب عليهم ولا فحصوا عن ذلك فهذا وجه تكفيرهم.

وأما وجه تكذيبهم فإن المجربين لهذا الأشياء ينبغي أن يكونوا عارفين بصور التركيب وأوقاته،وأقلامه وغير ذلك فمتى نقصهم دقيقة من ذلك بطل العمل المقصود للعامل فيقول أنه أخطأ فإني جربت ما قال وما وجدت له أثراً، فالسكوت عن العلوم العملية بأهل طريقتنا أولى من كل وجه بل هو حرام عليهم بسطها بحيث يدركها الخاص والعام فيستعينون بها المفسدون على فسادهم. وغايته إن وضعنا نحن منها في كتبنا إيماء لأصحابنا حيث وثقنا أنه لا يعرف ما أشرنا إليه سواهم فلا يصل إليها من ليس منهم ولا أبالي من تكذيبه إياي إذا سلم لي ديني والحمد لله.

فأما الواو فهو حرف شريف له وجوه كثيرة ومآخذ عزيزة وهو أول عدد تام فإن له من العدد ستة فأجزاؤه مثله وهي النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد فإذا جمعت السدس إلى الثلث إلى النصف كان مثل الكل فيعطى الواو عند أصحاب الحروف ما تعطيه الستة من العدد عند العدديين كالفيثاغوريين ومن جرى على مذهبهم، وهو مولد أعني حرف الواو عن حرفين شريفين وهو الباء والجيم، والباء لها رتبة العقل الأولى لأنه الموجود الثاني أي في الرتبة الثالثة من الوجود وكذلك الباقي وجود الحروف الرقمية المزدوجة والمفردة.

والجيم أول مقامات الفردانية فإذا ضربت الباء في الجيم كان الخارج الواو فلها أيضاً من قوة أبويها ومزاجها بذلك القدر فكما يفعل الواو وفعل الستة كذلك لها قوة

(١) ابن مَسَرَّة (٢٦٩ ـ ٣١٩ هـ = ٨٨٣ ـ ٩٣١ م).
محمد بن عبد الله بن مسرة، أبو عبد الله. متصوف متفلسف أندلسي، من دعاة الإسماعيلية. من أهل قرطبة. قال الحميدي: «له طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية، وتأليف في المعاني، ونسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها». وقال ابن الفرضي: واتهم بالزندقة فخرج فاراً، وتردد بالمشرق مدة، ثم انصرف إلى الأندلس، وكان يحرّف التأويل في كثير من القرآن، وقد ورد عليه جماعة من أهل المشرق».
الأعلام ٦/٢٢٣، وجذوة المقتبس ٥٨، وتاريخ قضاة الأندلس ٧٨.

الاثنين والثلاثة ولها حفظ نفسها خاصة ولذلك وجد في الهوية والهوية حفظ الغيب فلا يظهر أبداً فهو قوي من هذا الوجه من جميع الحروف إلا الهاء فإن الهاء تحفظ نفسها وغيرها والواو يحفظ نفسه خاصة والهاء والواو عين الهو التي يقال لها الهوية والغير التي تحفظه الهاء هو كاف الكون وهو ظل كن لأن كن ذات ظلها الكون لأن نور الذات الإلٰهي لما ضرب في ذات كن امتد له ظل وهو عين الكون فبين الكون والحق تعالى حجاب كن وارتبطت الكاف بالنون لأن النون هي الخمسون التي عشرها الهاء كالخمس الصلوات الحافظة درجات الخمسين صلاة كما جاء في البخاري: «هي خمس وهي خمسون ما يبدل القول لدي»[١] فالخمسة عين الخمسين من هذا الوجه.

والكاف إنما تحفظه الهاء وقد زالت عنه في كن فاعتمد على النون حيث كانت هي الهاء فانحفظ وجوده بها وعن هذه المحافظة في كن انحفظ الكون من العدم فإن كن لا تخرج الأمر من الوجود إلى العدم فإنه نقيض ذاته فهو يوجد ولا يعدم أصلاً لحقيقة ذاته، وإنما الأشياء إذا انعدمت فبوجوه غير هذه نعرفها وقد ذكرناها في أماكنها.

ثم إن الواو لتحققها بالهاء وجدت على صورتها في نوع أشكال الهاء وصلت الهاء أو قطعت فإن كانت مقطوعة فشكلها هكذا ـ ه ـ فهي واو مقلوبة أو كذا ـ ه ـ فهي رأس الواو، وكيفما كانت فما زالت عن الواو وكيف تزول والنسبة تحوي على الخمسة احتواء طبيعياً لا يصح غيره.

وإن وصلت فالهاء شكلان والواو موجودة في الشكلين فشكل هكذا ـ هـ ـ فتراها فيها وشكل هكذا فتراها فيها مقلوبة وفي الأول مستقيمة.

وهذا كله دليل على قوة نسبة الروحاني إلى الجناب العالي والواو دليله عندنا، وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو القاسم بن قسي[٢] في كتاب «خلع النعلين»[٣] له فمن

---

(١) أخرجه أبو عوانة في (المسند ١/ ١٣٤).

(٢) ابن قَسِيّ (توفي ٥٤٦ هـ = ١١٥١ م).
أحمد بن الحسين، أبو القاسم ابن قسيّ. أول ثائر في الأندلس عند اختلال دولة الملثمين وهو رومي الأصل من بادية شلب، استعرب وتأدب وقال الشعر ثم عكف على الوعظ وكثر مريدوه فادعى «الهداية» وتسمى بالإمام، وطلب فاختبأ، وقُبض على طائفة من أصحابه فسيقوا إلى إشبيلية، فأشار من مختبأه على من بقي من أصحابه بمهاجمة قلعه ميرتلة (في غرب الأندلس) فاستولوا عليها وجاءهم ابن قسي. ثم ضعف أمره فخلعوه. وأعيد، فهاجر إلى الموحدين (سنة ٥٤٠ هـ) متبرئاً مما كان يدعيه، فوثقوا به وولوه «شلب» بلدته، فعاد إلى الخلاف، فقتله أهل شلب ويظهر أنه هو مصنف كتاب «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين» مختصر في التصوف، شرحه محي الدين ابن عربي.
(الأعلام ١/ ١١٦، والحلة السيراء ١٩٩ ـ ٢٠٢، والإعلام بمن حل مراكش ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(٣) كتاب «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين» للشيخ أبي القاسم... ابن قسي شيخ الصوفية هو «أبو القاسم أحمد بن قسي الأندلسي» وهو مختصر أوله الحمد لله الذي أوجد بالحرمين دائرة الوجود... =

وقف على أسرار الواو تنزل بها الروحانيات العلى تنزلاً شريفاً وهي الدليل أيضاً لنا على وجود الصورة فينا في قوله: إن الله خلق آدم على صورته[(١)].

وبينهما حجاب الأحدية الذي هو الألف فظهر عين الكون على صورة المكون وحال بينهما حجاب العزة الأحمى والأحدية العظمى فتميزت الذوات، فإذا نظرت الكون من حيث الصورة قلت: عدماً فإن الصورة هي الهو فإذا نظرته من حيث ذاته قلت وجوداً، ولا تعرف ذلك ما لم تعرف الفاصل بين الواوين وهو الألف فيعرفك إن هذا ليس هذا، وصورة نطق الواو هكذا ـ واو ـ فالواو الأولى واو الهوية والهاء مدرجة فيها اندراج الخمسة في الستة فأغنت عنها، والواو الأخرى واو الكون وظهرت الواو في الكون والمكون إن شئت واو الهوية ثم هي أيضاً في الواسطة التي بين الهوية والكون وهي كن غيباً غابت من أجل الأمر فإنها لو ظهرت عند الأمر لما ظهر الكون إذ لا طاقة له على مشاهدة الهو وكانت تزول حقيقة الهو فإن الهو يناقض الشهادة فهو الغيب المطلق.

ولما كانت هذه الواو لا تقبل الحركات أبداً ما دامت حرف علة لم تزل ساكنة وسكنت النون بحكم صيغة الأمر فغابت الواو لاجتماع الساكنين إذ لا يصح اجتماعهما فبقيت غيباً من أجل ظهور الكون في مقام السكون ولا واسطة بينهما لغيب النون عنها فغابت.

والميم في المكون زائدة ليست بأصلية والعارض لا ثبات له، وغيب الواو من كن عارض من أجل السكون فإذا زال السكون بالكثرة رجعت الواو فقال: كونوا فظهرت الصورة واحدة في الثلاثة بزوال العارض، فكان عين المكون عين كن عين الكون كون كون كون أو مكون إن شئت والميم زائدة كما كانت في المكون فتحقق هذه الإشارات إلى دقائق المعرفة بالله تعالى من حيث الأسرار الإلٰهية المدلول عليها بكل وجه، فانظر ما أعجب هذا السريان ولها وجوه جمة من هذه الباب.

فأما النون فإن الواو الذي له حجاب بينهما أعني فإنه ما ظهر منه في الرقم سوى نصف الدائرة مثل ما ظهر من الفلك، ومثل غيب، وكذلك الفلك نصف الكرة ظاهر أبداً ونصفه غائب عن الحس، وعلتنا في عدم إدراكه كوننا في الأرض فالأرض هي الحجاب عليه فما ندركه وكذلك نشأ في عالم الطبع وظلمته حجبنا عن إدراك عالم

= الخ وشرحه الشيخ محيي الدين محمد بن علي بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ ذكر فيه أن المصنف كان من أهل الأدب والفضل متضلع من اللغة فلا يقصد إلى كلمة إلا لحكمة يراها وشرحه أيضاً الشيخ عبدي شارح الفصوص. (كشف الظنون ١/ ٧٢٢).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (البر والصلة ١١٥، الجنة ٢٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٤٤، ٢٥١، ٣٢٣، ٤٣٤، ٤٦٣، ٥١٩)، والحميدي في (المسند ١١٢٠، ١١٢١)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٩٥)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٣)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٦٦)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ١٠٧٧)، وابن أبي عاصم في (السنة ١/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٩٠، ٢٩١).

الأرواح الذي هو النصف الآخر من كرة النشأة فلا نشاهد إلا آثاره.

فالنون الظاهرة في كن عنها ظهرت المحسوسات والنصف الآخر المغيب المقدر عليها هكذا  عنه ظهرت الروحانيات.

فالواحد الجسماني ظهر عن الفهوانية والروحاني ظاهر عن معنى الفهوانية، والواو روحانية الذات فتأخذ المواهب من النصف وتلقيه إلى النصف الآخر الجسماني، ولروحانيتها اتصلت النون الروحانية دون الجسمانية فأخذها منها أخذ اتصال وتعشق وإلقاؤها على النون الجسمانية إلقاء تبليغ، ولهذا هي قليلة اللبث عندنا، وصورة الاتصال هكذا «ن» وهذا هو المقام الجبرئيلي ويعطي المواهب مجملة من غير تفصيل فيفصلها الواو وهو القلم عالم التسطير عند الإلقاء وهذه النون الأخرى له كاللوح فالأمور مفصلة عندها بالقوة من حيث العلم ومن حيث ما هي نون، فهي لمن شاهدها صورة إجمال لا يعرف الناظر فيها ما وراءها وما يحمله حتى ينبعث الترجمان الذي هو اللسان وهو قلم الأقلام فسطر في لوح سمع المخاطب ما أجمله نونه فيعرف السامع بعض ما عنده وهو قدر ما سطر، فإن ارتقوا إلى إلقاء الهمم هناك تكون الأقلام والواوات الروحانية فتلقى على الأسماع من حيث وجه الرواحانية منها فتعقل التفصيل في المجمل ولا واسطة ظاهرة ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] ولها الخمسون من حيث ما هي محسوسة والخمسون من حيث ما هي معقولة.

والواو لها الستة من حيث ثم جهات وهي ذات النون الجسمية ذات المقدار والشكل، فالنون مائة لمائة اسم إلهية، لمائة درك ناري عقابي إن كان شقياً، ويكفي هذا القدر في النون فإن البسط فيها يؤدي إلى إبراز ما لا يسعني إبرازه فإن النون سر عظيم هو باب الجود والرحمة.

وأما الميم فإن لآدم ومحمد عليهما الصلاة والسلام والياء بينهما سبب الوصلة لهما فإنه حرف علة، فعمل محمد عليه السلام في آدم بالياء عملاً روحانياً من هذا العمل كانت روحانيته وروحانية كل مدبر في الكون من النفس الكلية إلى آخر موجود وهو الروح الإنساني «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1] وعمل آدم في محمد عليهما السلام بواسطة الياء عملاً جسمانياً، من هذا العمل كانت جسمانية كل إنسان في العالم وجسمانية محمد ﷺ، فآدم أبو محمد وأبونا وأبو عيسى في الجسمية ومحمد أبو آدم، وأبونا وجد عيسى في الروحانيات.

(١) أخرجه السيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١٢٦)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ١٩١)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٧١، ٢٧٢)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/ ٣٤١)، وأحاديث القصاص ٢٩)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٨٦).

فإن أبا عيسى روح القدس من مقام الجسدية وعالم التمثيل، وروح القدس ابن لمحمد ﷺ من حيث هو روح فهو جد لعيسى على هذا النظام العجيب وإن كان توجه على جسدية عيسى لما استوى في الرحم الأقدس مثل استواء كل نطفة فأعطاه بذلك التوجه الروحانية فهو أبوه مثلنا.

ولما كان الالتحام عن الصورة القدسية بالمحل الأشرف لهذا سميناه جداً حتى ننبه على نشأته الجسدية أنها لم تكن لآدم من جميع الجهات مثلنا، وإن لآدم من حيث مريم فيها حظ للروحانية من حيث جسديتها الممثلة فيها حظ، ولما كان مشتركاً وكانت الروحانية غالبة عليه كان يحيي الموتى ويبرىء الأكمه(١)، لأن العنصر الروحاني أكثر فيه من العنصر الجسماني، وكان معصوماً بالطبع لا يحتاج إلى دافع من خارج كما احتاج غيره.

ثم دل الوجود في الميم في بسم الله الرحمٰن الرحيم على ما ذكرناه، فإن ميم بسم لآدم لأنه صاحب الأسماء فيها المد الموجود فيه كان استمداد عالم الأجسام ﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] فإن حواء خلقت من آدم فلو خلقت من غيره لم يصدق من نفس واحدة من حيث الجسمية.

وميم الرحيم لمحمد ﷺ لأنه صاحب الرحمة ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] رحمة الإيمان ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] رحمة الإيجاد، فبهذا المد الموجود فيه كان استمداد عالم الأرواح فظهر مقامه في عالم الأجسام آخراً ومقام آدم أولاً، فقيل بسم الله الرحمٰن الرحيم بالجسمانية، الآخر بالروحانية، فأول من تشقق الأرض عنه غداً محمد عليه السلام فتبدو روحانيته من أرض جسمانية فيخلع عليه ويقرب.

ولهذا الميم أسرار لا من حيث هذا المقام كثيرة تركناها أيضاً مثل النون، وهذه الياء متصلة باليمين لأنها علة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] فاتصل الأمر بيننا وبينه من هذا الوجه فلهذا اتصلت الياء بالميمين بخلاف الروح.

ولهذا قال: ﴿بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وهذا كله يعطى الاتصال فلهذا اتصلت الياء هكذا «ميم» واتصلت الواو بالنون الأولى دون الثانية لما ذكرناه «نون» ولم يتصل الألف بالواوين لما ذكرناه هكذا «و» فتحقق هذا الحكم وانتهى الغرض.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمت الرسالة بعونه

---

(١) الأكمه: من وُلِد أعمى، أو من فقد بصره.

رسالة القسم الإلهي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العالم الصدر الكامل المحقق المتبحر محيي الدين شرف الإسلام لسان الحقائق علامة العالم، قدوة الأكابر محل الأوامر، أعجوبة الدهر، وفريدة العصر أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي ثم الأندلسي ختم الله له بالحسنى، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم كثيراً.

أما بعد فإن الله جل اسمه أقسم في كتابه العزيز على أمور في مواضع شتى بأنواع من المخلوقات من الحروف والرياح والملائكة والجبال والشجر والكواكب والساعات والليل والنهار واليوم والشمس والقمر والسماء والأرض والنفس والشفع والوتر والبلد والقرآن والقلم والبقاء والسفن والبهائم والكتاب والسقف والبحر والبيت ومواقع النجوم وما تدركه الأبصار وما لا تدركه الأبصار وفي هذه الآية أقسم بجميع الموجودات قديمها وحديثها وما أقسم بنفسه من كونه الرب إلا في خمسة مواضع في سورة النساء قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وفي سورة الحجر قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣] إلى آخر السورة وفي سورة مريم عليهم السلام قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨] وفي وسورة الذاريات ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣] يعني المذكور وهو الرزق والجنة وفي سورة المعارج قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤] وفي أحوال هذا المقسوم عليه بالاسم الرباني سرائر ولطائف وحقائق.

والغرض أن أذكر منها في هذه العجالة قدر ما يعطيه وارد الوقت فإن مواردها كثيرة متشعبة وسميت خمسة أبواب لكل باب قسم يخصه إن شاء الله تعالى.

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن أسماء الله الحسنى ليست بألفاظ مجردة عن المعاني لتعريف المسمى خاصة كزيد وعمرو وجعفر وخالد الموضوعة لتمييز الأشخاص ولكنها

جلت وعظمت دلائل في معاني في الألوهية تقتضيها تطلق من أجل تلك المعاني في علم الألفاظ لفظ ما يتوصل السامع المتعلم بذلك اللفظ والحروف إن كان مرقوماً إلى المعنى الذي ربط به ليس عندنا من أسمائه سبحانه إلا ما عرفناه به على لسان رسوله خاصة وفي كتبه، وعنده أسماء ما عرفنا بها، ألا ترى أن رسول الله عليه السلام كيف قال في دعائه: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك».

وما حصل عندنا من معاني الأسماء إلا ما دل عليه العقل والشرع والكشف لا غير ومع كثرة أسمائه التي عندنا فما أقسم منها إلا باسم الرب خاصة دون غيره من الأسماء وما أقسم به مطلقاً إلا قيده بالإضافة إلى محمد عليه السلام والسماء والأرض والمشارق والمغارب.

فصل

اعلم أن أسماء الله الحسنى وإن كثرت ما عرف منها وما لم يعرف على ثلاث مراتب منها ما يدل على الذات مثل الأول والآخر وما أشبه ذلك، ومنها ما يدل على الصفة كالعليم والخبير والشكور والقادر وما أشبه ذلك، ومنها ما يدل على الفعل كالخالق والرزاق وما أشبه ذلك، وثم أسماء بل أكثرها لها مرتبتان وثلاثة بحكم الاشتراك كالرب بمعنى الثابت للذات وبمعنى المصلح للفعل، وبمعنى المالك للصفة.

وقد أفردنا لمعرفة مراتب الأسماء باباً في كتاب الجداول والدوائر وذكرنا كيفية التخلق بها والتوصل إلى معانيها فلينظر هناك ومع كثرة الأسماء الحسنى فما أقسم سبحانه في القرآن باسم منها، سوى اسم الرب في هذه الخمسة المواضع التي نبهنا عليها، وذلك لأسرار عظيمة يحوي عليها مقام هذا الاسم ننبه على سر واحد منها أو سرين في هذه العجالة لأنها كتاب ساعة، ولهذا الاسم الرب في عينه أمر الله سبحانه وتعالى أن يقسم به نبيه ﷺ حين استنبأه قومه أحق هو فقال له سبحانه: قل يا محمد ﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣] وليس غرضنا في هذه العجالة قسم المخلوقين وإنما العرض قسم الله ولا كل أقسامه إلا ما أقسم عليه بنفسه وهو الذي ذكرناه، وغرضنا إن شاء الله أن نفرد كتاباً لطيفاً فيما أقسم الله به في كتابه العزيز مما ذكرناه لا مما حذفه مقل قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ [الفتح: ٢٧] والله يهب العلم كما وهب العقل.

فصل

واعلم أن هذا الاسم الرب له في اللسان على ما وصل إلينا خمسة أوجه يقال بمعنى الثابت يقال: رب بالمكان إذا ثبت فيه وأقام ويقال: بمعنى المصلح يقال: ربيت

الثوب إذا أصلحت ما فيه من خرق وغيره ويقال: بمعنى المربي من ربيت الصغير أربيته، ويقال: بمعنى السيد قال امرؤ القيس[(١)]:

فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم ولا آذنوا أجاراً فيظعن سالما

أي سيدهم وأميرهم ويقال بمعنى المالك يقال: رب الدار ورب الدابة وقال عليه السلام: أن تلد الأمة ربها[(٢)] أي مالكها في أشراط الساعة لما يكون من الهرج والمرج فيفرق بين المرأة وابنها كثرة الفتن وهو صغير فينشأ ويتملك أمه بما وقع من الفتن فيقع لهذا الابن ويشتريها فيصير مالكها وسيدها بحكم الشراء نعوذ بالله من الفتن.

وهذه المعاني كلها يوصف بها الله تعالى فإنه الثابت في وجوده وملكه وسلطانه وعزه وكبريائه وعظمته وهو مصلح العالم العلوي والسفلي والكون والمخلوقات والمبدعات وهو سبحانه أيضاً مربيهم ومغذيهم على حسب ما تعطيه حقائق المغذي والمربي والجوهر يتغذى بعرضه والجسم بأدواته وحفظها عليه وحفظ قواها والأرواح يربيها بالعلوم واللطائف والأسرار وهكذا جميع العالم من أوله إلى آخره.

وهو سبحانه أيضاً سيد العالم وجميع الموجودات بأسرها فإنه غني عنها وهي مفتقرة إليه فله العزة ولنا الذل وله الغنى ولنا الفقر وله أيضاً سبحانه الملك ونحن المملوكون فإنه خالقنا وموجدنا ولهذا يفعل بنا ما يشاء مما يوافق أغراضنا ومما لا يوافقها ولا يتصف في حكمه علينا بما لا يوافقه غرضنا ولا تعطيه عاداتنا بالجور والحيف والظلم والاعتداء فإن هذه الأوصاف إنما تتوجه على من يتصرف في غير ملكه.

وما من تصرف في ملكه ويفعل ما يشاء كيف يشاء وسواء عقلنا سبب ذلك الفعل

---

(١) امرُؤ القَيْس (نحو ١٣٠ ـ ٨٠ ق هـ = نحو ٤٩٧ ـ ٥٤٥ م).
امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار. أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: جُنْدج وقيل: مليكة. وقيل: عدي. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى «دمّون» بحضرموت: فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه فبلغ ذلك امرأ القيس، فنهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً مات في أنقرة. وقد جُمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير.
الأعلام ٢/ ١١ ـ ١٢.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الإيمان، ١)، والنسائي في السنن (الإيمان ب ٥)، وأبو داود في السنن (السنة ب ١٦)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٦٣ ـ ١٠/ ٢٠٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٥٢، ٢/ ٣٩٥)، والألباني في (إرواء الغليل ١/ ٣٣)، والبغوي في (شرح السنة ١/ ٩)، (بغوي ١/ ٢٨) وابن حجر في (فتح الباري ٥/ ١٧٩).

وعلته أو لم نعقل ولهذا قال جل ثناؤه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] لأنه ما تصرف في غير ملكه ولا ملكه والجور والحيف والظلم على من تعطيه البرهان أمور شرعية ليست إلا للشرع لا لنفسها.

فصل

ثم لتعلم أن الاسم الجامع لحقائق الأسماء والموجودات ورئيسها وسلطانها والمهيمن عليها إنما هو الاسم الله وهو دليل الذات والصفات والأسماء ويليه في المرتبة الاسم الرب فلما كانت مرتبة الربوبية على مرتبه الألوهية أقسم بالاسم الرب الذي لهذا المرتبة ولم يعد إلى غيره من الأسماء وكان القسم بهذا الاسم للألوهية على نفسها أمر لا يتصور غيره إذا عامل سبحانه الحقائق بما تقتضي مراتبها وحقائقها فإذا تجوز في هذا المقام الذي ينبغي للربوبية فللمقسم أن يقسم بما شاء الله أعني هذا الاسم كالنقطة من الدائرة وكالمحيط منها وأن الأسماء تليه على وجوهها كالخطوط من النقطة إلى المحيط وكل اسم يقول أنا ثاني مرتبة من الاسم الله لهذا المعنى ولهذا أنطقنا في عالم الكون إذا جاع الجائع يقول: يا رزاق وقد يترك هذا الاسم ويقول: يا الله فلهذا يقول الاسم الرزاق وأنا في المرتبة الثانية وإن قال: يا رب فليس معناه يا رازق وإنما معناه يا مربي أو يا مغذي أو يا مصلح فتفطن لما ذكرناه في مراتب هذه الأسماء ولا أحب الاستقصاء في ذلك لكوني أريد الإيجاز فإنه أنفع وأقرب وأيسر للوقوف عليه فإن الإطالة تورث السآمة والملل ولا سيما والهمم ناقصة ذاهبة في طلب الفوائد والأسرار غير منبعثة لها ولا متعطش إليها.

ثم أنه سبحانه ما أقسم بهذا الاسم مطلقاً وإنما أقسم به مضافاً إلى مخلوق فإن القصد في القسم بالشيء تنويه المقسوم به وتشريفه بشرف من يضاف إليه ذلك القسم، وإن كان هذا الاسم يعم مراتب الأسماء التي هي الذات والصفة والفعل فالاسم في هذا القسم الإلهي في هذه الخمسة مواضع إنما يرجع إلى مرتبة الصفة أو الفعل وأما إلى مرتبة الذات فلا إجلالاً للذات ولكونها لا يطاق حمل تجليها في حضرة القسم لأنها حضرة الخصومات والحركات ويستدعي الأغيار الحضور معهم فلا يتمكن أن يبدل هذا الاسم في القسم على الذات هكذا يعطي الحقائق فأشفق سبحانه على القلوب الطالبة نفحات جود الربوبية الذي قال عليه السلام آمراً لنا: تعرضوا لنفحات ربكم[(١)]، فلو أقسم به مطلقاً غير مقيد بإضافة إلى مخلوق ونظر إليه العارفون لتلاشوا وما بقي لهم رسم ولا يعقلوا الفائدة التي جاء لها القسم وإنما أشهدهم الحق لمعرفة ما أودع في هذا

(١) أخرجه الدولابي في (الكنى والأسماء ٢/ ١٢٠)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/٣١٨، ٤/ ٢٥) وابن كثير في (التفسير ٤/ ٢٣٥)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٤٣٥).

القسم من الأسرار فكأنه يقول في قوله سبحانه ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٧] أي فومصلحك ومربيك وسيدك ومالكك.

وكذلك فورب السماء والأرض ورب المشارق والمغارب وأما الرب الثابت فمختص بالذات لا تصح فيه الإضافة البتة فافهم ما أشرنا به إليك في تعظيم هذا الاسم ومرتبته والله يهب الفهم والعقل بمنه.

الباب الأول

في قسم الله جل ثناؤه بالربوبية على صورة تحصيل الإيمان أقسم سبحانه على نفسه باسمه الرب المضاف إلى نبيه محمد عليه السلام في سورة النساء من القرآن العزيز على أقصى غاية مراتب الإيمان فقال عز من قائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] لما لم يتوف الكلام على هذه الأقسام على أسباب نزول هذه الآيات المقسوم عليه لهذا لم نذكر سبب نزولها ولا فيمن نزلت وإنما نرتب الكلام على مرتبة الوصف المقسوم عليه خاصة إذ الأسباب والقضايا والقصص موجودة في التفاسير والمصنفات.

وهذا الفن الذي نحن بصدده عزيز وجوده ولا سيما في هذا الزمان فأقول: اعلم أن الإيمان لما كان من أعمال القلوب لأن معناه التصديق اشترط رفع الحرج من النفس عند وقوع الحكم عليها مما لا يوافق غرضها ولا ينبغي للمأمور المحكوم عليه أن يطلب علة معنى الحكم عليه وعلة الأمر لأنه إن لم يمتثل الأمر حتى يعرف علة الأمر كالواقفية فهو مع الذي وقف من أجله لا مع الذي أمره وحكم عليه وإذا وقف على علة الأمر فقد وقف مع نفسه فأين هو ذلك الموطن من مرتبة الإيمان وكمال الصديقية وأين منه تعظيمه لأمر الله وحكمه فيه بسرعة الامتثال مع طيب النفس وشرح الصدر وقبول الحكم والالتذاذ والهيبة، ألا تنظر إلى الصديقين كيف حكم عليه السلام بالإيمان في المجلس الذي وقع فيه حديث البقرة التي تكلمت في بني إسرائيل فقال الحاضرون البقرة تكلم فقال النبي عليه السلام: «آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر»[1] فقطع عليهما بالإيمان لتحققهما بمقامه وحلولهما في ذروة سنامه.

ومن شرط قوة الإيمان وتحصيله أن لا ننتظر حكم من آمنا به بل نحكمه علينا ابتداء منا تثبيتاً لإيماننا ونرضى بقضائه فينا ولا نبالي بما حكم علينا بما يهون علينا حمله أو ما لا يهون فإذا قضى به علينا مما تعظم مشقته ويصعب حمله طابت به نفوسنا وعظمت اللذة بذلك في قلوبنا وزال عن النفس ما كان شجر بينها وبين خصمها وانقادت

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٣/ ١٣٦)، والترمذي في (السنن ٣٦٧٧ ـ ٣٦٩٥)، والقرطبي في (التفسير ١٦/ ٦٦).

بحكم الله علينا سهلة ذلولة ومتى لم نجد ذلك في نفوسنا فليس عندنا رائحة من حقيقة الإيمان في جميع حكمه كله علينا كما اتفق لبعض المحققين وكان قد تحقق باحترام الشرع والانقياد إليه في كل حال متلذذاً بذلك مستبشراً به خفيفاً عليه ستين سنة فلما كان يوماً قالت له والدته اسقني شربة ماء فبادر إلى ذلك ووجد في نفسه ثقلاً لذلك الأمر فقال: يا ويلاه يا أسفاه مضى العمر باطلاً، أنا أدعي أن حكم الله عليّ خفيف للذتي به وبري بأمي من حكم الله، فلم ثقل علي هذا الأمر هذا أول دليل على أن كل ما التذذت به من حكم الشريعة كان للنفس فيه عرض ولو كنت مع الحاكم لا مع الحكم لم يثقل على أن أسوق الماء إلى الوالدة.

ثم ينبغي للمؤمن إذا التذ بحكم الشرع عليه أن لا يغلب سلطان الشهوة عليه حتى يتأخر عن إنفاذ الحكم فتكون تلك اللذة عند أهل الحقائق لذة مشومة لكونها أورثت التثبط[1] زماناً ولو كانت حركة واحدة بل ينقاد بظاهره على الفور انقياداً كلياً على الانقياد مع ما وقع به الحكم من الشرع ولهذا قال: تسليماً فأكده بالمصدر للتفرغ في الانقياد إليه وعلى قدر ما يتوقف أو يجده في نفسه حرجاً أو أمراً ينافي وجه اللذة والحب والعشق في ذلك الحكم ينتفي منك التصديق ضرورة ولو كنت ذا فطنة وحضور ما جعلت علم الشريعة والأخبار الواردة من الشارع من باب التقليد مع كون هذا الضعف من العلم من دائرة التقليد لأنه من باب السمع ولكن العاقل يحضر في نفسه مع الدليل والبرهان الذي قام له على صدق هذا الحاكم عليه ويجعله منسحباً على ما حكم به فكان حكمه عليه عنده مقبولاً فذلك الدليل العقلي والأدلة العقلية إذا حصلت مدلولاتها في النفس حتى التذت بحصول العلم وانشرحت وطابت لأنها مجبولة على اللذة بعثورها على العلم بالأشياء من كونها عالمة بذلك لا من كون ذلك المعلوم يصيرها عالمة مثلاً، والحكم الذي توجه عليها من جملة الأشياء فليزمها الفرح به إن كان مؤمناً لانسحاب ذلك البرهان الذي دلت به على صدق الحاكم عليه، هذا إذا كان الآمر هو الرسول عليه السلام أو ما صح عنه من النقل وله مندوحة[2] في غير الرسول عليه السلام من العلماء لاختلافهم وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨] فتأمل هذه الآية فإن لها وجهين كبيرين قريبين خلاف ما لها من الوجوه أي خففت عنكم في الحكم وما أنزلت عليكم ما يحرجكم.

وينظر إلى هذا قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧] وقوله عليه السلام: «بعثت بالحنيفية

(١) ثَبَطَهُ عن الأمر ثَبْطاً: عوّقه وشغله وبطّأ به عنه.
(٢) المَنْدُوحَةُ: السَّعة، والفسحة. يقال: (لا مندوحة لك عن ذلك)؛ أي: لا غنى لك عنه. و(ولك عن هذا الأمر مندوحة): أي سعة وفسحة.

السمحاء»[١]، وقوله عليه السلام: «الدين يسر»[٢]، والوجه الآخر رفع الحديث من النفس عند توجه الحكم بما لا يوافق الغرض وتمجه النفس فكأنه خاطب المؤمنين ومن وجد الحرج ليس بمؤمن وهذا صعب جداً فإذا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] فللإنسان إذا توجه عليه حكم بفتيا عالم من العلماء وتصعب عليه ذلك أن يبحث عند العلماء المجتهدين هل له في تلك النازلة حكم من الشرع أهون من ذلك فإن وجده عمل به وارتفع الحرج وإن وجد الإجماع في تلك النازلة على ذلك الحكم الذي صعب عليه قبله إن كان مؤمناً طيب النفس وعادت حزونته سهولة ودفعه له قبولاً لما حكم عليه به الله فيصح بذلك عنده إيمانه وهي علامة له على ثبوت الإيمان عنده.

ولما كان هذا المقام الشامخ عسيراً على النفوس نيله أقسم بنفسه جل وتعالى عليه، ولما لم يكن المحكوم عليهم يسمعون ذلك من الله وإنما حكم عليهم بذلك رسول الله الثابت صدقه النائب عن الله وخليفته في الأرض لذلك أضاف الاسم إليه عناية به وشرفاً له صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ [النساء: ٦٥] وجعله بحرف الخطاب إشارة إلى أنه حاضر معنا يقول الله ولم يجعله إضافة عينية فافهم.

الباب الثاني

في قسم الله جل ثناؤه بالربوبية على نفاد سؤال التقرير على المشركين يوم القيامة أقسم سبحانه على نفسه باسم الرب المضاف إلى نبيه محمد عليه السلام في سورة الحجر في القرآن العزيز فقال عز من قائل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣] ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٦] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩] أقسم سبحانه باسمه لنبيه وأضافه إليه إضافة الحضور والمشاهدة تفريجاً لغمه وطرداً لهمه وثلجاً لفؤاده وشرحاً لما ناله من الضيق والحرج مما سمع في سيده ومرسله وحبيبه من رد أمره وخطابه وتكذيبه وهذا هو المقام العالي الذي لا أعلى منه ولا أسنى ويقع فيه التفاضل بين الرسل وبين الأنبياء وبين الأولياء وهذه حضرة الغيرة الإلٰهية ويسمى هذا الحال العمل الإلٰهي وما سواه فهو

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٥/ ٢٦٦، ٦، ١١٦، ٢٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ١٦)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٣٦٨)، (بغوي ٣/ ٢٥٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٣٤٣)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١٢٤٦)، وابن حجر في (فتح الباري ٦/ ١٢٤)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٥٤٨٤) وابن عبد البر في (التمهيد ٥/ ١٢١).

العمل النفساني فليس في الأعمال عمل فوق هذا ولا في الأعمال عمل يجاريه ولا يضاهيه، روينا في الخبر المسند إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى يوم القيامة يا عبدي هل عملت لي عملاً قط فيقول: يا رب صليت، وصمت وتصدقت ويذكر أعماله فيقول: يا عبدي كل ذلك لك، هل عملت لي عملاً قط فيقول: يا رب وما هو هذا العمل الذي هو لك فيقول الله تعالى: يا عبدي هل واليت فيَّ ولياً، أو عاديت فِيَّ عدواً، هذا العمل هو لي».

وفي الأحاديث الصحيحة في الحب في الله والبغض في الله من التنويه بأهل هذا الوصف ما أغنى عن إيراده لتداوله بين الناس ولأجل هذا المقام فتن قوم موسى من بعده فناله وكانت كرامة الله له في حضرته التي ناجاه فيها إذ لكل قادم كرامة وذلك لأنه من باب القيام بحق الغير فيقع الفضل فيه على قدر مقام من يقام في حقه.

ولما خرج موسى عليه السلام في حق أهله نوجي فلهذا ضاقت صدور الأنبياء على أممهم وما كانت ترجع إلى نفس النبي ﷺ عفا عنه كما ندب إليه ودعا فيه بالهداية والرحمة تخلقاً إلٰهياً، ألا ترى رسول الله ﷺ لما جرح قال ﷺ: «اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون»[١].

وليعلم أن الواحد الذي غلب عليه حال التوحيد لا يتألم في هذا المقام، ولا يغار لأنه في حضرة الجمع لا يشاهد تفريقاً البتة وهذا المقام لا يتصور فيه ألم ولا إنكار ولو عاقب وأقام الحدود في الظاهر وأغلظ فالباطن رحمة مجردة وتسليم خالص لا يشوبه شيء ولكن ناقص المشاهدة عند صاحب المقام العالي فإن الفائدة إنما هي في الجمع والوجود وصاحب هذا الحال في الجمع لا في الوجود المطلوب بخلاف الكامل فإن له الوجود والجلال والهيبة لأن موطن الحكم عند المتحقق الكامل لا ينبغي أن يلحظ فيه الإرادة العاصية وإنما ينبغي أن يلحظ فيه الإرادة الآمرة ومرتبة الآمر من كونه آمراً لا من كونه مريداً، ويتعلق بهذا الباب مسألة كبيرة عظيمة الفائدة وهي كون الله لم يغفر للمشركين ولا لأهل التباعات بل ضمن التباعات وجعل مغفرتهم موقوفة على رضا المظلومين فيصلح بينهم يوم القيامة.

ثم أمرنا أن نغضب من أجله ولا نصبر إذا قدرنا، وأمرنا بالعفو والصفح فيما كان من أجلنا وهذا من أخلاق الله ونحن مطلوبون بالتخلق بأخلاق الله فكيف أخذ المشركون وهو باب يرجع إليه وفي حق نفسه فكيف انتصر لنفسه والقواعد الإلٰهية مبنية على غير هذا وقد جاء في الخبر أن الله تعالى يقول يوم القيامة لأهل الحشر: يا عبادي ما كان

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٢٥٨)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ٢٩٨، ٣/ ٩٤)، وصاحب (مناهل الصفا ١٦).

بيني وبينكم فقد غفرته لكم فانظروا فيما بينكم فإنه لا يجاوزني ظلم ظالم ويظهر في الشرك أنه فيما بينه وبينهم فلماذا أخذ به ولم يغفره، فاعلم وفقك الله أن الشرك بالله باب من التباعات وظلم الغير ولهذا أخذ الله به فإن التباعات على ضروب في الدماء والأموال والأعراض والشرك من باب تباعات الأعراض وهو من باب الفرية وإن يقال في الشيء ما ليس فيه وهو البهتان وليس في الشرك من الأمور التي بين الله وبين العبد وهو أكبر الكبائر، فإذا كان يوم القيامة وحشر الناس في صعيد واحد وضج المظلومون عند معاينة ما لا طاقة لهم بحمله من الأهوال ضجت الأصناف الذين اتخذوا آلهة من دون الله من حجر وشجر وحيوان وإنسان وكوكب وروحاني وقالوا: يا ربنا خذلنا حقنا ممن افترى علينا ونسب إلينا ما ليس فينا وقال: إنا آلهة فعبدونا ونحن لا نضر ولا ننفع وليس لنا من الأمر شيء فخذلنا حقنا وهنا يقع تفصيل.

فأما كل من عبد من دون الله من حجر وشجر وإنسان مشرك أشرك نفسه مع الله وحيوان وروحاني مشرك أيضاً فإنهم يدخلون مع الذين عبدوهم في نار جهنم ليكون أنكى لهم إذا عاينوهم ومن كان ارتضى منهم ما ينسب إليه كفرعون وغيره فهو مشارك لهم في عذابهم، ومثل الأحجار والأشجار فلم تدخل للعذاب ولكن دخلت لنكايتهم أن تكون معهم آلهتهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] ويقول المشركون هناك: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩] وقال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] وهم المشركون وهم الأصنام المعبودون من دون الله ونفي الأصناف الذين سبقت لهم منا الحسنى وكانوا في النار مبعدين، فاعلم أن الذين عبدوهم لما فقدوهم اتخذوا مثلة على صورتهم عبدوها كالصليب للنصارى والصور التي يصورونها المشركين فتلك الأمثال تدخل معهم النار التي صنعوها على صورة هذا المعصوم السعيد كائناً من كان وهذه ينكيهم جداً، ووجه آخر من نكاية الله لهم أن لأهل الجنة اطلاع على أهل النار يعاين هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء فيزيد نعيم هؤلاء ويزيد عذاب هؤلاء، يقول الله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات: ٥٥] قال: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٦ ـ ٥٧] وقد بانت مسألة الشرك واتضحت.

وأما الخلود فراجع إلى النيات كما الدرجات راجعة إلى الأعمال والاختصاصات كما الدخول راجع إلى الرحمة والعذاب في النار والجنة وكذلك الدركات في مقارنة الدرجات بالأعمال فافهم، وإن هذا الفصل تفصيلاً طويلاً تضيق هذه العجالة عنه فلنرجع إلى مسألتنا ونقول فلما كان عند النبي ﷺ سؤال الحق عباده عن أعمالهم بالتقرير والإنكار والتوبيخ والتقريع من المشقات الكبيرة والآلام العظام أقسم له سبحانه بنفسه

ليشتفي من أعدائه في ذلك الموطن. فقدم له أخبار هذا وأقسم عليه تأكيداً لينقص عنه من ذلك الضيق الذي يجده بعض شيء ولما علم أن نبيه ﷺ في المقام الذي أوصله إليه سبحانه بعنايته التي تقتضي له أن يعامل الوقت كما ينبغي بما ينبغي لما ينبغي بخلاف صاحب الحال فإنه يعامل وقته بما لا ينبغي كما لا ينبغي لما لا ينبغي لأنه أمر إلاهي خبر وإنما هو كذلك بالنظر إلى المقام المطلوب بالهمم أمره بالتسبيح الرباني ليشغله به عن ضيقه وألمه وحرجه، وزواله بالكلية محال من أجل الموطن.

ولهذا قال له في هذا الموطن في آية أخرى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] فجعل من باب الإشارات واللطائف قولهم: حكم الله عليه كما جعل قوله حكم الله علينا وفي هذه الآية تأنيس وبشارة لنا بأن أمر نبيه بالصبر في هذه الآية على الحكم الرباني عليه في ذلك فأخبر بوجود الضيق والمشقة لذلك الحكم فكذلك إذا جاء الحكم منه علينا بما لا يوافق غرض النفس فيأخذه المؤمن عن مشقة وجهد وعناء فإنه لا يسقط عن مرتبة الإيمان كما لم يسقط وكأن هذه الآية تنفس عن الشدة التي في الآية في الباب الأول قوله فلا وربك لا يؤمنون وإن كان الحكم النبوي من مقام النص الاعتصامي وهذا الحكم الذي على النبي عليه السلام من المقام الإلهي على الكشف ومن مقام التضمين فهو ممتزج بضروب توحيد عينه بكونه ولكن لا يضر هذا القدر في هذه المسألة فإنه يؤيدنا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقوله: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦] فقد وصف المقام بالمجاهدة والصبر وتلك المشقة عينها ثم أمره سبحانه بالاشتغال بالرب من مقام التذلل فالرب هنا بمعنى السيد وفي التسبيح بمعنى الثابت فأراد سبحانه بما أمره به من التسبيح الرباني والعبادة الربانية أن يفنيه عنهم إلى يوم يلقاه.

ولما كان القسم بالرب جعل الحكم بالتسبيح لهذا جعل الاسم والعبادة له حتى لا يكون لاسم آخر سلطان عليه في هذه النازلة على هذا المقام فقال له تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨] وقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ﴾ [الحجر: ٩٩] وكان الغرض أن أجعل في آخر كل باب من اللطائف الروحانية والإشارات الإلٰهية فصلاً كالروح يكون لحسم ذلك الباب لأن الأبواب من المعاملات والمعارف للمعاملات كالأرواح للأجسام فأخذت ذلك إلى منتهى الأبواب فأجعلها هناك بعد آخر كل باب فصولاً خمسة قصار فيما ذكرناه من حقيقة كل آية قسم رباني والله المؤيد.

الباب الثالث

في قسم الله جل ثناؤه على الحشر الروحاني والجسماني: أقسم سبحانه على نفسه باسمه الرب المضاف إلى نبيه محمد عليه السلام في سورة مريم عليها السلام من القرآن

العزيز فقال عز من قائل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٧٠] اعلم وفقك الله أن الإنسان لما قال منكراً ﴿أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ﴾ [مريم: ٦٦] أحاله الله تعالى على نشأته الأولى فقال: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧] وهذا فيه وجهان.

الوجه الواحد أن هذا الذي يقال له الإنسان لم يك قبل ذلك إنساناً فشيئاً هنا معناه إنساناً كما تقول في جسد الإنسان إذا مات إنه إنسان بحكم المجاز أي قد كان إنساناً فإنه لا يتغذى ولا يحس ولا ينطق ومتى بطلت الأوصاف الذاتية بطل الموصوف فقد كان الإنسان قبل أن ينطلق عليه اسم إنسان تراباً وماء وهواء وناراً وروحاً قدسياً إلٰهياً وقد كان دماً ثم انتقل نطفة وهي نشأة الأين، وقد كان ذلك الدم براً ولحماً وشحماً وفاكهة وغير ذلك من المطعومات وقد كان الإنسان أشياء لكن لم يكن إنساناً.

والوجه الآخر أن يكون قد أحاله على حقيقته الأولى التي هو فيها إنسان بالقوة وهو أول البدء وهو شيء من لا شيء ولا كان شيئاً وأحاله في هذه الآية على النظر الفكري الذي يستدل به على معرفة الفاعل، ثم إن النبي عليه السلام لما سمع من الإنسان هذا الإنكار وتكذيبه فيما قال الله من حشره الأجساد بعد موتها ولهذا ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى: يقول الله تعالى: شتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبة وولداً وأنا الواحد الأحد لم أتخذ صاحبة ولا ولداً، وأما تكذيبه إياي فبقوله إني لا أعيده كما بدأته وليس أول الخلق عليّ بأهون من إعادته[1]، فلما كان في إنكار الحشر والإعادة تكذيب الله جلّ علاؤه شق ذلك على رسول الله ﷺ فإن الصفوة الخالصة من عباد الله تعالى لما أطلعهم الله كشفاً وتحقيقاً بسرائرهم وحقائقهم على جلال الحضرة الإلٰهية وقدسها وكبريائها وعظمتها ملأت العظمة والجلال قلوبهم وأسرارهم ثم نظروا في عالم الكون والفساد فرأوا ما هم عليه من عدم احترام خالقهم وكلامهم فيه بما لا ينبغي ونسبتهم إليه بما لا يليق به، وشق عليهم سماع ذلك وودوا لو يملكوهم لينتقموا منهم على ما كان منهم.

ولما لم تكن الدنيا دار انتقام مطلق وتقلق الخالصون من عباده لإيقاع النقمة بهم أقسم الباري باسمه جل ثناؤه والمضاف إلى نبيه بحشر الجميع الصالح والطالح في مقابلة الإنكار الروحاني والترابي وجعل الطريق الذي هو الصراط على النار حتى لا يبقى أحد إلا ويرد عليها فمنهم السوي ومنهم المكبوب وما قدروا الله حق قدره فقال تعالى:

---

(١) أخرجه ابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٣٧)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ١٣٧).

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨] من أنكر الحشر والشياطين فهم الذين يوحون إليهم ليجادلوا أهل الحق وقد كشف ذلك الرسول وأهل الكشف ولهذا ذكروا له في المقسومين عليهم حتى يسكن ما يجده من الألم بالوعد الذي وعده الله للانتقام المطلق فافهم ما قررناه والله الهادي الموفق للإصابة.

الباب الرابع

في قسم الله جل ثناؤه بالربوبية على ضمان الرزق والجنة والضمير يعود على المذكور: أقسم سبحانه بنفسه من اسم الرب المضاف إلى السماء والأرض على نفسه أن الرزق قضاء وعد به أولياءه في السماء ومثله بالنطق منا الذي لا يرتاب فيه ليتميز المؤمن الكامل من غيره فقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] إعلم أن الإنسان موجود في برزخ كالخط بين الظل والشمس والبرزخ الذي بين البحرين فهم في العالم بين العلو وهم الروحانيات والعقول جميع العلويات وبين العالم السفلي وهي الحيوانات والنباتات والمعادن والأرض فأخبر الله أنه رب العالم العلوي والسفلي وهذا البرزخ الذي هو الإنسان مركب من العلوي والسفلي ليس شيئاً زائداً فهو أيضاً ربه سبحانه ومعنى ربه سيده ومالكه ومربيه ومصلحه ومثبته فأثبت افتقار العالم إليه في هذا القسم بهذا الاسم فالكل صنعه وخلقه وفعله.

ولما كان العالم العلوي لا مناسبة بينه وبين العالم السفلي إلا بالاستمداد والاستفادة وكان العالم العلوي يستحق اسم الرب لإفادته، والسفلي اسم الاستفادية وكان العالم العلوي متعدداً متباين الحقائق وكان العالم السفلي كذلك ولهذا قالت الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] والسر الذي أودعه في فلك ما غير الذي أودعه في غيره من الأفلاك وكذلك العالم السفلي مثله فما من حقيقة في العالم العلوي إلا وقد جعل الله في مقابلتها حقيقة في العالم السفلي وهذا الموجود الإنسان جامع لهذه المعاني كلها فلهذا صحت له الخلافة وحده دون غيره من العوالَم، فهو روح العالم ألا ترى الدنيا باقية ما دام هذا الشخص الإنساني فيها والكائنات تتكون والمسخرات تتسخر فإذا انتقل إلى الدار الأخرى مارت هذه السماء وسارت الجبال ودكت الأرض وانتثرت النجوم وكورت الشمس وذهبت الدنيا وقامت العمارة في الدار الآخرة بنقل الخليفة إليها ومن هنا تعرف مرتبة الإنسان على غيره من العوالم وأنه المعنى الكلي المقصود فلا بد أن يقسم له به ولغيره لأنه ليس مطلوباً.

ولما أقسم الله بهذا القسم ضجت الملائكة في السماء حيث أقسم لهم الله بنفسه لكونهم لم يثقوا بالضمان دون اليمين وغطى ذلك على الملائكة وما عذرونا وعذرناهم فلو عرفوا جمعيتنا وأنهم وغيرهم فينا لما ضجوا وعذرونا.

ولما كان الله عليماً بنا لهذا أقسم لنا فإن جمعيتنا تعطي ذلك وعذرناهم في ضجتها وإنكارها كما عذرناها حين تكلمت في أبينا آدم لأنه من تكلم في حقيقة ومن مرتبته أعذر من نفسه وما تعدى ما خلق عليه فلا بد من إيقاع هذا القسم لنا لما تقتضيه مرتبتنا من التهمة وعدم الثقة التي هي أوصاف أسافل نشأتنا وبضدها أوصاف عالية فمن يعرفنا يعرف لمن أقسم منا فيستريح ولا ينكر فإنه ما خرج عن حقيقته ولا ادعى في غير مرتبته فإن الأحوال غالبة على كل صنف من العوالم فأقسم لمن غلب حال ظلمته وأسفله.

والدليل على ما قلناه أنه مع هذا القسم لم تصح له الطمأنينة بل بقي من أجل صاحب عقد على ذلك لا صاحب حال فإن حاله يشهد عليه بذلك ولهذا تضطرب عند فقد الأسباب فصرف حقيقته بهذا الحال ولم يؤثر القسم في حاله وكذلك هو في الجنة سواء لأنه لو اضطر إليها ما اضطر إلى الرزق غدوة وعشية لظهر منه الاضطراب وعدم الإيمان كما ظهر في الرزق ولكنه لما يضطر إليه تخيل أنه كامل الإيمان بها واضطرابه في الرزق يشهد عليه بالتهمة مطلقاً ولهذا وقع القسم ووقع بالسماء والأرض الذي هو وجود العالم بأسره من طريق ذاته لا من طريق حاله ووصفه وسيأتي قسمه بحاله ووصفه في الباب الخامس حتى يكمل شرف العالم كله من كونه مضافاً إليه عموماً، وشرف محمد عليه السلام خصوصاً فقد جمع له بين الخصوص والعموم بخلاف غيره من جنسه فإنه في دائرة العموم ليس له من هذا الاختصاص شرب أعني القسم باسم المضاف إليه فإن القسم بغير الاسم في القرآن كثير والإضافة إلى الاسم من غير قسم كثير وهذا له مرتبة وهذا الآخر له مرتبة وللجميع بين القسم بالاسم مضافاً إليه مرتبة أخرى ثالثة ليست تانك فاعلم والله الموفق.

الباب الخامس

في قسم الله جل ثناؤه بالربوبية على قدرته ونفوذها في تبديل الخلق بخلق آخر خير منهم، أقسم سبحانه على نفسه بالاسم الرب المضاف إلى المشارق والمغارب فقال عز من قائل في سورة المعارج من القرآن العزيز: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المعارج: ٤٠ ـ ٤١].

اعلم أن الله سبحانه لما قسم بذات الموجودات أقسم أيضاً بحالها وهو الشروق والغروب وهي حالة لا تعرف إلا بوجود الكوكب والسماء والأرض فأقسم بالمشرق والمغرب لا بالشروق والغروب لأن القسم ينبغي أن يكون بالثابت لا بالزائل والمشرق ثابت والشروق زائل فأقسم بالذات من كونها مشرقاً ومغرباً فربط الصفة بموصوفها وأقسم بالجمع لأنها مشارق ومغارب كثيرة وهي شهادته وغيبته وظاهره وباطنه وفي عالم الجسوم وفي عالم الأرواح وفي الدنيا وفي الآخرة وفي الجنة وفي النار وفي الحجب وفي التجليات وفي الجمع والفرق وفي المحو وفي الإثبات وفي الفناء والبقاء في السكر

والصحو وفي اليقظة والنوم وفي كل حال من أحوال الوجود مطلقاً فكما أقسم بذوات الوجود مطلقاً أقسم بها من حيث أحوالها مطلقاً فلم يترك شيئاً بعد هذا ينبغي أن يقسم به.

ثم اعلم أن القدرة الإلٰهية لا يعسر عليها إيجاد ممكن البتة ولكنها إذا لم توجد ممكناً من الممكنات فإن ذلك راجع إلى الإرادة لا إلى القدرة.

ثم لتعلم أن الموجود ذات قد كملت أجناسها وأركانها فكل ما يظهر فإنه منها وفيها فلم يبق التبديل سواء في الصور والأشكال فهو تبديل عرضي كما تبدل السماء والأرض وكما تبدلت النطفة علقة والعلقة مضغة وكما تبدلت لنا اللقمة دماً ثفلاً وهكذا بقي التبديل فإن كان التبديل من كون إلى كون كتبدل الماء هواء وشبه ذلك فهذا تبديل الأعيان، وإن كان التبديل من صفة إلى صفة كالأبيض يصير أحمر والأحمر يصير أخضر والبارد يصير حاراً فهذا هو تغيير الموصوفات بالصفات لأن الحمرة عادت خضرة كما استحال الماء هواء فهذا هو التغير وإن كان عندنا المائية والهوائية والنارية والأرضية صوراً في الجوهر يسمى بها هواء وماء وغير ذلك ولكنه إدراكه أغمض من إدراك تبدل الأحمر أصفر ولا الأبيض أسود فاعلم ذلك وهذا الخبر الذي وصف الله نفسه بتبديل الخلق في عمارة الموطن يحتمل أن يكون على الأمرين اللذين ذكرناهما إذ الذوات مشتركة في الجوهرية مماثلة واختلافها بالصور والأشكال والحدود الذاتية لها إنما هي ذاتية للصور والشكل لا للمشكل والصور ولكن لا يفعل هذا الشكل في العين إلا في المشكل فيظن الظان أنه يجد المشكل وهو على الحقيقة إنما يجد الشكل لكنه لا يقدر أن يتصوره في غير متشكل فقد بان لك التبديل في الخلق وأن القدرة لا تعجز عن ذلك فإن لم تفعل فإن الإرادة لم تعلق به ولا سبق في العلم تبدله ووقع الخطاب بما يقتضي حقيقة الممكن، تمت الأبواب وهذه فصولها تتلوها.

الفصل الأول

في روحانية الباب الأول، رب الإيمان في العيان عين التحكيم لأهل التفهيم، حرف الغاية لأهل البداية، شجر الخلاق يذهب حقيقة الائتلاف، التثنية لا تصح إلا في الروحانية مع الطينية، الوجود لأصحاب العقود، النفوس عالم متوسط بين المعقول والمحسوس، الحرج في أول درج في آخر درج، حرف التبعيض في التمريض، وحرف التبيين للتبعيض، الأسماء الناقصة للذوات الناكصة، القضا فيما قد مضى، حرف الخطاب للأحباب، حرف الظرف لأصحاب الحرف، حرف العطف لأصحاب القطف، تسليم الحال لأهل المحال، ضمير الجماعة لإضمارهم الساعة، التأكيد بالمصادر لالتحاق الوارد بالصادر، واو القسم تعظيم النسم[1]، حرف النفي خارج عن الرأي

(١) النَّسَمُ: نَفَس الروح. ونسم الريح: أولها قبل أن تشتد. و ـ: الخلق والناس (ج) أنسام.

حذف الحروف للعوامل تبيين في المسائل، ضمير الغائب للأجانب.

الفصل الثاني

في روحانية الباب الثاني، رب السؤال حقيقة في المنال، السؤال على النور الذي مال ضمير الغائبين في المحجوبين، التأكيد بالجمع من أجل الصدع، حرف يجاوز الأشياء لإثبات الأنباء، ما الكون لنقصان العين الكون الجامع للمعطي والمانع والضار والنافع الأعمال نتائج الأحوال الأمر بالإمضاء تنفيذ القضاء، حرف الإلصاق لوجود الاتساق المأمور مغرور الأعراض للأغراض والاعتراض الإشراك عقد الإشراك كناية الجمع عن الواحد تعظيم الشاهد، الكفاية عين الحماية، الاستهزاء البادي سم الأعادي، سريان المنافع في الأشياء سبب حمل الآلهة على السواء، الاستئناف المعرف بلاء مضعف، الضيق عن الغيرة باب الحيرة التسبيح بحمد الرب دليل على المقام الرب، الدليل توسل للتوصل، إتيان الموت حسرة الفوت.

الفصل الثالث

في روحانية الباب الثالث، الحشر للبشر، إنكار المعاد فساد الجهل بالبدء علامة الجهل بالخبء، الشياطين سلاطين الحصور إلا زاد بعض ابتلاء القعود على الركب علامة النوب التفريق لإظهار التحقيق الورود تناقص العقود، الجيم عين الجيم عطف المهلة عين العلة.

الفصل الرابع

في روحانية الباب الرابع، السماء دون الاستواء، الأرض طبقات الخفض، الحق مدرج في الحق، حرف التوكيد علامة التبديد، الرزق والجنة بابان للمنة فتحهما من غير منة، ومن شرط الواحد السنة، ومن شرط الآخر وجود العنة، الرزق سبب النطق.

الفصل الخامس

في روحانية الباب الخامس، في المشارق والمغارب تحصيل المذاهب، مشرق الأبصار طلوع الأنوار، ومغرب الأبصار وجود الأسرار، ومطالع العقول مشارق النقول، مغارب العقول السر المدلول، مشرق النفوس طلوع التجنيس، مغرب النفوس حضرة التقديس، مشرق الأرواح شروق الإيضاح، مغرب الأرواح أنفاس الرياح، مشرق الأسرار شروق الاستظهار مغرب الأسرار مشاهدة الظهار، التبديل دليل التحميل، النفوذ الاقتداري لا يسبق لارتباط الموجودات بالحق.

تم الكتاب بحمد الله ومنه

كتاب الياء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسر خيراً

الحمد لله حمد الضمائر، المخصوص بالسرائر المؤثر في الظواهر والصلاة على محمد الداعي من مقام البصائر وعلى آله الأوائل والأواخر.

أما بعد فهذا كتاب الياء وهو كتاب الهو كتبنا به إلى أهل الإشارات والحقائق الذين أبصروا الحق في العوائق والعلائق.

اعلموا وفقكم الله أن الهو كناية عن الأحدية ولهذا قيل في النسب الإلٰهي قل هو الله أحد، فهي الذات المطلقة التي لا تدركها الوجوه بأبصارها ولا العقول بأفكارها، ومدرك الإدراكات ذات التحول والصور، فما من مقام يكون فيه تجل من التجليات مثل تجلي الأنا والأني والأنت والك إلا والهو مبطون في ذلك التجلي فيقع الإخبار عما ظهر من هذه المقامات ويقع التنزيه على الذات المطلقة بالهو فالفهوانية لا تفارق الهو أبداً، وغير الفهوانية لا تعرف الهو، وإنما تعرف الأني والأنا والأنت والك، فالعلماء بالله ما زالوا مربوطين فقالوا لا أحصي ثناء عليك فانحجب الهو هنا بالك، أنت كما أثنيت على نفسك(1) وانحجب الهو هنا بالأنت والك.

وقال الآخر العجز عن درك الإدراك إدراك وهو أنه أدرك أنه لا يدرك فما أدرك ولو أدرك الهو لما كان الهو وإنما يدرك ما سوى الهو بالهو.

وقال الآخر (إذا نحن أثنينا عليك بصالح).

فشاهد الك ثم قال: فأنت الذي نثني ـ فشاهد الأنت وجعله عين الثناء ثم قال: وفوق الذي نثني ـ فأظهر الهو بقوله وفوق يعني وفوق الأنا والأنت وأخواتهما، ثم أثبت بالياء من نثني نفسه فبقي الهو من كل وجه غير معلوم ولا مدرك ولا مشهود ولا مشار إليه، فلا هو إلا هو وما سوى الهو فهو في الأنا والأنت وأخواتهما، فسبحان من شرف الفهوانية بالهو، وحملها من بين سائر الإدراكات لا إلٰه إلا هو، ولسريان في الهو في الموجودات إذ لا وجود لها إلا بالهو ولا بقاء لها بعد الوجود إلا بالهو، صار كل ما

---

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/٥٨)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/٧١).

بعد الهو في حكم البدل من الهو، في حكم عطف البيان أعني يعطف عليه لبيان المراتب التي للهو لا الهو، والهو باق على إجماله وعزته فقال في غير ما موضع ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢] فبدأ بالهو وختم بالهو واظهر بالهو مرتبة الألوهية.

وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ وقال: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الحشر: ٢٢] ﴿هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ﴾ [الحشر: ٢٤] فصارت الأسماء المذكورة بعد الهو تبين عن الهو ما يريد من الأحداث في العالم خاصة فالأسماء كلها ترجمانات عن الهو والهو مكتنف بحجاب العزة الأحمى في أحديته وهويته، فلهذا جعلنا ما بعد الهو عطف بيان للمرتبة أو بدلاً مستخلفاً في المرتبة أيضاً ولا يصح الهو لأحد إلا للذات المطلقة الموصوفة بالأحدية، ولهذا خصت بالأحدية خصوصية ذات، فإن كل ما سوى الله تعالى موجود مدرك لله ولبعضه أعني لبعض ما سوى الله فهو في الأنت لا في الهو.

ثم إنه ليس في الكنايات من يقرب من الهو إلا الياء ولا سيما إذا اقترن معها اللام من لي أو الإن من أني فللياء سلطان عظيم لا يقرب أحد إليه إلا حكم عليه، ولهذا إذا أراد الإن أن يبقى على مرتبة ولا يتأثر يأخذ نون الوقاية فيجعلها مجناً بينه وبين الياء فيقع الأثر على نون الوقاية ويسلم الإن في قوله: إنني فالنون الثانية نون الوقاية لا هي نون الحقيقة.

وكذلك الأفعال في ضربني ويكرمني فأكرمني لولا نون الوقاية لأثرت في الأفعال وهذا من قوة سلطانها وهو متوسطة بين الأنا والهو، والأنا أبعد من الهو منها فإن الأنا أبعد من الهو منها فإن الأنا ليس له أثر ولكن الأنا أقرب إلى الهو من الأنت والك، فالأنت في غاية البعد من الهو وبقي النحن والإن في تمييز مراتبهما مع الهو مع الأنا.

فأما الأنا والإن فهما أبعد من النحن مع الهو والنحن أقرب إلى الهو من الأنا والإن فإن النحن مجمل مثل الهو تفصله المراتب فهو أعني في المضمرات مثل الاسم الله في الظاهرات فكلما لا يتقيد بمرتبة مخصوصة كذلك هذا الآخر الذي هو النحن والأنا أقوى من الإن لتأثير الياء فيه.

ولهذا لما أراد شرف المقام لموسى بالاصطفائية فظهر الأنا والإن أدخل نون الوقاية حتى بقي الإن سالماً مثل الأنا لتعلق المقام لموسى فيعظم الحق عنده لما لم يحصل في أنيته تأثير منه فقال جل من قائل: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٣ ـ ١٤] فسلمت بالأنا الأول، والأنا الآخر أعني بغايتهما من الأثر حين وفيت بالنون.

كذلك من طلب الانتساب إليه به وقي منه به أعني طالب الانتساب فلم يتأثر واحتمى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فالنحن له القرب والهو له البعد، فإن النحن ناب عنه حبل الوريد والحبل الوصل والهو بخلاف ذلك فهذا مراتب الكنايات قد بانت، ولها البناء وهو الثبوت وعدم التغير فلهذا استحقتها الألوهية أكثر من الأسماء والرب الذي هو الثابت وصف هذه الكنايات.

وأما الظواهر يدخلها التغيير باختلاف المطالب والمراتب فلم تحم الأسماء نفسها كما حمت الكنايات فقالوا: قال الله وعبدت الله وبسم الله فوقع التغيير كما ترى واختص الهو بخصوصية عجيبة وهي ثبوته على باب واحد لا يتبدل فتقول: عبدته وأكرمه وشبه ذلك فلا يزول عن هذه المرتبة إذا تعلقت به الأكوان لبقائها فإذا لم تتعلق به فطلبها هو كان الهو في مقام الرفعة والعزة كالأنا والأنت مع شرف هويته التي الأنا والأنت وأخواتهما ليس عليه وأما كناية نا وني وناوك فهي أقرب إلى الهو من الأنا والأنت والإن بل لولا وجودهن في الأنا والأنت والإن ما صح لهم القرب من الهو وتفصيل هذا الباب يطول.

قال: وأما مراتب الخلق في هذه الكنايات فمختلفة باختلافها، وأشرفهم من كان هجيره الهو فإن بعض الناس ممن لم يعرف شرف الهو ولا الفرق بين ذات الصور والتحول والذات المطلقة جعل الأنا أشرف الكنايات من أجل الاتحاد وما عرف أن الاتحاد محال أصلاً وأن المعنى الحاصل عندك من الذي تريد الاتحاد به هو الذي يقول: أنا فليس باتحاد إذن فإنه الناطق منك لا أنت فإذا قلت: أنا فأنت لا هو فإنك لا تخلو أن تقول أنا بأنانيتك أو بأنانيته.

فإن قلتها بأنانيتك فأنت لا هو وإن قلت بأنانيته فما قلت فهو القائل أنا بأنانيته فلا اتحاد البتة لا من طريق المعنى ولا من طريق الصورة، فالقائل من العلماء أنا لا يخلو إما أن يعرف الهو أو لا يعرف فإن عرف الهو فقوله أنا على الصحو غير جائز وإن لم يعرف تعين عليه الطلب واستغفر من أنا استغفار المذنبين والهو أسلم بكل وجه وفي كل مقام للعالم المحجوب وأما الأنت فأصعب من الأنا وأكثف حجاباً وذلك لأن الأنت إنما يتجلى على صورة العلم.

ولهذا ينكر الأنت إذا لم يكن على صورة علم من تجلى إليه فهو مقام خطر فإن الأنا منه باقٍ لولاه ما ثبت الأنت والأنت ينفي عنه الهو ومن انتفى عنه الهو خيف عليه فإنه يحتاج صاحب الأنت أن يكون من التنزيه بحيث أن لا يمسك صورة ويكون قد ارتفع عن درجة الخيال ثم عاين مراتب الغيب الكوني كلها وإن الهو ليس كمثله شيء وحينئذٍ يسلم له تجلى الأنت فإن الحشوية والمجسمة وأهل التشبيه تجليهم إنما هو في الأنت ولكن ليس هو ذلك الأنت المطلوب للمحققين وهذا موضع المكر والاستدراج نسأل الله الإخلاص.

وأما كناية الواو من فعلوا فهي للنحن كالهو للذات سواء وأما كناية نا فإنه يقرب من الياء في التأثير إذا كان الأثر له في مثل قوله: أكرمناكم وشبهه فأثرت في الفعل وإزالته عما وجب له من الثبات، وأما إذا لم يكن له تأثير وكان غيره مؤثر فيه لم يقو قوته وصار مثل أنت في قوله: أكرمنا إذا أكرمه غيره لكن يقوى في الغيب من جهة الشبه بالهو وقد ثبت شرف الهو على جميع الضمائر لشرف الذات المطلقة فكذلك ما يقرب منه وما من شيء من هذه الكنايات إلا ولها وجوه في العلو ووجوه في النزول وأعلى شرفها إذا وقع الشبه بالهو.

واعلموا أن الهو تطلب الياء أكثر من سائر الكنايات فإن الهو أحد عشر وهو اسم الأحدية فالأحدية تطلب الأحد ويبقى وهو عشرة والهو لا يكون عشرة فلا بد من الياء ولهذا يقول عن نفسه أني ولا يقول: هو فيصير الإن ليحقق الياء فالياء فهوانية للأحدية والهو فهوانية لنا والإن موجود محقق مؤيد مطلوب ولغيره وهو الياء ثم قد يكون الهو فهوانياً للأحدية إذا تجلى الأنا على قدر علم المتجلى إليه كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] فالشهادة هنا لله وهو الجامع للأسماء كذلك الياء ذات الأحدية المطلقة ففي مثل هذا المقام يكون الهو فهوانياً له سبحانه، وأما الياء فهوانية له حقيقة.

تتميم وتكملة

الهاء والهو والهي، فأما الهو فقد بان بأنه من حيث هو الهو هو وأما من هو حيث الهو ها أو هي فلا، فأما إذا كان الهو هي فلا يكون إلا عند إيجاد الصورة المثلية فيكون الهو فعلاً والهي أهلاً والها أمراً جامعاً بين الهو والهي كالسبب الرابط بين المقدمتين التي تساق للانتاج فإنها مركبة من ثلاث فلا بد من سبب رابط فقد كان الهو ولا شيء معه والهو بما هو الهو لا يكون عنه وجود والهي بما هي الهي لا يكون عنها وجود والها بما هي الها لا يكون عنها وجود وسبق العلم في الياء من أني بالإيجاد لتظهر حقائق الأسماء فحرك الها والهو والهي فالتقى الهو مع الهي بالها فكان الوجود المحدث ولهذا كنى عن هذه الملاقاة بالحرفين وهما كن فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ ذلك الشيء فالسببية التي ظهرت في العين ليست هي السببية المتوجه عليها القول فالشيء هو الهي وأردناه هو الهو وأن نقول هو الها وهو كن السبب الرابط فالكاف من كن هو الهو والنون من كن هو الهي وكذا كانت دائرة والرابط المقدر بين الكاف والنون هو الها وهو القول المستفاض على السنة المنطقيين بأن أمر الله بين الكاف والنون فهذا مرتبة الها وقد نبهنا في أبيات على الهو والها والهي وقلنا. نظم:

انظر إذا ما قلت هو أو قلت ها وتفطن الخريت(١) بي وتنبها

(١) الخِرِّيتُ: الدليل الحاذق.

وأنا يولد منهما هي والذي تعطي أنا تجد الدنى تالها
ما ياء أني غير واو والهو ولا هو ذاته عند اللطائف والنهى
إن النهى معقولة بنفوسها وكذا النفوس بهو وهي عقلت وها
فإذا دعاها السر في غسق الدجى ليحلها بالعين من عقد الها
قالت أنا محبوسة بدعائكم ما بين مبدأ جودكم والمنتهى

وقد استوفينا الكلام في هذا الفصل في كتاب الألف والقاف وهو كتاب الياء وكان ممن تحقق في هذا المقام سيدنا محمد ﷺ لتمكنه فيه وكذلك الأكابر من سادات هذا الطريق وأكثر أهل الطريق عمي عليهم هذا المقام وتخيلوا أنه من مراتب النفس وهيهات وسر الوجود مرتبط فكيف يكون حجاباً عنه وإنما العوائد تحجب وكذلك مشاركة الأنقص في الصورة وكذلك ما أنكره إلا من وقف مع الصورة والشهوة البهيمية ولو وقف مع حكمه الإيجاد وسرعة زوال تلك اللذة كمشاهدة الذات ومنزلها من الأنوار كالبرق وعرف قدر ما هام فيه وما طلب وعالم الصور كامل في نفسه والعالم لا ينظر في الأشياء بغرضه ولا بما استقر في عرف الوجود فحسب وإنما ينظر في الأشياء بما هي الحقائق عليه وهو عزيز جداً ولقد تمنيت أن يحصل بيدي من يترك النظر في الأشياء بحكم الغرض والوضع وينظر فيها بما قلناه وما وجدناه حتى الآن وأنا لا أزال متعوباً بما يرد علي ولا أجد محلاً أضعه فيه فلا فهم ثاقب ولا تسليم كامل وهذه نفثة مصدور.

قال: ثم اعلموا أن هذه الذات المطلقة الحقيقة اختصت بالهو وهو حرف سام شريف وحركته سامية شريفة أسرت به الأحدية على مراتب الحروف كلها حتى انتهت إلى الواو الذي هو الآخر وكانت الها الأول في الحروف فقد أعطت الأول والآخر واندرج فيها جميع مراتب الحروف فما من قوة في حرف إلا والها قد أخذتها في هذه السرى وأعطتها منحة إلى الواو وبها انفتحت الواو من الهو والفتح عين الوجود وباب الرحمة ولهذا جاء ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢] فقرن الرحمة بالفتح.

فلعلك تقول: فكيف تعمل في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧] قلنا: ليس الأمر كما توهمته فإنه قد قرن الإبلاس الذي هو البعد عند الفتح فرحمة الفتح أعطتهم البعد بذلك القدر فهم في عذاب هو رحمة لمقارنة عذاب آخر وهذه عناية الفتح وإنما الشديد قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣] فاقترن بالها والهو والهي ثلاثة أحرف هي من أشرف الحروف وهو الواو والألف والياء وهي حروف العلة والتشبيه وحروف التأثير اختصت لها بالألف من أجل الأحدية الذي تطلب الألف ولهذا كان الهاء السبب الرابط بين الهو

والهي للنتاج وهو الفرد كما ذكرناه في كتاب الألف وهو كتاب الأحدية فلينظر هناك.

ولما كان الواو رفيعاً علياً لهذا جعلناه البعل وكان الهو بعلاً ولما كان الهي رفيعاً من حيث الأثر سفلياً من أجل الكسر أعطيناه الياء وجعلناه الأهل فصار الها بمنزلة الرسالة وصار الهو بمنزلة جبريل عليه السلام المرسول إليه، فظهرت الأحكام والشرائع والمقامات والأسرار من هذا الالتحام المبارك السعيد وكذلك الألف من أنا بين الهمزة والنون والياء من أني بين الهمزة والنون ونون الخيشوم من أنت بين التاء والهمزة فإنها ملحقة بهم إذا أنت مشيت بها على أسلوب الهو وجدت الأمر على السواء.

وشبه النون بالواو والياء أقوى من شبهها بالألف فإن الألف لها الثبات لا تتحرك أبداً والواو والياء إذا لم يكونا في مقام العلة تغيراً عن الثبات ولكن بالفتح خاصة فإن الكسر والرفع لا يحتملانه البتة فأشبههما النون من هذا الوجه ومن وجه آخر.

وذلك أن النون نصف قطر كرة الواو والياء ضعفي النون فالنون على النصف من الياء إذا خطت الياء كذا (ي) والواو يزيد على النون بثلاثة أرباع ثم أنها تشبهها في الفهوانية وهي من عالم الروائح والأنفاس فأشبهت الواو في العلو والرفعة فلهذا لحقت بالألف والواو والياء ولقوة الشبه كانت دليلاً على إعراب الأفعال مثل هؤلاء في الأسماء في مثل يفعلون وتفعلون ويفعلان وتفعلان وتفعلين فالنون هنا بمنزلة الياء في أبيك والواو في هذا أبوك والألف في قصدت أباك وأخوات الأسماء المضافة والجمع المذكر السالم وتثنية الأسماء ثم إنها تحذف لدخول العوامل كما تحذف الحركات لدخول العوامل فلهذا الشبه دخلت في أنت وقامت الأنت مقام الواو في الهو والألف في الها والياء في الهي فحقق نظرك في هذا الكتاب فإنه يلوح لك من ورائه أسرار رفيعة كثيرة سترها أهل طريقتنا غيرة منهم على الكشف وما لوحنا بهذا القدر منها إلا عن غلبة.

نبذ من مناجاة الهو

يا هو لما غيبتنا عناصرنا منا في غيب فطعمنا من حيث غيبنا فيما غاب عنا منك حين نوه بما غاب عنا منك الهو. فنادانا قف على ما غاب منك عنك، تعاين ما غاب منا فطلبنا التأييد فأيدت وطلبنا الإمداد فأمددت وطلبنا المعرفة بالدخول إلى ذلك فعرفت البحر ودوابه منا حيث رفعنا شراعنا واستوفينا فلا عنا نطلب فيما لا آخر له وأمد فيما لا أمد له فنودينا يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فنكصنا على أعقابنا للساحل الذي كان منه إقلاعنا فإذا به عاد بحراً فكان إدبارنا كإقبالنا نطلب ما لا إمداد له ولا أبد ولا أول ولا آخر فجزنا وطلبنا الإقالة فإذا بالهو ينادي: يا عبادي طلبتم مني مقاماً لا يراني فيه غيري كنت في العمى ولا شيء معي وأنا كما كنت لا شيء معي بوجودك وهذا البحر الذي أنت فيه فإن قطعت عماك وصلت إلى عماي وعماك لا تقطعه أبداً ولا تصل إلي

فأنت في عماك ليس معك شيء وهذا العمى هو الهو الذي لك فإن الصورة اقتضت لك ما أنت فيه فقلت: يا هو الهو ما أصنع في الهو قال: غرق نفسك فيه فرميت نفسي من الفلك عرياناً منسلخاً من ظلمة ذلك الفلك فغرقت فاسترحت فأنا فيه لا أبرح فما أنا في الوجود غيري واسترحت من هم الطلب فناداني الهو: يا من فيه كل شيء ما يصنع الشيء بالشيء وهو شيء، تنزل شريف.

للحق حق وللإنسان إنسان عند الوجود وللقرآن قرآن
وللعيان عيان في الشهود كما عند المناجاة للآذان آذان
فانظر إلينا بعين الجمع تحظ بنا في الفرق فالزمه فالفرقان فرقان

ومن مناجاة الأنا

ناديت: يا أنا فلم أسمع إجابة فخفت من الطرد فقلت: يا أنا لم لا تجيبيني كما فقال لي: يا متناقض الحكم لو دعوتني أجبتك وإنما دعوت أنايتك فأجب نفسك عنك فقلت: يا أنا إنما أنا من حيث إن أنا في أنا أنا، كما أن الواحد في الواحد هو الواحد قال: صدقت فأجب نفسك عني ولا تطلب مني الإجابة فقل: لأنايتك تجيبك وأنا ما أظهر لك أبداً في أنا فلا تدعني به فإن الدعاء به هوس إذ الدعاء يؤذن بالفرقان والكثرة والأنا يؤذن بجمع الجمع والأحدية فكيف تدعو بأنا لم أقل لك كن حكيماً ولا تكن كصاحب حال فإن الحكيم حاكم وصاحب الحال محكوم وتحت سلطان حاله فما لك لا تفهم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] .

ومن مناجاة الإن

يا إني قد تحققت بك مني فلا صبر لي عني لما أصبت مني في إني كأنك منك لم أطلبني مني بإني لئلا تغار فتزول عني إلي فإنه لا إن لي الأنا بك وإني بي ليس إني فإن الإن لك ولي بك لا بي فقال الإن: صدقت في بعض وأخطأت في بعض سلني أعلمك فقلت: يا إني علمني قال لك إن حقيقة ولي إن حقيقة غير إن إنك لا يثبت عند إني كما لا تعلم إني عند ظهور إنك فلا تجتمع في ظهور الإنيتين أبداً، فإذا كنت في إنك فإنا معك بحكم الإمداد وإذا كنت فيك بإني وأذهبت إنك ظهر عنك ما يظهر عني فيتخيل الناظر إن المظهر عن إنك وهو عني إني فقد علمتك فإذا أردت إني فلا تبق لإنيتك عيناً فيك فمقامي مع الكيان محال.

ومن مناجاة الأنت

يا أنت كانت الأنانية والأنية محققة، الواحدة بألفها والأخرى بتضاعفها فجاءت بأنيتك فأذهبت أنايتك وأنيتك فضعفت وظهر سلطان بأنيتك يا أنت هل يصح من جهة

الحقيقة لا من جهة الوضع أن تقول لي أنت؟ فقال: يا عجباً ألست إذا قلت لي أنت: أليس باطنها تقول فيك: أنا عنك فأنايتك الباطنة أنيتي لا بد أن أقول لها أنت من جهة الحقيقة كما إذا قلت لك: أنت أليست أنايتي باطنة في ظهور أنيتك ونانينتك مني تقول لي: أنت وما بقي الشأن إلا في فعلت وأما أنت فالوجود يقضي به فبأنيتك صحيحة كنانيتي لا بد منها وإنما الشأن فيما يضاف إليها فأما إضافة الأنا فالإن لها فصحيح هي وأما ما هذا هذين فاستخرجه فإني لا أعلمه لك فطربت فقال لي: ما أطربك فقلت: قد أعلمتني قال: كيف ـ وهو أعلم ـ قلت: في قولك: استخرجه قال: ألست تعرف أن لي مكراً، قلت: بلى قال: فإياك أن يكون ذلك من مكري فزال طربي فقلت: يا أنا وإن كان مكرك حقاً فالمجاز لا يدخل الحضرة قال: صدقت وهذا هو الشأن فابحث تجد قلت: إن كنت الواهب قال: لم أقل لا أعلمك قلت: يا أنت ما هذا ما قلت لك علمني وإنما قلت لك هب لي أو أعطني قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] قلت: يا أنت من كنت أنت فهوانيته من يقوم بحجته أنت علمتني الحقائق. قال: وأما الك فليس له مناجاة لكن يندرج في الأنت وإن لم يقاومه كما يندرج النحن وواو الجمع في الأنا والهو وإن كانت لكل واحد منها مراتب لكن الغرض من هذا الكتاب هذه الزبدة المختصرة التي ظهرت وقد نجز الغرض والحمد لله.

تم الكتاب

كتاب الأزل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الله مفتح الأبواب

الحمد لله الدائم، الذي لم يزل عاطف الأبد المعقول على الأزل الذي أنطق ألسنة عباده بالأزلية فتنة فثبت بها من ثبت وزل بها من زل، وأظهرها بين سمواته أمراً يرقى ويتنزل، والصلاة على من آثر ربه على هوى نفسه فاعتزل، فأسرى به إليه وأنزله لديه خير منزل فخلع عليه خلع الاختصاص المخصوص بالنسيب والغزل وعهد إليه أن يكون بينه وبين ربه صورة الجمال سفيراً ثم نزل فكانت الصورة الدحيية التي كان جبريل فيها عليه ينزل والسلام عليه ما عدلت الكواكب السيارة عن النزول برامج ونزلت بأعزل.

أما بعد فإن الناس قد أجرى الله على ألسنتهم لفظة الأزل وينعتون بها الرب سبحانه فيقول الأزلي وكان هذا في الأزل وعلم هذا في أزله ومثل هذا التصريف وأكثر اللافظين بها لا يعرفون معناها ولو سئلوا وحقق معهم البحث فيها زالت من أيديهم، وطائفة من النظار توهموا فيها أعني لفظة الأزل إن نسبتها إلى الله نسبة الزمان إلينا فهو في الأزل كما نحن في الزمان فيقولون قد كان الله متكلماً في الأزل بكلامه الأزلي وإنه قال في الأزل: اخلع نعليك لموسى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين لمحمد عليهما السلام وما أشبه ذلك.

وطائفة أخرى تخيلت فيه أنه مثل الخلا امتداد معقول كما الخلا امتداد في غير جسم كذلك الأزل امتداد من غير توالي حركات زمان فكأنه تقدير زمان كما جعلوا أن السمٰوات والأرض وما بينهما خلقهما الله في ستة أيام مقدرة لا موجودة على تقدير لو كانت ثم أيام كان هذا المقدار.

وهذا كله خطأ فإن السمٰوات والأرض وما بينهما إنما خلقهم الله في هذه الستة الأيام الموجودة المعلومة عندنا وأنها كانت موجودة قبل خلق السماء والأرض فإن السمٰوات السبع والأرضين ليست الأيام لها وإنما الأيام لفلك النجوم الثوابت وقد كان قبل السمٰوات دائر فاليوم ودورته غير أن النهار والليل أمر آخر معلوم في اليوم لا نفس اليوم فحدث النهار والليل بحدوث السمٰوات والأرض لا الأيام والله ما قال إنه خلقها في ستة أنهار ولا في ست ليال وإنما ذكر الأيام.

وأما الذين توهموا أنه تقدير زمان والذين قالوا: امتداد إلى غير أول فيقال لهم: لا يخلو هذا الأزل الذي نسبتموه إلى الله أن يكون وجوداً أو عدماً فإن كان عدماً فقد أرحتمونا فإن العدم نفي محض ويلزمكم شناعة وهو أنكم نعتم الباري بالعدم والعدم لا ينعت به وهو محال على الله، وإن قالوا: إن الأزل وجود ليس بعدم يقال لهم: فلا يخلو إما أن يكون نفس الباري أو غيره فإن قالوا: هو نفس الباري فقد أخطأوا في الاسمية حيث لم يطلقها الباري على نفسه.

وإن قالوا: هي غيره فلا يخلو إما أن تكون قائمة بنفسها أو بغيرها فإن كانت قائمة بنفسها بطلت الوحدانية لله تعالى وإن كانت قائمة بغيرها فلا يخلو ذلك الغير إما أن يكون نفس الباري أم لا فإن كان نفس الباري فهي له كعلمه وقدرته صفات معنى وتتصف بالأزلية كما يتصف عندكم العلم القديم وسائر الصفات بها فيرجع الأزل منعوتاً بالأزل والكلام في الأزل المنعوت به الأزل كالكلام في الأزل الأول ويتسلسل.

وإن قالوا: إن الذي يقوم به الأزل غير نفس الباري فقد أثبتوا قديماً آخر وبطل دليل الوحدانية بما يقوم عليه من البرهان بعد السبر والتقسيم ومحال آخر وهو أن ذلك الموجود الذي قام به الأزل هو الموصوف بالأزلي لا الباري لأن المعاني إنما توجب أحكامها لمن قامت به فبطل وصفهم الباري بالأزل وثبت أن ما ثم أزل أصلاً، وبعد هذا فإني أرجع وأقول إن الأزل موضع مزلة قدم النظار وقد أغفلها أكثر الناس وكان الواجب أن لا يهملوا جناب الحق ولا يطلقون عليه من الألفاظ والنعوت إلا ما أطلقها على نفسه في كتابه أو على لسان نبيه فانظر يا أخي نور الله بصيرتك ما أعجب هذه اللفظة كيف صار معناها مطابقاً لما اشتقت منه فإن الأزل من أوصاف البهائم الذي يكون منهرقاً من خلف سائلاً بحيث لا يقبل الركوب كالزرافة وما قاربها لأنه مشتق من زل إذا زلق ومعناه لا يثبت فكذلك الأزل مشتق من هذا فإنه لا يثبت وتزل فيه أقدام الناظرين إلا من رحم ربك فكثرة ما تزل الأقدام فيه يسمى أزلاً.

وأما الذين يقولون: إنه تعالى تكلم في الأزل بكذا فإنه يلزم القائلين به شناعات ولا يحصل بها علم إلا بجهلهم.

وإنما ينبغي أن يقال في مثل هذا أن كلام الله صفة له قديمة لا تكيف فإن الكيفية في هذا الفن من العلم محال وإنما يقع العلم بهذا الفن بعد تعلق الإدراك إن كان من قبيل المرئيات فبالرؤية أو من قبيل المسموعات فبالسمع أو من قبيل المشمومات فبالشم وهكذا سائر الكيفيات فإذا ثبت أن الله موصوف بالكلام وإن الكلام غير محدث فلا يحتاج ذلك إلى أزل ولا إلى غير أزل فنقول: لما خلق الله موسى وكان من أمره ما كان وأبصر النار وقصده ناداه الحق في ذلك الوقت في حق موسى عليه السلام لأنه يتقيد بالزمان والباري غير متصف بالوقت والزمان وقال له بكلامه القديم: اخلع نعليك وغير

ذلك وسمع موسى عليه السلام الكلام المنعوت بنفي الأزلية من غير تكييف لنا ولا تحديد بل كما ينبغي أن يكون عليه القديم من الجلال فالمتكلم في الزمان والسامع في زمان.

وليس من يقول: إن الباري قارن كلامه حركة زمانية فإن موسى مقيد بالزمان بأولى ممن يقول بعكس هذا وأن موسى سمع في غير زمان لأن المتكلم ما تكلم في زمان ولحوق موسى بالتنزيه أولى من لحوق الباري بالتشبيه وقد قيل:

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه ... فكان بلا كون لأنك كنته

فقد لحق العبد هنا بالتنزيه لما تحقق سره بالحق وتعلق به بحكم التنزيه تنزه السر عن عالم الكون لأنه فانٍ عنه مشاهد لما ظهر إليه من باريه وقال الآخر:

تسترت عن دُهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت ... وأين مكاني ما درين مكاني

فهذا الآخر قد لحق بالتنزيه وتعالى عن الزمان وزاد على الأول بدرجة وهو أن الأول فانٍ وهذا قال: عيني ترى دهري وليس يراني فإن الحق يرانا ولا نراه فهذا قد تحقق بالحق.

ومما يؤيد هذا الباب رؤيتنا للباري سبحانه فإنا لا نشك أنا بعضنا من بعض من جهة وأن الباري سبحانه يرانا اليوم ونحن مقيدون بالجهات ولا ترجع إليه جهة من حيث إنه يرانا كذلك لو كشف غطاءنا عنا لأبصرناه في غير جهة على ما هو عليه من نعوت الجلال والكمال ونحن في وقت إدراكنا إياه من جهة من بعضنا في بعض لا منه وهكذا الزمان والمكان وكل ما يتعلق بهذا الباب وأنا منا لسنا من جهة والعالم كله ليس من جهة من نفسه فلا يحتاج بعد هذا التقرير أن نقول تكلم في الأزل فقال: اخلع نعليك على أنها ستكون فلما بلغ الوقت تكلم بأنها كائنة ولما كان اليوم قالها على أنها كانت وهذا كله على الحقيقة إنما هو العلم ليس الكلام وفي هذا من الشناعات وسوء العبارة ما لا يخفى على عاقل.

وأما المحققون فإن الأزل عندهم حكمه حكم القدم وهو نفي الأولية فهو نعت سلبي ليس بصفة أصلاً فالأمر فيه هين قريب ويتبين ما نذكره في إيجاد العالم عن عدم فإياك أن تتوهم كما توهمه الضعفاء من أن العالم كان يجوز أن يوجد قبل الوقت ويعني تقدير الوقت الذي أوجده فيه ويجوز أن يتأخر عنه فاختصاصه بذلك الوقت دون ما يجوز عليه يفتقر إلى مخصص فلا بقولهم قبل وبعد ولا زمان ولا تقدير زمان لأن التقدير في شيء فيه ما فيه وما ثم شيء إلا الله فمن كل وجه وحال يكون هذا خلفاً من الكلام.

والذي ينبغي أن يقال أن الباري موجود بنفسه غير مستفاد الوجود من أحد فإنه ليس إلا هو سبحانه والعالم موجود به مستفاد الوجود منه لأنه ممكن بذاته واجب الوجود بغيره من حيث إنه مستفيد والباري واجب الوجود لذاته غير مستفيد وبأن العالم عدم والعدم عين المعدوم لأن العدم أمر زائد على المعدوم ولا أن الوجود أمر زائد على الموجود بل العدم نفس المعدوم والوجود نفس الموجود وإن كان يعقل الوجود ولا يعقل ماهية الموجود فيتخيل أن الوجود ليس عين الموجود بل هو حال من أحوال الماهية ولا تعرف الماهية حتى تعرف من جميع وجوهها وتمتاز كما إذا قلت في الجوهر أنه شيء فلا نشك أن كونه شيء من ماهيته ولكن ما نعقل ماهية بقولنا شيء فقط حتى نقول إن كنا أشاعرة أنه شيء قائم بنفسه متحيز قابل للعرض فهكذا الوجود والعدم فليس بين وجود الحق والخلق امتداد كما يتوهم ولا أنه بقي كذا وكذا ثم أوجد فإن هذه كلها توهمات خيالية فاسدة تردها العقول السليمة من هذا التخبيط فلا بينية عند الحق ولا عند الخلق إن في الإيجاد إنما هو ارتباط محدث بقديم أو ممكن بواجب أو واجب وجود بغير واجب الوجود بذاته ليس إلا.

وربما تعترض علينا في هذا الأزل من حيث إنا من محققي الصوفية فنقول: قد قال بعض أئمتكم ممن تشهدون له بالسبق في طريق الحقائق حين ذكر في كتابه مراتب العباد والمريدين والعارفين والعلماء وقال في شأن الله: إنه سبحانه ليس بينه وبين عباده نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل فقد أثبت الأزل، قلنا تحقق أيها المعترض قول هذا المحقق أن الخطاب يكون من البليغ على حسب ما تووطي عليه في العالم حتى يفهم السامع من لغته واصطلاحه ما يريد فنفي الوقت وأثبت الأزل والأزل عبارة عن نفي الأولية والنفي عدم محض فما ثم شيء ولا ثم ثم فينتفي الأزل بما يعقل من معناه مثل القدم فالمعرفة بما يعرف الناس المحققون من معنى الأزل لهذا جاء به ولو عرف أنه يتوهم منه المحققون أنه امتداد في لا شيء أو زمان مقدر يعطي بينية بعيدة بين الخلق والحق فلما كان محصول الأزل النفي وهو عدم لذلك لم يبال به.

فصل

ثم نرجع ونقول بعد هذا التقرير: هل كان في الأزل مع الله أحد أم لا فقالت طائفة القدماء: أربعة، الباري والعقل والنفس والهيولى(١) وقالت طائفة القدماء: ثمانية، الذات والسبع الصفات، وقالت طائفة: ما ثم قديم إلا واحد وهو الحق تعالى وهو واحد من جميع الوجوه ولذاته حكم يسمى به قادراً وهكذا كل ما جعلوه هؤلائك صفة.

(١) الهَيُولَىٰ والهَيُولى: (عند القدماء): المادة التي خُلقت منها أجزاء العالم المادية، وهي مادة ليست لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكّل في شتى الصور. والنسبة إلى الهيولىٰ: هيولي وهيولاني.

وقالت طائفة بقول هذا وزادت معنى ذلك المعنى يسمى حقيقة الحقائق وهي لا موجودة ولا معدومة ولا محدثة ولا قديمة ولكنها في القديم قديمة وفي المحدث محدثة تعقل ولا توجد بذاتها كالعالمية والقائلية وما أشبه ذلك. فإذن فما ثم في الأزل الأوحد معنى أنه ما انتفت عنه الأولية إلا واحد إلا أنا فإنه لنا في الأزل حكم بوجه ما، فإنا قد علمنا أنا معلومون لله تعالى ولا عين موجودة لنا وإن الأشياء لها أربع مراتب في الوجود. وجود في العلم ووجود العين. ووجود في الكلام، ووجود في الرقم قلنا بهذا الحكم في الأزل مرتبتان في الوجود، المرتبة الواحدة مقطوع بها وهي مرتبة وجودنا في علمه والأخرى غير مقطوع بها على ما قدمنا وهو وجودنا في الأزل من كونه قائلاً أو متكلماً وهنا نظر وقد ذكرنا منه طرفاً فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستوفى في محققاً في كتاب الجداول والدوائر لنا فلينظر هناك فإن هذه العجالة تضيق عن بسط هذه المسألة والمقصود من هذا الكتاب إنما هو الأزل والأزلي لا غير فنحن أزليون بهذا الاعتبار لا أن أعياننا موجودة أزلاً. وإذ قد تقرر من لسان العلم في الأزل ما فيه غنية فلنرجع إلى لسان الأسرار فيه من باب التوسع فأقول: إن أفلاك الأزل سباعية التي للحق وذلك عند حلك تركيب هذه الحروف إلى بسائطها وهي ثلاثة أحرف لكل حرف حضرة والحضرات ثلاثة غير أن اللام عندنا مركبة من حرفين، فيكون على هذا أربعة مثل الله وتطابق الاسم والنعت بوجود الألفين واللام والأكثر مع الجلالة، وإنما قلنا في اللام أنه مركب من أجل رقمه فإنه من ألف ونون، فدائرة اللام مع عطف اللام عليها دائرة كاملة وهي دائرة الكون ولما لم يظهر من دائرة الكون إلا القطر لهذا يظهر الزاي بصورة النون ولم يظهر بصورة الميم والألف من حيث الرقم للذات الإلٰهية في كان الله ولا شيء معه والزاي بينها وبين اللام حجاب العزة بينه وبين خلقه. ولهذا أظهر الزاي في الشكل على صورة النون إلا أنه يقصر عنه والسبب الموجب لذلك أن النون وهو حرف اللام لا يبدو ولا تناظر منه للزاي إلا قدر شكل الزاي فلهذا لم يكمل الزاي كمال النون لأنه حجاب ولو كمل مثل النون لم يكن له ما يحجب فتبطل حقيقة الحجاب والحجاب لا بد منه فلا بد من شكل الزاي أن يكون على ما ظهر ولما وقع الحجاب ربما بطل الكون ولا بد من الحافظ فإنه لولا الحفظ ما بقي الكون وقد نبه الله تعالى أنه حافظ خلقه بنفسه فقال: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال: هو حفظهما فهو عين الحفظ فهو عين الحافظ فكانت الألف التي هي قائمة اللام وعلى رأس النون الذي هو جوف اللام ظل الألف الأولى من خلف حجاب العزة فالكون محفوظ بالظل ولما كان ظله ظهر على صورته فكأنه هو والظل كناية عن الرحمة تقول: أنا في ظل فلان.

وقال تعالى: المتحابون بجلالي اليوم أظلهم بظلي يوم القيامة[١] وأما الألف الأولى إذا كانت في اللفظ فهي ألف العظمة وتكون عند ذلك همزة ويكون حجاب العزة صادراً منها فإن الزاي في بسائط الهمزة فإذا كان ألف العظمة كأن قائمة اللام ليس بظل وذلك لأن الألف لا يكون ظلاً للهمزة لأنها على غير صورتها ومن شرط الظل الصورة ولهذا أقول في ظل العرش أنه ظل الرحمة وأن الرحمة اسم من أسماء العرش فتكون قائمة اللام إذا بهذا النظر حافظة من الأمر كما قال تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي من أجل أن أمرهم الله وقال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ١٣٥] .

ثم إن العالم ثلاث مراتب: علوي وسفلي ومتوسط بينهما وما ثم عالم رابع وأن المنازل التي تنزل فيها الأرواح المسخرة السيارة ثمانية وعشرون منزلة وهي النطح، والبطين، والثريا، والدبران[٢] وإيسان والحية والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والخرتان، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزبانا، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، والرشاء، وكل منزلتين وثلث منها تسمى برجاً فهي غير البروج، والأرواح السيارة التي قد جعل الله بيدها زمام تدبير العوالم سبعة وهي زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، والكاتب، والقمر.

وبترحيل هذه الكواكب في هذه المنازل ربط الله الانفعالات في هذه العوالم فكان جماع العالم ثمانية وثلاثين والأزل ثمانية وثلاثين فظهر العالم على صورة الأزل من طريق العدد والأزل من نعوت الله فهو على صورته والله خلق آدم على صورته والعالم على صورة آدم فارتبط الكل بالكل وظهرت الأربعة التي هي من أشرف المنازل وهو العالم والإنسان والأزل والله فتحقق ما ذكرناه فإنه من لباب المعرفة الإلهية.

ثم إنه في الأزل نكتة عجيبة وهو أن العالم لما ظهر بدعوى الظهور أراد الحق أن يطمسه بأزليته فلا يبقى للمحدث أثر فتجلى أزل ففي العالم بظهور الألف من أزل خاصة وبقي زل في حق العالم كأن سائلاً سأل: اين العالم؟ فقيل: له زل بظهور ألف الذات والألف هي المطلوبة من الأزل خاصة من أجل الأحدية.

تنبيه

اعلم أن سر الأزل وروحه والذي به وجود الأزل إنما هو أنا وهكذا إخوان الأزلية كالقديمية والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية وهذه كلها لولا أنا ما كان منها شيء فإن

(١) أخرجه مسلم (برّ ٣٨)، والترمذي (زهد ٥٣)، والدارمي (رقاق ٤٤)، والموطأ (شعر ١٣) وأحمد بن حنبل ٢/٢٣٧، ٣٢٨، ٣٣٨، ٣٧٠، ٥٣٣، ٥٣٥، ٣/٨٧، ٤/١٢٨، ٣٨٦.

(٢) الدَّبَرانُ: نجم يَدْبُرُ الثريا أي يتبعها، وهو من منازل القمر.

صحت هذه النعوت له أزلاً فإنا هناك أزلاً بلا أزلية وإن لم تصح هذه النعوت ولا عيني فلست هناك وهذا الفرقان بين أسرار النعوت وأسرار الصفات والأسماء فالأسماء إنما هي موضوعة لله لا له على الأشخاص من غير معنى يكون في الشخص منها مجردة عن هذا كله إلا عن العينية.

فإن عقل من الاسم معنى في المسمى يدل عليه الاسم فليس هو المقصود بالاسم لأن أصل الوضع في الأسماء إنما هو لتمييز عين المسمى من مسمى آخر خاصة واتفق أن هذا الاسم يدل على معنى في المسمى يستحق به هذا الاسم عير مقصود للواضع.

وقد تكون أسماء أجناس كالإنسان والملك والحيوان والفرس والمراد بهذا الجنس وكزيد وجعفر وهذه الشجرة فهذا من أسماء أعيان الشخصيات والأوصاف إنما هي لمعان تكون في الموصوف تسمى صفات كالعالم اسم من قامت به صفة العلم وهو وصف للعالم ليس باسم واسمه مثلاً علي أو زيد أو خالد فهذا هو اسمه الذي يدل على عينه خاصة فإن سمي بعالم ابتداء كما سمي بزيد وعلي فليس هو بمقصود للواضع إن سماه عالماً لقيام صفة العالم أو لتوهمه أنها تكون فيه أو لأنه حيوان ناطق فيعلم علماً ما فإنا نجوز أن نسمي عالماً الحجر والشجر لا بمعنى أنها تقبل صفة العلم ولا هي فيها فمتى ما توهمها واضع الاسم فليس بمسم على الحقيقة وإنما هو واصف وهكذا في كل اسم يعطي الاشتقاق ويدل على معنى يقوم بالمسمى فهو وصف في الحقيقة والمسمى واصفاً والمراد الصفة والعين من حيث تلك الصفة لا من حيث ذاتها فهذا هو الفرق بين الاسم والصفة وهكذا ينبغي أن تكون أسماء الباري الخاصة أن تدل على مجرد الذات كالله والهو إذ لم يتفق ويصح أن يكون غير مشتق من شيء وكذا هو عند المحققين ولهذا جعلوه الاسم الأعظم لأنه لا يتقيد بمعنى ما في الذات ولا يحكم ما من أحكام الذات وإنما دلالته على عين الذات بخلاف اسمه القادر فإنه يدل على معنى في الذات يسمى القدرة أو حكم من أحكام الذات في مذهب النفاة وهكذا الحي والمريد والسميع والبصير والكريم والرحيم ولهذا قال الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨] لإزالة اللبس عند السامع وإذا ذكر له وهو غائب وكذلك الكائنات لهذا السبب لما وقع الاشتراك في الأسماء زال المقصود من الاسم فزادوا النعوت والكنايات مثل هذا وغير ذلك والباري سبحانه لا يشترك في شيء مع خلقه ولا كان ثم آلهة ولا يصح فكانت أسماء حسنى من حيث إنها الأحكام عنده أو لمعانٍ فيها تسمى صفات ولا شك أن هذا الاسم أعلى من ذلك الاسم الذي يطلب العين عندنا خاصة ثم لا يخلو توهمك في أسمائه الحسنى هل تريد بكلامه أو كلامنا فإن أردت الأسماء التي سمى بها نفسه بكلامه فتلك لا يقابلها شيء ولا تتصف بشيء ولا يسمي نفسه بها بشيء زائد على الذات وإن أردت الأسماء الواردة في الكتب المنزلة التي أطلقها على نفسه في عالم العبارات

والألفاظ بوجودنا فلا بد من نعت الحسنى لها ولا تشك أن أسماءه له أزلاً من كونه متكلماً خاصة لأنها من أحكام الكلام، وباب الأسماء يطول الكلام فيه وقد أفردنا له كتاباً.

وأما النعوت والفرق بينها وبين الأسماء والأوصاف أنها ألفاظ لا تدل على معنى قائم بذات المنعوت ولا هي بأسماء فإنها تكون للمنعوت بها وهو مسمى باسم يعرف به وإنما النعوت ألفاظ تدل على الذات من حيث الإضافة وهكذا نسميها أسماء الإضافة كالأول فإن نفي الأولية عنه واجب لا بد من ذلك فإذا نعتناه بالأولية فلا بد من وجود أعياننا وكالقدم عند مقابلة حدوثنا فإن الباري وجود مطلق لا أول له ولا آخر هو الهو على الحقيقة.

وكذلك الأزل إنما نعت به من أجل الزمان في حقنا وتوهمنا الامتداد في كان الله ولا شيء معه بفقد أعياننا ليس غير ذلك وكذلك الظاهر والباطن في حق من ظهر له وبطن عنه والباطن أتم في النعت من الظاهر فإنه ظاهر لنفسه ولا يكون باطناً لنفسه فإنه محال فمثل هذه الأسماء تسمى عندنا وعند المحققين نعوتاً لا أسماء ولا أوصافاً لا فالأزلي نعت لا صفة كالقديم وشبهه من أسماء الأوصاف.

وقد يتوهم العاقل أنه لا بد من معنى يعني أنه لا بد أن يعقل من هذا النعت أمر يرجع إلى الماهية إن لم تكن تعطيه الماهية فلا يجوز هذا النعت ولهذا هو عندنا النعت أكمل من الصفة فإن الصفة لا تعطي ماهية الموصوف والنعت يبين عن الماهية وهو أيضاً أرفع من الاسم على ما قررنا من الأسماء.

وقد شمل لفظ الأسماء، الأسماء والنعوت والصفات فالأسماء أولاً لأنها للعين من غير أن تعطي من الماهية شيئاً ولا من معانيها القائمة والنعت يتلوه لأنه يدل على الماهية بوجه الوصف آخر أنه يدل على معنى في الذات عند مثبتي الصفات ويدل على حكم عند النفاة فقد مشى في الأزلية ما فيه غنية ومقنع لكل ذي قلب سليم.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

رسالة الأنوار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العالم الكامل المحقق المتبحر محيي الدين شرف الإسلام لسان الحقائق علامة العالم قدوة الأكابر ومحل الأوامر أعجوبة الدهر وفريدة العصر أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي ثم الأندلسي ختم الله له بالحسنى.

الحمد لواهب العقل ومبدعه، وناصب النقل ومشرعه، له المنة والطول وله القوة والحول لا إلٰه إلا هو رب العرش العظيم، وصلى الله على من أقام به أعلام الهدى، وأنزله بالنور الذي أضل به من شاء وهدى وسلم على آله الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أجبت سؤالك أيها الولي الكريم والصفي الحميم في كيفية السلوك إلى رب العزة تعالى والوصول إلى حضرته والرجوع به من عنده إلى خلقه من غير مفارقة فإنه ما ثم في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله فكل هو وبه ومنه وإليه ولو احتجب عن العالم طرفة عين لفني العالم دفعة واحدة فبقاؤه بحفظه ونظره إليه غير أنه من اشتد ظهوره في نوره بحيث أن تضعف الإدراكات عنه فيسمى ذلك الظهور حجاباً فأول ما أبينه لك وفقك الله كيفية السلوك إليه ثم كيفية الوصول والوقوف بين يديه والجلوس في بساط مشاهدته وما يقوله لك.

ثم كيفية الرجوع من عنده إلى حضرة أفعاله به وإليه والاستهلاك فيه وهو مقام دون الرجوع فاعلم أيها الأخ الكريم أن الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد.

ومع أن طريق الحق واحدة فإنه يختلف وجوهه باختلاف أحوال سالكيه من اعتدال المزاج وانحرافه وملازمة الباعث ومعيته وقوة روحانيته وضعفها واستقامة همتها وميلها وصحة توجهه وسقمه فمنهم من تجتمع له ومنهم من تكون له بعض هذه الأوصاف فقد يكون مطلب الروحانية شريفاً ولا يساعده المزاج وكذلك ما بقي فأول ما يتعين علينا أن نبين لك معرفة المواطن كم هي وما يقتضي ما أريد منها هنا والموطن عبارة عن محل أوقات الأوراد التي تكون فيه.

وينبغي لك أن تعرف ما يريده الحق منك في ذلك الموطن فتبادر إليه من غير تثبط ولا كلفة، والمواطن وإن كثرت فإنها ترجع إلى ستة.

الأول: موطن ألست بربكم وقد انفصلنا عنه.

والثاني: موطن الدنيا التي نحن فيها.

والثالث: موطن البرزخ الذي يصير إليه بعد الموت الأصغر والأكبر.

والرابع: موطن الحشر بأرض الساهرة والرد في الحافرة.

والخامس: موطن الجنة والنار.

والسادس: موطن الكثيب خارج الجنة.

وفي كل موطن من هذه المواطن مواضع هي مواطن في المواطن ليس في القوة البشرية الوفاء بها لكثرتها ولسنا نحتاج في هذا الموضوع منها إلا إلى موطن الدنيا الذي هو محل التكليف والابتلاء والأعمال فاعلم أن الناس مذ خلقهم الله تعالى والمكلفين وأخرجهم من العدم إلى الوجود لم يزالوا مسافرين وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة والنار وكل جنة ونار بحسب أهلها.

فالواجب على كل عاقل أن يعلم أن السفر مبني على المشقة وشظف العيش والمحن والبلايات وركوب الأخطار والأهوال العظام فمن المحال أن يصح فيه نعيم أو أمان أو لذة فإن المياه مختلفة الطعم والأهوية مختلفة التصريف وأهل كل منهلة يخالف طبع أهل المنهلة الأخرى فيحتاج المسافر لما يصلح بتلقي كل عالم في منزله فإنه عندهم صاحب ليلة أو ساعة وينصرف فأنى تعقل الراحة فيمن هذه حالته.

وما أوردنا هذا رداً على أهل النعيم في العاملين لها والمكبين على جمع حطامها فإن أهل هذا الفعل عندنا أقل وأحقر من أن نشتغل بهم أو نلتفت إليهم وإنما أوردنا لذة لمن استعجل لذة المشاهدة في غير مواطنها الثابت وحالة الفنا في غير منزلها والاستهلاك في الحق بطريق المحق عن العالمين فإن السادة منا أنفوا من ذلك لما فيه من تضييع الوقت ونقص المرتبة ومعاملة المواطن بما لا يليق فإن الدنيا سجنه وتعلق الهمة والذكر في استجلابه تجليه وهو سوء أدب في حقه وفاته أمر كبير منه فإن زمان الفناء في الحق زمان ترك مقام أعلى مما هو فيه لأن التجلي على قدر العلم وصورته فما حصل لك من العلم به منه في مجاهدتك وتهيئك في الزمان الأول مثلاً ثم أشهدت في الزمان الثاني فإنما تشهد منه صورة علمك المقررة في الزمان الأول فما زدت سوى انتقالك من علم إلى عين والصورة واحدة فقد حصلت ما كان ينبغي لك أن تؤخره لموطنه وهو الدار الآخرة التي لا عمل فيها وإن زمان مشاهدتك لو كانت فيه صاحب عمل ظاهر وتلقى علم بالله باطن كان أولى بك لأنك تزيد حسناً وجمالاً في روحانيتك الطالبة ربها وفي نفسانيتك الطالبة حصتها فإن اللطيفة الإنسانية تحشر على صورة علمها والأجسام تنشر على صور أعمالها من الحسن والقبيح وهكذا إلى آخر نفس فإذا انفصلت

من عالم التكليف وموطن المعارج والارتقاءات حينئذٍ تجني ثمرة غرسك.

فإذا فهمت هذا فاعلم وفقنا الله وإياك إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق والأخذ منه بترك الوسائط والأنس به أنه لا يصح لك ذلك وفي قلبك ربانية لغيره فإنك لمن حكم عليك سلطانه هذا لا شك فيه فلا بد لك من العزلة عن الناس وإيثار الخلوة عن الملأ فإنه على قدر بعدك من الخلق يكون قربك من الحق ظاهراً وباطناً.

فأول ما يجب عليك طلب العلم الذي به تقيم طهارتك وصلاتك وصيامك وتقواك وما يفرض عليك طلبه خاصة لا تزيد على ذلك وهو أول باب السلوك ثم العمل به ثم الورع ثم الزهد ثم التوكل وفي حال من أحوال التوكل يحصل لك أربع كرامات هي علامة وأدلة على حصولك في أول درجة التوكل وهي طي الأرض والمشي على الماء واختراق الهواء، والأكل من الكون وهو الحقيقة في هذا الباب ثم بعد ذلك تتولى المقامات والأحوال والكرامات والتنزلات إلى الموت فالله الله لا تدخل خلوتك حتى تعرف أين مقامك وقوتك من سلطان الوهم.

فإن كان وهمك حاكماً عليك فلا سبيل إلى الخلوة إلا على يدي شيخ مميز عارف وإن كان وهمك تحت سلطانك فخذ الخلوة ولا تبالي وعليك بالرياضة قبل الخلوة والرياضة عبارة عن تهذيب الأخلاق وترك الرعونة وتحمل الأذى فإن الإنسان إذا تقدم فتحه قبل رياضته فلن يجيء منه رجل أبداً إلا في حكم النادر فإذا اعتزلت عن الخلق فاحذرهم عن قصدهم إليك وإقبالهم عليك فإنه من اعتزل عن الناس لم يفتح بابه لقصد الناس إليه فإن المراد من العزلة ترك الناس ومعاشرتهم وليس المراد من ترك الناس ترك صورهم وإنما المراد أن لا يكون قلبك ولا إذنك معهم وعاء لما يأتون به من فضول الكلام فلا يصفو القلب من هذيان العالم فكل من اعتزل في بيته وفتح باب قصد الناس إليه فإنه طالب رياسة وجاه مطرود عن باب الله تعالى، والهلاك إلى مثل هذا أقرب من شراك[(١)] نعله فالله الله تحفظ في تلبيس النفس في هذا المقام.

فإن أكثر الخلق هلكوا فيه فأغلق بابك دون الناس وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك واشتغل بذكر الله بأي نوع شئته من الأذكار وأعلاها الاسم هو قولك: الله الله لا تزيد عليه شيئاً وتحفظ من طوارق الخيالات الفاسدة أن تشغلك عن الذكر وتحفظ في غذائك واجتهد أن يكون دسماً ولكن من غير حيوان فإنه أحسن واحذر من الشبع ومن الجوع المفرط والزم طريق اعتدال المزاج إذا أفرط فيه اليبس أدى إلى خيالات وهذيان طويل فإذا كان الوارد هو الذي يعطي الانحراف فذلك هو المطلوب.

وتفرق بين الواردات الروحانية الملكية والواردات الروحانية النارية الشيطانية مما

(١) الشِّراكُ: سَيْر النعل على ظهر القدم (ج) شُرُكٌ وأَشْرُكٌ.

تجده في نفسك عند انقضاء الوارد وذلك أن الوارد إذا كان ملكياً فإنه يعقبه برد ولذة لا تجد ألماً ولا تتغير لك صورة ويترك علماً وإذا كان شيطاناً فإنه يعقبه تهريس في الأعضاء وألم وكرب وحيرة ويترك تخبيطاً فتحفظ ولا تزال ذاكراً حتى يفرغ الله عن قلبك وهو المطلوب واحذر أن تقول ماذا فليكن عقدك عند دخولك إلى خلوتك إن شاء الله ليس كمثله شيء فكل ما يتجلى لك من الصور وفي خلوتك ويقول لك: أنا الله فقل: سبحان الله أنت بالله واحفظ صورة ما رأيت واله عنها واشتغل بالذكر دائماً، هذا عقد واحد. والعقد الثاني أن لا تطلب منه في خلوتك سواه ولا تعلق الهمة عنده وصمم على طلبك فإنه يبتليك ومهما وقفت مع ذلك فاتك وإذا حصلته لم يفتك شيء.

فإذا قد عرفت هذا فاعلم أن الله مبتليك بما يعرضه عليك فأول ما يفتح عليك أن أعطاك الأمر على الترتيب ما أقول لك وهو كشفك عالم الحس الغائب عنه فلا يحجبك الجدرات ولا الظلمات عما يفعله الخلق في بيوتهم إلا أنه يجب عليك التحفظ أن تكشف سر أحد عند أحد إذا أطلعك الله عليه فإن بحت به وقلت: هذا زانٍ وهذا شارب وهذا يغتاب فاتهم نفسك فإن الشيطان قد دخل عليك فتحقق بالاسم وأوصه أن يستحي من الله ولا يتعدى حدود الله واله عن هذا الكشف جهد طاقتك واشتغل بالذكر.

وأما التفرقة بين الكشف الحسي والخيالي فنبينه وذلك إذا رأيت صورة شخص أو فعلاً من أفعال الخلق أن تغلق عينك فإن بقي لك الكشف فهو في خيالك وإن غاب عنك فإن الإدراك يعلق به في الموضع الذي رأيته فيه ثم إذا لهيت عنه واشتغلت بالذكر انتقلت من الكشف الحسي إلى الكشف الخيالي فتتنزل عليك المعاني العقلية في الصورة الحسية وهو تنزل صعب.

فإن علم ما أريد بتلك الصورة لا يعرفها إلا نبي أو من شاء الله من الصديقين فلا تشتغل به وإن سبقت لك مشروبات فاشرب الماء منها وإن لم يكن فيها ماء فاشرب اللبن وإن جمعت بينهما فحسن وكذلك العسل وتحفظ من شرب الخمر إلا أن يكون ممزوجاً بماء المطر فإن كان بماء الأنهار والعيون فلا سبيل إلى شربه واشتغل بالذكر حتى يفرغ عنك عالم الخيال وتجلى لك عالم المعاني المجرد عن المادة.

واشتغل بالذكر حتى يتجلى لك مذكورك فإذا أفناك عن الذكر به فتلك المشاهدة أو النومة وسبيل التفرقة بينهما أن المشاهدة تترك في المحل شاهدها فتقع اللذة عقيبها والنومة لا تترك شيئاً فيقع التيقظ عقيبها والاستغفار والندم ثم إن الله تعالى يعرض عليك مراتب المملكة ابتلاء فإن رتب لك العرض فإنك ستكشف أولاً على أسرار الأحجار المعدنية وغيرها وتعرف سر كل حجر وخاصيته في المضار والمنافع فإن تعشقت به أبقيت معه وطردت ثم سلب عنك حفظك فخسرت وإن استغنيت عنه واشتغلت بالذكر ولجأت إلى جناب المذكور رفع عنك ذلك النمط وكشف لك عن النباتات ونادتك كل

عشبة بما تحمله من خواص المضار والمنافع فليكن حكمك أولاً وليكن غذاؤك عند الكشف الأول ما كثرت مرارته ورطوبته، وفي هذا الكشف الآخر النباتي ما اعتدلت حرارته ورطوبته فإذا لم تقف معه رفع لك عن الحيوانات فسلمت عليك وعرفتك بما تحمله من خواص المضار والمنافع وكل عالم يعرفك بتسبيحه وتمجيده.

وهنا نكتة، وذلك أن تنظر ما أنت مشتغل به من الأذكار فإن رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بذلك الذكر الذي أنت عليه فكشفك خالي لا حقيقي وإنما ذلك حالك أقيم لك في الموجودات وإذا شهدت في هؤلاء تنوعات أذكارهم فهو الكشف الصحيح وهذا المعراج التحليل على الترتيب والقبض لك مصاحب في هؤلاء العوالم.

ثم بعد هذا يكشف لك عن عالم سريان الحياة السببية في الأحياء وما تعطي من الأثر في كل ذات بحسب استعداد الذوات وكيف تندرج العادات في هذا السريان.

فإن لم تقف مع هذا رفع عنك ورفعت لك اللوائح اللوحية وخوطبت بالمخاويف وتنوعت عليك الحالات وأقيم لك دولاب تعاين فيه صور الاستحالات وكيف يصير الكثيف لطيفاً واللطيف كثيفاً وما أشبه ذلك.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك نور الشرر فستطلب الستر عنه فلا تخف ودم على الذكر فإنك إذا دمت على الذكر لم تصبك آفة.

فإن لم تقف معه رفع لك نور الطوالع وصورة التركيب الكلي وعاينت آداب الدخول إلى الحضرة الإلٰهية وآداب الوقوف بين يدي الحق وآداب الخروج من عنده إلى الخلق والمشاهدة الدائمة بالوجوه المختلفة من الظاهر والباطن والكمال الذي لا يشعر به كل أحد فإن كل ما نقص من الوجه الظاهر أخذه الوجه الباطن، والذات واحدة، فما ثم نقص وكيفية تلقي العلوم الإلٰهية من الله تعالى وما ينبغي أن يكون عليه المتلقي من الاستعدادات وأدب الأخذ والعطاء والقبض والبسط وكيف يحفظ القلب من الهلاك المحرق وأن الطرق كلها مستديرة ما ثم طريق خطى وغير ذلك مما تضيق هذه الرسالة عنه.

فإن لم تقف مع هذا كله رفع لك عن مراتب العلوم النظرية والأفكار السليمة وصور المغاليط التي تطرأ على الأفهام والفرق بين الوهم والعلم وتولد التكوينات بين عالم الأرواح والأجسام وسبب ذلك التولد وسريان السر الإلٰهي في عالم العناية وسبب من ترك الكون عن مجاهدة وعن لا مجاهدة وغير ذلك مما يطول.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك عالم التصوير والتحسين والجمال وما ينبغي أن تكون عليه العقول من الصور المقدسة والنفوس النباتية من حسن الشكل وسريان الفتور واللين والرحمة في الموصوفين بها ومن هذه الحضرة يكون الإمداد للشعراء ومن الذي قبله يكون الإمداد للخطباء.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك معه عن مراتب القطبية وكل ما شاهدته قبل فهو من عالم اليسار وهذا الموضع هو القلب فإذا تجلى لك هذا العالم الانعكاسات ودوام الدائمات وخلود الخوالد وترتيب الموجودات وسريان الوجود فيها وأعطيت الحكم الإلٰهية والقدرة على حفظها والأمانة على تبليغها إلى أهلها وأعطيت الرموز والإجمال فالوهب على الستر والكشف.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك عن عالم الحمية والغضب والتعصب ومنشأ الخلاف الظاهر في العالم واختلاف الصور وغير ذلك.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك عن عالم الغيرة وكشف الحق على أتم وجوهه والآراء السليمة والمذاهب المستقيمة والشرائع المنزلة وترى عالماً قد زينهم الله من المعارف القدسية بأحسن زينة.

وما من مقام يكشف لك عنه إلا وهو يقابلك بالتعزيز والتوقير والتعظيم ويعرب لك عن مقامه ومرتبته من الحضرة الإلٰهية ويعشقك بذاته، فإن لم تقف معه رفع لك عن عالم الوقار والسكينة والثبات والمكر وغامضات الأسرار وما شاكل هذا الفن.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك عن عالم الحيرة والقصور والعجز وخزائن الأعمال وهم عليون، فإن لم تقف معه رفع لك الجنان ومراتب درجاته وتداخل بعضه في بعض وتفاضل نعيمه وأنت واقف على طريق ضيقة ثم أشرف بك على جهنم ومراتب دركاتها وقد أخل بعضها في بعضها وتفاضل أعمالهما ورفع لك عن الأعمال الموصلة إلى كل واحدة من الدارين.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك عن أرواح مستهلكة في مشهد من مشاهده هم فيه حيارى سكارى قد غلبهم سلطان الوجد فدعاك حالهم.

فإن لم تقف لدعوته رفع لك نور لا ترى فيه غيرك فيأخذك فيه وجد عظيم وهيمان شديد وتجد فيه من اللذة بالله ما لم تكن تعرفها قبل ذلك ويصغر في عينك كل ما رأيته وأنت تتمايل فيه تمايل السراج، فإن لم تقف معه رفع لك عن صور على صور بني آدم وستور ترفع وستور تسدل ولهم تسبيح مخصوص تعرفه إذا سدلته ولا تدهش فسترى صورتك بينهم ومنها تعرف وقتك الذي أنت فيه فإن لم تقف رفع لك سرير الرحمانية وكل شيء عليه فإذا نظرت في كل شيء فسترى جميع ما اطلعت عليه فيه وزائداً على ذلك ولا يبقى علم ولا عين إلا وتشاهده فيه فاطلب علتك في كل شيء فإذا وقفت علتك فيه عرفت أين غايتك ومنزلتك ومنتهى رتبتك وأي اسم هو ربك وأين حظك من المعرفة والولاية وصورة خصوصيتك.

فإن لم تقف معه رفع لك عن أستار كل شيء ومعلمه فعاينت أثره وعرفت خبره

وشاهدت انتكاسه وتلقيه وتفصيل مجمله من الملك النوني.

فإن لم تقف معه رفع لك عن المحرك فإن لم تقف محيت ثم غيبت ثم أفنيت ثم سحقت ثم محقت حتى إذا انتهت فيك آثار الماحي وإخوانه أثبت ثم أحضرت ثم جمعت ثم غيبت فخلعت عليك الخلع التي تقبضها فإنها تتنوع ثم ترد على مدرجتك فتعاين كل ما عاينته مختلف الصور حتى ترد إلى عالم حسك المقيد الأرضي أو تمسك حيث غيبت.

وغاية كل سالك مناسبة لطريقه الذي عليك سلك فمنهم من يناجي بلغته ومنهم من يناجي بغير لغته وكل من نوجي بلغة أية لغة كانت فإنه وارث لبني ذلك اللسان وهو الذي تسمعه على السنة أهل هذه الطريقة أن فلاناً موسوي وعيسوي وإبراهيمي وإدريسي ومنهم المناجي بلغتين وثلاثة وأربعة فصاعداً.

والكامل من يناجي بجميع اللغات وهو المحمدي خاصة فما دام في غايته فهو الواقف ما لم يرجع فإن منهم المستهلك في ذلك المقام كأبي عقال وغيره وفيه يقبض ويحشر.

ومنهم المردود وهو أكمل المواقف المستهلك بشرط أن يتماثلا في المقام فإن كان المستهلك في مقام أعلى من مقام المردود فلا نقول أن المردود أعلى ولكن شرطنا التماثل إذ يعيش المردود النازل عن مقام المستهلك حتى يبلغ مرتبة المستهلك ويزيد عليه في التداني ويزيد عليه في التدلي ويفضل عليه في الترقي فيفضل عليه في التلقي وأما المردودون فهم رجلان منهم من يرد في حق نفسه وهو النازل الذي ذكرناه وهذا هو العارف عندنا فهو راجع لتكميل نفسه من غير الطريق الذي سلك عليه ومقيم.

ومنهم من يرد إلى الخلق بلسان الإرشاد والهداية وهو العالم الوارث وليس كل داعٍ وارث على مقام واحد لكن يجمعهم مقام الدعوة ويفضل بعضهم عن بعض فمنهم الداعي بلغة موسى وعيسى وسام وإسحاق وإسماعيل وآدم وإدريس وإبراهيم ويوسف وهارون وغيرهم وهؤلاء هم الصوفية وهم أصحاب أحوال بالإضافة إلى السادة منا.

ومنهم الداعي بلغة محمد ﷺ وهم الملامتية[1] أهل التمكين والحقائق وإذا دعوا الخلق إلى الله تعالى فمنهم من يدعو من باب الفناء في حقيقة العبودية وهو قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة العبودية وهو الذلة والافتقار وما يقتضيه مقام العبودية.

ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الرحمانية ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق القهرية. ومنهم من يدعوهم من باب الأخلاق الإلٰهية وهو أرفع باب وأجله.

(١) الملامتيّة: من مذاهب الصوفية. سئل عنه حمدون فقال: هو خوف القدرية ورجاء المرجئة.

واعلم أن النبوة والولاية تشتركان في ثلاثة أشياء. الواحد: في العلم من غير تعلم كسبي. والثاني: في الفعل بالهمة فيما جرت العادة أن لا يفعل إلا بالجسم أو لا قدرة للجسم عليه. والثالث: في رؤية عالم الخيال في الحس ويفترقان بمجرد الخطاب فإن مخاطبة الولي غير مخاطبة النبي ولا يتوهم أن معارج الأولياء على معارج الأنبياء ليس الأمر كذلك لأن المعارج تقتضي أموراً لو اشتركا فيها بحكم العروج عليها لكان الولي ما للنبي وليس الأمر على هذا عندنا وإن اجتمعا في الأصول وهي المقامات لكن معارج الأنبياء بالنور الأصلي ومعارج الأولياء بما يفيض من النور الأصلي وإن جمعهما مقام التوكل فليست الوجوه متحدة والفضل ليس في المقام وإنما هو في الوجوه والوجوه راجعة للمتوكل وهكذا في كل حال ومقام من فناء وبقاء وجمع وفرق واصطلام[١] وانزعاج وغير ذلك.

واعلم أن كل ولي لله تعالى فإنه يأخذ ما يأخذ بوساطة روحانية نبيه الذي هو على شريعته ومن ذلك المقام يشهد.

ومنهم من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرفه يقول: قال لي الله وليس غير تلك الروحانية.

وهنا أسرار لطيفة تضيق هذه الأوراق عنها لما أردناه من التقريب والاختصار. غير أن الأولياء من أمة محمد ﷺ الجامع لمقامات الأنبياء عليهم السلام قد يرث الواحد منهم موسى عليه السلام ولكن من النور المحمدي لا من النور الموسوي فيكون حاله من محمد عليه السلام حال موسى عليه السلام منه ﷺ وربما يظهر من ولي عند موته ملاحظة موسى أو عيسى فيتخيل العامي ومن لا معرفة له أنه قد تهود أو تنصر لكونه يذكر هؤلاء الأنبياء عند موته وإنما ذلك من قوة المعرفة بمقامه والاتصاف إلا القطب فإنه على قلب محمد عليه السلام وقد لقينا رجالاً على قلب موسى وآخرين على قلب إبراهيم وغيرهم عليهم السلام ولا يعرف ما نذكره إلا إصحابنا.

واعلم أن محمداً عليه الصلاة والسلام هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في جميع الأرواح حتى بعث بجسمه ﷺ وتبعناه والتحق بنا من الأنبياء في الحكم من شاهده أو نزل بعده فأولياء الأنبياء الذين سلفوا يأخذون عن أنبيائهم وأنبياؤهم يأخذون عن محمد ﷺ فشاركت الولاية المحمدية الأنبياء في الأخذ عنه ولهذا ورد الخبر: علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل[٢] وقال تعالى فينا: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال في حق الرسل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٨٩] على أتباعهم ونصرف الهمة في الخلوة للوراثة الكلية المحمدية.

---

(١) اصطلم: استؤصل.

(٢) أخرجه الألباني في (السلسلة الضعيفة ٦٦٦)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠) وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٤٧)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/٨٣)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٧٨٦)، والسيوطي الحلبي (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٣).

واعلم أن الحكيم الكامل المحقق المتمكن هو الذي يعامل كل حال ووقت بما يليق به ولا يخلط وهذه هي حالة محمد ﷺ فإنه كان من ربه بقاب قوسين[١] أو أدنى ولما أصبح وذكر ذلك للحاضرين ولم يصدقه المشركون لكون الأثر ما ظهر عليه ووافقوه في ذلك بخلاف غيره حين ظهر عليه الأثر فكان يتبرقع.

ولا بد لكل سالك من تأثير الأحوال فيه وخلطه العوالم بعضها ببعض ولكن ينبغي له الترقي من هذا المقام إلى مقام الحكمة الإلٰهية الجارية على القانون المعتاد في الظاهر وينصرف خرق العوائد إلى سره حتى يرجع له خرق العوائد له عادة لاستصحابه ولا يزال يقول في كل نفس ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ما دام الفلك يجري بنفسه وليجتهد أن يكون وقته نفسه وإذا ورد عليه أراد الوقت يقبله وليحذر من التعشق به ويحفظه فإنه يحتاج إليه إذا رما.

وأكثر الشيوخ إنما أتى عليهم في التربية لما فرطوا في حفظ ما ذكرناه وزهدوا فيه زهداً كلياً ويطول الوقت ويقصر بحسب حضور صاحبه فمنهم من وقته ساعة ويوم وجمعة وشهر وسنة مرة واحدة من عمره.

ومن الناس من لا وقت له وعلو الشخص يدل على ضيق وقته والذي لا وقت له إنما حرم بحكم بهيميته عليه فإن باب الملكوت والمعارف من المحال أن ينفتح وفي القلب شهوة هذه للملكوت وأما باب العلم بالله من حيث المشاهد فلا يفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت.

واعلم أن هذه الأمور الوضعية إذا سلك عليها الإنسان أقام بها ولم تكن له همة متعلقة بأمر وراءها إلا الجنة خاصة فذلك هو العالم صاحب الماء والمحراب[٢] كما أن الهمة لو تعلقت بما وراء العبادات من غير الاستعداد بها لم ينكشف له شيء ولا نفعت همته بل صاحبها أشبه بمريض سقطت قواه بالكلية وعنده الإرادة والهمة المحركة والآلة معطلة فهل يصل بهمته أي مطلوبه فلا بد من الاستعداد على الكمال بالهمة وغيرها فإذا وصل إلى عين الحقيقة امتحقت همته وليس بحصول البغية رفع الحجاب فإن العلم الذي يحصل له عند المشاهدة يلقى عنده التوجه إلى ما هو فوق ما ظهر في حقه لا فيما ظهر فإن الظاهر وإن كان واحد العين فإن الوجوه فيه غير متناهية وهي آثاره فينا فلا يزال العالم متعطشاً دائماً أبداً والواهب متعلق به دائماً أبداً فلمثل هذا العمل فليعمل العاملون وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) القابُ: المقدار. و ـ: ما بين نصف وتر القوس وطرفه. يقال: (هو على قاب قوسين) كناية عن القرب.
(٢) المحراب: مقام الإمام في المسجد.

كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مسترق الحضرة الإلٰهية ومملوك الحضرة الربانية ختم الله له بالحسنى.

الحمد لله الذي سلخ نهاره من ليله المظلم، واطلع فيهما شمسه النيرة وبدره المعتم، ونصبهما دليلين على الموضح والمبهم، حمداً أولياً بلسان القدم، يربي على إدراك نهاية أقصى غاية جلال جمال كمال صريف القلم، في ألواح صدور الكلم، المرقومة بمداد نون الجود والكرم، المنزهة من وقت فتق رتق سمائها بجميع الإدراكات عن العدم، الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[1]، والموقف الأقدم، والشكر له على مقتضى ما مضى من حمده وتقدم، شكراً باللام لا بالياء فإنه يتصرم.

والصلوات على أول مبدع كان ولا موجود ظهر هناك ولا نجم، فسمى مثلاً وقد أوجده فرداً لا يتقسم.

في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو العالم الفرد العلم، وأقامه ناظراً في مرآة الذات فما اتصل بها ولا انفصم، فلما بدت له صورة المثل آمن بها وسلم، وملكه مقاليد مملكته واستسلم، فإذا الخطاب أنت الموجود الأكرم، والحرم الأعظم، والركن والملتزم، والمقام والحجر المستلم، والسر الذي في زمزم[2]، وهو لما شرب له فافهم، والمشار إليه بواسطة التركيب «المؤمن مرآة أخيه»[3] فلينظر ما بدا له فيها وليتكتم وعلى آله وصحبه الطاهرين وسلم.

أما بعد فإني قصدت معاشر الصوفية، أهل المعارج العقلية، والمقامات الروحانية،

---

(١) هنا إشارة إلى سورة الإسراء الآية (١): ﴿سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى...﴾.

(٢) زمزم: بئر بمكة عند الكعبة غير منصرف للعلمية والتأنيث. و(ماء زمزم): كثير.

(٣) أخرجه أبو داود (أدب ٤٩).

والأسرار الإلٰهية، والمراتب العلية القدسية في هذا الكتاب المنمق[١] الأبواب المترجم بكتاب الإسراء إلى مقام الأسرى، اختصار ترتيب الرحلة من العالم الكوني إلى الموقف الأزلي.

وبينت فيه كيف ينكشف الكتاب بتجريد الأبواب لأولي البصائر والألباب، وإظهار الأمر العجاب، بالإسراء إلى رفع الحجاب.

وأسماء بعد المقامات إلى مقام من لا يقال، ولا يمكن ظهوره بالعلم ولا بالحال، وهذه معارج أرواح الوارثين، وسنن النبيين والمرسلين.

معراج أرواح لا معراج أشباح، وإسراء أسرار لا أسوار رؤية جنان، لأعيان وسلوك معرفة ذوق وتحقيق، لا سلوك مسافة وطريق إلى سمٰوات معنى لا مغنى، وصفت الأمر بمنثور ومنظوم، وأودعته بين مرموز ومفهوم، مسجع الألفاظ ليسهل على الحفاظ، وبينت الطريق، وأوضحت التحقيق، ولوحت بسر الصديق، ورتبت المناجاة بإحصاء بعض اللغات، وهذا حين أبتدي، وعليه أتوكل وبه أهتدي.

باب سفر القلب

قال السالك: خرجت من بلاد الأندلس، أريد بيت المقدس[٢]، وقد اتخذت الإسلام جواداً، والمجاهدة مهاداً، والتوكل زاداً، وسرت على سواء الطريق، أبحث عن أهل الوجود والتحقيق رجاء أن أتبرز في صدر ذلك الفريق.

قال السالك: فلقيت بالجدول المعين، وينبوع أرين، فتى روحاني الذات، رباني الصفات، يومىء إلي بالالتفات.

فقلت: ما وراءك يا عصام، قال: وجود له انصرام، قلت: من أين وضح الراكب قال: من عند رأس الحاجب، قلت له: ما الذي دعاك إلى الخروج، قال: الذي دعاك إلى طلب الولوج، قلت له: أنا طالب مفقود، قال: وأنا داعٍ إلى الوجود، قلت له: فأين تريد، قال: حيث لا أريد، لكني أرسلت إلى المشرقين، إلى مطلع القمرين، إلى موضع القدمين، آمراً من لقيت بخلع النعلين، قلت له: هذه أرواح المعاني، وأنا ما أبصرت إلا الأواني، فعسى حقيقة القرآن والسبع المثاني.

قال: أنت غمامة على شمسك فاعرف حقيقة نفسك، فإنه لا يفهم كلامي، إلا من رقا مقامي، ولا يرقى سوائي فكيف تريد أنْ تعرف حقيقة أسمائي، لكن يعرج بك إلى

---

(١) نمّق الكتاب: جوّد كتابته.

(٢) بيت المقدس: مدينة في فلسطين يقدسها اليهود والمسيحيون والمسلمون فيحجون إليها من جميع الأقطار، لليهود حائط المبكى، وللمسيحيين كنيسة القيامة، وللمسلمين المسجد الأقصى وقبة الصخرة. (الرسالة القشيرية ص ١٠٧ ـ ١٠٨).

سمائي، ثم أنشدني وحيرني:

أنا القرآن والسبع المثاني[١] وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند معلومي مقيم أشاهده وعندكم لساني

فلا تنظر بطرفك نحو جسمي وعد عن التنعم بالمعاني

وغص في بحر ذات الذات تبصر عجائب ما تبدت للعيان

وأسراراً تراءت مبهمات منسترة بأرواح المعاني

فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان[٢]

كحلاج المحبة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتداني

فقال: أنا هو الحق الذي لا يغير ذاته من الزمان

فأخبرني أيها الصديق، أين تريد أرشدك على الطريق، ومن أين أقبلت، وإلى أين أملت، قلت: خرجت فاراً من ذلول، أريد مدينة الرسول، في طلب المقام الأزهر، والكبريت الأحمر، فقال لي طالباً مثلي، أما سمعت قولي:

يا طالباً لطريق السر تقصده ارجع وراك ففيك السر أجمعه

بينك وبين مطلوبك أيها السر اللطيف، ثلاثة حجب من لطيف وكثيف، الواحد مكلل بالياقوت[٣] الأحمر وهو الأول عند أهل التحقيق، والآخر مكلل بالياقوت الأصفر وهو الثاني الذي اعتمد عليه أهل التفريق، والثالث مكلل بالياقوت الأكهب[٤] وهو الذي اعتمد عليه أهل البرزخ في الطريق، فالأحمر للذات والأكهب للصفات، والأصفر للأفعال وهو حجاب الانفصال.

ثم قال لي: من كان رفيقك في السفر، قلت: الصحيح النظر الطيب الخبر، قال: هو الرفيق الأعلى، فهل أوقفك في الموقف الأجلي، قلت: لست أعلم هذه الأصول، لكني ابتغيت الوصول، فجعلت همّي أمامي، والطور إمامي، فسمعت لا يراني، إلا من سمع كلامي فخررت صعقاً، وتدكدك جسمي فرقاً، وبقيت طريحاً بالوادي، وذهبت النعلان وبقي زادي، فلما لم أر كوناً آنست عيناً.

---

(١) المثاني من القرآن: الآيات تُتلى وتُكرر: فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني. والقرآن الكريم كله.

(٢) السِّنانُ: نصل الرمح (ج) أسنة.

(٣) الياقُوتُ: حجر من الأحجار الكريمة، صلب ثقيل شفاف مشرب بالحمرة أو الزرقة أو الصفرة الواحدة أو القطعة منه ياقوتة (ج) يواقيت.

(٤) الكُهبة: لون ليس بخالص في الحُمرة، وهو في الحمرة خاصة. (اللسان ١/ ٧٢٨ مادة: كهب).

باب عين اليقين

قال السالك فنادتني تلك العين، أيها الفتى إلى أين، قال: قلت: إلى الأمير، قالت: عليك بخدمة الكاتب والوزير، هما يدخلانك على مرادك، وترى حقيقة اعتقادك، قلت لها: وأين محل الكاتب والوزير، قالت: عين نزولك عن السرير، وتجريدك عن الأينية، ونزعك رداء الأمنية وخلعك الألية، ووقوفك في الفرق والبينونية، ودخولك في الطينية، فإنك لا ترى الواحد إلا بالواحد، وهناك يتحد الغائب والشاهد، غيبته حجابك عنك، والوزير يمدك به منه، هو خليفته في أرضه وسمائه، عالم بأسرار صفاته وسمائه، أسجد له الملائكة أجمعين، ونزهه عن سجود اللعين، فعدم من أبى وحسد وبقي الخليفة الأحد، وهو الملك والخليفة، ومجتمع الحقائق الشريفة، فإن وصلت إليه ونزلت عليه أكرم مثواك وحفظك وتولاك وأدخلك على مولاك.

باب صفة الروح الكلي

قال السالك: قلت: انعتيه لي لأعرفه إذا رأيته، وأخر له ساجداً إذا أتيته، قالت: ليس ببسيط ولا مركب، ولا يقصد طريقاً ولا يتنكب[١]، منزه عن التحيز والانقسام، مبرأ عن الحلول في الأجسام حامل الأمانة الألية، ومجتمع الصفات العلية، مواده إلى الأجسام الموضوعة بين يديه، كمواد مستخلفة إليه، ليس بداخل بالذات، ولا بخارج بالصفات، هو وصف معروف، والصفة لا تفارق الموصوف، محدث صدر من قديم غني، وهبه كل سر خفي، ومعنى جليل خفي، ليس له فيء ولا كمثله شيء، هو مرآة منورة، ترى حقيقتك فيها مصورة، فإذا رأيت صورتك، قد تجلت لك فاعلمها فتلك بغيتك، قد وصلت إليها فالزمها.

فلم أزل أصحب الرفاق، وأجوب الآفاق، واعمل الركاب، واقطع اليباب[٢]، وامتطي اليعملات[٣]، وتسري ببساطي الذاريات، واركب البِحار، واخرق الحجب والأستار، في طلب علة الصورة الشريفة المدعوة بالخليفة، فما تجلت لي صورتي مذ فارقت العين، حتى رأيتك فرأيت نفسي دون مين، فخبرني من أنت، من حيث أنت.

---

(١) تنكّب عنه: عدل وتنحّىٰ. و ـ الطريق المعوج: تجنبه.

(٢) اليباب: الخراب، وأرض يباب: ليست بها ساكن.

(٣) اليَعْمَلة: الناقة السريعة اشتق لها اسم من العمل، والجمع يعملات، واليعملة من الإبل: النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل.

(لسان العرب ٤٧٦/١١ مادة. عمل).

باب الحقيقة

قال السالك فأنشد وقد أرشد:

يا سائلي من أنا علماً وتصويراً ... أنا الكتاب الذي سماه مسطورا
رقم تضمنه رق فتبصره ... في صفحة الطور مطوياً ومنشورا
بنى الإله له في السقف تكرمة ... بيتاً رفيعاً بسر السر معمورا
أجرى له الله صوناً من لطائفه ... بحراً يطوف ببيت الله مسجورا
فالرقم علم بأقلام الإرادة في ... رق تضمن معنى النار والنورا
والنفس بيت وسر الصدق ساكنه ... به يكون كمال الجود مشهورا
أنا الرداء أنا السر الذي ظهرت ... بي ظلمة الكون (إذ) صيرتها نورا
انظر وجودي من ذات الإله تجد ... حقاً يقيناً ومني باطلاً زورا

قال السالك: ثم قال إلي: أنا الخليفة أيها الطالب، وأنا الوزير والكاتب، خليفة الذات، في تدبير الأفعال من كرسي الصفات. أنا المثل وأنت المثال، والثاء الثوب الذي مال، كاتب من حيث أن أكتب في صحائف قراطيس العقول، سر كل منقول ومعقول، وزير من حيث أن أحمل ثقل الأجسام، للعرض على العلي العلام، فذاتي واحدة، وصفاتي متعددة فاسجد إلي إن أردت الأسماء، واعلم أن الاسم يدل على المسمى، والكل فيك، فاقنع بما يكفيك، وأمسك عما لا يعنيك، ثم قال: عجلاً، وأنشد مرتجلاً:

هيهات[1] ما الوارد والصادر ... إلا لأمر شاءه القادر
يا ناظر الحلة سوسها واحد ... صرفها الفلك الدائر
فناطق من ذاته باطن ... وناطق من وصفه ظاهر
قبولها الصورة من ذاتها ... والعين منها قبله عابر
وجودها وقف على سورها ... وجود معنى شاءه القادر
يصرفُ الأنجم في عالم ا ... لأفلاك ذا آتٍ، وذا سائر
وشمسه في شرقه ترتقي ... وبدره في غربه غائر
صرف في المركز أحكامه ... فعاقل أو أهوج حائر
والبحر قد فاض على شطه ... أمده ذا القمر الزاهر
والشمس في الأكوان فعالة ... يثني عليها الغصن الناضر

(١) هَيْهاتِ وهَيهاتَ: اسم فعل بمعنى بَعُدَ. نحو: هيهاتَ ما تريدُ، أو هيهات لما تُريدُ.

والـجـو إن قـام بـه صـيـلـم ... جـاد عـلـيـه سـحـبـه الـهـامـر
فـإن يـكـن ري فـمـن ذاتـه ... قـد ارتـوى الأول والآخـر
فـالـغـيـر فـي الأوصـاف والـكـون فـي الـ ... ـذات فـسـاد حـجـل طـاهـر
مـن لـبـس إيـجـاد جـسـوم بـدت ... فـيـمـا يـراه الـبـصـر الـقـاصـر
والـعـقـل مـن أيـن لـي مـن ... عـلـم لـعـيـن حـاكـم قـاهـر
إن زلـزلـت أرضـي وإن كـورت ... شـمـسـي مـن الـنـاظـم والـنـاثـر
فـانـظـر إلـى الـحـكـمـة مـجـهـولـة ... غـطـى عـلـيـهـا شـفـعـنـا الـسـاتـر
صـلـى عـلـيـه الله مـن واحـد ... نـور عـلـى أرواحـنـا بـاهـر
مـا اسـتـبـق الـبـدر وشـمـس الـضـحـى ... وانـتـظـم الأول والآخـر

قال السالك: فلما أكمل إنشاده، وضرب بعصا إعجازه أعواده، خررت بين يديه ساجداً، واعتكفت في حضرته عابداً، وقلت: أنت البغية والمنى، والسر المتمنى.

باب العقل والأهبة للإسراء

قال السالك: ثم احتجبت عني ذاته، وبقيت معي صفاته فبينما أنا نائم وسر وجودي متهجد قائم جاءني رسول التوفيق، ليهديني سواء الطريق، ومعه براق[(١)] الإخلاص عليه لبد الفوز ولجام الإخلاص، فكشف عن سقف محلي، وأخذ في نقضي وحلي، وشق صدري بسكين السكينة، وقيل لي: تأهب لارتقاء الرتبة المكينة، وأخرج قلبي في منديل، لآمن من التبديل، وألقى في طست[(٢)] الرضا، بموارد القضا، ورمى منه حظ الشيطان، وغسل بما ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

ثم حشى بحكم التوحيد، وإيمان التفريد وجعل له خدم التسديد، وأعوان التأييد، ثم ختم عليه بخاتم الإصابة، وألحق بخير عصابة، ثم خيط صدري بمنصحة الأنس ونصاح التقديس عن درن النفس، ثم رملني بثوب المحبة وامتطيت براق القربة، وأسرى بي من حرم الأكوان إلى قدس الجنان، فربطت البراق بحلقة بابه ونزلت عن متنه وركعت في محرابه، ثم زج بي من صفاه الصفا في الهوى، فسقط عن منكبي رداء الهوى.

وأتيت بالخمر واللبن، فشربت ميراث تمام اللبن، وتركت الخمر حذراً أن أكشف السر بالسكر، فيضل من يقفو أثري ويعمى ولو أتيت بالماء بدلهما لشربت الماء خلاصة ميراث التمكين، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) البُراقُ: (في حديث المعراج) دابة ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء.
(٢) الطَّسْتُ: إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه لغسل الأيدي (ج) طسوت (يذكر ويؤنث).

وأما لو كان المشروب عسلاً، ما اتخذ أحد الشريعة قبلاً، لسر خفي في النحل، فيه هلاك القلوب بالمحل.

قال السالك: ثم أشرفت من الهوى على الوادي المقدس، فقال لي الرسول: «اخلع نعليك ولا تيأس»، فخلعت ثم ارتحلت فاستمعت:

خلعت نعلي بوادي العلى وجئت بالباء لميعاد
وغبت بالدال عن الصاد فلست ريانـاً ولا صادي
ولست بالضاحك وصفاً ولا أبكي على رحلي ولا زادي
وامتحقت إنيتي إذ بدت إنية الوتر من الوادي
وصرت بعد الشفع وترابه وانعدم السائق والهادي
وصارت الفرقة مجموعة واجتمع الهادي مع الحادي
وأنت مولى في بناة العلى وصارت الأحيان أعيادي
وقلت بالعلم لهم مفصحاً أخاطب الحاضر والبادي

باب النفس المطمئنة

وهو البحر المسجور(١)

قال السالك: ثم ارتقيت مع الرسول على أوضح سبيل فأشرفت على البحر المسجور، فتيسر كل عسير، ورأيت في لجة(٢) ذلك البحر المحيط، سفينة العالم البسيط فنظرت في تحصيلها فقيل لي: حتى تقف على جملتها وتفصيلها، هذه سفينة العارفين وعليها معارج للوارثين، فرأيت سفينة ذاتها روحانية، وعددها سماوية أرحلها القدمان، سكانها سكون الجنان، فراها اللطائف، صورانها المواقف، لفظتها المعارف، ثقتها اليقين، مرساها القوة والتمكين شراعها الشريعة، صابورها الطبيعة، حبالها الأسباب، طوارمها مجازف اللباب، رئيسها النقل، مقدمة العقل سحر لوها الأفعال أنكلها السلامة من النكال، بحارها الموارد، وسفنها الأسرار والفوائد، مقدمها العناية في الأزل، مؤخرها تقديس الهمة في الأبد عن طوارق العلل، بحرها الأفكار، ريحها الأذكار، موجها الأحوال، دعاؤها الأعمال، السفينة بظهور الألف من بسم الله مجراها، وإلى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ منتهاها، فهي تجري في بحر المجاهدة إلى أن ألقتها أرواح العناية بساحل المشاهدة، فلما عدت بحر الاغترار، وسلمت من لجج ثبج(٣) الأغيار، مد

---

(١) المسجور: المُوقَدُ، والساكن، والممتلىء، والفارغ.

(٢) اللُّجَّةُ: الماء الكثير تصطخب أمواجه (ج) لُجج.

(٣) الثَّبَجُ: من البحر: أعالي موجه، وعلوّ وسطه إذا تلاقت أمواجه.

الرائس رقيقته ورفع بمنظوم عجيب عقيرته[١].

لما بدا السر في فؤادي ... فهي وجودي وغاب نجمي
وحال قلبي بسر ربي ... وغبت عن رسم حسن جسمي
وجئت منه به إليه ... في مركب من سني عزمي
نشرت فيه قلاع فكري ... في لجة في خفي علمي
هبت عليه رياح شوقي ... فمر في البحر مر سهم
فجزت بحر الدنو حتى ... أبصرت جهراً من لا أسمي
وقلت: يا من يراه قلبي ... أضرب في حبكم بسهمي
فأنت أنسي ومهرجاني ... وغايتي في الهوى وغنمي

قال السالك: ثم عرج بي حين فارقت الماء إلى أول سماء.

سماء الوزارة وهي الأولى

(آدم)

قال السالك: استفتح لي سماء الأجسام فرأيت سر روحانية آدم عليه السلام، وعلى يمينه أسودة القدم، وعلى يساره أسودة العدم فعانقني حبيباً، وسألته عن شأنه فقال مجيباً: خرجت يا بني من بلاد الغرب أريد مدينة يثرب[٢] فسرت أربعين ليلة سير من جر في المجون ذيله، فلما وصلتها، وانقضت الأسباب التي أملتها، قلت لبعض رفقائي وأخص أصدقائي: هل في بلادكم مطرف يصمد إليه أو مدرس يقعد بين يديه.

فقال لي: هناك مدرس شديد البحث والنظر صحيح النقل والخبر يكنى أبو البشر، يدرس بمسجد القمر، في أمره عجاب، ليس بينك وبينه حجاب، فهبطت كمنتشط من عقال، أو شارد خيفة أعباء وأثقال، ودخلت عليه في درسه، فاستنزلت روحانية نفسه، فرأيت شيخاً وضي البهجة فصيح اللهجة فقام إليّ تعظيماً وأنزلني تكريماً، فلما أكرم نزلي، وقال لأصحابه هذا من أهلي، فرموا إليَّ بأبصارهم واتخذوني من جملة إخوانهم وأنصارهم، فأدركني لذلك خجل أورث القلب عظيم فرق ووجل، ثم قال لي: من أين؟ قلت له: من مجمع البحرين ومعدن القبضتين، قال لي: فإنك مني، قلت له: إياك أعني، قال: فبماذا تعددنا قلت له: بنفس ما اتخذنا ثم قلت له: يا سيدي عسى

(١) العَقِيرةُ: الصوتُ يقال: رفع عقيرته؛ أي: صوته. (ج) عقائر.
(٢) يثرب (المدينة المنورة): مدينة في الحجاز، من مدن الإسلام المقدسة، لجأ إليها النبي ٦٢٢ م وفيها مات ودفن ٦٣ م، تبعد عن دمشق ١٣٠٣ كم. ·
(الرسالة القشيرية ص ٢٦٦).

فائدة، أو حكمة زائدة أعرس بمغانيها، وأتخلق بمعانيها، قال: خذ إليك شرح الله صدرك ونور جنانك ووفر إنعامك وإحسانك، جذبني الحق مني وأفناني عني ثم وهبني الكل ليحلمني الكل، فلما أودعني حكمه وأوقف على كل سر وحكمة ردني إلي، وجعل ما كان علي مني بين يدي، واتخذني سجيراً واصطفاني سميراً، وصير لي عرشه سريراً والملك خادماً والملك أميراً.

فأقمت على ذلك برهة من الزمان لا أعرف لنفسي مثلاً في الأعيان، ثم قسمني شطرين وصير الأمر أمرين ثم أحياني وأراني ما حجبني عنه وألهاني، فقلت: هذا أنا وليس غيري فحن النصف إلى النصف وصح الفرق بين الذات والوصف، فقلت: إلٰهي هذا الفيء لأي، قال: إذا رقمت بالقلم في اللوح وأفيض على مكتوبك من نور نوح ورفع الامتزاج ولاحت لعينك الأمشاج[١]، علمت لأي، أوجدت لك هذا الفيء، فلما كتبت بالقلم في لوح القدم لاح لي سر القدم في وجه العدم وأنا الآن أدرس ما علمته وأبث لهؤلاء ما علمته ثم أنشد:

يا قمر الأسرار يا ملبسي ... غلالة من أخضر السندس
أصبحت معشوق ثرى يابس ... لولا لهيب النار لم ييبس
حبست فيه زمناً عاجلاً ... لذاك تدعي صاحب المحبس
رأست فيه بعلوم بدت ... فيك ولولا ذاك لم ترأس
فأنت تسري في ثمان وفي ... عشرين خناساً من الكنس[٢]
على جواد سابح صيغ من ... نحاس قاضي صنعة المفلس

قال السالك: ففرحت بما أودعني وسررت بما منحني، ثم قال لي: ارتق واستبق يبدو لك في السماء الثانية، ما أخفي من قرة عين في هذه الآنية.

سماء الكتابة وهي الثانية

عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السالك: فاستفتح الرسول الوضاح، سماء الأرواح فنفخ في الصور الروح بمشاهدة المسيح فلما اتصلت حياتي بوجوده وتنعمت ذاتي بشهوده، وعم النور جهاته

(١) الأمشاج: (ج) المشيج: كل شيئين مختلطين، وكل لونين اختلطا.
(٢) الخُنَّسُ: الكواكب السيارة دون الثابتة، والليالي الخنس: ثلاث في آخر الشهر لا يظهر فيها القمر الجواري الكنس: الكواكب السيارة لأنها تغيب وتستتر. أو هي النجوم كلها لأنها تبدو ليلاً وتختفي نهاراً.

وزواياه وغمر به هيآته وسجاياه، وطوى بساط الظلام من بيوت الأجسام.

قال لي: مرحباً وأهلاً، وسعة وسهلاً، يا أيها السالك حقق ذاتي وانظر في صفاتي أنا الصادر من خزائن الجود والمفيض على أول موجود، لولاي ما علم الأسماء، ولا سما قدراً على من سما بي نطق ومن أجلى خلق، بي فتق أرضه وسماؤه وعليّ قام عماده وبناؤه، ثم رد وجهه إلى فتى رائع الجمال ساطع البهاء، ممشوق القامة كالصعدة السمراء.

وقال لي: قم يا كاتب الإلهام خذ الدواة والأقلام واكتب في ديوان الأجسام عن أمر الإمام ما يسألك هذا الغلام فخرج إلي كاتبه ووزيره وحاجبه فعندما أبصرته مقبلاً قمت إليه مرتجلاً:

يا أيها الكاتب اللبيب ... أمرك عند الورى عجيب
قربك السيد المعلى ... فيممت نحوك القلوب
لما تغيبت عن جفوني ... تاهت على الظاهر الغيوب
لولاك يا كاتب المعاني ... ما كان لي في العلى نصيب
واكتب ظهير الأمان حتى ... يستأمن الخائف المريب

قال السالك: فقال: نعم ونعمى عين دون ريب ولا مين(١)، قال ثم كتب، وأوجز ما أسهب ووافق المطلب بسم الله الرحمٰن الرحيم وصلى الله على الكريم هذا ظهير ولاية وأمان أمر به روح سيد الأرواح خليفة الرحمٰن لما تحقق لديه وثبت له عندما أوحى به إليه أنه إليه انتهت الدورة الآدمية، وضرب له بسهم في الدورة المحمدية، وإن سهمه يصيب قرطاسها، وعدله يقيم قسطاسها(٢)، فعندما علم أن سهمه لها مصيب، وله منها أوفر حظ وأكمل نصيب، كتب هذا الظهير الجسم إلى هذا الولي الكريم، عهد الله عليه وأمانته لديه بالنظر السديد فيما قلده والوفاء بما عليه عاهده، وقد حمله الخليفة أمانته عندما غلب على ظنه وفاءه وديانته وعفافه وصيانته، ونفوذه في الأحكام وانتفاضه في مشكلات الأوهام، ووقوفه عند حدود الإمام.

فإن صير ظن الإمام علماً، وساس رعيته حرباً وسلماً، وعدل في قضاياه وأحكامه وتوزع في ولاته وحكامه، أبقيناه والياً، وأيدناه وإن عدل عن هذا الشرط عزلناه واستبدلناه وطلبنا له الوقوف عند ذلك والمشي برعيته على أسهل المسالك، وأنتم معشر الكافة عموماً وخصوصاً لا تجدون من دون الله محيصاً.

---

(١) المَيْنُ: الكذب (ج) مُيُونٌ. يقال: (أكثر المظنون ميون).
(٢) القِسْطاسُ: أضبط الموازين وأقومها. و ـ: ميزان العدل.

وها نحن قد قلدنا أموركم هزبراً[١] سميدعاً[٢] وقصدناه أن يتحفكم بأسدسهم ويؤيدكم بأجرأ سهم فما قال فنحن قلناه وما فعل فنحن فعلناه، فبلساننا يكلم وعن ضمائرنا يترجم، ووادعناه على أن يحيي مواتكم ويؤلف شتاتكم ويؤمن بناتكم وينمي نباتكم، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، ويعرفكم أنكم إلينا ترجعون، وإن طالت المدة، وتضاعفت العدة، فقولوا: سمعنا وأطعنا، ولا تكونوا كمن قال من قبلكم: سمعنا وعصينا ففرقناهم أيادي سباً وقتلناهم بالأهضاب والربا، وتبرناهم[٣] تتبيراً، وحقت عليهم كلمة العذاب فدمرناهم تدميراً، حتى ما تركت بالديار من أرم، وعم بلاؤها تبعاً[٤] وإرم[٥].

فلا تتعرضوا بالمخالفة لسطوتنا ولا تستبطئوا عند اعتدائكم رسول نقمتنا، فكأن قد خلت بكم المثلات، وما توعدناكم به عند مخالفتكم آت، وهنا نحن منتظرون لخطابه به بما يكون منكم وينقله إلينا عنكم، وكان ما كان وهو مصروف إليكم وإنما هي أعمالكم ترد عليكم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً - ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ - ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] - ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨] - ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وعلى الله فليتوكل المتوكلون وصلى الله على خاتم النبيين والحمد الله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال السالك: فأخذت ظهير الأمان وصرت بينه وبين مملكته ترجمان، فلما رأى عدتي فيما به قضيت، وإصابتي في كل ما حكمت وأمضيت، قال: نعم به جئت وأنا أجازيك، إذ لا نظير يماثلك، ولا عديل يوازنك، وإن فوق هذا المقام مقاماً عظيماً ومشهداً كريماً ومنزل فرح لا ترح هو مقام لكمال الجمال ومستقر الإجلال.

قال السالك: فارتفعت الهمة لطلبه وبادرت لاختراق حجبه.

سماء الشهادة وهي الثالثة

(يوسف)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال السالك: فاستفتح لي سماء الجمال ومعدن الجلال ففتحت وسلم وسلك لي

(١) الهِزَبْرُ: الأسد. (ج) هزابر و ـ: الشديد الصلب.
(٢) السَّمَيْدَع (السَّمَيْذَعُ): السيد الكريم الشريف السخي الموّطأ الأكناف. و ـ: الذئب (ج سمادع، وسمادعة).
(٣) تبره: كسره وأهلكه و ـ: دمّره.
(٤) تُبَّع: لقب ملوك اليمن في الجاهلية وكانوا أصحاب نعمة ومنعة (ج) تبابعة.
(٥) إرَمُ: قومٌ منهم عادٌ أو مدينة كبيرة لهم.

زمام أمتها وسلم، فقصدت ساكن قصرها ورئيس مصرها، فرأيت بفنائه كافة أربابها فعدلت إلى خادم بابها، فسألته: ما الخبر؟ وما هذا الجمع المنتشر؟ فقال: نكاح عقد وعرس شهد.

قال: فشاورت عليه فأذن ودخلت عليه غير جزع ولا وهن، وبادرت بالسلام فرد وقص عني جناح الخجل وقد دخلت عرسه خدرها وأسبلت دوننا سترها، فقمت على ساق الثناء، وبدأت بذكر من له الأسماء الحسنى، وثنيت بالصلاة على من كان قاب قوسين أو أدنى، وثلثت بالثناء الأعطر الأحفل، على صاحب ذلك المحل.

وقلت: مرحباً بهذا الابتناء السعيد، والانتظام الجميل الحميد الذي عم سر القلوب وغمرها، وأهل المهامة وعمرها، سيدة البنات ومنيرة الظلمات، التي سحرت بابل، ورمتهم بنابل، فلم أر كأملاك بين أملاك، ولا كإرخاء لستور الأفلاك، على عرش السماك[1]، ولا كشرف نبه على شرف أثيل، ولا كسعد أقرت له السعود بالتفضيل، ولا كنسبة آذنت باطراد الأمل، واقتران الشمس في بيت الحمل، هنيئاً بما اقترن من سعادات وانضاف من قطع حسن متجاورات، واتسق من أقمار مجد ونيرات، فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، إليكموها ساعدكم السعد صفقة رابحة، وحالة مباركة صالحة، أهلاً للاغتباط، ومحلاً للارتباط، ودخولاً بسلام آمنين، ومبشر بالرفاء والبنين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

قال السالك: فعندما فرغت من الكلام وختمت بالصلاة والسلام، تحرك الستر قليلاً، وانبعث صوت كما هب النسيم عليلاً.

وقال:

ومن تكن الزهراء عرساً له فقد ... تتوج بالجوزاء وانتعل الشعرى[2]

أيا زهرة الروض الممسك عرفه ... وهل زهرة أخرى تضاهي سنا الزهرا

قال السالك: فقلت لها: أما أنت فعرفتك ونعتك آنفاً ووصفتك وأريد منك أن تعرفيني بمقام سيدك هذا وخبره وتطلعيني على عجره وبجره[3].

فقالت: أيها الغريب العريب والطريف الظريف، فديتك بالطالب والطريف، على الخبير سقطت وعند ابن نجدتها حططت لكنك لما سألت غاية لا تدرك وصفة لا يحاط بها علماً ولا تملك تعين على أن ألوح لك منها على مقدار فهمك، وأوقفك من شأنه على ما قدر أن يكون في علمك، ثم أشارت إلي من وراء سترها ومصون خدرها.

---

(١) السِّماكُ ـ السِّماكان: نجمان نيران. يقال لأحدهما السماك الرامح وللآخر السماك الأعزل.

(٢) الجوزاء: أحد بروج السماء، والشِّعرىٰ: اسم لنجمين نيرين، وهما شعريان: الشعرى العبور والشعرى الغميصاء.

(٣) العُجْرَةُ: العقدة في الخشبة أو في عروق الجسد (ج) عُجَرٌ. يقال: ذكر عُجرَهُ وبُجره؛ أي: عيوبه وأمره كله.

وقالت: هذا أمين الأمناء، وحمال البناء، وبعل الزهراء، أبصرته اللواهيت فحرقت النواسيت، ورامت الخروج إليه عشقاً وانقادت له ملكاً ورقاً، فصرف وجهه وأعرض وقد أمرض وما مرض وإلى طلب الزيادة تعرض وسحر الأذهان وعطل الأديان وكان سيف نقمة على كل عدو بعد أو دان وسيب نعمة على كل محب قرب أو بان، سجدت إليه الزهر الكواكب وارتاعت لمواضي أسنته قلوب المواكب.

وأعطته المملكة مقاليدها ووهبته مطاريفها ومتاليدها وملكته الخلافة أزمتها فلم يخفر عهدها وذمتها، ولم يزل يسوس مملكته بحسن النظر ويقيمها بسديد نتائج الفكر، حتى قامت الدولة على ساقها وعمتها خيراته على بعد أقطارها وآفاقها وتجلى شمساً باهرة بين أزرتها وأطواقها وحيد دهره وفريد عصره في بحبوحة[1] ملكه، لا يبصر شيئاً خارجاً عن ملكه فرؤيته جلاء وفقده عماء، قال: فسمعت عجباً ودعت أبتغي في السماء الرابعة كسباً وأطلب لها سبباً.

سماء الإمارة وهي الرابعة

(إدريس)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال السالك: فاستفتح لي سماء الاعتلاء وقيل لي: مرحباً بسيد الأولياء، الاعصام محيط بجوهر كالبسيط فقلت: نعم ما بشرت به وبينت فبمقامك العلي من أنت.

قال: أنا معدن الجلالة والسيد السلالة أبو العلى سيد المهاة والعزالة.

فأنشدته من عظيم ما وجدته:

هنيئاً لأهل السر في حضرة القدس ... بشمس جلت أنوارها ظلمة الرمس
وجلت عن التشبيه فهي فريدة ... وليست بفصل في الحدود ولا جنس
وندرك منها في كمال وجودنا ... كما يدرك الخفاش من باهر الشمس
فلله من نور أتته رسالة ... تصان عن التخمين والظن والحدس[2]
أتانا بها والقلب ظمآن تائق ... إلى الملأ الأعلى إلى حضرة القدس

---

(١) البُحْبُوحَةُ (من كل شيء): وسطه وخياره، وبحبوحة الدار: وسطها، وبحبوحة العيش: رغده وخياره (ج) بحابيح، وبحبوحات.

(٢) التخمين: القول بالحدس.
الحَدْس: الظن والتخمين و ـ (في الفلسفة): المعرفة الحاصلة في الذهن دفعة واحدة من غير نظر واستدلال عقلي.

فـجـاء ولـم يـحـفـل بـنـور كـثـيـره ... فخاطبها من حضرة النعل والكرسي
أنـا الـنـعـل والـعـرش الـكـريـم رسـالـتـي ... فـلـلـه مـن بـعـل ولله مـن عـرس
غـرسـت لـكـم غـصـن الأمـانـة نـاعـمـاً ... وإنـي لـجـان بـعـده ثـمـر الـغـرس
تـولـعـت بـالـتـبـلـيـغ لـمـا تـبـيـنـت ... أمـور تـرقـيـنـي عـن الـوهـم والـلـبـس
ورحـت وقـد أبـدت بـروقـي ومـيـضـهـا ... وخضت بحار الغيب في مركب الحس
ونـمـت ومـا نـامـت جـفـونـي غـديـة ... وتـهـت بـلا تـيـه عـلـى الـجـن والأنـس
فـيـا نـفـس هـذا الـحـق لاح وجـوده ... فـإيـاك والإنـكـار يـا نـفـس يـا نـفـسي

قال السالك: ثم افتر عن وميض برق شق به دجنة الفرق، وقال: كيف رأيت؟ أردت أن أعرب لك عن ماهيتي، وأعرب عليك بجميع هويتي، رأيت أيها السالك كيف فنيت الأغيار، وطمست الأنوار، وسرحت الأفكار، وتمت الأنهار، ونمت الأزهار، وتبينت حقيقة الاصطلام، وأشرقت أرض الأجسام، دللت على البقاء، وأسرت محل الارتقاء، إلى وجود اللقاء، أنا أشد دليل، على أوضح سبيل، لا يقضي علي، ولا ينتهي إلي، استويت على عرشي، اضطجعت على معالم فرشي، وصح له مرادي، وحمدت عاقبة اعتقادي، فقنعت بما أراد، ولو استزدته لزاد.

سماء الشرطة وهي الخامسة

(هارون)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، قال السالك فاستفتح لي سماء الشرطة، وقال لي: استفتحت سماء من أوتي في العلم بسطه، فلما فتح لي بابها اعترضني بوابها، وقام إلى حجابها، ورفع عني حجابها وقالوا: من الطارق، ومخترق هذه الطرائق، فقلت ضيف ورد عن أمر صاحب المنزل، فلم يوجد عن رحله بمعزل، فقطع الدو[1] واخترق الجو، وها هو قد حط رحله بفنائه، فمن المتكفل بتبليغ قدومه للحضرة وإنهائه، ولولا ما شاءت ناشية، وغشيته غاشية، أدت إلى تجريد الجوار، والاستظهار بالزئير على الخوار ما قطعت هذه الأقطار، فبادر صاحب شرطه الأحمر وقال: مرحباً بسيدنا الأكبر، أنا المتكفل بإنهائه، إلى حلة بهائه، وهل يدخر السهم السديد لا ليوم النضال، أو تنتشر كتب جالينوس إلا لحاجة الداء العضال[2]، ثم أدخلني

(١) الدَّوُّ: الفلاة الواسعة الأطراف.
(٢) العُضالُ: الشديد المعجز. يقال: (داء عضال)؛ أي: شديد أعيا الأطباء.

عليه وأوقفني بين يديه، فلما أبصرني الخليفة أطلق محياه وقال: حيا الله السيد وبياه[١]، ثم قال لوزيره خاطبه على لسان الصواب، وعرفه بين الحكمة وفصل الخطاب، فجرد الوزير عن ساعده الأشد وضرب بلسان أرنبة[٢] أنفه وأنشد:

هذا الخليفة هذا السيد العلم ... هذا المقام وهذا الركن والحرم
هذا اليمين قد امتدت لبيعتها ... فيا أئمة هذا الله فاستلموا
ساد الأنام ولم تظهر سيادته ... لما بدا العجل للأبصار والصنم
ما زال يدعو قويماً هممهم أبداً ... في نيل ما ناله موسى وما علموا
إن العيان حرام كلما نظرت ... عين البصيرة شيئاً ذاته عدم

هذا الخليفة العلي المنيع السني سقاه كأس الذل من أوى إلى الظل فناداه بذات الرحم وقد علم أنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم فسوى بينهما في النور والضياء وتبرزاً في صدور الخلفاء، فما هلك امرؤ عرف قدره ولا خمد نور شمس لم ينر بدره.

قال السالك: فلقطت من شذوره واقتبست من نوره وأزال غاشيتي على حسب ما أعطاه الحال وأخذت في الترحال.

سماء القضاة وهي السادسة

(موسى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال السالك: فاستفتح لي رسول الإلهام سماء الكلام فرأيت روحانية موسى عليه السلام فبادرته مسلماً، وقعدت بين يديه مستسلماً.

وعلى رأسه شيخ جميل ليس بالقصير ولا بالطويل فقال لي: هذا الشيخ هو قاضي القضاة ورئيس الولاة، وإليه ترجع أحكام السمٰوات، وقد أتاني في نازلة عميت عليه وأنا الآن أودعها لديه فخذ حظك منها، واعلم أنك مسؤول عنها، ثم صرف وجهه وقال: أيها القاضي لخص سؤالك في أوجز عبارة واقنع في الجواب بأدنى إشارة فقال القاضي سأل العبد الذليل الأدنى سيده العزيز الأسنى هل يصح فناء الاسم مع بقاء الرسم، فقال له الإمام: ألم تعلم أيها القاضي أن كل مخلوق مجبور يحيط بالحقيقة محصور، والعارف كلامه معرب ونعته بالمغرب والوارث كلامه مشرق ونعته بالمغرب والمشرق،

(١) بيّاك الله: سرّك وعجّل لك ما تحب. و ـ: بوأك منزلة حسنة وقرّبك يقال: حيّاك الله وبيّاك.
(٢) أرنبة الأنف: طرفه.

فالمحمدي يعري الأسرار ويكسو الأسرار، وقلبه بالحقيقة معمور ويشاهد الطريقة عليه مستور، جرد عن الغير وأوضح له المراد فجد في السير، فشاهد من ذاته ومن صفاته وصفاته، ومن أفعاله أسماؤه ومن أرضه وسماؤه.

ثم فني عنه بالكلية واستوى على عرش الصفات الإلٰهية فصح هنالك بقاء رسم العبودية، ومن هنا قال من قال: إياك وإفشاء سر الربوبية، إذا محى الوارث عن نفسه فلا فائدة له إلا قيامه من رسمه، وفناؤه عن حركته وحسه فإذا غرق في هذا البحر غرق في المنة فوجب عليه إقامة الفرض والسنة.

فأقر القاضي بشفائه واعترف وشكر على ما سمع وانصرف.

قال السالك: ثم صرف إليّ وجهه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

ثم قال: اعلم أنك قادم على ربك ليكشف لك عن سر قلبك وينبهك على أسرار كتابه ويعطيك مفتاح قفل بابه ليكمل ميراثك ويصح انبعاثك وهو حظك من أوحى إلى عبده، فلا تطمع في تخصيصك بشريعة ناسخة من عنده، ولا في إنزال كتاب فقد أغلق ذلك الباب إذ كان محمد صلوات الله عليه لبنة الحائط فكل دليل على مخالفته ساقط، ثم أنت بعد حصولك في هذا المقام وتحصيلك لما نطق به صريف[١] الأقلام ترجع مبعوثاً وكما أنت وارث فلا بد أن تكون موروثاً، فعليك بالرفق في تكليف الخلق.

فإن حضرة الفرق ضعيفة عن حمل العهد والوقوف عند الحد فسل مولاك إذا ناجاك التخفيف عن رعيتك في كل شيء ما لم يقل لك لا يبدل القول لدي، فإذا سمعت هذا الجزم فلا فائدة في الإلحاح في المسألة والعزم، واسأل العون ما دمت مدبراً للكون ـ فطار والله ما أنهكتني المشقة وقطع بي بعد الشقة وهذه وصيتي فاعلم دليلك بها على الطريق الأرفق والزم.

قال السالك: والله يا سيدي لقد علمت أن المعارف لديك قد استقرت وحبائل الحقيقة إليك قد اسبطرت[٢]، فقال لي: ومن لي بصدق هذا النطق ولعلها دعوى برية من الحق، فقلت له في نظمي يتبين لك ما استقر في علمي، فقال: أنشد حتى أعرف أين أنت وأجوزك أن أعربت عن دعواك وبينت.

قال السالك: فأنشدته ـ شعر

السـر مـا بـيـن إقـراري وإنـكـاري ... في المشتري وهم المدلج الساري

---

(١) صريف القلم: صوته.
(٢) اسْبَطَرّ اسبطراراً: امتدّ.

لم لا تقول وقد أودعت سرهما ... أنا المعلم للأرواح أسراري
أنا المكلم من نار حجبت بها ... نوراً فخاطبت ذات النور في النار
أنا الذي أوجد الأكوان مظلمة ... ولو نشاء لكانت ذات أنوار
أنا الذي أوجد الأكوان في سبح ... مجموعة لم ينلها بؤس أغيار
يا ضارباً بعصاه صلد رابية ... شمس وبدر وأرض ذات أحجار
فأعجب على شجر قاض على حجر ... وأبصر إلى ضارب من خلف أستار
لقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أحد لا يعرف الباري
قطعت شرقاً وغرباً كي أنالكم ... على نجائب في ليل وأسحار
فلم أجدكم ولم أسمع لكم خبراً ... وكيف تسمع إذن خلف أسوار
أم كيف أدرك من لا شيء يشبهه ... لقد جهلتك إذ جاوزت مقداري
حجبت نفسك عن إيجاد آنية ... فأنت كالسر في روح إنية القاري
أنت الوحيد الذي ضاق الزمان به ... أنت المنزه عن كون وأقطار

قال السالك: فالحمد لله الذي أقر عيني بما وهبك وكشف لك عن الأسرار بما حجبك.

سماء الغاية وهي السابعة

(إبراهيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال السالك: فاستفتح لي الرسول الجليل سماء الخليل فرأيت سرر روحانيته يدور بالبيت المعمور في غلائل النور فسلم عليّ ورحب وبالغ في الإكرام وأسهب فقلت له: يأبا القرى ومنادي ابناه بأم القرى نبهني على ماهية أمن مقامك الأجلى فقال: عليك بالنجم إذا هوى.

قلت له: فأين حظي من ذاتك قال: في إيثارك بأقواتك، ألم تعلم يا بني أنه لولا الجود ما ظهر الوجود، ولولا الكرم ما لاحت الحكم، ولولا الإيثار ما بدت الأسرار.

قال السالك: فقلت له: أريد الدخول إلى البيت المعمور والمقام المشهور، قال له شروط في الكتاب المسطور في الرق المنشور، فقلت له: أوقفني عليه حتى أنظر إليه.

قال: فدعى بكيوان الغاية، عند أهل الولاية، ما عدا الولاية المحمدية والمقامات الصديقية، وهذا كيوان صاحب خزانته وقابض جبايته، فأقبل مسرعاً ووقف بين يديه مقنعاً، فقال له: افتح خزانة النور، وجئني بالكتاب المسطور.

قال: فأقبل به من حينه وقال: أعطه له بيمينه، ففضضت ختامه وتصفحت سطوره أعلامه فإذا فيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا بيت الحق ومقعد الصدق، ومنبع الجمع. والفرق، وسر الغرب والشرق، وهو حرام على صاحب كل مقام إلا على من دنى من الرفيق الأعلى، فتدلى على المقام الأجلى فكان قاب قوسين أو أدنى، مقام محمود محمدي الاجتبىٰ، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ففهم عنه صريح المعنى، ما كذب الفؤاد ما رأى من حقائق القرب في الإسراء، ولقد رءاه نزلة أخرى، وآدم بين الماء والطين مسوى، عند سدرة المنتهى[1]، حيث تجتمع البداية والانتها، الأزل والوقت والأبد سوا، عندها جنة المأوى، مستقر الواصلين الأحياء، لما شاهدوا الذات آواهم جنة الصفات عن الورى، إذ يغشى السدرة ما يغشى من طرف الأسرار والنزه في العلى، ما زاغ البصر بغيره وما طغى، وكيف يزيغ لعدم لا يرى، فتوسط الكرسي وأمد العلوي والسفلي فظهرت القدمان بظهوره وأشرقت الأرض بنوره فاستمسكت الملائكة بالقدم الواحدة واستمسك العارفون بالقدمين الغائبة والشاهدة لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون من أعلى الاستواء إلى مركز النون.

فامتحن سر وجودهم عند مشاهدة موجودهم فكستهم عيبة الذات وغرقوا في بحور اللذات، ولم يبق لهم سبحانه بتجليه من رسوم الصفات إلا خفي الإشارات، فأرواح الوارثين في المشاهدة سوى وكما هم اليوم كذلك يكونون غداً غير أن مشاهدتهم في دار التركيب لها انفصال وانصرام وفي مقام دون مقام ومشاهدتهم هنالك على الدوام، فالانتقال في حق الأرواح والحشر في حق الأشباح حشر الأجسام من دار التكليف إلى دار الانفعال وحشر الأرواح من مقام الجلال إلى مقام الجمال.

حتى إلى ما لا يقال: وهنالك لا يجوز الانتقال، فمن جعل في هذا المقام فليس دخول البيت عليه حرام والسلام على من وقف على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ﴾ [الأحزاب: ١٣].

قال السالك: فقلت له: يا أبا الإسلام سلام ومؤلف الجزئيات وعالم ملكوت الأرض والسمٰوات جهلت أمري فوضعت من قدري وأنا أنبهك علي بغريب نظمي وعجيب نثري:

(١) سدرة المنتهىٰ: شجرة في الجنة.

مذ حل كاتب حب الله في خلدي ... وخط سطراً من الأشواق في كبدي
ذبت اشتياقاً ووجداً في محبته ... فآه من طول شوقي وآه من كمدي
يا غاية السؤال المأمول يا سندي ... شوقي إليك شديد لا إلى أحد
يدي وضعت على قلبي مخافة أن ... يشق صدري لما خانني جلدي
ما زال يرفعها طوراً ويخفضها ... حتى جعلت اليد الأخرى تشدّ يدي
مر الفؤاد عن التركيب مرتحلاً ... إلى الحبيب الذي يفنى وليس يدي
ما زلت أطلبه وجداً وأندبه ... بعبرة حيرتها زفرة الخفد(١)
حتى سمعت نداء الحق من قبلي ... من كان عندي لم ينظر إلى أحد
فمت بوجدك أو مت أن تشأ طرباً ... فإن قلبك لا يلوي على الجسد
فقمت والشوق يطويني وينشر بي ... وصحت من شدة الأفراح واكبدي
لما شهدتك يا من لا شبيه له ... لا فرق عندي بين الغي والرشد
فالنفس تعرفه علماً وتبصره ... عيناً وتشهده في الوقت والأبد
من عاين الذات لم ينظر إلى صفة ... فإن فيها حجاب الصف بالصفد

قال السالك: فقال لي: أما المراد بهذا الحجاب وإلى الأحباب فتحت الأبواب، قلت له: وأين الخلة من المحبة وأين المحبة من القربة كم بين من يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وبين من يقال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] كم بين من يقول: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٥] وبين من يقال له: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١].

قال السالك: ثم قلت له: ما ظنك بنهاية هذه بدايتها وأسرار هذه علانيتها أو أين أنت من قولي بشاهد فعلي.

إلهي ومولاي تمازج سركم ... وسري يا سؤلي فعنكم أترجم
بكم أبصر الأشياء غيباً وشاهداً ... بكم أسمع النجوى بكم أتكلم

أين مقام الأذكار من فناء الأفكار وعدم الأسرار وطموس الأنوار.

بذكر الله تبتهج القلوب ... وتتضح المعارف والغيوب
وترك الذكر أفضل كل شيء ... فشمس الذات ليس لها غروب
بذكر الله تغتفر الذنوب ... وتبتهج البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً ... فإن الشمس ليس لها غروب

---

(١) خَفَد خفداً وخفداناً: أسرع في مشيه.

أو أين أنت من مقام وصلت إليه ونزلت عليه.

يــا فــؤادي قــد وصــلــت لــه ... قــل لــه قــول حــبــيــب مــدل

لــولاي عــرش لــم يــصــح اســتــوا ... وبــنــوري صــح ضــرب الــمــثــل

قال السالك: فلما عاين هذا المومي، قال: لا يستوي البصير والأعمى، ثم قال لي: يا بني أذكر أباك عند مناجاتك مولاك يا بني أين منك الخليل، وأنت بالمقام الجليل، شتان بين من نظر في النجوم فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وبين من قال عنه ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] أنا أقول: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. وأنت يقال لك: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وأنا أقول: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤]، وأنت يقال لك: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤].

قال السالك: ثم بكى وقال: شغلتنا ملاحظة الأغيار، عن مباشرة هذه الأسرار، هيهات وأين الكلام من الإيثار، الكرم سيادة والإيثار عبادة، الكرم مع الرياسة، والإيثار مع الخصاصة، يا بني سر إلى ما إليه ناداك محبك ومولاك، والعهد بيننا التعريف بما به ناجاك.

قال السالك: فرجع البراق، وخرج عن السبع الطباق وألقى الرسول عصى التسيار، بسدة الأنوار.

سدرة المنتهى

قال السالك: فقلت له: ما هذا النور والبهاء، قال: سدرة المنتهى، ثم تلا الرسول الكريم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] فسكتنا عن تعبير ما رأينا كما سكت، كما يشاهد من يراد كما شهدت سكوت حصر وعجز، لا يقوى معه إشارة ولا رمز، فإنه إذا كان معدن الفصاحة والحكم، قد أوتي جوامع الكلم، وما زاد على أن قال: فغشاها من نور الله ما غشى، ووقف هنا وما مشى.

ثم قال: فلا يستطيع أحد أن ينعتها وإذا كان هذا فكيف يصف أحد حقيقتها، فجدير أن يوقف عندما وقف، وينظر في الترقي منها على الرفرف، حيث الملأ الأشرف، فإذا النداء من الأعلى، من ذلك بالرفارف العلى، وبينك وبينها الكرسي الكريم، الذي يعرف به كل أمر حكيم هو حضرة الأدب لأهل الهمم والطلب، وإليه ينزل الواصلون وعنده ينتهي المحجوبون، فالزم ما يقال لك فيه: وقف عند وصية ساكنيه.

حضرة الكرسي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

قال السالك: فأنشأ لي جناح العز، وطرت في جو الفهم حتى وصلت حضرة الكرسي، والموقف القدسي، فسألت عن مسجد الوصي، فقيل لي: بالمنزه الأقصى، فرأيت شيخاً ضخم الدسيعة[١] فقيل لي: هذا قطب الشريعة.

وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر، فسلمت تسليم خجل لا تسليم وجل، فقال الشيخ رضي الله عنه مرحباً بالقاصد، مقتنص الجواهر والفرائد، ثم قيل لي: أين تريد فهممت أن أقول: أريد أن لا أريد، فلما لم يكن مقامي لم يسعه كلامي، فجذبني إليه، ودرته بين يديه، فقلت: أريد مدينة الرسول صاحب الجمل والفصول، قال: وما تريد بمدينة أثرها قد درس، ونورها قد طمس.

قلت: لست للترابية أشير ولكن لبدرها المنير وعنصر مائها النمير[٢]، فقال: ألم تسمع قوله عليه السلام[٣]، وعلى بابها، وأنا أيها الطالب بوابها، فمن أراد المدينة فليقصد الباب، ويتملق للبواب، عند أشباح النسم، يهدي إليك طرائف الحكم عند الأشباح بالغبار، تعدى لك الأرواح بالأسرار، قلت له: يا سيدنا هل يعرف لذلك الباب مفتاح قال: أي والعليم الفتاح:

رأيت البيت مقفولاً لسر السر قد ملكا
سألت الله يفتحه فقال: بمن فقلت: بك

قلت: ناولنيه، قال: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[٤]، قلت له: قد عرفت حقيقة مكانه، فزد في نعته وبيانه.

قال له: أربعة أسنان أتقنها الحكيم الرحمان، فيها أربع حركات تجري على جميع البركات، فإذا فعلت ما ذكرته لك وأحكمته، فزت بالمفتاح وملكته، ومن ملك المفتاح فتح الباب، ومن فتحه حصل على كنز السرداب[٥]، فرأى الشيخ وتلميذه آمنين من

---

(١) الدَّسِيعةُ: المائدة الكريمة. ومنه يقال الكريم: (هو ضخم الدسيعة) (ج) دسائع.

(٢) النَّمِيرُ من الماء: الطيب الناجع في الري. يقال: ماء نمير. وحَسَبٌ نمير؛ أي: زاكٍ.

(٣) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١١/ ٦٦).

(٤) أخرجه الترمذي (زهد ١١)، وابن ماجة (فتن ١٢)، والموطأ (حسن الخلق، ٣)، وأحمد بن حنبل ١/ ٢٠١.

(٥) السِّرْداب: بناء تحت الأرض يُجعل فيه الماء في الصيف أو يُلجأ إليه من حرّ الصيف و ـ: المكان الضيق يُدخل فيه (ج) سراديب.

الشك والارتياب مبسوطين في حضرة الوهاب، قلت: قد فهمت ما أردت وعثرت على السر الذي إليه أشرت، ولكن زدني زادك الله من إحسانه، وأسبغ عليك رداء امتنانه.

قال: ادع الله أن يمدني بإلهامه، ويؤيدني بعلمه القديم وكلامه إسمع أيها السالك حسن الله أفعالك ولا جعلها أفعى لك، وسدد أقوالك فإنها عند المناجاة أقوى لك، حمد الله أولى ما يعربه فاه ناطق، وصلواته على رسوله فاتح اختراق هذه الطرائق، إلى مناجاة العليم الحكيم الرازق، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، فاسمع ولا تنتطق:

أنض الركاب إلى رب السمٰوات ... وانبذ عن القلب أطوار الكرامات

واعكف بشاطىء وادي القدس مرتقباً ... واخلع نعاليك تحظى بالمناجاة

وغب عن الكون بالأسماء متصفاً ... حتى تغيب عن الأوصاف بالذات

ولذ بجانب فرد لا شريك له ... ولا تعرج على أهل البطالات

بل صم وصل وفكر وافتقر أبداً ... تنل معالم من علم الخفيات

فقد قضى الله بالميراث سيدنا ... لكل عبد صدوق ذي تقيات

ألق أيها الطالب بالك أصلح الله بالك، حافظ على العلوم المدنية والأسرار الإلٰهية وإياك وإفشاء سر الربوبية، أخل القلوب وجاهد النفوس وفرق بين العلم الإلٰهي والمحسوس، اجمع بين الظاهر والباطن يتضح لك سر الراحل والقاطن، قف مع الظاهر في كل الأحوال ولا تقف مع ما ليس لك به علم في ظاهر الأقوال.

تلق الكلمات والحق بالآباء والأمهات صلي على ذي العلوم المدنية والأسرار القدسية وعلى الكليم وابن نون وانظر لمن كان الحوت عنده يبدو لك السر المصون في الكتاب المكنون الذي لا يمسه إلا المطهرون، لا تنظر الحوت بعين الغذاء والقوت وتأمل السرين في مجمع البحرين وكيف وقع النسيان هنالك ولم كان ذلك ولم كان حوتاً ولم يكن غير ذلك، ولأي فائدة اتخذ البحر مسلكاً على سائر المسالك أمط لو وليت ولولا تكن العبد والمولى، ترد برداء الآمنين وقف للناس في موضع القدمين وخذ من العلم حرف العين.

اخرق السفينة تلج المدينة، اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين، ولا تعرج على من قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الحين، هما سفينتان، لهما في الوجود معنيان، الواحدة سلامتها في الفتق، والأخرى نجاتها في الرتق، ليس في الملك إلا واحد فإياك أن تخرق سفينة الشاهد، اجعل السفينة من الزوجين، فقد قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١]، أحي الغلام، يدنك رب لأمة والغلام، اقتله فإنه كافر بمواضي الأسنة والبوائر، أقم الجدار وحذار من هدمه حذار، اهدم الجدار فإنه مجاب،

هكذا رأيته في أم الكتاب، افتح من السد المهرب، واثبت للتيار ولا تهرب، إياك أن تتناول فتحه، واقنع من الوجود بأيسر لمحة.

عطل وداً وسواع واكتم أمرك تأسياً بصاحب الصواع حجاب فلا تكتم، ولا تعطلها فتظلم، لا تفرد أخاك مخافة الذيب، واعطف عليه عطف المحب على الحبيب، إن لم تفرده للذيب، لم يتميز في أهل التخلق والتهذيب، لا تعطف عليه وانبذه بالعرا، حتى تبصر تأثير الأسما، إذا أردت أن يكون نعم الحدث، واري العزيز الحدث، اعرف قدر العزيز، فهو الذي أحلك محل سقوط التمييز، وجه البشير ولا تعرج على العير، ودارك بالتسبيح التكثير، وارفع أبويك على السرير، امسك القميص فإن الشيخ حريص، واترك الإبل في المسارح تمر عليها السوانح والبوارح[١]، لا ترفعهما عرشاً ومهدهما فرشاً، واخفض لهما جناح الرحمة ولا تنهرهما، ولا تقل لهما أف وإن استطعت فأعدمهما هما حاجباك، وهما باباك.

ابتغ الفتية، فهم الخلة العلية، لا تقف أثرهم جملة وتفصيلاً، ولا تتخذ إليهم سبيلاً، إذا اطلعت عليهم فول منهم رغباً، عيناً لا قلباً، السعيد كل السعيد، من قام عند الوصيد[٢]، اشمخ بأنفك عن همة الكلاب وإياك وملازمة الأبواب، سد الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهاب يكتمك من دون حجاب، لا تجالسه بحال فإن الكلام محال، لولا الأسباب عرفت الحقائق، فافتح الباب ولا تفارق، طهر فرجك من الفلوح، ينفخ لك فيه الروح، لا تظهر الفرج، وانظر ما ارتقم في الدرج.

ناد في الظلمات، تنبعث بين الأصوات، لا تناد من ظلمات الستور فإن النداء في النور، أنت الواحد الفرد، إن ضربت الفرد في الفرد، لا سبيل إلى ضربه، لثبوت ما أراد أن يوجده من غيبه، لا تقل: مسني الضر وسوِّ بين النفع والضر، وإذا مسك الضر فادع بلسان التعليم فهو مراد الحكيم العليم، لا تعود لسانك الحنث وبر يمينك ولو بالضغث[٣]، الحنث لا يلتفت إليه، فإن أهل الكشف ما عولوا عليه، لا تعذب الهدهد كما هم سليمان حتى تعجز عن البنية والسلطان، عذبه لما كشف السر وخرق الستر، ارفق على النمل إذا أوجبت بسوابق الخيل، فرقهم أيادي سبا، واقتلهم مضي السيف أو نبا واتركهم بين مهب الشمال والصبا[٤]، لا تشغلنك الصافنات[٥] عن المناجاة، أو

(١) السوانح: (ج).
السانح: الذي يأتي من جانب اليمن، ويقابله البارح، والأول ميمون والثاني مشؤوم.
(٢) الوصيد: فناء الدار والبيت.
(٣) الضِّغْثُ: كل ما جُمع وقُبض عليه بجُمْع الكف ونحوه. و ـ من الخبر والأمر: ما كان مختلطاً لا حقيقة له.
(٤) الصَّبا: ريح مهبها من مشرق الشمس ويقابلها الدبور.
(٥) الصافنات: (ج) الصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة.

امسح بالسوق والأعناق، وشد السير إليها والأعناق، من نظر الفعل للذات ما دام في المناجاة، فلا تمسح بأعناقها، ولا تشد في أعناقها.

لا تدفع الخاتم إلى أحد، ولا تأمن عليه أماً ولا ولد، ادفعه لمن شئت فإنه حجاب، ولا مسخر إلا مسبب الأسباب، لا تعرج على عرش بلقيس، ولا تلتفت لصرحها الممرد النفيس، إلا أن بدا منها الإسلام وألقت يد الطاعة والاستسلام، عرج عليها متى ظهر منها الإذعان في حالتي الإيمان والكفر إن تكن من أهل مقام الإحسان، لا تقدم اسمك على اسم مولاك، وإن كان ذاك لعلة هناك، قدم اسمك فهو المشرع المتبع، وإن لم تفعل فلست بمتبع، لا ترغبن في ملك لا ينبغي لأحد من بعدك، بل قل كل هذا سبحانك من عندك ارغب في ملك لا ينبغي لسواك، تخلق في ذلك بصفات مولاك، انشر البساط، واترك الناس في هياط[١] ومياط، اطو البساط، وأعدل إلى القبض من الانبساط.

الزم المحراب يأتيك الرزق بغير حساب لا تلزمه سبباً متمماً واتخذ إلى التوحيد سلماً، لا تهز الجذع في كل وقت فإنه مقت، هزه فهو المراد وهو الدليل على أهل الإفك والإلحاد، كن في المحلق ثلاث تفز عند المقابلة بثلاث، إن وقفت على الموائد الثلاث حزت مقام الضحك والإكتراث، سلم أمرك لصاحب السماء تعلم معالم الأسماء لا تسلم فلست يثاني فلا يحجبك المثاني.

اقصد الحج المبرور وطهر البيت المعمور تنادي من جبل الطور[٢]، إذ كانت الإشارة نداء على رأس البعد فما ظنك بالنداء من بعد، إن سرت بأهلك آنست ناراً وكلمت العزيز جهاراً، لو لم تسر بأهلك لرأيت النار نوراً فكشفنا في أول نظرة عن عينيك أعطية وستوراً، لا تطلب رداءاً سواه فمن توكل عليه كفاه، اطلب الردء من جنسك فإنه قد شاء أن يكون قوى لنفسك، ألق في تابوتك اليم مطبقاً فإنه لا بد من اللقا، لا تلقه بحال وأخلص لرب الحال، إن خفت الفسوق في الفقر فاضرب بعصاك ظهر البحر، فإن فتح لك طريق فاعلم أنك على منهاج التحقيق، لا تخف ولا تضرب واثبت ولا تهرب، يا عجباه كيف السلامة والبحر مديد والقسورة[٣] في البيد، لا يد ولا وزر إلى ربك يومئذ المستقر، إذا توكلت عليه في يقظتك ونومك علمت أنه لا بد من يومك فلا تعجل عن قومك، اعجل للنور المبين لعل قومك يفتنون، لا تستخلف على أمتك فيأخذ بعض الناس على همتك استخلف، ولا تعرف، ولا تطلب مائدة حتى تعرف شرطها ولا تقصد رفعها وحطها، حتى تعرف معناها وما أراد بها مولاها، لا تطلبها ما بقيت واشتغل بما به نوديت، إن اتبعت النص أحييت الموتى وأبرأت الأكمه

---

(١) يقال: هُم من هياط ومياطٍ، أي: في شرٍّ وجلبةٍ، أو في دنوّ وتباعد واضطراب.
(٢) الطُّورَ: جبل قرب أيلة يُضاف إلى سيناء أو سينين، وهو الذي ناجى فيه موسى (ع) ربه.
(٣) القَسْوَرُ والقَسْورةُ: الأسد (ج) قساور وقساورة.

والأبرص، جنب النص وعليك بالبحث والفحص.

لا تجعل الغراب دليلك فتشقى ولا تترك أخاك على ظهر الأرض ملقى هو أشد دليل على أرفع سبيل، لا يغلب على مقلتك النوم فتنفش غنمك في حرث القوم عليك بالنوم فيه تؤتى الفهم، لا تكن جباراً فتحد على الطريق حتى تصير ضجيع الغريق، كن جباراً على من تمرد واستكبر استكباراً.

اجعل الأصنام جذاذاً واعتصم بالله عياذاً، لا تترك الكبير وقارنه في الهلاك بالصغير، واترك الوجود على ما هو عليه فكل ميسر إلى ما يسر إليه، غمض عن الكواكب والقمر وإذا رأيت الشمس فلا تقل هذا أكبر، لا تقف مع السابع من الأفلاك وارغب إلى الله في التاسع حيث الاستواء والأملاك، ارفع الهمم واستعد لتحلة القسم، إن خلت الشمس في حملك أمنتها وذاقها غيرك وعاينتها، فإن تنزه رفعك عن القدم وآتاك جميع الكلم والحكم، فأنشد كما أنشدت ولا تهتم:

بدني أضحى إلى الأمم ... نائباً عن كعبة الحرم
كعبة للسر طاف بها ... كل من يمشي على قدم
من أراد الحج يقصدها ... من جميع العرب والعجم
أنا سر الخلق كلهم ... أنا الأقسمة الكلم
إنني شفيع ووتر إذا ... لم يكن بالربع من أرم
أنا كن لكنني شبح ... قابل للجهل والحكم
فيكون الجهل في صبب ... ويكون العلم في علم
إنني لو كان قدر فما ... غير أن الوتر في القلم
أنا وصف الوصف فاتصفوا ... أنا ذات الذات فالتزم
أنا سر السر مذ عدلت ... همتي عن موقف الهمم
أنا نور النور مذ برزت ... بوجودي درة الظلم
أنا عز العز ما ملكت ... نفس الذات الذل والغنم
من رآني فقد رأى ما خفي ... في مثال النور والقدم
بلغ الغاية قلب فتى ... ليمين الله مستسلم
قد أبحنا لثمها فمه ... ما علي في سابق القدم
سعد نفسي أنها سعدت ... بسلوك الواضح الأمم
لم ينله غيرها عاشقاً ... مثلها في سالف الأمم
يا رجالاً طلبوها غيرنا ... أين جود البحر من كرم

ارجعوا واستلموا كف من أن يهب لم يخش من عدم
كل طرف في العلى سانح نجونا وجدا بنا يرتمي
كل سر خافض رافع لوجودي رغبة تنتمي
منذ حل الشمس في حمل أمنوا تحلة القسم
لم يزل ولا يزال غداً في نعيم غير منصرم
وشموس الوصل طالعة وخسوف الهجر في العدم
انظروا قولي لكم فلقد عين كل الناس عنه عمي
تجدوه واضحاً حسناً منبئاً عن رتبة الكرم
يا إلٰه الخلق يا أملي يا سميري في دجى الظلم
جد على صب حليف ضني يا كثير الجود والنعم

ثم قال: يا بني إذا ظهرت لمستوى، وأيدت بالأسرار الإلٰهية والقوى، سمعت صريف القلم في لوح المحو في القدم، هنالك إذا لم تر شيئاً فقد رأيت، وإذا لم تسمع شيئاً فقد سمعت، فإذا رفع لك سر السر، واتصل الشفع بالوتر، كان هو ولا أنت، وظهر الحق وخفيت، وغبت عن البيت وعن صاحب البيت، فرأى نفسه بنفسه وعاد العدد إلى أسه، فإن قضى لك بالرجوع، ومفارقة ذلك المكان المنيع، ولا بد من ذلك للوارث، فإنه من تمام النعمة ولطيف الحكمة، حتى يتنعم الظاهر والباطن، وسري الراحل والقاطن، فاجهد في سلوك هذه المقامات، واعلم أنه من أراد اللقا مات فسلم الأمر إليه، وتوكل في سلوكك عليه، حتى تقف بين يديه.

قال السالك: ثم قال لي: اسبر هذه الوصية في محك النظر، ومجاري الغير، وتخلق بها على الطرد والعكس، تارة مع العقل وتارة مع النفس، ففرحت بوصيته، ورغبت في استدامة صحبته، فقال آلى العبد أن لا يصحب سوى مولاه، وأن لا ينظر سواه، ولم يزل يطنب[1] في الدعاء، ويجهد في الثناء.

قال السالك: فقام أهل المجلس وقالوا بلسان واحد: يا سيدنا أدر الله درك وألحق بك الحق ودرك، لله أنت من خطيب ما أفصح لسانه، وأحسن بيانه، وأطلق في شأو البلغاء عنانه، وأكن من الدر جنانه، واكتب للبدائع بنانه، وأعذب كلامه، وأشهى إلى الأسماع نثره ونظامه، لقد بالغت في الوصية، وأوضحت المقامات السنية، وأعربت عن أسرار الصوفية، ودللت على الطريق الأقوم والمنهج الأقدم، جازى الله سبحانه مجدكم على ما منح، ووهب لكم جزيل المنح.

(١) أطنب في الكلام أو الوصف أو الأمر: بالغ فيه وأكثر، فهو مُطنِب.

الرفارف العلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال السالك: ثم أنشأني نشأة أخرى وتلا ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، فسويت جناح اللطائف، وامتطيت متون الرفارف، وطرت في جو المعارف، فإذا هي مائة رفرف تدعى بالملأ الأعلى الأشرف:

فعاينت من علم الغيوب عجائبا ... تصان عن التذكار في رأي من وعى
فمن صادحات فوق غصن أراكة ... يهجن بلابيل الشجى إذا شجى
ومن نيرات سائلات ذواتها ... أميضوا علينا النور من فرصة المها
ومن نقر أوتار بأيدي كواكب ... عذاب الثنايا ظاهرات من الخبا
ومن نافثات السحر في غسق الدجى ... عسى ولعل الدهر يسطو بهم غدا
وأبصرت أقواماً كراماً تبرقعوا ... ولو حسروا ضجت على أرضنا السما
فمن سالك نهج الطريق مسافر ... إلى سفر يسمو وفي الغيب ما سما
ومن واصل سر الحقيقة صامت ... ولو نطق المسكين عجزه الورى
ومن قائم بالحال في بيت مقدس ... فلا نفسه تظمأ ولا سره ارتوى
ومن واقف للخلق عند مقامه ... ورتبته في الغيب مرتبة الأسى
ومن ظاهر وسط الطريق مبرز ... له مكنة تسمو على كل من سمى
ومن شاطح لم يلتفت بحقيقة ... قد أنزله دعواه منزلة الهبا
ومن نيرات في القلوب طوالع ... تدل على المعنى ومن يتصل يرى
ومن عاشق سر الذهاب متيم ... قد أنحله الشوق المبرح والجوى
وصاحب أنفاس نراه مسلطاً ... على نار أشواق بها قلبه اكتوى
ومن كاتم للسر يظهر ضده ... عليه الطلاب المشاهد للبقا
ومن فاضل والفضل حق وجوده ... ولكن ما يرجوه في راحة الندى
ومن سيد أمسى أديب زمانه ... يقابل من يلقاه من حيث ما جرى
ومن ماهر حاز الرياضة واعتلى ... فصار ينادى بالأسنة واللها[1]

---

(١) اللّهاةُ (من كُلّ ذي حَلْقٍ): اللحمة المشرفة على الحلق أو الهَنَةُ المطبقة في أقصى سقف الفم (ج) لهوات ولهاً، ولهياتٌ، ولُهيٌّ.

ومن متحل بالصفات التي حدا بأجسادها حادي المنية للبلا
ومن متجل طالب الأنس بالذي تأزر بالجسم الترابي وارتدا
ومستيقظ بالانزعاج كأنه أصابته مطروحاً على فرش العما
فقام له سر التجلي بقلبه فلم يفق بالغير الدنى ولا الدنا
ومن شاهد للحق بالحق قائم له همة تفني الزوائد والقنا
ومن كاشف وهو الأتم حقيقة ولولا أبو العباس ما انصرف القضا
ومن حائر قد حيرته لوائح تقول له قد أفلح اليوم من رقى
ومن شارب حتى القيامة ما ارتوى ومن ذائق لم يدر ما لذة الطوى
ومن غربة والمكر فيها مضمن ومن اصطلام حل في مضمر الحشا
ومن واحد قد قام من متواجد فأبدى له الوجد الوجود وما زهى
ومن سائر بالعلم وهو إشارة إلى عارف فوق الأقاويل والحجى
ومن ناشر يوماً جناح يقينه يطير فيسرى في الهواء بلا هوى
ومن باسط كفيه وهي بخيلة ولولا وجود القبض ما مدح الندى
وصاحب أنس لم يزل ذو مهابة وصاحب محو عن نسيم قد انبرى
وصاحب إثبات عظيم مهابة تتوج بالجوزاء وانتعل السها

قال السالك: فما زلت أخترق بهذه الرفارف وأنظر في بدائع هذه الطرائف واللطائف، حتى أتيت على آخرها وعرفت باطنها من ظاهرها، فنوديت: إلى أين! فقلت: إلى قاب قوسين، حيث يزول الكيف والأين تتضح الأسرار لذي عينين.

مناجاة قاب قوسين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال السالك: فنزل إلي الملك بالسلام الأسنى فرقيت فيه إلى المستوى الأعلى، فلما أنزلني قاب قوسين، قال: لا تطلب أثراً بعد عين، ثم تكفن في جناحيه ونكص على عقبيه.

قال السالك: فلما لقيت قيل لي: سلم يرد عليك، وسل ما شئت يوهب إليك، فسلمت كما يجب، وجثيت على الركب، فسمعت كلاماً مني لا داخلاً ولا خارجاً عني، وهو يقول:

لله در عـصـابـة سـارت بـهـم نـجـب الـفـنـاء بـحـضـرة الـرحـمٰـن
قـطـعـوا زمـانـهـم بـذكـر حـبـيـبـهـم وتـخـلـقـوا بـسـرائـر الـقـرآن
ورثـوا الـنـبـي الـهـاشـمـي الـمـصـطـفـى مـن أشـرف الأعـراب مـن عـدنـان
ركـبـوا بـراق الـحـب فـي حـرم الـمـنـى وسـروا لـقـدس الـنـور والـبـرهـان
وقـفـوا عـلـى حـجـر الـصـفـا فـأتـاهـم لـبـن الـهـدى مـن مـنـزل الـفـرقـان
قـرعـوا سـمـاع جـسـومـهـم فـتـفـتـحـت أبـوابـهـا فـبـدت لـهـم عـيـنـان
عـيـن تـبـسـم ثـغـرهـا لـمـا رأت أبـنـاؤهـا فـي جـنـة الـرضـوان
وسـمـا لـهـم عـيـن تـحـدّر دمـعـهـا لـمـا رأتـهـم فـي لـظـى الـنـيـران
قـرعـوا سـمـاء الـروح لـمـا آنـسـوا جـسـمـاً تـرابـيـاً بـلا أركـان
فـبـدا لـهـم لاهـوت عـيـسـى الـمـجـتـبـى روحـاً بـلا نـفـس ولا جـثـمـان
كـمـل الـجـمـال بـيـوسـف فـتـطـلـعـوا لـمـقـام إدريـس الـعـلـي الـشـان
طـلـبـوا الـخـلافـة إذ رأوا هـارون قـد أربـت مـنـازلـه عـلـى كـيـوان
مـالـوا الـخـلافـة عـنـدمـا نـالـوا مـنـا مـوسـى الـكـلـيـم الـراحـم الـمـنـان
سـجـد الـمـلائـكـة الـكـرام لـديـهـم دون اعـتـقـاد وجـود رب ثـان
طـمـحـت بـهـم هـمـاتـهـم فـتـخـلـلـوا فـي حـضـرة الـزلـفـى قـرى الـضـيـفـان
كـمـلـت صـفـاتـهـم الـعـلـيـة وارتـقـوا عـن حـضـرة الإيـمـان والإحـسـان
لـلـذات كـان مـسـيـرهـم فـحـبـاهـم بـشـهـودهـا عـيـنـاً بـلا أكـوان
وصـلـوا إلـيـه وعـايـنـوا مـا أضـمـروا مـن غـيـب سـر الـسـر كـالإعـلان
سـبـحـانـه وتـقـدسـت أسـمـاؤه وعـن الـزيـادة جـل والـنـقـصـان

قال السالك: ثم قال لي: أخبرني يا زهرة المحبين، ويا جمال الوارثين، ماذا لقيت في طريقك إلينا، وبماذا وفدت به علينا؟ قال السالك: لما فارقت الماء عرج بي إلى أول سماء فرأيتها مزينة بالنجوم، فمنها اهتداء ومنها رجوم، ورأيت مقامات الخلفاء، ومصابيح الظلماء، فوجدتها ثمانية وعشرين، وحضراتهم اثنتا عشرة للتتميم الأربعين، فقيل لي: هذه منازل السالكين، وينابيع حكم المخلصين، ثم لحظت السبعة الخلفاء في الأفلاك يسبحون، فحملتها على السبعة المودعة في الفلك المسحون، فنظرت في الجدي[١] والفرقدين[٢]، فإذا هم الأئمة في العالمين.

(١) الجَدْيُ: نجم إلى جنب القُطب، يدور مع بنات نعش، وتُعرف به القبلة، ويقال له: جدي الفرقد.
(٢) الفرقد: اسم لنجمين من نجوم الدب الأصغر، وهما فرقدان.

فاستفتحت سماء الأجسام فرأيت آدم عليه السلام، وعلى يمينه سودة القدم، وعلى يساره أسودة العدم، وهو يتردد بين بكاء الجلال وضحك الجمال، لمعاينة النقص والكمال، فرأيت جميع الأنبياء أمواتاً حين رأيتهم أشتاتاً، وطلبت الحقيقة فقيل لي: حتى تفنى عن الطريقة، فإنه لا يبدو كمال الصورة لأهل المعراج والنهى، حتى يبلغوا سدرة المنتهى، هنالك تنتهي حقائق نفوسهم وتكشف لهم عن مواد شموسهم، وذلك أول مقامات الثلاثمائة والفناء على كل فئة، وأما حقيقة الذات فلا تشاهدها سواه وغاية كل واصل أن يشاهد معناه، فلا غاية فيما فيه الغاية، ولا نهاية لموارد البداية.

فعرج بي إلى سماء النفوس، وانتقلت عن العالم المحسوس، فنفخ في الصور بمشاهدة المسيح فأظهر فتقاً في سماء وأرض كانتا رتقاً، فنطقت بالحمد والثنا فأعطيت الحسن والغنا، فرأيت يوسف في سماء جمال القلوب، فألحقني بموارد الغيوب، فشكرته شكراً سنياً فرفعني مكاناً علياً، فرأيت في الرابعة إدريس، وتقدس السر عن التخيل والتلبيس، فقلت: هذا المنتهى، وهذا مقام الكمال والبهاء، وطلبت الخلافة عن الإمام، فرفعت إلى هارون عليه السلام، فقيل: أتعرف ما جرى من استخلف في مقام الإحسان؟ فأخذ بلحية كليم الرحمٰن.

فعرج بي إلى سماء الكلام، فرأيت موسى عليه السلام فرحب بي وأقعدني، وعلى موضع الرفق نبهني، ثم قال لي: أنا الكليم المكلم القديم لو لم تلق الألواح، ما جررت برؤوس الأشباح، أنت عبد مكرم، ولدينا معظم، قلت له: أريد الخلة، قال: هي لمن سد عن الأنام الخلة، قلت: أنا ذلك قال: فارق إلى السماء السابعة أيها السالك، فهي سماؤها، وعليه قام عمادها وبناؤها، فرأيت صاحبها مسند أظهره إلى البيت المعمور، فأدركني الجذل والسرور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ليحيي من حي عن بينة ويهلك من هلك، وأقيم لي في السدرة نهران ظاهران، ونهران باطنان، فالظاهران قراءة الكتاب ووصل السنة، والباطنان التوحيد والمنة.

ثم بلغت سدرة المنتهى، وقلت: هذا هو الانتها فتلا على الرسول الكريم، وما منا إلا وله مقام معلوم ولا بد لك من التداني والترقي والتدلي والتلقي بالمقام المحمود وحضور الشاهد والمشهود ثم اختطفت من تلك السدرة العلية، وأنزلت بكرسي الشفعية فحفظت بها الوصية السنية ثم أنشأ جناح اللطائف وامتطيت ظهور الرفارف فمررت بثلاثمائة حضرة ما نظرت إليها نظرة، فسمعت صريف القلم باليمين، في ألواح صدور الوارثين، فلما دنوت من الصريف قيل لي: تقنع بالنصيف.

قال السالك: فعندما سمع مني هذه اللفظة لطني، وفي ثوب العبودية غطني، ثم قال لي: يا عبدي لا تحد حد الكلام فإنني المكلم والمكلم ومني الكلام، فلا يحمل كلامي سواي كما لا يسعني أرضي ولا سمائي.

مناجاة، أو أدنى،

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

قال السالك: ثم أنشأ لي جناح الفنا فطرت به إلى حضرة أو أدنى، فلما نزلت بفنائها وسقطت على حيطان أسمائها أنشدت:

من الذي لم يزل ينادي ... إلى الذي لم يزل مجيبا
أسهرت عيني أطلت بيني ... أورثتني الوجد والنحيبا
صيرتني في الهوى فريداً ... متيماً هائماً غريبا

قال لي: ذلك إرادتي فسلم، وإن جرت مقاديري عليك فوض أمرك واستسلم، أيها السالك: أريد أن نخصك بحضرة، أو أدنى، هل أطلعت على حقائق الإشارات في آيات جواهر القرآن، ودرره الأسنا سورة سورة حتى يصح لك كمال الصورة أناجيك بلسان الترجمان بأوضاعه وغرره كمناجاة أبي حامد في جواهره ودرره، وكنت قد برزته في زمانه سابق ميدانه سر شمسه وهلاله لم ينسج في أوانه على منواله إلى أن وصل زمانك المنهج، وأوانك الملهج، فغزلنا لك أرق من غزله ورفعناك عن نسبة الوجود وجد غزله وهزله، فنسجته بنا على منوال مخترع وألبسته حلة صافية الأردان[1] مختلفة الألوان درة بكر عيناً لم تفترع، فوجود الفرق بينهما واضح، وطريق انضمام شملكما لائح، وذلك أنا نظمنا لك الدرر والجواهر في السلك الواحد، وأبرزنا له ذلك النظم في حضرة الفرق المتباعد ولقديري الواقف عليه يكاد لا يعثر على سواء النسبة التي أودعتها لديه وفي مناجاتك يلوح لك سر نسبه وعلو منصب سببه، فاستمتع ما يلقى عليك الترجمان بلسان الرحمٰن من أسرار القرآن وجواهر الفرقان، ودرر السلوك وجواهر سلوك الملوك وقلائد النحور، وفرائد صدف البحور ورموز الكباريت، وإجلاء اليواقيت.

فألق السمع أيها السالك لإدراك غوامض الأسرار، وجد إدراك البصيرة إلى إدراك مشارق الأنوار، وافن عن الكلية الأبدية بالكلية الأزلية، وقد لخصنا لك عيونها، وكم رامها غيرك فقطع به دونها، وزوينا لك الشقة، ووهبناها لك من غير مشقة. فاغترف من بحار الحضرة الإلٰهية، وأنشىء بها القوالب الطينية، فالقشر مع اللب كالجسم مع القلب، فشتان بين محل الأسرار والغيوب ومهب الصبا والجنوب، وإذ ولا بد من الاختيار في معاني هذه الأسرار فما قصدك الإطالة أم الاختصار؟ فإن هذه حضرة أو

(١) الأردان: (ج) الرُدْنُ: الكُمّ.

أدنى، ليس فيها إلا دقيق سر أو لطيف معنى من هنا أرسلت الفوائد لمناجاة الإمام أبي حامد.

فقلت له: إن الطالب إذا فهم وقع الإشارة، أوجز له في العبارة ـ فإن كان من أهل التحصيل، فسيوفق للتفصيل، فسلني عن المعاني الكثيرة باللفظ الوجيز، وخلصه لي كالذهب الإبريز(١).

قال السالك: فقال لي: نعم نخلص ونعرب عن القصد ونلخص وها نحن نشخص إليك ترجماناً يلقي عليك أسرار الكتاب ويقدم لك القشر على اللباب، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب، وقد أمرناه أن يسألك عنها ما بين زراعة وحصاد وسبيل وجهاد، وتجل وتحل، وبداية ونهاية، وارتقاء ولقاء وغرس وجنا، وحرف ومعنى، وتجارة وربح، وصلاح ونجح، وقرع وفتح، وسلوك ووصول، وجمل وفصول، وأرض وسمٰوات، وألفاظ وإشارات، إلى أمثال هذه الإشارات الحقيقية، واسلك عن رموزها الرسمية، حتى ينتظم السلك، ويرتبط الملك.

قال السالك: فقلت له: مولاي أما العبد فبصره بك حديد، وقد ألقى السمع وهو شهيد، فإن أيدته بالحكمة وفصل الخطاب، فسيوفق للإصابة في الجواب، فقال لي: ما وليناك حتى أيدناك ثم قال لترجمانه أول ما تفاتحه به من سر الوحي ولبابه وتفتح عليه من أبوابه فاتحة الكتاب.

قال السالك: فدخلنا مجلس المحاضرة، وفرشنا بساط المناظرة: وجرد الترجمان عن ساعده، وقال: هات الجواب عن فرائد أسرار القرآن وقلائده.

آيات مناجاة الإمام أبي حامد

ركن المعالم والمحامد، قلت: سألت والله حديد عنان الجنان ماضي سنان اللسان.

قال الترجمان: ما تقول في فاتحة الكتاب، قلت: قسمها الباري نصفين حتى لا يصح في الوجود إلهين اثنين، قال: ما فيها من الإشارات والرموز والدرر، قلت: الياقوت الأحمر والأصفر، والعنبر(٢) الأشهب والعود الرطب، ألا انظر أيها الترجمان أم الكتاب ليس لها انتساب، بل هي الإمام المبين لجميع العالمين، فمنهم من علم الإمام فاتبعه ورفعه ومنهم من جهله فحطه ووضعه، هي الأصل الثابت فرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها مع استغنائها عن الماء، وهي المثاني بالنظر إلى المباني، والفاتحة بالنظر إلى الطرق الواضحة، وأم القرآن لمن تخلق بالفرقان.

(١) الإبريزُ: الذهب الخالص.
(٢) العنبر: من الطيب.

قال السالك: فما زال يسألني عن جواهر القرآن ودرره سورة سورة حتى أتى على آخره، قال: فلما أكمل الترجمان سؤاله عن جواهر القرآن ودرر الفرقان، طوى بساط المناظرة وسد باب المخاطرة، وتجلى لي المطلوب وقال: جئت على المرغوب، أنت الإكسير[١] والهمهم النحرير[٢]، ركبت جواداً لا يكبو وضربت بحسام ماضي الضربة لا ينبو، وهذا اللوح بين يديك، فاتل ما أوحي إليك.

مناجاة اللوح الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال السالك: ثم جذبني إليه بيد التحميد وأنزلني في حضرة لوح التوحيد، وهو القلم الإلٰهي والعلم الرباني، فرأيت مسطراً في ذلك اللوح مقامات أهل الريحان والروح، فرفعت حجاب النعمة فلاح لي توحيد الرحمة، ثم رفعت حجاب الأبدية فلاح لي توحيد القيومية، ثم رفعت حجاب الأنوار فلاح لي توحيد الأسرار، ثم رفعت حجاب النسبة فلاح لي توحيد المشية، ثم رفعت حجاب الإفادة فلاح لي توحيد الشهادة، ثم رفعت حجاب الشفع، فلاح لي توحيد الجمع، ثم رفعت حجاب الخلق فلاح لي توحيد الحق، ثم رفعت حجاب الأمر فلاح لي توحيد السر، ثم رفعت حجاب الترك فلاح لي توحيد الملك، ثم رفعت حجاب السيادة فلاح لي توحيد العبادة، ثم رفعت حجاب التولي فلاح لي توحيد التجلي.

ثم رفعت حجاب الوراثة، فلاح لي توحيد الاستغاثة، ثم رفعت حجاب الإسلام، فلاح لي توحيد الأعلام، ثم رفعت حجاب قرع الباب، فلاح لي توحيد الأسباب، ثم رفعت حجاب الأعمال فلاح لي توحيد الإنزال، ثم رفعت حجاب المسمى، فلاح لي توحيد الأسماء ثم رفعت حجاب الاختبار، فلاح لي توحيد الاختيار، ثم رفعت حجاب الاطلاع فلاح لي توحيد الاتساع، ثم رفعت حجاب الاتباع فلاح لي توحيد الاستماع، ثم رفعت حجاب الريب فلاح لي توحيد الغيب، ثم رفعت حجاب القدم فلاح لي توحيد الكرم، ثم رفعت حجاب التسليم فلاح لي توحيد التعظيم، ثم رفعت حجاب النعلين فلاح توحيد الكونين، ثم رفعت حجاب الثناء فلاح توحيد الفناء، ثم رفعت حجاب المنة فلاح توحيد المنة، ثم رفعت حجاب العرض فلاح توحيد الخفض.

(١) الإكسير: مادة كان الأقدمون يزعمون أنها تحوّل المعدن الرخيص إلى ذهب. و ـ: شراب في زعمهم يطيل الحياة.

(٢) النِّحْريرُ: العالم الحاذق في علمه (ج) نحارير.

ثم رفعت حجاب خذ العفو وأمر بالعرف، فلاح توحيد الصرف، ثم رفعت حجاب السرير فلاح توحيد المصير، ثم رفعت حجاب الملك فلاح توحيد الإفك، ثم رفعت حجاب الخلاص فلاح توحيد الإخلاص، ثم رفعت حجاب العبادة فلاح توحيد السيادة، ثم رفعت حجاب النار فلاح توحيد الاستغفار، ثم رفعت حجاب الأشراف فلاح توحيد الأوصاف، ثم رفعت حجاب الشرك فلاح توحيد الملك، ثم رفعت حجاب الإحسان فلاح توحيد الإيمان، ثم رفعت حجاب الكفالة فلاح توحيد الوكالة.

قال السالك: فلما ناجاني في هذه المشاهد الكرام والمقامات الجسام، ورأيت فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا عثرت عليه غوامض الفكر، قال لي: أيها السالك: أين هذه المقامات من أولئك قلت: ما بينهما نسب ولا سبب، قال: صدقت، ثم قال: أيها الرسول قرب إليه الفرس حتى أناجيه في الجرس.

مناجاة الرياح وصلصلة

الجرس وريش الجناح

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قال السالك: فامتطيت متن الجواد العتيق وقلت: الرفيق الرفيق، واحترقت بين دقائق ولطائف، ورقائق ومعارف، إلى أن وقفت بي الفرس في حضرة الجرس، فسمعت صلصلة الألحان بوقوع الامتحان، فاقشعر جلدي وزال كل ما كان عندي، ثم هبت عليَّ عواصف رياحه فسترتني بريش جناحه، ثم نفس عني فرأيت العوالم يتساقطون على الأغيار تساقط النسور على الملاحم، وتمثلت عند ذلك بقول الواصل.

تسترت عن دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما أسمى ما درت ... وأين مكان ما درين مكاني

قال السالك: فلما ذهبت تلك الرياح العواصف، وسكنت صلصلة الرعود القواصف، وقد تنضد الجبين عرقاً، وذبت خوفاً وفرقاً، بسط لي الجناح، وقال: قد مرت الرياح.

هذه الريح لا تمر على شيء إلا جعلته هباءاً منثوراً، وتدمره تدميراً، لأنها ريح الغيرة، فليس تبقى مع مالكها غيره، وأنها لترمي بشرر، ولا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، صرحنا بها في الكتاب الحكيم، وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فجعلت هذا الجناح لأصحاب هذا المقام وقاية وجنة، فربما اعترتها لذلك حماية وجنة، فترميه حين تمر عليه بكل مصيب مريش،

فتتعلق بأهداب تلك الريش، فربما قلت: منها سهم أو سقط، فأصاب قلب بعض أهل العناية فاغتبط، فترتاح قلوبهم، مسرعة إلى راميها، أسرع السهام إلى مراميها، فعند ذلك يتنشدون، الواجدون والمتواجدون.

لقد رماني بسهم الحب والكلف   سهم أصاب فؤاد الواله الدنف

إلى مثل هذا من الأبيات فعندما يتعلق تلك السهام بريش الجناح يسلم من تحت كنفه، بعدما أيقن بذهابه وتلفه، وربما بطلت دعواه في وجده بحضرة الوحي وكلفه، فإن بطلت دعواه، لم ترده على ما أريناه فأنزلناه أسرح ما يمكن وأوحى، وحلنا بينه وبين حضرة أوحى، وربما يتخيل في خلده أن مفاتيحها بيده، كلا إن بينه وبينها مهامه[١] وسباسب[٢] تنقطع فيها بأعناق الركائب، ثم لا يصلون إليها من بعد ويتهيؤون في أرضها بين وعيد ووعد، وهي منهم مناط الثريا وإن اشتكى أحد منهم وجده يقول: تعساً لك لقد جئت شيئاً فرياً فيا له من جواب ما أقطعه وكلام ما أفجعه، ينتظرون ولا ينظرون ويسترحمون ولا يرحمون، ويستصرخون فيجابون، اخسئوا فيها ولا تكلمون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون.

قال السالك: ثم قال: فإذا ذهبت الرياح، نفشت عليهم الجناح وروحت على قلوبهم وسقتهم الراح، فعندما تروح على أسرارهم لطفاً، يهب من نسيم ذلك النفس على بعض قلوب أحرقها الشوق والاضطرام حناناً وعطفاً، فيسكن عنهم ذلك النفس، بعض ما يجدونه من لهيب القبس، فعندما ينطفي ذلك النبراس[٣]، يسمونه أهل الحقائق صاحب الأنفاس، وقد أشرت إليه في المقصورة المتقدمة، وصاحب أنفاس تراه مسلطاً فخذه من ثم وافهمه.

قال السالك: ثم قال لي: قد رأيت ههنا ما رأيت، ونلت الذي تمنيت، قلت: نعم رأيت، بعض ما نويت، ونلت قليلاً مما اشتهيت، وعزتك لا وقفت مع حضرة، ولا نظرت إليها نظرة، فإن كا جزء من الكون حجاب، والصفات أسباب، فقال: لك ما أردت وشأنك وما اعتقدت، قلت له: الآن زال غمي، وانجلى ليل همي، قال: إني موصلك إلى مستقر قلبك، ومقر لبك، قلت له: ليس لي مقر، كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر، قلت: الله أريد، فإن في الربوبية توحيد العبيد، قال: لك طريقة لا تسلك وهمة لا تلحق، ولا تدرك، لم تدع حجاباً إلا خرقته، ولا ستراً إلا مزقته، ولا عيناً إلا أذهبته ومحقته، فينادي إلى أين فيفنى من مناديها الأثر والعين، فهي لا تستقر

---

(١) المهامه: (ج) المَهْمَه: المفازة البعيدة.
(٢) السباسب: (ج) السبسب: القفر والمفازة، والأرض المستوية البعيدة.
(٣) النِّبراسُ: المصباح.

بمنزل، ولا توجد عن رحله بمنزل، أنا أناجي بالتبليغ كل سالك وواصل في مقام، فيظن قد بلغ النهاية والختام، فيقول: عندما يسمع الخطاب هذا مقام أوحى إلى عبده فيرجع بالتبليغ من عنده، ولم يعلم أن خطابه إنما كان من حده فيطلب الرجوع إلى عالم الشهادة والمثال، رغبة في الميراث والكمال، فربما يعجز في التمثيل، ويلوح له النقص فيطلب الرجوع للوصول والتحصيل، فاقطع دونه السبيل، وأنت قد ناجيتك في كل حفرة، ونظرت إليك فيها نظرة، ثم نظر بين هسمة ونضرة وفي هذا كله لا تشبع ولا تقنع، ولا تخبط ولا تجمع، وتقول: هذا صار من تحوير فقليل من كثير.

فقلت: من أين كان العبد أن يعرف مولى لولا ما قلت ما نفدت كلمات الله لولا، والعبد ليست له إرادة يطلب بها الرجوع والشهادة وإنما هي الإفادة والزيادة، فإن وقع منك لا مني نطقت عنك لا عني وكانت لي الحجة واتضح لي سنن المحجَّة، فوعزتك لو أبقيتني آباد الآباد، ما طلبت إلا الازدياد، فإني علمت أن النهاية محال، فكيف أرجع غن هذه الحال، فإن أردت مني الرجوع إلى الملك فاشترط، وحينئذٍ تقر عيني واغتبط، قال: وما كنا نشترط، قلت: يكون نوري عليهم منبسطاً أرقيهم بالهمة، وأنا خارج عن كور الغمة، أناجي بواطنهم بقلبك وأنا مخبو في خزانة غيبك، يجدون الأثر ولا يجدون عيناً ويطلبون الأين فلا يجدون أينا، فيكثر هممهم ويقوي اسمهم، حتى أكون في ذلك الإرشاد والهداية، صاحب نهاية وبداية، واخترق وإلا تحترق، وتطلب فلا تلحق، كما تطلب فلا تلحق، فإن صح لي هذا الاشتراط، واستقوى لي هذا الارتباط، فأنا أنشر البساط وأسير بين الانقباض والانبساط، قال: أرق إلى حضرة أوحى أناجيك فيها بما يكون، وأهب لك بها سر القلم والنون، حتى يقول للشيء كن فيكون.

حضرة أوحي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال السالك: فاختطفت مني وأفنيت عني واتفقت أمور وأسرار غطى عليهن إقرار وإنكار، جلت عن العبارة ودقت عن الإشارة، فهي لا تنعت ولا توصف، ولا تحد، ولا تتصف، وغاية العبارة عنها أن يقال: قلت وقال وانعدم المقام والحال، ولم يبق مثل ولا ضد ولا مطلع ولا حد، وذهبت الجنة والنار وفنيت الظلم والأنوار، وفني كل قاب ورفرف ولم يبق جناح ولا ملاء أشرف، واتحد السؤال والجواب وزال المكتوب والكتاب.

وكان المجيب هو المجاب ومضت البحارة وأحجارها والحقائق وأزهارها ومارت السماء وطمست أنوارها فلم أرجع إلى البقاء بالحق بعد ذهاب العين والمحق، حتى

وجدت في غيابات لباب سر أسرار روح معنى قلب النفس ما كنت آمله بالأمس، ثم توجني بتاج البهاء وإكليل السناء وأفرغ عليّ حلة الكبرياء وأذن لي أن آذان على سواء وذلك على الشرط الذي قد اشترطته في مناجاة حضرة الرياح، والعقد الذي ربطته بحضرة الجرس والجناح، فأنا اليوم أنادي وأنادي وأهادي وأهادي وأسري ويسرى إلي وأتوكل ويتوكل علي ووهب لي كل حضرة تحت علمي يخترقها السالكون إلى أسمى، ولا يدركون مني غير ما أدركته، ولا يملك أحد منهم من وجودي سوى ما ملكته هذا إن كانت لهم عندي عناية وسبق لهم في سابق علمي هداية وإلا ففي بحر المعارف يسبحون وفي قعر اللطائف يحيطون، مهد الله بهم السبيل وعرفهم أسرار التنزيل.

باب الإخبار ببعض ما حد لي الستار

أن أخرج ممن سأل من الأبرار مما يحصل لي من حضرة أوحى من الأسرار.

مناجاة الإذن

قال السالك لما أذن لي أن آذن على سواء وأن لا أقف في موقف السوى وأن لا أتعدى في الخطاب حضرة الكرسي فإنه مقر التبليغ العلي، والميراث النبوي برزت لكم مخبراً وناهياً وآمراً فإياكم أن تظنوا اتصالي بحضرة أوحى اتصال أنية إن هو إلا وحي يوحى، وبرهاني على ذلك تعريفي لكم فيما تقدم حتى الآن إني سالك وإني ما قبلت منه تبليغ القسط الأعلى الشرط المتقدم والربط فلا تنسبوني إلى الإيجاد الفرد فإنه السيد وأنا العبد وإنما هي رموز وأسرار لا يلحقها الخواطر والأفكار إن هي إلا مواهب من الحنان جلت أن تنال إلا ذوقاً ولا تصل إلا لمن له هو فيها مثلي عشقاً وشوقاً.

قال السالك: لما انتهى بي إلى هذه الحضرة القدسية، جردني عن الغلائل السندسية، وأوقفني عرياناً ببابها لأرغب متضرعاً أن يطلعني على ما بها حتى يصح افتقاري وتنكسر فقاري فلما علمت ما أراد أو قر في نفسي صورة الإنشاد وهز البسيط، فاهتز التخطيط، وقلت قارعاً بابه قول من فارق أوطانه وأحبابه:

يـا مـن إلـيـه تـضـرعـي	كـم ذا تـريـد تـمـنـعـي
كـم ذا طـلـبـت وصـالـكـم	بـتـبـتـل وتـخـشـع
كـم ذا سـمـت تـنـفـسـي	أه يـا فـواد تـصـدعـي
قـلـب يـذوب وزفـرة	تـعـلـو لـفـرط تـولـع
يـا عـين بـالـنـظـر الـذي	قـد نـلـت مـنـه تـشـفـعـي
واهـمـي الـدمـوع بـبـابـه	وتـمـلـقـي وتـصـنـعـي
يـا نـفـس مـوتـي لـوعـة	وعـلـى الـحـبـيـب تـقـطـعـي

شوقاً إليه لعله ... يرثي لرسم بلقع
لما وقفت ببابه ... بتنهد وتضرع
وتحنن وتعطف ... بتغصص وتجرع
نادى الحبيب من الذي ... بالباب قلت: فتى دعي
قال: ادعى هل شاهد ... يدريه قلت: نعم معي
إن كنت أكذب سيدي ... حسبي شهادة أدمعي
وتسهدي وتبلدي ... وتوجعي وتفجعي
وتلهفي وتحيري ... وتشرعي بتشرعي
ما زلت أسهر باكياً ... حتى بكاني مضجعي
شهدت بذلك زفرتي ... وسنا النجوم الطلع
قال لي: صدقت فما الذي ... تبغيه قلت تسمعي
قصدي الغروب وظاهري ... يطوي الطريق لمطلع
بعض المهامه قاصداً ... نحو الأعز الأمنع
يا ظاهراً من ظاهر ... كم ذا تقول تمنع
لا تحجبن نواظري ... بسنا المحل الأرفع
وهب الذي أملته ... يا ذا الجلال الأروع
أين الحجاب ولم يزل ... ما دمت إنساناً معي
لما حميت بأربع ... برح الخفا وأربع
علمي بعلمك قائم ... وكذا العيون ومسمعي
وكذا الحياة وقدرتي ... واللذات ذاتك ادعي
والقول قولك والإرا ... دة مثله فتطلع
يا عين لا تبكي عليـ ... ـه اليوم شوقاً واقلعي
لو كان يترك غيره ... لبكيته فاستمتعي

قال السالك: فلما سمع شعري المترجم عما وقر في صدري ووقر في حقيقة أمري، فتح الباب ورفع الحجاب، وقال: استمع ما أورده عليك، ويا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك.

مناجاة التشريف والتنزيه والتعريف والتنبيه

على التقويم الأكمل الأحسن، والحق الأجمل الأتقن المحفوظ المصون في الَمَ والتين والزيتون الذي نبهت عليه بالقبس في حضرة القدس حيث قلت:

هب النسيم مع الإمساء والغلس[١] بعرف روض البها من حضرة القدس
وشم بريقاً بأفق البين لاح لنا يدل أن عيون الماء في النبس
ألم تروا لكليم الله كيف بدا له الخطاب من الأشجار في القبس

قال السالك: كان ما قيل لي في ذلك التشريف والتنزيه، والتعريف والتنبيه، إن قال عبدي: أنت حمدي وحامل أمانتي وعهدي أنت طولي وعرضي، وخليفتي في أرضي، والقائم بقسطاس حقي، والمبعوث إلى جميع خلقي.

عالمك الأدنى بالعدوة الدنيا، والعدوة القصوى، أنت مرآتي ومجلي صفاتي، ومفصل أسمائي، وفاطر سمائي، أنت موضع نظري من خلقي ومجتمع جمع وفرقي، أنت ردائي، وأنت أرضي وسمائي، وأنت عرشي وكبريائي.

أنت الدرة البيضاء، والزبرجدة[٢] الخضراء، بك ترديت وعليك استويت، وإليك أتيت، وبك إلى خلقي تجليت.

فسبحانك ما أعظم سلطانك، سلطانك سلطاني، فكيف لا تكون عظيماً، ويدك يدي فكيف لا يكون عطاؤك جسيماً، لا مثل لك يوازيك، ولا عديل لك يجاريك.

أنت سر الماء، وسر نجوم السماء، وحيوة روح الحيوة، وباعث الأموات.

أنت جنة العارفين، وغاية السالكين، وريحان المقربين وسلام أصحاب اليمين، ومراد الطالبين، وأنس المعتزلين المنفردين المنقطعين، وراحة المشتاقين، وأمن الخائفين، ووحشة العالمين وميراث الوارثين، وقرة عين المحبين، وتحفة الواصلين، وعصمة اللائذين، ونزهة الناظرين، وريا المستنشقين، وحمد الحامدين.

أنت درر الأصداف، وبحر الأوصاف، وصاحب الاتصاف ومحل الإنصاف، وموقف الوصاف، ومشرف الأشراف، وسر الأنعام والأعراف.

طوبى[٣] لسر وصل إليك، وخر ساجداً بين يديك، له عندي ما خبأته وراء

(١) الغَلَسُ: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.
(٢) الزَّبَرْجَدُ: حجر كريم ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر والأصفر.
(٣) الطُوبى: الحُسنى، والخير، وكل مُستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء، وعزّ بلا زوال، وغنى بلا فقر يقال: طوبى لك.

حدي، وقد ناجيتك به في المطلع عند ارتقائك عن المحل إلا رفع عبدي أنت سري، وموضع أمري، وهذا موقف لعلوك على كل الموجودات، وتشريفك.

أنت روضة الأزهار وأزهار الروضات، ومغرب الأسرار وأسرار المغرب، ومشرق الأنوار وأنوار المشرق.

لولاك ما ظهرت المقامات والمشاهد، ولا وجد المشهود ولا الشاهد ولا حمدت المعالم والمحامد، ولا ميز بين ملك وملكوت. ولا تدرع لاهون بناسوت.

بك ظهرت الموجودات وترتبت، وبك تزخرفت أرضها وتزينت، عبدي لولاك ما كان سلوك ولا سفر، ولا عين ولا أثر ولا وصول ولا انصراف، ولا كشف ولا إشراف، ولا مكان ولا تمكين، ولا حال ولا تلوين.

ولا ذوق ولا شرب، ولا قشر ولا لب، ولا عبد ولا رب ولا خطاب، ولا نفس، ولا هيبة، ولا أنس، ولا نفس ولا قبس، ولا فرس ولا جرس.

ولا جناح ولا رفرف ولا رياح ولا موقف ولا معراج ولا انزعاج، ولا تحلي ولا تجلي، ولا جود ولا وجود ولا حمد ولا محمود ولا تداني ولا ترقي ولا تدلي ولا تلقي، ولا هين ولا لين ولا غان ولا رين، ولا كيف ولا أين ولا جمع ولا بين، ولا فتق ولا رتق ولا جمع ولا فرق ولا ختم، ولا ختام ولا وحي ولا كلام، ولا مضى برق ولا حق ولا خلق، ولا إصاخة ولا استماع ولا لذة ولا استمتاع ولا سلخ ولا انخلاع، ولا صدق ولا يقين ولا خفي ولا مبين، ولا مكشاة ولا نور ولا ورود ولا صدور، ولا ظهر لصفاتي عين ولا تحقق وصل ولا بين، ولا كان عرش ولا مهد فرش، ولا رفع غمام، ولا أشرقت الأنوار على الأسوار ولا جرت بحال الخلق على الأطوار، لولاك ما عبدت ولا وحدت ولا علمت ولا دعوت ولا أجبت ولا دعيت ولا أجبت ولا شكرت ولا كفرت ولا بطنت ولا ظهرت ولا قدمت ولا أخرت ولا نهيت ولا أمرت ولا أسررت ولا أعلنت ولا أخبرت ولا أوضحت ولا أشرت.

أنت قطب الفلك ومعلم الملك، رهين المحبس وسلطان المقام الأقدس.

أنت كيميائي وأنت سيميائي أنت أكسير القلوب وحياض رياض الغيوب، بك تنقلب الأعيان أيها الإنسان، أنت الذي أردت وأنت الذي اعتقدت، ربك منك إليك ومعبودك بين عينيك ومعارفك مردودة عليك، ما عرفت سواك ولا ناجيت إلا إياك.

مناجاة التقديس

وأنا الواحد الذي لا تحيط بي الأفكار ولا ينتهي إلي الأسرار ولا تدركني البصائر ولا الأبصار وأنا اللطيف الخبير الحكيم القدير أنا كما كنت عدمت أو وجدت ما طرأ حال كنت عدمته ولا فقدت شيئاً ثم وجدته، علمي ببسيطك وقدرتي ظاهرة في

تخططك، تنزهت عن التنزيه وكيف عن التشبيه في العجز معرفتي على الكمال، وهي حضرة الجلال، ليس لي مثل معقول ولاً دلت عليه العقول، والألباب حائرة في كبريائي والأسرار مطيفون بعرش ردائي، أنت وأنا حرف ومعنى بل معنى ومعنى أنت المثل الخفي المنقول اللغوي وأنا الواحد الجلي أنت الواحد وأنا الواحد والواحد في الواحد بالواحد فإذا ضرب الفرد في الفرد بقي الرب وفني العبد، وهذا السر الخارج لك ولأصحاب المعارج، ولا تضاعف يلوح لذي عينين ولا تكاثف إلا من حيث البين.

مناجاة المنة

عبدي خرقت لك الحجاب، وأظهرت لك الأمر العجاب، حتى أتيت قومك باللباب، فقالوا: ساحر كذاب، عبدي وهبتك أسرار الأخلاق، وملكتك مفتاح أسمى الخلاق، فقال لك الكافرون: إن هذا إلا اختلاق، عبدي ملكتك سر النون، من قول: كن فيكون فقالوا: ساحر مجنون، عبدي أتيتهم بأسرار الكوثر فقالوا: إن هذا إلا سحر يؤثر.

عبدي أعطتك القوافي زمامها، ورفعت لك المعاني معالمها وأعلامها فجريت سابقاً في حضرة الناظم والناثر، فقالوا: ما هذا رسول بل هو شاعر.

عبدي كشفت لك عن النور المبين، وأطلعتهم على علم اليقين، فقالوا: هذا إلا زبر الأولين.

عبدي أبرزتك في الحضرة الإلٰهية، ومحوتك عن الكيفية والماهية، ولو كنت مطلعاً عليها أحد أطلعتك وموقفاً عليها غيرك أوقفتك والغير لا يصح فكيف ذكرته أو من الذي نهيته وأمرته.

عبدي أوقفتك على أن العرش ظلك، ووبل الأسرار طلك، وإنك العرش المجيد، الغني الحميد، فما ظن الظان بوبلك، وأين هو من مواقع نبلك، لقد أيدتك بالأسماء، وعرجت بك إلى السماء، وجاوزتك على الرفرف وأطلعتك على كل مقام وموقف، وكنت بها السيد المعلى، والمورد العذب الأحلى، والصارم العضب المجلى، وكل من ادعى لك الأمانة في الطريق، فأنت سره على التحقيق، وهو ما أوقرته في نفس الصديق، وهو التوارث المجيد، عن أهل الجمع والوجود.

قدرك أرفع من الإمامة، فإنها موقوفة على من نظر خلفه وأمامه.

والجهات موضع الزيادة والنقصان، ومحل الربح والخسران وأنت منزه عن ذلك، إذ أنت الملك والمالك، ثم تجليت لك في قاب قوسين، ومحوت عنك فيه الأثر والعين، وأعدمتك النجدين، حتى لم يبق لك في العين إلا إنسانها[1]، وأبرزتك في

(١) إنسان العين: ناظرها.

الموجودات إنسانها وانتظم الشمل، والتحق الفرع بالأصل، واتحدت الأمور، وذهبت القشور، ولاح كمال الوجود، ورأيت أن العابد هو المعبود.

عبدي النعم كلها بين يديك، ولباب التوحيد بين عينيك، طال وعزتي ما كنت في الحضيض[١] الأوهد، والليل المحلولك الأربد[٢]، لا يستقر بك قرار، ولا يطلع عليك نهار، فأردت من أجنادك أن يسرعوا إلى حضرة يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، فاطلعت البدر المرموز في ليلتك الحندسية[٣]، ومملكتك الندسية، محرف أعدا في إهابها ونزع محلولك جلباً بها، فصارت كأنها قطعة بلور، ترفل[٤] في غلائل النور.

ثم جئت بك على ظلل من الغمام على هسائم دنسها الفتام فأمطرت القيعان والآكام[٥]، فتعممت صلع هامات الربا وبارزت الأهضام واحترقت بتلك المقامات وحليت لقدومك الحضرات لك في كل حضرة فسطاطاً، وأشرت لك فيه من الذكر الجميل بساطاً، ولم أزل أرقيك عن هذه النسب حتى حجبتك بالمسبب عن السبب، وقلت لك: أنا المريد، وأنا المبدىء المعيد، نبهتك بذلك على الرجوع مما وصلت إلى المقام الذي عنه انفصلت رجوع راق لا رجوع فراق.

مناجاة التعليم

عبدي أنت من عرائسي الذين خبأتهم في خزائن الغيوب غيرة أن يطلع عليهم أسرار أرواح القلوب، فهم لدينا محضرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون، من استمسك بزمامهم، وصلى خلف إمامهم حصل في غاية عناية خاتمة الطور ووقف على معاني الكتاب المسطور، وعلى الله قصد السبيل فمن شاء أن يقف على حقائق المعاني، فليتخلق بالقرآن العظيم والسبع المثاني، ما فرطنا في الكتاب من شيء من أحب أن يفيض على عالم البسيط والتخطيط فليكن القرآن المحيط يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، بين حمد العارف والوارث، ما بين القديم والحادث.

قل: كل يعمل على شاكلته أسمى الأعظم الأمجد، في العبد الأكرم الأمجد، وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو السر الفعال الأوحد، لا يناله إلا من ارتقى ثم خلد وكذلك آتيناه آياتنا فانسلخ منها، العارف من كره القطيعة، وخرق حجاب الشريعة فهو يقول ولا يمن، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، من سلك لواذاً، وصير الأصنام

(١) الحضيض: ما سفل من الأرض.
(٢) الرُّبدة: الغبرة أو لون بينها وبين السواد.
(٣) الحندس: الظلمة. و ـ: الليل الشديد الظلمة (ج) حنادس.
(٤) رَفَلَ رفلاً ورُفولاً ورَفَلاناً: جرَّ ذيله وتبختر في سيره. فهو رافل. وهي رافلة.
(٥) الآكام: (حج) الأكمة: الرابية أو التل.

جذاذاً[١]، وأمطر وابلاً[٢] ورذاذاً[٣] وجب أن يقول الحمد لله الذي هدانا لهذا.

من قال باللام وحده، وقف على ما حصل عنده، وجاوز إلى مطلعه حده، ولن ير مثله ولا ضده وملك وعيده ووعده، وأمن قربه وبعده، وعرف أنه لا يأتي أحد بعده، قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده من اتبع الخليفة، أمن من كل خيفة، وصارت الأسرار به مطيفة، وحصل بالرتبة المنيفة، وأولى الأمر منكم لا تنسبه إلى العدوان، فلا فاعل إلا الديان، قل كل من عند الله من طعن في الوزير ورد أمره سفه الأمير وجهل قدره، من أطاع الرسول فقد أطاع الله، هو صاحب الصفات والأسماء، واعلم أن الوصف يريك الموصوف والاسم يريك المسمى، وعلم آدم الأسماء وأوتيت جوامع الكلم[٤] لا يأبى عن أكل الشجرة إلا الكفرة، من أكل من شجرة حرم مقامات البررة شجرتان تسقى بماء واحد كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك في الوفاء بالعهد الأزلي، مفتاح العهد الأبدي هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

مناجاة أسرار مبادىء السور

عبدي بلغ إليَّ عني وقولي الحق، وخاطب بلسان أهل الجمع والفرق، فأنا المتكلم وأنت اللافظ وأنت المبلغ وأنا الحافظ، قل لهم عني، وأنا المخاطب إلي مني أن مبادىء السور المجهولة، لأهل الصور المعقول، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٥] جملتها تسعة وعشرون سورة، وذلك كمال الصورة، والقمر قدرناه منازل أكملت فيها العالم بأسره وفرقت بيني وبينهم بما لوحت به من نهيه وأمره، إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، منها مفرد ومثنى، ومنها جمع لمعنى، وإن شكرتم لأزيدنكم[٦] منها ما زيد فيه فاستغني.

ومنها ما نقص منه فتغني، أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها متماثلة الصور ومختلفة، كما منها مفترقة ومؤتلفة ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة غايتها

---

(١) الجُذاذُ: القطع المكسرة.

(٢) الوابل: المطر الشديد، الضخم القطر.

(٣) الرَّذاذُ: المطر الضعيف، أو الساكن الدائم الصغير القطر كأنه الغُبار.

(٤) إشارة إلى الحديث «أوتيت جوامع الكلم».
أخرجه مسلم في الصحيح (المساجد ٨٠٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٥٠، ٣١٤، ٤٤٢، ٥٠١) وابن كثير في (التفسير ٤/ ٧٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٣٣)، والبيهقي في (دلائل النبوة ١/ ١٤)، وسعيد بن منصور في (السنن ٢٨٦٢)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١١/ ٤٨٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٠٦٨)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ١٤، ٣٠٨).

(٥) هنا إشارة إلى سورة الحديد الآية (٢١)، وسورة الجمعة الآية (٤): ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...﴾.

(٦) هنا إشارة إلى سورة إبراهيم الآية (٧): ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾.

خمسة حروف وبقي اثنان الواصف والموصوف من مقام آدم وحوا في جنة الإقامة ومأوى الإمامة فكلا من حيث شئتما مبلغها ثمانية وسبعون، فمن كوشف بحقائقها ملأ الأعلى والدون، في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه، لكل باب منهم جزء مقسوم فما أفردت منها فلبقاء الرسم أزلاً وما ثبت فلوجوده حالاً وما جمعت فللأبد استمراراً يرسل السماء عليكم مدراراً، فالأفراد للبحر الأزلي[1]. . . وللبرزخ المحمدي والجمع للبحر الأبدي.

عبدي انحصر لك وجود هذه الحروف بالحرم إلى ثلاثمائة آلاف وخمسمائة واثنين وثلاثين على غاية البحث والحزم وأول التفصيل من نوح إلى شروق يوح ثم إلى آخر التركيب الذي تنزل فيه الكلمة والروح فبعد عدد تضربه وتجمعه وتحط منه طرحاً تضعه يبدو لك تمام الشريعة حتى إلى انخرام الطبيعة وهي التي بقيت من نون والقلم[2] إلى آخر الكتاب العزيز الأكرم، فمبعث محمد ﷺ من سورة النجم إلى كافة العرب والعجم، ومن سورة البقرة إلى بعث الرسل لديها وليس لهم في الفاتحة نصيب، ولا رموا فيها بسهم مصيب، فاختص بها محمد عليه السلام على الرسل الكرام فهي قوله متى كنت نبياً، قال: وآدم بين الماء والطين فكان مفتاح النبيين وقد ملك من سورة النجم إلى آخر القرآن العظيم، وتفرد ما بينهما في أصلاب المقامات إلى عنصره الكريم، فصح له الوجود أجمع، واختص بالمحل الأمنع أوتيت جوامع الكلم فما بقي لك بعد الوضع والطرح فذلك أوان النزول والفتح، وهو نظير المقدس من القرآن الذي يليه الأقدس تقديسه بالنازل فيه وقد أشرت لك إلى معانيه وما يعقلها إلا العالمون.

عبدي هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه الأعداد حجب على عينك أيها الإنسان وإنما هي أسطار نور خضر خلف حجاب الترجمان تلوح، لمن سقته المشيئة بوقوفه عليها حتى تودعه ما لديها فاستعمل المجاهدة، وتحل بالموافقة والمساعدة عساك تلتذ بهذه المشاهدة عبدي جعلت ما بعد هذه الحروف في موضع التفسير، ومحلاً للتعبير ومبحثاً للناقد البصير، صاحب السر والإكسير، ومن لا يقنع من الوجود بالنزر اليسير، وجعلها على ضربين، لذي عينين، ضرب لا ينقسم وضرب آخر ينقسم، عجباً للظاهر ينقسم، وللباطن لا ينقسم، فالظاهر شمس في حمل، والباطن في أسد حلم.

حقق وانظر معنى سترت ... من تحت كثائفها الظلم
إن كان خفي هو ذاك بدا ... عجباً والله هما القسم
فافزع للشمس ودع قمر ... في الوتر يلوح وينعدم

(١) بياض في الأصل.
(٢) إشارة إلى سورة القلم الآية (١): ﴿ن والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾.

واخلع نعلي قدمي كوني على شفع يكن الكلم

لكن انقسامه على ثلاث، وهي حقائق الموائد الثلاث فأما الضرب الذي لا ينقسم بالبرهان فسورة آل عمران، والضرب الذي ينقسم الموصوف، ما عداهما من سور أسرار الحروف، والثلاث الذي ينقسم إليها المخاطب ومخاطب ومخاطب به فاستيقظ أيها الراقد من سنة الغفلة وانتبه ثم تتفرع على اثنتي عشرة عيناً، وهو كمال العالم الروحاني والجسماني لكل عالم إلٰهي والثالث عشرة عيناً، وهو كمال العالم الروحاني والجسماني لكل عالم إلٰهي والثالث عشرة الضرب الذي لا ينقسم، وفيه علمت الأسماء وجوامع الكلم، فمنها ما هو لرفع الشك والريب فيما ظهر من الغيب وهي البقرة وآلم السجدة.

ومنها ما هي لرفع الحرج عمن يأتي ودرج وهي الأعراف وطه والشعراء، ومنها للتعريف بالعناية أزلاً أولياء وأنبياء ورسلاً، وهي يونس ومريم عليهما السلام، ومنها للمتفرق والمجتمع، والحجر الذي لا ينصدع، وهي هود وفصلت والشورى والدخان والمؤمن، ومنها لتأكيد التبيين في المعقولات، والأخبار بالمفترقات، وهي يوسف والزخرف والقصص والروم.

ومنها لاعتبار التركيب، لأهل النظر والتهذيب، وهي قاف والجاثية، ومنها الهداية في النبوة والولاية، وهي إبراهيم والنمل ولقمان، ومنها لتحقيق النزول في الإيمان بالعمل الغائب عن العيان وهي الرعد، ومنها لتا[1]... التوجيه، والعصمة بالقسم في محل التنزيه وهي يونس ونون و[1]...، ومنها لطلب الدليل، في مقابلة خصم الصل، وهي الأحقاف، ومنها لتأكيد تبيين التهديد بالوعيد وهي الحجر والعنكبوت فسلم الألف من هذه الحروف للذات وعد ما بقي لك منها من الصفات ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

مناجاة جوامع الكلم ـ مناجاة السمسمة

عبدي سمت بك سمسمة سموء أسماء أسباب سماء السمات على لطافة ذاتها المسخرة ذات أفلاك الذوات، فأين أنت من هذه النسبة لقد جاءت بأعلى طالع هذه النصبة، على أنها قد خفيت عن الأوهام وغابت أن يعير عن جلي ظاهر أمرها صاحب وحي وإلهام، فلو تاه التائهون مداداً لكلمات في مفاوز العجز والحيرة وقطع العارفون بحار الهمم على سفن الغيرة ظاهر فعلك يقفون وما يصدر عنك يعرفون، سمسمة حلت وجالت جولان الحائم وعلمت وقالت مقالة ذي اللوعة الهائم، فنيت شوقاً لا اشتياقاً، وقطعت مفاوز خفيات الغيوب خبباً وأعناقاً، ولم أبلغ من بعد سقة مغناك فمن لي بوترية معناك.

(١) بياض في الأصل.

سمسمة تلعت[١] فكسفت، وراحت فلاحت، وأومضت فغمضت وهفت فسفت، وسكنت فتمكنت، وطالت فصالت.

فلما قيل لها: أنى لك هذا، قالت: إنها تخلقت بهمة صدرت من أثر فعل صفة ذلك، فرقت إلى ما شاء هذا السائل، من أثرها عن وجود صفاتك، فغابت عن الأين والكيف، ومطالعة العدل والحيف[٢]:

سـمـسـمـة ربـة أمـثـالـهـا جلـت فـمـا يـدركـهـا سـمـسـمـه
لـمـا رأت سـرك يـسـري لـهـا قـالـت لـه: يـا سـيـدي سـم سـمـه
فـحـارت الـعـيـن إلـى درة تـقـول إعـجـابـاً إلـى الـشـمـس مـه
فـأيـن ولا أيـن فـي عـلـمـه وكـيـف ولا كـيـف فـي حـكـم مـه

مناجاة الدرة البيضاء

عندي درة عذراء، غضة بيضاء، أبرزتها من قعر بحر ذاتي، ما عرفت قط صفة من صفاتي، ثم خبأتها في سواد العين، وما عرفت الوصل ولا البين، غيرة من أن تنال أن تشتهي، أو تعرف كشفاً أو معمى، فلما جذبتك إلى عناية القدم السابقة، ورقت بك في جوامع الكلم الصادقة، وحططت كن عن قواك وأدخلتك محلي وجب علي قراك، حتى تعبر عنك شواهد التحقيق بلسان حالها وأنت ساكت، تفعل وتنفعل عنك المكونات وأنت مائت ومدرك هذه المرتبة العلية الفردية، باتصال الحياة الأزلية الأبدية، مع وجود الحبس في قيد اليوم والأمس، وهذه بين يديك موائد الأقصا، فتناول منها إحصاء ما لا يحصى، فكل من طعام الذات بالذات، فكثير من الطالبين أرادوا باء الرسوم لوجود اللذات فاسبح وحدك في نهرك، واقرأ ما سطرته في مهرك، أنكحتك درة بيضاء، فردانية عذراء، لم يطمثها إنس ولا جان، ولا أذهان ولا أعيان، ولا شاهدها علم ولا عيان، ولا انتقلت قط من سر الإحسان، لا كيف ولا أين، ولا رسم ولا عين، اسمها في غيب الأحد نعمى الخلد ورحمى الأبد، فادخل بخير عروس قبة التقديس، فهذه البكر الصهباء واللجة العمياء، خذها من غير مهر عملي، ولا أجر نبوي.

قال السالك: فانتضضتها في مجلس سر غيب ذاته بسر الوهم اليثربي، فإذا بها مهرة النبي، فتهت فرحاً، وسحبت ذيلي مرحاً، وقرأت إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون، فخرت غوامض الأسرار ساجدات وقامت صفات الصمدية متهجدات، فصح لي في ذلك الإفلاس، المقام الذي نبه عليه قوله عز وجل: ملك الناس.

(١) تَلَع النهار تَلْعاً وتلوعاً: طلع وارتفع.
(٢) الحيف: الجور والظلم.

مناجاة إشارات أنفاس النور وهي

تمحيض متفرقات الأسرار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، قال السالك ثم قال لي: ما تقول ما هو أنا في أنا، قلت: وجود البغية والمنى والخيبة والعنا.

قال: فما تقول في هو وذلك قلت: كلاهما صفتا المالك غيبة وحضور، وظلام ونور، ومخدرات وخدور.

قال: فما تقول في التحام الأجسام، قلت: نتيجة التحام الروحانية، قال: فما تقول في التوالد والتناسل قلت: نتيجة التواصل والتفاصل.

قال: فما تقول في النشأة البرزخية، قلت: تلك الإلٰهية، قال: فهل الإعادة أشرف منها، قلت: لا يصح الإعادة فيها ولا يتحدث بذلك عنها، إنما ذلك في برزخ الحافرة، المنصوب بين الدنيا والآخرة.

قال: فهل تصح العودية على البداية، قلت: لا يكون ذلك في الحكمة العدلية، قال: هل تعقل على أوان إخراج الذر من الظهر، قلت له: كيف لا أعقل وأنا أول الشهود في المهر.

قال: فهل تعرف قبل ذلك ميثاقاً ثاني، قلت له: في أول وجود التداني، قال: فأرى ميثاقين، قلت: لا يكون غير هذين.

الإشارات الآدمية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة آدم عليه السلام وقال لي: أيها الغلام من أين؟ قالت الملائكة بالفساد في حال شهودها قلت: من نفس وجودها، قال: فلم جهلت الأسماء قلت: لأنهم ما برحوا في السماء.

قال: فلم وقعوا له ساجدين، قلت: لصحة التعيين، قال: فلم أبى من أبى واستكبر قلت لحجابه بالطينية عن النور الأزهر، قال: لم يكن النجم وكانت الشجر، قلت: لوجود الخلاف الذي ظهر، قال: لم نسقها من ماء واحد، قلت: بلى ولكن فضل بعضها على بعض في الشاهد، قال: فلم اقتحم النهى مع العصمة قلت: لظهور هذه الحكمة.

قال: فما سر ظهور غاية سوءاتهما قلت: معاينة ممكنات غاياتهما، قال: فلم طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، قلت: ليكون لهما عن ملاحظة الأغيار جنة،

قال: فما نظيرهما في الوجود، قلت: القلم واللوح المشهود، قال: فلم أفرد آدم بالمعصية دون أهله، قلت: لأنها بعض من كله، قال: لما حجر النعيم عليهما قلت: ليثبت عبوديتهما، قال: لم أضيف الزلل إلى الشيطان ولم يكن له على ذلك سلطان، قلت: لجعلك إياه في الشاهد صفة نقص ودليل خسران، قال: لم جعل بعضهما لبعض عدواً في هذه الدار قلت: ليستغنيا بتأييدك فيصح منهما الافتقار، وينفرد جلالك بالعزيز القهار، قال: فلم تبت عليه بتلقيه الكلمات العلية، قلت: لأنه تلقاها من حضرة الربوبية، قال: لم قبل قربان الابن الواحد دون أخيه، قلت: لأنك جعلتهما أصل بنيه وهما قبضتان فلا بد أن يختص أحدهما بالرضا والآخر بالخسران، قال: لم كان الغراب له معلماً، قلت: لأنك ألبسته ثوباً من الليل مظلماً، فأعطاه العلم فعلاً وحالاً فكساه من ظلام القبر سربالاً[1].

قال: فلم أضاف خلقه ليديه، قلت: لما لم يتقدم مثله عليه، قال: لم أتى إبليس ابن آدم من جميع جهاته لا من أعلاه، قلت: لئلا يحترق بنور الأمر من مولاه، قال: فهلا أتى من أسفله فيغويه، قلت: لأنه يدعوه فلا فائدة فيه، قال: لم تمكن إبليس من آدم في دار الاتصال، قلت: لأن في آدم جزؤ من الصلصال[2]، قال: والحمأ[3] المسنون[4]، قلت: إشارة سر برزخي بين الأعلى والدون.

قال: فلأي معنى قال: لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال وهو حقيقة، قلت: لامتزاجه ببقية العناصر فأختلت عنده طريقه، قال: لم جمع له بين لا يجوع ولا يعرى، ولا يظمأ، ولا يضحى، والترتيب على خلاف ذلك فما الحكمة أيها السالك، قلت: الحرارة سبب الظمأ فلذلك قرنه مع الضحى، والجوع تعرية باطن الحيوان فلذلك قرنه بتعرية ظاهر الأبدان.

قال: فلم أجتبي قبل أن يتاب عليه، قلت: سابقة قدمه سبقت إليه قال: من أين صح له أحسن تقويم، قلت: لأنه على صوره القديم، قال: فلم رد إلى أسفل سافلين، قلت: إشارة إلى الطين، قال: فلم أستثني برفعه بالصلاح، قلت: إشارة إلى صفة الأرواح الواهبة علة الصلصال القائمة بالأشباح، قال: نعم ما به أجبت قلت له: بك تكلمت.

---

(١) السِّرْبال: ما يُلبس من قميص أو درع (ج) سرابيل.

(٢) الصَّلْصالُ: الطين اليابس، و ـ: الطين الحُرُّ خُلط بالرمل فصار يتصلصل (يُصَوت) إذا جفَّ فإذا طبخ بالنار فهو الفخار.

(٣) الحمأ: (ج) الحمأة: الطين الأسود المنتن المتغير.

(٤) المسنون: حمأ مسنون: متغير منتن.

الإشارات الموسوية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة موسى عليه السلام وقال ما يقول العبد المستسلم لم فتن قوم موسى من بعده قلت: ضيافة السيد لعبده، قال: لمَ ظهر لقبضة الأثر في العجل خوار، قلت: تنبيه على أن الحياة في اتباع الآثار، قال: لم ضرب له ميقات، قلت: ليعلم أنه تحت رق الأوقات، قال: لم جاء العدد بالليل ولم يجيء بالنهار، قلت: لاحتجابك عن الأبصار، فجعلته يسلك أربعين مقاماً من مغيبات الأسرار، فصح له الاتصال عند الأسحار، وانتظم بها في شمل أمة محمد ﷺ الداعي من مقام الأرواح، في تخلقهم بالأربعين صباح، وهو ميقات الوارثين فشرف بذلك كليم رب العالمين، ولذلك كان منه مع محمد عليهما السلام في أمر الصلاة ما شهر، لأنه في أمته، فطلب الرفق بإخوته كما ذكر، وذلك لما وقع هنالك في حدسه أن محمداً ﷺ سيقول لا يكمل عبد الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه(١)، ألا تراه ﷺ قد قال في موسى لو كان حياً ما وسعه إلا يتبعني(٢)، فأوضح لنا المعنى، وتبين لنا حقيقة أنه منا.

قال: لم ضرب بعصاه الحجر، فانفجر والبحر المغلق فانفلق، قلت: سر ذلك في العصا، فلذلك انفجر الحجر ماء وسر القيومية فيها فلذلك أظهرت في البحر يبساً، قال: فلم خلعت النعلان، قلت: إشارة لزوال شفعية الإنسان، قال: فلم خص بالكلام، قلت: ليتقرر في نفسه نيل حظه من ميراث محمد عليه السلام، ولذلك كان في ألواحه تفصيل كل شيء علم في مقابلة جوامع الكلم، قال: فلم سأل الرؤية وهو يعجز عن النظر، قلت: حتى لا يبقى له من الميراث أثر، قال: فلم أمرناه أن يكون من الشاكرين، قلت: لتزيده في القرب والتمكين حتى يراك بعين محمد ﷺ حين أسرى به في عليين.

قال: فلم ألقيناه في التابوت، قلت: وهل ظهرت الحكمة إلا بوجود الناسوت، قال: فلما ألقيناه في اليم قلت: إشارة إلى العلم، قال: وكيف يصح اليم مع العلم، قلت: لولاه ما صح عند ذوي الفهم، قال: فلم طلب العون بأخيه، قلت: رحمه بمخاطبيه لئلا يذهبوا عند مشاهدة الكلام من فيه، إذ من كلمك برفع الوسائط، كيف يحمل خطابه كثائف الوسائط.

قال: فلم قلب العصا ثعبان، قلت: وجزاء سيئة سيئة مثلها وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، قال: ولم خاف وهو معنا في حال التمكين، قلت: لقوله ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان، ٧).

(٢) أخرجه علي الغفار (تحقيق الألباني في مختصر العلو ٦١)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/٤٨، ٥/١٤٧)، والقرطبي في (التفسير ١٣/٣٥٥)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٨٣، ٢٩٢).

سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ [الشعراء: ٦٢]، قال: لم أخرج يده من جيبه بيضاء من غير سواء، قلت: تنبيه للإنسان أنه عند خروجه من غيبه من العلل بري، قال: فلم قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ [طه: ٢١]، قلت: بشرى لموسى بمقام الفنا وتصحيح اللقا، فلم ألقى الألواح قلت: إذا فتح الباب ما يصنع بالمفتاح، قال: فلم كانت البقرة جبروتية قلت: لأنها سرحت من مروج الحضرة البرزخية، قال: وهل الشرف إلا في الملكوت الأعلى قلت: جمع الطرفين في حق الإنسان أشد وأغلى، وأولى، قال: فلم حي الميت ببعضها قلت: إشارة أن شطر الجنة من جهة عرضها، قال: فلم كانت الحياة بالضرب. قلت: حجاب على القلب عن معاينة القرب، قال: كيف استشاط غيظاً على أخيه وفي. نسخته الهدى الرحمة، قلت: إنما أعطيتها إياه بعد ما سكت عنه الغضب لطلب النعمة.

الإشارات العيسوية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة روحه، وأمدني بفيضان نوحه، وقال لي: لم كان عيسى كمثل آدم عليهما السلام، قلت: إن الآخر نظير الأول في أكثر الأقسام، قال: لم لم يكن له والد، قلت: لأنه من أركان الدليل على المفتري الجاحد، قال: كيف، قلت: إنه الآخر وبعده محمد خاتم النبيين، قلت: تلك بداءة نشأة السيادة على العالمين، إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين، فلا مناسبة بين السيد والعبد إلا من حيث العناية والوجود.

قال: لم أيد عيسى بالروح، قلت: ما رقمه قلم في لوح فقذف في الرحم من غير شهوة، فلم يكن له عن طرح الأكوان سلوة.

قال: فمن أين صدر هذا الروح، قلت: من حضرة قدوس سبوح، قال: فلم تكلم في المهد، قلت: شاهد ثان على أهل الجحد، قال: وهل تقدم قبله شاهد في العلة، قلت: هز مريم جذع النخلة.

الإشارات الإبراهيمية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة خليله، وقال: عليك بحسن الجواب وقيله، أيه ما وجود الكوكب والقمر والشمس، قلت: إطاعة على الروح والعقل والنفس.

قال: لم أثبت لهم الربوبية، قلت: لما لحظ لهم القهر على النشأة الترابية.

قال: فلم قال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، قلت: لما رأى بعضهم يفضل على بعض، قال: تراه لم نظر في النجوم وقال: إني سقيم، قلت: إشارة إلى حكمة علوية قد صدرت من اسمه الحكيم.

قال: لم طلب رؤية الأحياء مع ثبوت الإيمان، قلت: ليجمع بين العلم والعيان،

وفي مثل هذا قال الحسن وقد أحسن:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

قال: فلم دللناه على أربعة من الطير، قلت: له إشارة إلى العناصر لا غير، قال: فلم اتخذ ابنه قرباناً، قلت: ليصح كرمه حقيقة وبرهاناً، قال: ما قصد بذلك، قلت: قرى الوارد والمالك، وذلك أنه لما نزل إلى قلبه تعينت عليه ضيافة ربه، قال: فهلا أضافه بنفسه دونه، قلت: لم يكن له فيها منازعون ينازعونه، قال: فلم كان الوحي في المنام، قلت: حتى لا يكون للحسن بساحته إلمام.

قال: فلم ابتليناه بالكلمات وقد تلقاها للتوب صاحب السمٰوات، قلت: ألم يقل إن الابتلاء أفضل المقامات، قال: لم أمر إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت للطائفين، قلت: عناية بمحمد سيد المرسلين، قال: فلم لم يكن إلا إسحاق دون غيره قلت: لما لم يكن محمد ﷺ في ظهره، قال: فلمَ دعا لمكة بالبركات، قلت: إذا بورك في الأم بورك في البنات.

قال حين رفع إبراهيم القواعد من البيت لم دعا إسماعيل بالقبول قلت: أظهر النقص ليصح كمال الخليل إذ الواجب على كل بنيه أن يضع من قدره عند قدر أبيه.

الإشارات اليوسفية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة يوسف بن يعقوب فقال: ما يقول الفطن المصيب لِمَ قال النسوة: إن هذا إلا ملك كريم، قلت: لاختصاصه عموماً بأحسن تقويم، ثم قال: لم بيع بثمن بخس، قلت: ليعلم أن الإنسان من حيث هو صاحب نقص، فإن غلا ثمنه وعلى، فلصفة زائدة على ذاته حضرتها الملأ الأعلى.

قال: لِمَ جعل الصواع حجاباً، قلت: قرع بذلك لاتصال الأحبة باباً.

الإشارات المحمدية

قال السالك: ثم خاطبني بلغة محمد ﷺ وقال لي: يا من طلب الطريق إليه، لِيرث مما كان في يديه، ما تقول في الأفق المبين، قلت: محل كشف المقربين، قال: لما كان التجلي بالأفق قلت: تنبيه على علو الخلق، قال: وما ينطق عن الهوى، قلت: أسرار الاستواء، قال: وفي قسمة الفاتحة، قلت: العبودية الواضحة، قال: فلم اختصت الرحمة بالثنا، قلت: ليتبين من أنت ومن أنا، قال: والملك بالتحميد، قلت: ليصحح التوحيد، قال: فلم وقع الشك في العبادة والعون، قلت: لتميز القدرة عن عجز الكون، قال: لم اختص العبد بنصفها الثاني قلت: ليصح عليها اسم الثاني.

قال: قد ساوى موسى محمداً في الفرقان فكيف صحت له السيادة قلت: لاختصاصه بالقرآن والعبادة، قال: قد شاركه بالعبودية نوح وزكريا الوجيه، قلت: الآخر عبد نعمة والآخر عبد ربوبية ومحمد عبد تنزيه.

قال: قد شاركه يحيي في السيادة الفاخرة، قلت: تلك السيادة الظاهرة ولهذا صرح بها في الكتاب المبين، وأخفى فيه سيادة محمد سيد العابدين، ثم صرح على لسانه في الشاهدين، فهذا سيد عموم وهذا سيد رسوم، قال السالك: ثم قيل لي: قف هنا ولا تبرح وإن أعطيت المفتاح فإن شئت فافتح، والحمد لله على ما منح، وصلى على محمد الأغر الأصبح.

قال المؤلف جميع ما في هذه الأسرار من النظم لي سوى أربع أبيات أحدها تسترت عن دهري وأخوه، والثاني ألا فاسقني خمراً وأخوه، وكمل جميعه بمدينة فاس[1] في العشر الأوسط من جمادى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه قبل أن تُختط مراكش، وفاس مختطه بين ثنيتين عظيمتين.
(معجم البلدان ٤/ ٢٣٠).

رسالة

إلى الإمام الرازي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذه رسالة الشيخ الإمام الراسخ المفرد المحقق كاشف الحقيقة محيي الملة والدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الأندلسي المغربي قدس الله روحه إلى الإمام العلامة النحرير المتبحر فخر الملة والدين محمد بن عمر الخطيب الرازي(١) سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى وليّي في الله تعالى فخر الدين محمد أعلى الله همته، وأفاض عليه رحمته وبركاته.

أما بعد فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وقال رسول الله ﷺ إذا أحب أحدكم أخاه فيعلمه إياه(٢) وأنا أحبك ويقول الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣] وقد وقفت على بعض تواليفك وما أيدك الله به من القوة المتخيلة وما تتخيله من الفكر الجيد.

ومتى ما تغذت النفس كسب يديها فإنها لا تجد حلاوة الجود والوهب وتكون ممن أكل من تحته، والرجل من أكل من فوقه كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦].

وليعلم وليّي وفقه الله تعالى أن الوراثة الكاملة هي التي تكون من كل الوجوه لا

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ ـ ١٢١٠ م) أبو عبد الله فخر الدين الرازي. الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: «ابن خطيب الريّ» رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه «مفاتيح الغيب» ثماني مجلدات من تفسير القرآن الكريم و«لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات» و«الآيات البينات» و«عصمة الأنبياء» و«أسرار التنزيل» و«المباحث المشرقية» و«أنموذج العلوم» و«أساس التقديس» و«الفراسة» و«القضاء والقدر» و«النفس» و«النبوات» و«لباب الإشارات» و«شرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا» وغير ذلك.
الأعلام ٦/٣١٣، وطبقات الأطباء ٢/٢٣، والوفيات ١/٤٧٤، ومفتاح السعادة ١/٤٤٥ ـ ٤٥١.

(٢) أخرجه الترمذي (زهد ٥٤)، وأبو داود (أدب ١١٣)، وأحمد بن حنبل ٤/١٣٠.

من بعضها، والعلماء ورثة الأنبياء[١]، فينبغي للعاقل أن يجتهد لأن يكون وارثاً من جميع الوجوه ولا يكون ناقص الهمة.

وقد علم وليي وفقه الله تعالى أن حسن اللطيفة الإنسانية إنما يكون بما تحمله من المعارف الإلهية وقبحها بضد ذلك، وينبغي للعالي الهمة أن لا يقطع عمره في المحدثات وتفاصيلها فيفوته حظه من ربه وينبغي له أيضاً أن يسرح نفسه من سلطان فكره فإن الفكر يعلم مأخذه والحق المطلوب ليس ذلك وإن العلم بالله خلاف العلم بوجود الله.

فالعقول تعرف الله من حيث كونه موجوداً ومن حيث السلب لا من حيث الإثبات، وهذا خلاف الجماعة من العقلاء والمتكلمين إلا سيدنا أبا حامد قدس الله روحه فإنه معنا في هذه القضية ويجل الله سبحانه وتعالى أن يعرفه العقل بفكره ونظره فينبغي للعاقل أن يخلي قلبه عن الفكر إذا أراد معرفة الله تعالى من حيث المشاهدة وينبغي للعالي الهمة أن لا يكون تلقيه عند هذا من عالم الخيال وهي الأنوار المتجسدة الدالة على معان وراءها، فإن الخيال ينزل المعاني العقلية في القوالب الحسية كالعلم في صورة اللبن والقرآن في صورة الحبل والدين في صورة القيد.

وينبغي للعالي الهمة أن لا يكون معلمه وشاهده مؤنثاً متعلقاً بالأخذ من النفس الكلية كما ينبغي له أن لا يتعلق بالأخذ من فقير أصلاً وكل ما لا كمال له إلا بغيره فهو فقير، فهذا حال كل ما سوى الله تعالى فارفع الهمة في أن لا تأخذ علماً إلا من الله تعالى على الكشف فإن عند المحققين أن لا فاعل إلا الله فإذن لا يأخذون إلا عن الله لكن عقداً لا كشفاً وما فاز أهل الله إلا بالوصول إلى عين اليقين أنفة من بقاء مع علم اليقين.

واعلم أن أهل الأفكار إذا بلغوا فيها الغاية القصوى أداهم فكرهم إلى حال المقلد المصمم فإن الأمر أعظم من أن يقف فيه الفكر فما دام الفكر موجوداً فمن المحال أن يطمئن ويسكن فللعقول حد تقف عنده من حيث قوتها في التصرف الفكري ولها صفة القبول لما يهبه الله تعالى، فإذن ينبغي للعاقل أن يتعرض لنفحات الجود ولا يبقى مأسوراً في قيد نظره وكسبه فإنه على شبهة من ذلك، ولقد أخبرني من أثق به من إخوانك وممن له فيك نية حسنة جميلة أنه رآك وقد بكيت يوماً فسألك هو ومن حضر عن بكائك قلت مسألة اعتقدتها منذ ثلاثين سنة تبين لي في الساعة بدليل لاح لي أن الأمر على خلاف ما كان عندي فبكيت وقلت ولعل الذي لاح أيضاً يكون مثل الأول. فهذا قولك، ومن المحال على العارف بمرتبة العقل والفكر أن يسكن أو يستريح ولا

(١) هنا إشارة إلى قول الرسول الكريم (ص): «العلماء ورثة الأنبياء».

سيما في معرفة الله تعالى، ومن المحال أن يعرف ماهيته بطريق النظر، فما لك يا أخي تبقى في هذه الورطة ولا تدخل طريق الرياضات والمجاهدات والخلوات التي شرعها رسول الله ﷺ فتنال ما نال من قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] ومثلك من يتعرض لهذه الخطة الشريفة والمرتبة العظيمة الرفيعة.

وليعلم وليّ وفقه الله تعالى أن كل موجود عند سبب ـ ذلك السبب محدث مثله فإن له وجهين: وجه ينظر به إلى سببه، ووجه ينظر به إلى موجده وهو الله تعالى، فالناس كلهم ناظرون إلى وجوه أسبابهم والحكماء والفلاسفة كلهم وغيرهم إلا المحققين من أهل الله تعالى كالأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام فإنهم مع معرفتهم بالسبب ناظرون من الوجه الآخر إلى موجدهم.

ومنهم من نظر إلى ربه من وجه سببه لا من وجهه فقال حدثني قلبي عن ربي، وقال الآخر وهو الكامل حدثني ربي وإليه يشير صاحبنا العارف بقوله أخذتم علمكم عن الرسول ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، ومن كان وجوده مستفاداً من غيره فحكمه عندنا حكم لا شيء فليس للعارف معول غير الله البتة.

ثم ليعلم وليّ أن الحق وإن كان واحداً فإن له إلينا وجوهاً كثيرة مختلفة فاحذر عن الموارد الإلهيات وتجلياتها من هذا الفصل فليس الحق من كونه رباً عندك حكمه كحكمه من كونه مهيمناً ولا حكمه من كونه رحيماً كحكمه من كونه منتقماً وكذلك جميع الأسماء.

واعلم أن الوجه الإلهي الذي هو الله تعالى اسم لجميع الأسماء مثل الرب والقدير والشكور وجميعها كالذت الجامعة لما فيها من الصفات فاسم الله مستغرق جميع الأسماء فتحفظ عند المشاهدة منه فإنك لا تشاهده مطلقاً فإذا ناجاك به وهو الجامع فانظر ما يناجيك به وانظر المقام الذي تقتضيه تلك المناجاة أو تلك المشاهدة وانظر أي اسم من الأسماء الإلهية ينظر إليه فذلك الاسم هو الذي يخاطبك أو شاهدت فهو المعبر عنه بالتحول في الصورة كالغريق إذا قال يا الله فمعناه يا غياث أو يا منجي أو يا منقذ، وصاحب الألم إذا قال يا الله فمعناه يا شافي أو يا معافي وما أشبه ذلك، وقولي لك التحول في الصورة ما ذكره مسلم[1] في صحيحه أن الباري تعالى يتجلى فينكر ويتعوذ

(١) الإمام مسلم (٢٠٤ ـ ٢٦١ هـ = ٨٢٠ ـ ٨٧٥ م).
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين. حافظ، من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه «صحيح مسلم» جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمس عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة في الحديث، وقد شرحه كثيرون، ومن كتبه «المسند الكبير» و«الجامع» و«الكنى والأسماء»، =

منه فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها فيقرون بعد الانكار وهذا هو معنى المشاهدة هاهنا والمناجاة والمخاطبات الربانية.

وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما يكمل فيه ذاته وينتقل معه حيث انتقل وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة فإن علمك بالطب مثلاً إنما تحتاج إليه في عالم الأسقام والأمراض فإذا انتقلت إلى عالم ما فيه مرض ولا سقم من تداوي بذلك العلم؟ فالعاقل لا يسعى من حيث إنه يكون له خبرة وإن أخذه من طريق الوهب كطب الأنبياء فلا يقف معه وليطلب العلم بالله.

وكذلك العلم بالهندسة إنما تحتاج إليه في عالم المساحة فإذا انتقلت تركته في عالمه ومضت النفس ساذجة وليس عندها شيء وكذلك الاشتغال بكل علم تركته النفس عند انتقالها إلى عالم الآخرة فينبغي للعاقل أن لا يأخذ منه إلا ما مست الحاجة الضرورية إليه وليجتهد في تحصيل ما ينتقل معه حيث ينتقل، وليس ذلك إلا علمان خاصة العلم بالله تعالى والعلم بمواطن الآخرة وما تقتضيه مقاماتها حتى يمشي فيها كمشيه في منزله فلا ينكر شيئاً أصلاً فإنه من أهل العرفان لا من أهل النكران وتلك المواطن مواطن التمييز لا مواطن الامتزاج التي تعطي الغلط ويخلص إذا حصل في هذا المقام أن يتميز من حزب الطائفة التي قالت عندما تجلى لها ربها: نعوذ بالله منك لست ربناها نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فلما جاءهم في الصورة التي عرفوه فيها أقروا، فما أعظمها من حيرة فينبغي للعاقل الكشف عن هذين العلمين بطريق الرياضة والمجاهدة والخلوة على الطريقة المشروطة وكنت أريد أن أذكر الخلوة وشروطها وما يتجلى فيها على الترتيب شيئاً بعد شيء لكن منعني من ذلك الوقت وأعني بالوقت علماء السوء الذين أنكروا ما جهلوا وقيدهم التعصب وحب الظهور والرياسة عن الإذعان للحق والتسليم له إن لم يكن الإيمان.

وهذا آخر الرسالة والله ولي الكفاية، والحمد له أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً والصلاة على نبيه شاكراً وذاكراً.

فصل

الكلام في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] من باب الجلال والجمال فيقابلها فيها قيل للنبي عليه السلام: أرأيت ربك؛ فقال: نورٌ أنى أراه[1]. فلا

= و«الأفراد والوحدان»، و«الأقران» و«مشايخ الثوري» و«أوهام المحدثين» و«الطبقات» و«أفراد الشاميين» و«التمييز» و«العلل» وغير ذلك.

الأعلام ٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٥٠، وتهذيب ١٠/ ١٢٦، وابن خلكان ٢/ ٩١، والبداية والنهاية ١١/ ٣٣، ومعجم المطبوعات ١٧٤٥.

(١) أخرجه مسلم في (الصحيح ١٦١)، والترمذي في (السنن ٣٢٨٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/ =

يزال حجاب العزة مسدلاً لا يرفع أبداً جل أن تحكم عليه الأبصار هكذا عند مشاهدتها إياه لأنها في الحيرة والعجز فرؤيتها لا رؤيتها كما قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك.

إشارة

لا تدرك الأبصار الهواء لكونها سابحة فيه فمن كان في قبضة شيء فإنه لا يدرك ذلك الشيء.

إشارة أخرى

يريد البصر أن يدرك لون الماء والشفافة الغالبة في الصفاء فلا يدركها فإنه لو أدركها لقيدها وذلك لأنها اشبهته في الصفاء والإدراك لا يدرك نفسه لأنه في نفسه ويدركها فهو البصر المبصر المبصر.

إشارة ثالثة

إذا نظر البصر إلى الشيء الصقيل فيرى فيه الصور فإدراكه للصور لا للجسم الصقيل لأنه لو جهد أن يدرك ما يقابل الصورة التي في الصقيل من الصقيل لم يقدر لأن الصقيل لا يتقيد فإذا سئل ما رأى فلا يقدر أن يقول رأيت الصقيل لأنه لا يتقيد ولا يحكم عليه بشيء.

وإن قال ذلك فهو جاهل لا معرفة له بما شاهده ولكن يقول رأيت فيخبر عن الصورة أو الصورة التي رآها وهو الصدق فقد عزت هذه الأشياء عن إدراك البصر لكونها مخلوقة فافهم، ولكنه أدرك هذه الأشياء بغير تقييد وقبول هذه الأشياء إلى البصر ذاتي لا ينفك عن صورة البتة عند رؤية الرائي وهي رؤيتك فتحقق ما ذكرنا.

واعلم أن الله تعالى أن يحيط به بصر أو عقل ولكن الوهم السخيف يقدره ويحده والخيال الضعيف يمثله ويصوره وهذا في حق بعض العقلاء الذين قد نزهوه عما تخيلوه وتوهموه ثم بعد التنزيه يتسلط عليهم سلطان الوهم والخيال فيحكم عليه بالتقدير وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وهو رجوعهم إلى ما أعطاهم العقل بالبرهان الصحيح من التنزيه عن ذلك ولله الحمد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قيل إن بعض الصادقين دعا إلى الله سبحانه وتعالى بحقيقة التوحيد فلم يستجب

= ١٥٧، ١٧١، ١٧٥)، والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٣٨٧)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥٦٥٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٣٠٤)، وابن حجر في (فتح الباري ٨/ ٦٠٨) وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٩/ ٦١)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ١٢٥).

إلا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه تريد أن تستجيب لك العقول قال: نعم، قال: أحجبني عنهم، قال: كيف احجبهم وأنا أدعوهم إليك، قال: تكلم في الأسباب وفي أسباب الأسباب، قال: فدعا إلى الله تعالى من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير ولولا أن الله تعالى تولى قلوب المؤمنين فحبب الإيمان إليها وزينه فيها وكره الكفر وشأنه عندها لتاهوا في الظلمات وغرقوا في بحار الهلكات لظهور الاعتياد ومعاينة الأسباب ولكن الله سلم وحبب الإيمان في القلوب وزين وكره الكفر والعصيان ولذلك مدح المؤمنين بالغيب المستور ومن ذلك سبق المقربون بشهادة النور فقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فلولا أنهم كانوا في ظلمة بالطبع ما امتن عليهم بإخراجهم منها إلى ما أدخل عليهم من نور اليقين وكذلك جاء الخبر أن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه اهتدى ومن أخطأه ضل(١). وفي أحد المعاني يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو الأسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه ويمحو الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت الأسباب ولولا أن التوحيد لم يرسمه عارف قط في كتاب ولا كشفه عالم في خطاب لعجز علوم العموم عن درك شهادته وتسبق افكار العقول لضعفها عن حمل مكاشفته لذكرنا من ذلك ما يبهر العقول ويبهت ذوي المعقول، ولكنا كرهنا أن نبتدع ما لم يسبق إليه أو نظهر ما تضطرب العقول بالحيرة فيه وخفنا من عدم النصيب مما نذكره فيعود على السامعين من دفعنا ضرره.

وحقيقة علم التوحيد باطن المعرفة وهي سبق المعروف إلى من به تعرف بصفة مخصوصة لحبيب مقرب مخصوص لا يسع معرفة ذلك الكافة وافشاء سر الربوبية كفر، وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى سر الوحدانية فقتله أفضل من إحياء عشرة.

وقال بعضهم: للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو ظهر لبطلت الأحكام فقوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السرية وبهذا وقع التدبير وعليه انتظم النهي والأمر والله تعالى غالب على أمره وفوق ذلك علم التوحيد الاسم منه وحداني فالتوحيد وصفه وفوقه علم الاتحاد فالوصف منه متحد وفوقهما علم الواحدنية فالاسم منه واحد وفوق ذلك علم الأحدية الاسم منه أحد هذه أسماء لها صفات وأوصاف لها أنوار وأنوار عنها علوم وعلوم لها مشاهدات بعضها من بعض وفوق كل ذي علم عليم.

ثم علم التوحيد أول هذه العلوم وعموم هذه المشاهدات وظاهر هذه الأنوار وأقربها إلى الخلق فالاسم منه موحد وهاهنا بان الخلق وظهر فهذا توحيده الذي وحده به الموحدون من جميع خليقته فعاد ذلك برحمته عليهم، والمشاهدات الأول توحيد

(١) أخرجه الترمذي (إيمان ١٨)، وأحمد بن حنبل ٢/١٧٦، ١٩٧.

الرب سبحانه نفسه بنفسه لنفسه قبل توحيد خلقه فتوحيدهم إياه عن توحيده في ما كنينا عنه واخفيناه فيما اظهرناه فهو محجوب في خزائن الغيوب عن البصائر والفهوم وقد جاوز علم الملكوت[١] كله فهو من ورائها في خزائن الجبروت[٢] وإنما ذكرنا من ذلك قوت القلوب وما لا بد للإيمان منه من المريد وقال عالمنا، يعني سهل بن عبد الله التستري[٣]: العلوم ثلاثة، علم ظاهر نبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسع إظهاره إلا لأهله، وعلم هو سر بين العالم وبين الله تعالى هو حقيقة إيمانه لا يظهره لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن، وقال بعض السلف قبله: ما من عالم يحدث قوماً بعلم لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم. هذا فصل من كتاب فضائل الشهادة لأبي طالب المكي[٤] قدس الله روحه.

من كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس الله روحه

لما كان مرتبة الامكان بما تحويه الممكنات غيباً ولها الظلمة وكانت الممكنات هي التي تتعين في النور الوجودي ويظهر أحكام بعضها للبعض بالحق وفيه وهو سبحانه لا قيد له ولا تميز كان المثال الواقع في الوجود مطابقاً للأصل، فالمداد مع الدواة نظير مرتبة الامكان وما حوته من الممكنات من حيث إحاطة الحق بها وجوداً وعلماً وحقائق الممكنات كالحروف الكامنة في الدواة وإليه الإشارة بقوله كان الله ولا شيء معه[٥]، ونحوه قولي.

(١) الملكوت: الملك العظيم، أو العز والسلطان.

(٢) الجبروت: صيغة مبالغة بمعنى القدرة والسلطة والعظمة.

(٣) سهل التستري (٢٠٠ ـ ٢٨٣ هـ = ٨١٥ ـ ٨٩٦ م).
سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد. أحمد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في «تفسير القرآن» مختصر وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك.
الأعلام ٣/ ١٤٣، وطبقات الصوفية ٢٠٦، والوفيات ١/ ٢١٨، وحلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، والشعراني ١/ ٦٦، والمناوي ١/ ٢٣٧.

(٤) أبو طالب المكي (توفي ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م).
محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب: واعظ زاهد، فقيه. من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكة. ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال، وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالاً هجروه من أجلها. وتوفي ببغداد. له «قوت القلوب» في التصوف، مجلدان، قال الخطيب البغدادي: ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات، و«علم القلوب» و«أربعون حديثاً» أخرجها لنفسه.
الأعلام ٦/ ٢٧٤، ووفيات الأعيان ١/ ٤٩١، وميزان الاعتدال ٣/ ١٠٧، وتاريخ بغداد ٣/ ٨٩، ولسان الميزان ٥/ ٣٠٠.

(٥) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٠٥)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٣)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ١٨٩).

وليس في الغيب الذاتي الإلهي تعدد ولا تعين وجودي والورق وما يكتب فيه كانبساط النور الوجودي العام الذي يتعين فيه صور الموجودات والكتابة سر الإيجاد والاظهار والواسطة والآلة القلم الإلهي والكاتب الحق من حيث كونه موجداً وخالقاً وبارئاً ومصوراً، ونظير الأنامل الثلاث الفردية الأول التي وقع وبها الانتاج والقصد والإرادة واستحضار ما يراد كتابة التخصيص الإرادي التابع المعلم المحيط بالمعلومات التي تظهر.

وكما أن استمداد العالم الكاتب هنا ما تراد كتابته يرجع إلى أصلين أحدهما العلم الأول، والثاني الحس المستفاد من المحسوسات كذلك الأمر هناك فنظير الأول علم الحق بذاته وعلمه كل شيء من عين علمه بذاته ونظير المستفاد من المحسوسات رؤيته سبحانه حقائق الممكنات وحضرة الامكان وتعلق العلم بها أزلاً تعلقاً ذاتياً وإبرازها في الوجود على حد ما علمت وبحسب ما كانت عليه وهذا سر يبعثه علم العالم للمعلوم ومن النسبة الجامعة بين هذين الأصلين العلميين لعلم أسرار كثيرة ولا يقتضي الوقت والحال تفصيلها أحدها سر ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] - تم.

كتب الحسين الحلاج إلى بعض تلامذته

السلام عليك يا ولدي ستر الله عنك ظاهر الشريعة وكشف لك حقيقة الكفر فإن ظاهر الشريعة شرك خفي وحقيقة الكفر معرفة جلية. أما بعد اعلم أن الله تعالى تجلى عن رأس إبرة لمن شاء وتستر في السموات والأرضين عمن شاء شهد أنه لاهو وشهد ذلك أنه غيره فالشاهد بإثباته والشاهد على نفيه غير مذموم والمقصود من هذا الكتاب أن أوصيك أن لا تغتر بالله ولا تيأس منه ولا ترغب في محبته ولا ترض أن تكون له غير محب ولا تقل بإثباته ولا تمل إلى نفيه وإياك والتوحيد والسلام.

شعر لغز به

كفرت بدين اللّه والكفر واجب   لدي وعند المسلمين قبيح

من كلام الشيخ

اعلم أن العالم بمجموعه حدقة عين الله التي لا تنام، والعلويات جفنها الفوقاني، والسفليات جفنها التحتاني، والتفرقة الملكية في العلويات اهداب الجفن الفوقاني والسفليات جفنه التحتاني والنفس الكلية سوادها، والروح الكلى بياضها والله تعالى نور هذه العين وإنما قلنا أن العلويات والسفليات أجفان العين لأنهما يحافظون على ظهور النور.

فلو قطع جفن عين الإنسان لتفرق نور عينه وانتشر، بحيث لا يرى شيئاً أصلاً وكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لانبسط نور الله سبحانه بحيث لا يدرك منه شيئاً أصلاً ونعني بعين الله تعالى ما يتعين سبحانه وتعالى فيه وهو العالم بمجموعه.

رسالة

لا يعول عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال سيدنا وإمامنا وقدوتنا إلى الله الشيخ الإمام الكامل المحقق محيي الملة والدين أبو عبد الله محمد ابن سيدنا الإمام القدوة علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي قدس الله سره.

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

الوجد الحاصل عن التواجد لا يعول عليه. والوجود الذي يكون عن مثل هذا الوجد لا يعول عليه. الخاطر الثاني فما زاد لا يعول عليه. التجلي في صورة ذات روحه مدبر لا يعول عليه. الوارد المنتظر لا يعول عليه. الاطلاع على مساوي العالم لا يعول عليه. الحال الذي ينتج عندك شفوفك على غيرك عند نفسك لا يعول عليه.

التجلي المعنوي في الصورة المقيدة لا يعول عليه الأكابر من الرجال. صحبة المكاشف بالروحانيات من غير إفادة ولا استفادة كذب لا يعول عليه. كشف الأشياء ذاكرة لله تعالى بما أنت عليه من الذكر لا يعول عليه. الوارد الذي يرد من تغير المزاج لا يعول عليه.

كل علم من طريق الكشف والإلقاء أو اللقاء والكناية بحقيقة تخالف شريعة متواترة لا يعول عليه، ويكون ذلك الالقاء أو اللقاء أو الكناية معلولاً غير صحيح، إلا الكشف الصوري فإنه صحيح، ووقع الخطأ في تأويل المكاشف مما أريدت له تلك الصورة التي ظهر له فيها هذا العلم على زعمه.

كل علم حقيقة لا حكم للشريعة فيها بالرد فهو صحيح وإلا فلا يعول عليه. السماع من الحق في المخالفات أن يعلم السامع أنه خطاب ابتلاء فإنه لا يعول عليه. نظر الخلق بعين الحق مع التسليم لا يعول عليه. خرق العوائد والمزيد من الفوائد مع استصحاب المخالفات لا يعول عليه. الحركة عند سماع الألحان المستعذبة وعدمها عند

عدم هذا السماع لا يعول عليها.

السماع من الحق في الأشياء لا يعول عليها العارف. الإقامة على حال واحد نفسين فصاعداً لا يعول عليه أكابر الرجال. كل فن لا يفيد علماً لا يعول عليه. الأنس بالله في الخلوة والاستيحاش في الجلوة لا يعول عليه. شغل النفس بالجمال المقيد مع الدعوى برؤية جمال الحق في الأشياء لا يعول عليه. تعظيم الحق في بعض الأشياء لا يعول عليه. رؤية الخلق وكل ما سوى الله بعين النقص في جناب الله لا يعول عليه، الكشف الذي يؤدي إلى فضل الإنسان على الملائكة أو فضل الملائكة على الإنسان مطلقاً من الجهتين لا يعول عليه. احتقار العوام في جناب الخواص بتعيين فلان وفلان كفضل الحسن البصري على الحسن بن هانىء[1] لا يعول عليه. المشاهدة والكلام معاً لا يكون إلا في حضرة التمثل فلا يعول عليه أكابر الرجال، التجلي المتكرر في الصورة الواحدة لا يعول عليه.

المظهر الإلهي إذا تقيد في نفسه لا يعول عليه، فإن المظهر الإلهي لا يتقيد إلا في نظر الناظر لا في نفسه وإدراك الفرق بينهما عسر جداً. الاعتماد على الله وهو التوكل في غير وقت الحاجة لا يعول عليه. السكون عند الحاجة لقوة العلم مع البشرية لا يعول عليه، لأنه حال عارض سريع الزوال. دعوى رؤية الحق في الأشياء مع الزهد فيها لا يعول عليه، لأنه حال عارض سريع الزوال فإن الزهد ليس من شأن صاحب هذا المقام. المعرفة التي تسقط التمييز بين ما يجوز للمكلف التصرف فيه وبين ما لا يجوز لا يعول عليها.

اتخاذ الحق دليلاً على وجود الخلق لا يصح فلا يعول عليه، لأن الخلق لا يكون غاية فليس وراء الله مرمى. المعرفة بالله معراة من الأسماء الإلهية لا يعول عليها. فإنها ليست بمعرفة. المزيد من الحال الذي لا ينتج علماً لا يعول عليه، الحال عند الأكابر لا يُعول عليه، وجود الحق في القلب لا يعول عليه، قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ [النحل: ٩٦] .

وجود الحق عند الاضطرار لا يعول عليه، لأنه حال والحال لا يعول عليه فإذا

(١) هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء (١٤٦ ـ ١٩٨ هـ = ٧٦٣ ـ ٨١٤ م) أبو نواس، شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها. وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. له «ديون شعر» وديوان آخر سمي «الفكاهة والاتتناس في مجون أبي نواس».

الأعلام ٢/ ٢٢٥، وتهذيب ابن عساكر ٤/ ٢٥٤، ومعاهد التنصيص ١/ ٨٣، ونزهة الجليس ١/ ٣٠٢، وخزانة البغدادي ١/ ١٦٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٣٥، والشعر والشعراء ٣١٣.

وجده في غير حال الاضطرار فذلك الذي يعول عليه، وتعريه عن الاضطرار حال غير مرضي ووجود الحق فيه مرضي. رفع الأسباب عند الأكابر لا يعول عليه، بل من شأنهم الوقوف عند الأسباب.

الوقوف مع الأسباب للمريد لا يعول عليه، وإن عضده العلم من أجل الركون إليها. الجوع لا يعول عليه. الوارد عند انحراف المزاج لا يعول عليه، وإن كان صحيحاً فإن الصحة فيه أمر عارضي نادر. شهود الفراغ الإلهي من الأكوان لا يعول عليه، إن يستحيل عقلاً ونسبة الهية فاستحالته عقلاً رفع الإلهية فإنه السر الذي لو ظهر لبطلت الألوهية وأما استحالته نسبة الهية فقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١] فهو عين ابتداء شغل مستأنف منهم لا يكون إلا هكذا.

وجود تنزيه الحق مطلقاً عن صفات الخلق لا يعول عليه، فإنه يؤدي إلى نفي ما أثبته ورفعه قال عليه السلام كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم[١] فاتى بكاف الصفة صحبة. أهل الله مع عدم احترامهم لا يعول عليه. علم غاية العمل من غير عمل به لا يعول عليه. عمل من غير إخلاص فيه لا يعول عليه. ما انتجه الفكر من معرفة الله لا يعول عليه. التجليات المطابقة لامثلتها القائمة بالنفس قبل ذلك لا يعول عليها، وكذلك ما يظهر في الخلوة لأصحاب الخلوات. كل ما يقع لك فيه الاشتراك مع غير الجنس لا يعول عليه، إن كان حقاً في نفس الأمر ولكن لا يدل على الاختصاص الإلهي الذي يثمر السعادة المطلقة. الصبر الثاني لا يعول عليه، فإن الصبر الذي يعول عليه هو الذي يكون عند الصدمة الأولى فإنه دليل الحضور مع الله تعالى. القناعة في العلم الإلهي لا يعول عليها.

الإيثار لا يعول عليه الأكابر، فإنه أداء أمانة. جميع ما تلقيه إليك الأرواح النارية سلمه ولا تقبله ولا ترده وقل آمنا بالله وما كان من الله ولا تعول عليه. جميع ما يرد عليك وأنت تجهل أصله لا تعول عليه. القبض بالحق عن الحق لا تعول عليه. البسط بالحق على الحق بسوء الأدب عليه وبالأدب ليس من شأنه الأكابر لكنه حال الأصاغر الذين قلت معرفتهم لا يعول عليه. الظن لا يعول عليه. التوبة من بعض الذنوب لا يعول عليها. التوكل في بعض الأمور لا يعول عليه. كل حال أو كشف أو علم يعطيك الأمن من مكر الله لا يعول عليه.

كل بارقة تظهر للعبد من نور أو كوكب أو ضياء أو حركة غير معتادة ولا تفيده علماً في نفس ظهورها من أي العلوم كان من غير أن تكون في ذلك العلم بعد انفصالها فلا يعول عليه، فإنه ليس من الحق بل مثل البارقة الأولى التي ظهرت لرسول الله ﷺ

(١) أخرجه ابن ماجة (مساجد ١٩)، وأحمد بن حنبل ٢/٣٠٧، ٣٢٨، ٣٤٠، ٤٥٣.

في الحجر الذي تعرض لهم في الخندق فذكر فتح الشام وفي البارقة الأخرى فتح اليمن، وكذلك في وجوده برد الأنامل في الضربة بين كتفيه فعلم علم الأولين والآخرين، كل عمل مشروع من أعمال وترك ولا تحضر للمكلف ما يقتضيه ذلك الأمر من الحقوق الثلاثة التي يطلبها وهو الحق الذي لله فيه والحق الذي للمكلف فيه وحقه في نفسه فلا يعول عليه، فإنه ما حصل على الوجه المشروع.

كل عمل وترك لا يكون الشخص فيه تابعاً فلا يعول عليه وإن كان اشق من عمل التبعية، قال الشبلي[1] في هذا المقام: كل عمل لا يكون عن أثر فهو هوى النفس. كل محبة لا يؤثر صاحبها إرادة محبوبه على إرادته فلا يعول عليها كل محبة لا يلتذ صاحبها بموافقة محبوبه فيما يكرهه نفسه طبعاً لا يعول عليها. كل حب لا ينتجه إحسان المحبوب في قلب المحب لا يعول عليه. كل حب يعرف سببه فيكون من الأسباب التي تنقطع لا يعول عليه. كل حال إلهي يعطي حركة حسية لا يعول عليه كل وارد يطلبك الترقي لا يعول عليه. كل تلق إلهي مناسب لا يعول عليه. كل حب يكون معه طلب لا يعول عليه. كل حب لا يتعلق بنفسه وهو المسمى حب الحب لا يعول عليه، كل حب لا يفنيك عنك ولا يتغير بتغير التجلي لا يعول عليه. كل حب تبقي في صاحبه فضلة طبيعية لا يعول عليه. كل حال يدوم زمانين لا يعول عليه. كل حال لا يكون دوامه إذا دام بالتوالي ويشهد ذلك صاحب الحال فلا يعول عليه. كل تمكين لا يكون في تلوين لا يعول عليه.

كل تلوين لا يعطي صاحبه زيادة علم بالله فلا يعول عليه. كل حضور لا ينتج حباً من الله ولا يكون معه هيبة في قلب الحاضر لا يعول عليه. كل حضور لا يتعين لك في كل شيء لا يعول عليه. كل غيبة لا يرجع صاحبها بفائدة علم الهي لا يعول عليها. كل غيبة لا يرجع صاحبها بشيء كان ذلك محموداً أو مذموماً فهي نومة لا غيبة فلا يعول عليها. كل مقام مشروط بشرط لا يوجد الشرط عند وجوده لا يعول عليه، فإنه تلبيس وجهل. كل مقام شأنه الاستصحاب فلا يصحبك لا يعول عليه.

كل توبة لا تكون عامة فهي ترك لا توبة فلا يعول عليها، ولا يقبلها الله توبة. كل

---

(١) الشبلي (٢٤٧ ـ ٣٣٤ هـ = ٨٦١ ـ ٩٤٦ م).
دلف بن جحدر الشبلي. ناسك. كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند (من نواحي رستاق الري) وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية «شبلة» من قرى ما وراء النهر، ومولده بسرَّ من رأى، ووفاته ببغداد. اشتهر بكنيته. واختلف في اسمه ونسبه فقيل: «دلف بن جعفر» وقيل: «جحدر بن دلف» و«دلف بن جعترة» و«دلف بن جعونة» و«جعفر بن يونس» وللدكتور كامل مصطفى الشيبي «ديوان أبي بكر الشبلي» جمع فيه ما وجد من شعره.
الأعلام ٢/ ٣٤١، ووفيات الأعيان ١/ ١٨٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، وصفة الصفوة ٢/ ٢٥٨.

ورع مقصور على أمر دون أمر لا يعول عليه. كل خلوة بالله تعطي أنساً تزيله الجلوة لا يعول عليه، أعني ذلك الأنس كل كلام لا يؤثر في قلب السامع مراد المسمع فهو قول لا كلام. وما سمع السامع إلا قولاً فلا يعول على سمعه، والقول صحيح. كل إرادة لا تؤثر لا يعول عليها، كل جذب يكون معه لذة ولا يشاركها تنغيص في حال وجودها لا يعول عليه.

كل سكر لا يكون عن شرب لا يعول عليه. كل ذوق لا يكون عن تجل لا يعول عليه. كل رمي لا يعول عليه. كل بقاء يكون بعده فناء لا يعول عليه. كل فناء لا يعطي بقاء لا يعول عليه. كل جمع لا يعقل معه فرق في حال وجوده لا يعول عليه. وهو جهل. كل فرق لا يميزك عنه ولا يميزه عنك بما لا تعلم بل تجد التمييز ولا تدري بماذا لا يعول عليه. كل صحو يكون عن سكر لا يعول عليه، فإن سكران الحق لا يصحو. كل صحو يكون بعد غيم لا يعول عليه. كل وقت يكون عليك أو لا لك ولا عليك لا يعول عليه. كل نفس لا تنشأ منه صورة تشاهدها لا يعول عليه. كل نفس لا يخرج من إل لا يعول عليه. كل تنهد يكون عن فقد في عين لا يعول عليه. كل حال يشهدك الماضي والمستأنف لا يعول عليه. كل صبر على بلاء يمنعك من الدعاء لله في رفعه لا يعول عليه.

كل إيمان بحكم مشروع تجد في نفسك ترجيح خلافه لا يعول عليه. كل إسلام لا يصحبه الإيمان لا يعول عليه. كل إحسان ترى نفسك فيه محسناً ولو كنت بربك لا تعول عليه. كل توكل لا تحكم على غيرك مثل ما تحكم على نفسك لا يعول عليه. كل تسليم يدخل منك فيه خوف ولو في وقت ما لا يعول عليه. كل تفويض يدخل فيه خوف العلة لا يعول عليه. كل مجاهدة لا تكون على يد شيخ لا يعول عليها وكذلك كل رياضة، والرياضة تحمل الأذى النفسي، والمجاهدة تحمل الأذى البدني.

كل رضا بقضاء ينجر معه الرضا بالمقضي لا يعول عليه. كل أدب يخرج عنه مكرمة خلق لا يعول عليه. كل خرق عادة يكون عن استقامة أو تنتج استقامة فهي كرامة وإلا فلا يعول عليه. كل خرق عادة ترجح ميزانها فإنها انتجت استقامة فذلك الذي يعول عليه. كل شكر لا يوجد معه المزيد لا يعول عليه. كل يقين يكون معه حركة لا يعول عليه. كل توفيق لا يكون معه تأدب موافقة لا يعول عليه. كل مراعاة لا يكون معها تمييز لا يعول عليها. كل مراقبة لا يحفظ معها السر لا يعول عليها. كل عبودية لا يتعين سيدها لا يعول عليها. كل حرية تغنيك عن الاسترقاق الإلهي لا يعول عليها. كل إرادة لا يعول عليها فإن متعلقها العدم وتكون المعدوم لله لا لك فعدمها ووجودها سواء. كل خلق لا يكون عن تحقق بصحبة الأدب الإلهي لا يعول عليه. كل طمأنينة يسكن القلب بها لا يعول عليها.

كل استقامة لا ترى في الاعوجاج لا يعول عليها، كتعويج القسي وجميع الأجسام كلها معوجة وهي استقامتها. كل بداية لا يجر إليها صاحب النهاية لا يعول عليها. كل نهاية لا يصحبها حال البداية لا يعول عليها. كل تفكر لا يعول عليه. كل إخلاص لا يعول عليه، فإنه ما ثم ممن. كل حمد لا يكون صفة لا يعول عليه. كل بلاء لا يكون ابتلاء لا يعول عليه. كل ثقة لا تكون عن ثقة لا يعول عليها. كل ولاية لا تكون نبوة لا يعول عليها.

كل معرفة لا تتنوع لا يعول عليها. كل صدق يسأل عنه لا يعول عليه. كل شوق يسكن باللقاء لا يعول عليه. كل أنس لا يشهد في الحس وغير الحس لا يعول عليه. كل حياء لا يعم التروك لا يعول عليه. كل غيرة لا تعم ويكون حكمك فيها عليك كحكمك على غيرك لا يعول عليها.

كل غيرة على الله لا يعول عليها، فإنها جهل وعدم معرفة وليست من أوصاف الرجال وهي نقيض الدعاء إلى الله فيها سوء أدب مع الله من حيث لا يشعر. كل مواصلة لا تشهد في عين البعد لا يعول عليها. كل مشاهدة لا يشهد شاهدها لا يعول عليها. كل انبساط لا يعول عليه. كل محادثة لا يكون العبد فيها لا يعول عليها. كل مسامرة لا يشهد فيها نزول الحق لا يعول عليها.

كل تفريد لا يكون عن شفع لا يعول عليه. كل تجزيد لا يعول عليه. كل قبض مجهول السبب لا يعول عليه، وكذلك كل بسط. كل توحيد سرك فلا يعول عليه. كل جمع فرق فلا يعول عليه. كل فرق لا يثبتك ويثبته لا يعول عليه.

كل فراسة[1] لا تكون عن نور الإيمان لا يعول عليها. كل غيب لا يشهد حيث هو لا يعول عليه. كل نظر يدلك على قلب عين لا يعول عليه. كل روح لا يذهب بروح لا يعول عليه. القرار إذا لم يعط حكماً من صفة الوهب لا يعول عليه.

التقوى إذا لم تكن بالله منه لا يعول عليها الأكابر. الورع الذي لا يعم الأحوال لا يعول عليه. الزهد لا يعول عليه. العطاء بعد السؤال لا يعول عليه. الإيثار لا يعول عليه، لا من جانب الحق فإنه لا يليق ولا من جانب الخلق فإنه مود أمانة. السفر إذا لم يكن معه ظفر لا يعول عليه. السهر إذا لم يكن عن حياة أزلية لا يعول عليه. النوم إذا لم يعط بشرى لا يعول عليه. الجوع لا يعول عليه جملة واحدة.

كل شهوة غير شهوة الحب لا يعول عليها. كل مساعدة لا تكون عن مشاهدة

(١) الفراسة: مأخوذة من التفرّس وهو التثبت والنظر، ويطلق أيضاً على التوسم من السمة وهي العلامة، والفراسة قد تكون عادية تُعرف بقرائن الأحوال، وقد تكون وهبية إلهامية يخلقها الله في القلب وهي المراد غالباً عند القوم.

الحق فيها لا يعول عليها. الحسد في الخير لا يعول عليه لئلا يعتاده الطبع. الغيظ في الراحة لا يعول عليه. الغيبة في الله لا يعول عليها. الحرص لا يعول عليه فإنه استعجال القدر بالمقدور ولو كان بالخير إلا للعباد فإنه نافع. الفتوة من غير وزن لا يعول عليها، كصاحب السفرة تفتى فأصاب من وجه حيث آثر من أطاع وأخطأ من وجه بانتظار الجماعة فلهذا قلنا تحتاج إلى ميزان الرسالة لا يعول عليها.

التصوف بغير خلق لا يعول عليه. التحقيق إذا لم يعط أحدية الكثرة لا يعول عليه. الحكمة إذا لم تعط الترتيب لا يعول عليها. صحبة غير الله ولو كانت في الله لا يعول عليها. المعرفة إذا لم تتنوع مع الأنفاس لا يعول عليها. الخلة إذا لم تكن إبراهيمية لا يعول عليها. المحبة إذا لم تكن جامعة لا يعول عليها. الاحترام بغير خدمة لا يعول عليه. والخدمة بغير الاحترام لا يعول عليها.

السماع إذا تقيد لا يعول عليه. السلوك إذا كان به أو فيه أو منه أو إليه لا يعول عليه، فإذا جمع الكل عول عليه. المسافر بغير زاد لا يقتدى به. السالك إلى النور من الوجه الظاهر لا يعول عليه، ولا يقتدى به. المكان إذا لم يؤنث لا يعول عليه، يعني المكانة الشطح لا يعول عليه. علامات التقريب مع المخالفات لا يعول عليها ولو ستر.

وجود القرب في عين البعد ووجود البعد في عين القرب تلبيس فلا يعول عليه. البشرى بالأمن من مكر الله بطريق الكشف لا يعول عليها، فإنها من علوم السر الذي اختص الله بها. الإحاطة بعلم الأسماء إن جاءت في الكشف لأحد فلا يعول عليها. زيادات التوحيد لا يعول عليها، وهي زيادات الأدلة لا زيادات التوحيد. التوحيد المدرك بالدليل العقلي لا يعول عليه. العلم بالإله من غير إثبات المألوه لا يصح فلا يعول عليه، ولهذا قال الشارع من عرف نفسه فقد عرف ربه. العلة تنافي التوحيد فلا يعول عليها. وجود الخلق في الحق ووجود الحق في الخلق مع بقاء الأعيان لا يعول عليه. المناسبة لا يعول عليها إلا أن كانت نسبة عبد لرب أو رب لعبد فتلك التي يعول عليها.

قولهم اقعد على البساط وإياك والانبساط لا يعول عليه. من صمت بلسانه وتكلم بالإشارة فصمته لا يعول عليه. إذا صحب الشخص من جرت العادة أن لا يصحب إلا عن شهوة ثم إنه في ثاني حال أو زمان نظره بغير تلك العين ورد نظره إليه بالله فلا يعول على ذلك الرجوع جملة واحدة، ويترك صحبته ولا بد وبالعكس إذا نظره أولاً بعين حق ثم حدث له نظرة طبيعية فالحكم للنظرة الأولى ولا يعول على ما حدث له في النظرة الثانية، ولكن يحتاج صاحب هذا الوصف إلى معرفة الأوائل من كل شيء.

كل صحبة مريد لشيخ يحدث المريد فيها نفسه بالنهاية إلى أجل لا يعول عليها. والتجلي في الأحدية لا يعول عليه، فإنه يطلب الإنسية. المقام الذي منه يتكلم الشخص على الخواطر وما يكون في قلوب الحاضرين على علم منه بذلك لا يعول عليه، لأنه

خلقه سبحانه ليكون معه لا مع الكون فإن أجرى الحق ذلك على لسانه من غير علم منه إن ذلك صاحبه فذلك الرجل الذي وفى ما خلق له.

وهنا حكاية قال بعض الكاشفين لمصل أنه خطر له في صلاته أنه سافر إلى سيواس وباع واشترى واكترى إلى بلاد العجم وذكر له جميع ما تصرف فيه بخاطره في الصلاة فقال له ناصح من إخوانه: كلاكما نحس هو في صلاته وأنت في خاطرك مرتسم عليه حيث ما مشى أنت معه فأي فرق وأين الله هو ما خلقك الإله لا للناس.

كل ما يخرجك عن حكم الأسماء الإلهية لا تعول عليه. كل مشهد لا يريك الكثرة في العين الواحدة لا تعول عليه، كل تجل لا يعطيك العلم بحقيقة لا تعول عليه. كل حق يقول أنا عين حقيقي ولا تجد له أثراً فيك سوى شهوده لا تعول عليه. كل باطن لا يشهدك ظاهره لا تعول عليه. كل صاحب نفس لا يكون معه تنفيس لا يعول عليه. كل نور لا يزيل ظلمة لا يعول عليه. كل كشف يريك ذهاب الأشياء بعد وجودها لا يعول عليه.

كل مقام لا يريك الحق خالقاً على الدوام لا تعول عليه. المطلع إذا ميز لك بين الأعلى والأسفل لا تعول عليه. المنزل إذا حال بينك وبين سيرك لا تعول عليه، فإنه ما ثم قرار من الجانبين. كل تعبير تشاهده في عالم الأجسام الطبيعية لا يعرفك بأن ذلك من جهة القائل لا من جهة الفاعل لا يعول عليه. كل امتزاج لا يعطيك أمراً لم يكن عندك قبل وجوده لا يعول عليه وليس بامتزاج.

الصبر إذا لم تشك فيه إلى الله فلا تعول عليه الصبر إذا لم تسمع فيه شكوى الحق بعباده إليه بما أوذي به لا يعول عليه. المراقبة إذا لم يصحبها الدوام لا يعول عليها. الرضا بكل ما قضى الله به لا يعول عليه. عبودية عن غير شهود عزة الإلهية لا يعول عليها. الإخلاص الذي لا يعطي الحكمة لا يعول عليه. الصدق إذا لم يكن معه إقدام لا يعول عليه.

الحياء[1] إذا لم يقبل صاحبه معذرة الكاذب لا يعول عليه. الحرية إذا لم تعط الكرم لا يعول عليها. الذكر إذا لم يرفع الحجاب فليس بذكر فلا يعول عليه. الفكر الذي يعطيك العلم بذات الله تعالى لا يعول عليه. الفتوة إذا لم يقم فيها مقام الحق فلا يعول عليها. التسليم الذي يخرج عن مراعاة الحدود لا يعول عليه. الولاية التي تقبل العزل لا يعول عليها. القرب الذي لا يشهدك عدم المظهر لا يعول عليه.

الفقر الذي لا ترى الله فيه عين كل شيء لا يعول عليه. الفناء الذي لا تشاهد فيه

---

(١) الحياء: هو ما يمنعك عما يضرك، وسببه ملازمة من يستحيا منه كأهل العلم والأدب، وثمرته الأمن من المقت والعذاب وخفة الحساب، وهو ممدوح ومطلوب.

فقرك لا تعول عليه. الفناء الذي لا تشاهد فيه فقرك لا تعول عليه. التصوف إذا لم يعم مكارم الأخلاق لا يعول عليه.

التحقيق إذا فاتك في أول الطريق فسلك بك على غير الطريق المشروعة وأنت لا تعرف وجه الحق الذي له في كل شيء فلا تعول على غايته. الحكمة إذا لم تكن حاكمة لا يعول عليها. الأدب إذا لم يجمع بين العلم والعمل لا يعول عليه. الصحبة مع غير الحق لا يعول عليها. الفقر إذا تحليت به لا يعول عليه. فإنه عارية فإن اشهدت فقرك الذاتي فهو المعول عليه. التوحيد إذا عريته من النسب لا يعول عليه. السفر إذا لم يسفر لا يعول عليه. المعرفة إذا تعدت إلى مفعولين فليست معرفة فلا يعول عليها.

الحب الذي يعطيك التعلق بوجود المحبوب وهو غير موجود فهو صحيح وإن لم فلا تعول عليه. خلة لا تنتج نبوة لا تعول عليها. الحرمة إذا لم يصحبها الاحتشام لا يعول عليها. السماع إذا لم يوجد في الإيقاع وفي غير الإيقاع لا يعول عليه. خرق العادة إذا لم يرجع عادة لا يعول عليه. كل علم لا يكون بين تحليل وتحريم لا يعول عليه.

كل شهود إلهي لا يعطيك تعظيم المخلوق بما يظهر فيه من العظمة لا يعول عليه. العزم مع الشهود لا يعول عليه. العزم بغير توكل لا يعول عليه. كل مجاهدة لا توضح سبيلاً إلهياً لا يعول عليها. الخلوة لا تصح عند العارف فلا يعول عليها. العزلة عن الناس طلباً للسلامة منهم لا يعول عليها. فإن اعتزل طلباً لسلامتهم منه فذلك المطلوب. كل هيبة تزول بمباسطة الحق لا يعول عليها. التقوى إذا لم يكن اسم إلهي فيه وقاية من اسم إلهي ليشهده المتقي لا يعول عليه. الورع في الحلال لا يعول عليه، الصمت العام لا يعول عليه.

الكلام إذا لم يؤثر في نفس السامع مراد المتكلم أو نقيضه بالرد عليه لا يعول عليه، لأن المتكلم بالحق لا بد من أحد النقيضين في السامع. السهر من غير سمر لا يعول عليه. النوم إذا لم يصحبه الوحي لا يعول عليه. الخوف إذا لم يكن سببه الذات لا يعول عليه. الرجاء عن غير بصيرة لا يعول عليه. الفتنة إذا لم تظهر الخبث لا يعول عليها، وليست بفتنة.

الحزن إذا لم يصحب الإنسان دائماً لا يعول عليه. المخالفة إذا لم تكن عن مقابلة لا يعول عليها. المساعدة إذا لم تكن عن مقابلة لا يعول عليها. المساعدة إذا لم تكن تارة لك وتارة له لا يعول عليها. كل جسد لا ينتج همة فعالة لا يعول عليه. التوكل الذي لا يكون الحق فيه وكيلاً لا يعول عليه. اليقين إذا أثر فيه الهوى لا يعول عليه. السلوك ذا لم يكن بالحال لا يعول عليه. الحال إذا كان مطلوباً للعبد لا يعول عليه. المقام إذا ابقى له حكماً عليك لا يعول عليه، فإنه لمن استوفى حقوقه. المكان إذا لم يكن مكانة لا يعول عليه.

كل طالع لا يغلب نوره على كل نور يجده في القلب لا يعول عليه. كل ذهاب لا يفنيك عنك لا يعول عليه. كل نفس لا تتكون عنه صورة لصاحبه تخاطبه ويخاطبها على الشهود لا يعول عليه. كل سر لا يولد وينتج لا يعول عليه. كل وصل لا يظفرك بالفائت لا يعول عليه. الفصل إذا لم يكن مشهوداً في عين الوصل لا يعول عليه.

كل رياضة لا تذلل صعباً لا يعول عليها، فإنها مهانة نفس. التحلي بالحاء المهملة لا يصح فلا يعول عليه، التجلي بالجيم إذا أبقاك لا يعول عليه. كل علة يكون معلولها غير الحق لا يعول عليها، فإنك معلول وجوده وهو معلول علمك به. كل انزعاج افقدك ما انزعجت منه لا يعول عليه. كل شهود تفقده في المستقبل لا يعول عليه.

كل كشف لا يكون صرفاً لا يخالطه شيء من المزاج لا يعول عليه، إلا أن يكون صاحب علم بالمصور. كل لائحة لا ترقيك درجة وتفيدك علماً بالله لا يعول عليها. التلوين إذا لم يشاهد في الأنفاس لا يعول عليه. الغيرة في الأحوال لا يعول عليها. وأما في المقامات فيعول عليها. من صحبك برؤيا لا تعول عليه، فإنه يغدر بك أوثق ما تكون به ويقطع بك أحوج ما تكون إليه. من صحبك بوارد وقته من أهل الله فلا تعول عليه. من صحبك بعقله أو لذاتك ذاك الذي يعول عليه.

من صحبك لما يستفيده منك لا تعول عليه، فإنه ينقضي بتحصيل ما يرجوه منك وربما كفر تلك النعمة إذا أراد الفراق فكن منه على حذر. من صحبك في الله فعول عليه، وعلامته النصيحة إياك واعترافه بالحق عند البيان إن غلط فلا بد من الفائدة له أو لك.

الصحبة[١] عن غير خبرة لا يعول عليها، فإنك لا تدري ما تسفر لك العاقبة، ويحتاج هذا إلى عقل وافر. الاعتماد على الحال من حيث اسم ما من الاسماء الإلهية لا يعول عليه، لأنه مأثم حال في الوجود إلا ولكل اسم إلهي فيه حكم وله إليه نظر كما جعل الله لكل كوكب فيه أثراً ترتيبا إلهياً وجعلا ربانياً.

رؤية ما ضبطه المعتقد في الحق عند كشف الغطاء لا يعول عليه. العيان البصري في المشاهدة لا يعول عليه، فإن كان عيان البصيرة فذلك الذي لا يعول عليه، وهو المسمى برهاناً، ومن قال إن العيان يغني عن البرهان فلا يعول عليه. كل تقوى لا ينتج فرقانا لا يعول عليه. كل توكل لا يعطيك الكفاية الإلهية لا يعول عليه. كل تقوى لا يعطيك مخرجاً من الشدائد لا يعول عليه.

كل تقوى لا يمنحك من جهة لا تخطر ببالك فأنت فيه مخدوع فلا يعول عليه. المتقي إذا لم يكن للحق وقاية ولا يكون له الحق في تقواه وقاية فلا يعول عليه. الذكر

(١) انظر حديث القشيري عن الصحبة برسالته ص ٢٩٤ ـ ٢٩٨.

منك إذا لم ينتج لك سماع ذكر الحق إياك لا تعول عليه. إذا قمت للحق ولم ينتج لك قيام الحق لك فيما دهمك من الأمور لا يعول عليه. النيابة عن الحق إذا بشرت بها في الكون ولم توهب علم تأثير الأسماء الإلهية في الأكوان لا يعول عليها. من ظن أنه اعطى علم الأسماء ولم يجد في نفسه قوة التأثير فلا يعول على ذلك العطاء.

من لم ير تكوينه وتكوين كل كائن من نفس الكوائن عند التوجه الإلهي لقول كن فلا يعول عليه. فإن رآها منبعثة عن الحق عن قوله كن فلا يعول عليه. من شهد تعلق القدرة بالمقدور فشهوده خيالي وهمي وليس بصحيح ولا يعول على ذلك الشهود، وسواء كان من أهل الاعتزال أو من الأشاعرة فإن حار في ذلك المشهد ولا يدري عن أي قدرة صدر ذلك الكائن فلا يعول عليه، فإن رأى أن الأمر مشترك بين الرب والعبد المكلف فليعول عليه، وليتحفظ في هذا المشهد فإنه مشهد صعب ليس أحد يقول بالاشتراك فيه إلا من شهد الأمر على ما هو عليه فبعض الأولياء المقتدين بعقد خاص يخلصون الفعل فيه لله، وبعض العلماء المقتدين بعقد خاص إنما يخلصون الفعل فيه للمكلف والخاصة هم لقائلون بالاشتراك وهي مسألة عظيمة الخطب. النصيحة في الملأ فضيحة فلا يعول عليها. تغيير المنكر على بعض الناس دون بعض وتغيير منكر دون منكر لا يعول عليه. التوبة من بعض الذنوب دون بعض لا يعول عليها. التجلي الإلهي في الأجسام الطبيعية كانت ما كانت لا يعول عليه، إلا المحققون من رجال الله.

التأثير بالهمة لا يعول عليه، إلا إن صحبه بسم الله الذي هو بمنزلة كن منه.

آخر ما وجد والحمد لله وحده وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتاب الشاهد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على النبي وآله وسلم

هذا كتاب يتضمن ما يأتي به شواهد الحق في القلب من العلوم الإلهية والوصايا الربانية بلسان الحكمة وفصل الخطاب، وهذه الشواهد هي التي تبقى في قلب العبد بعد الانفصال من مقام المشاهدة وبه تقع اللذة للعارفين فيتردد الخطاب فيهم من وجودهم لوجودهم.

فمن ذلك

باب شاهد الاشتراك في التقدير

قال: الشاهد الاشتراك بين الخلق والحق في جميع الأشياء إلا في الاتحاد. وقال: مشاهدة الأفعال لا تعلم بدليل أبداً ولا تعاين، وهو المشهد الرابع الذي لا يشهده من الحق غير الحق. وقال تشاهد ذات الحق كما أخبر قمراً وشمساً، وتشاهد صفاته ويشهد صدور الكون منه بكن. ولا يشاهد فعله ولا يحاط بذاته، وقال بالأدوار في الأكوار تظهر الأطوار وتقصر الأوطار ويتصرف في الأقطار ويكور الليل والنهار. وقال للخلق التقدير وليس لهم امضاؤه. وقال: اعرف قبل أن تموت من أين جئت وكيف جئت وما قيل لك وما قلت وما أخذ عليك وما أعطيك فإنه لا بد لك من الرجوع إلى الحق على الطريق الذي عليه خرجت من عنده، انظر في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤] هذا حال وقت نظرك إن نظرت، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة فنكصت على عقبيك فانظر كيف تكون.

باب شاهد السجدتين

أنت كل من حيث حقك وحقيقتك، وأنت جزء من حيث أحدهما فانظر في أية مرتبة تتميز، فله عليك سجدتان لكونك على حقيقتين فاسجد له من حيث كليتك سجود العالم كله فتجدك قد استوفيت حقائق سجودهم في سجدتك، وإن لم تجد ذلك فما سجدت وإذا أردت أن تعرف ذلك فأصغ.في سجودك إلى ندائه فإنه يناديك في السجدة الكلية بلغة كل ساجد وتعرف أنت ذلك إذا سمعته منه، واسجد له أيضاً السجدة الثانية

التي لا تعم من سجود الاختصاص فلا يناديك في هذه السجدة إلا بما تختص به خاصيتك التي لا مشاركة فيها، ولا تقبل السجود الخاص إلا في الصلاة وهو سجود القلب، وسجود كل قلب على حد علمه وعلمه على حد ما يتجلى له. قال هاتين السجدتين خلع الثياب وتحجير الأسباب وذبح النفس ورمي الكون وإلا فكيف يصح سجود الاختصاص بوجود الكثرة فاعلم ذلك، والسلام.

باب شاهد

إياك أعني فاسمعي يا جارة. قال: قال الشاهد: إذا حضرت منزلاً فيه الرقباء فخاطب الرقيب وسمع المحبوب تسلم من غوائل الرقباء. وقال: اعشق كل ما اشتهيته من الكون فإنه لا يغار ولا تعشق نفسك فإنه يغار، لأنك تقابل المعشوق بذاتك وهو يريدك له. وقال: ما عشقتك لمثلك إلا لدعواك في محبتي. وقال: لا راحة مع الخلق، فارجع إلى الحق فهو أولى بك، إن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت منه فإنهم على ما لا يرضاه وإن لم تعاشرهم وقعوا فيك فلا راحة. وقال: تحفظ من الصاحب فهو العدو الملازم فدله على الحق وإن ثقل عليه فسيشكر لك عند الله. وقال: ما مد الظلال للراحة وإنما مدها لتكون لك سلماً إلى معرفته فأنت ذلك الظل وسيقبضك إليه، وقال أهل لا إله إلا الله سعدوا سعادة الأبد ولو شقوا يوماً ما. وقال: لا شقاء مع التوحيد ولا سعادة مع الشرك المعتقد وشرك الغفلة معفو عنه.

باب شاهد الأنوار والظلمات

قال الشاهد: كل منزلة فهي من عند الله ومرجعها إليه فمن نزل فيها رجع معها. وقال: من التفت إلى الدنيا التفاتة عاشق لها ثم أخذت من دينه شيئاً حجبه عن مائة درجة في الجنة وبوأه مائة درك من النار، ثم إن من تاب تيب عليه. وقال: احذر أن تلحق الأسرار المخزونة في خزائن الغيرة بالأسرار المبتذلة من عباد الله فتكون من الفاسقين، وقال: عبدك ليس هو عبدك وإنما هو قيمته فعامله معاملة مالك فأنزله مرتبته من حيث إنه إنسان وقال: النور واحد فيه أضاء العلو والسفل فيما يفتخر العلو على السفل. وقال: النور نوران نور معتدل ونور منحرف فالمعتدل نور الحق والمنحرف نور الكون، وكذلك الظلمات. وقال: نور السراج أدل على الحق من نور الشمس عند الناظرين بمشاهدتهم المادة التي بها بقاؤه. وقال جمع التكليف شمل الكون فلا تقل هذا حجر وهذا شجر فلا أبالي، غاية العين أن يعرفك الحجر والشجر والحيوان ولا تعرفهم إلا بعد كشف الغطاء ولا تقبل المعاذير.

باب شاهد التوبيخ

قال الشاهد: قريب التجلي فمالك مول. وقال: أعط جسدك حقه من عبادته كما اعطيت قلبك حظه من معرفته. وقال: لا يليق بحضرة الحق الرقص والرفق وإن كان هو الخالق لها ولكن لها مواطن. وقال: مشاهدة الحق موقوفة على الهيبة والهيبة تسكن ولا تحرك. وقال: كما يكون مع الحركة البركة الكونية فكذلك مع السكون البركة الإلهية، السكون ثبوت عند الحق والحركة خروج فقل لأصحاب السماع ارقصو واعلموا أنكم راقصون واعلموا أنكم مع نفوسكم باقون. وقال: كل من تحرك، وقال أشهدني الحق وشاهدته فهو كاذب. وقال: تعلم الخصام فإن الحق سيجعلك بين المشتركين فلا تتخلص منهم إلا بالحجة. وقال: انظر من عبد غير الحق فقل له ما لك وكذا اطلب منه كذا، ولا يكون هذا القول إلا غيرة منك في حق الحق فإن الذي يطلبه منهم لا يكون فتبقى حجتهم داحضة، وإن قلت ذلك لا من أجل الغيرة يكون ما طلبت منهم فيزداد الكافر كفراً وقد ترتاب أنت أو غايتك السلامة فلا تتعرض للفتن إلا بقدم راسخة عند الحق فمن لا قدم له عند الحق لا صدق له ومن لا صدق له سقط حظه من الحق والصدق مسؤول عنه فكيف غير الصدق.

باب شاهد الغيرة

قال الشاهد: ها فاستخرج الحق منحكه[١] وقال: لا يخاطبك الحق إلا بما عنده فاعمل بعمله وتفرغ بفراغه تكن حكيماً. وقال إذا قيل لك استرح فالخطاب من فوق العرش فخذ عن الخالق وعن الترجمان، وإذا قيل لك بلغ ولا تعمل فالخطاب من العرش لا من فوقه ولا من تحته. وقال: متى ذكرت الحق وجدته ومتى ما نسيته فانظر من أنساك فإن كان أنساك عنه ما أمرك به فهو معك وأنت مع أمره لا معه وإن كان أنساك ما نهاك عنه فلست معه وليس معك. وقال: من اعتمد على غير الحق جعل نصرته فيه مكراً من حيث لا يشعر. وقال: غص في بحر العلم بهيكلك تفز بحقائق الأشياء لكن تكن فيك فظاظة وبشاشة لأنك محتاج إلى قوة تشق بها ظلمة الهيكل لكن مشربك عظيم جامع ليس بعده مرمى لرام واسمك أين يخرج من البحر أنا شاهد الحق في قلبك فاسمع مني تكن من الفائزين.

باب شاهد الوزراء

قال الشاهد: عليك بحمد الله ينزل عليك كتاب الإيمان. وقال: اعلم أن الإيمان بالربوبية يزيد في الهدى والإيمان بالألوهية هو الهدى. وقال: انظر إلى من كان معك

(١) كذا في الأصل.

من أجل الله فقربه منك بذلك الميزان يعطيك الحق. وقال: أوصيك عن الله يا هذا فإني شاهده فيك وأنا الشفيق اجعلني لك لا تجعلني عليك بين وجهي بين اترابي من الشهداء اسمع وع فحقاً أقول لا ترأس على من تبعك فإنه ما تبعك وإنما تبع سر الحق الذي أودعه فيك وكذلك أودعه في التابع غير أنك علمته منك بإعلام الحق إياك وما علم التابع ما عنده وتلك المناسبة التي جمعت بينكما فإن رأست عليه ووطيته أبدلك الحق مكانه وأبدله مكانك. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] فالأول معرض للمحن والثاني محفوظ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الأول ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] الثاني فافهم ما حذرتك منه.

وقال: لجميع الموجودات عند الله قدر وحظ ولذلك اقسم بالكل دلالة على شرفهم وإن كانوا بين شقي وسعيد فراع حظهم عند الحق من هذا الوجه ولا تقل فيمن ليس من جنسك من جماد ونبات وحيوان ليس من جنسي بلى كل من أطاع الله فهو من جنسك إن كنت طائعاً.

وقال: إذا أيقظك الحق من رقدة غفلتك فاعمل في خير ما فاتك فحقاً أقول. وقال: اطلب المقام المهول الذي لم يشاهده هاله وكن فيه فطناً. وقال: من ذاق لذة الوهب لم يفرح بالكسب ولا يقدر على استعماله. وقال: أصل كل حجاب وجود اللذة فيه وكل ما دللتك عليه فهي من أوصاف الوزراء القائمين بالقائم بدين الله والمحيي سنته، فالزم باب الله واصبر نفسك مع أحبابه الذين تحقرهم العيون فذلك الذي رفعهم عند الحق.

باب الشاهد في الأمر الخفي والجلي

قال الشاهد: لله رحمتان رحمة سر ورحمة علانية فرحمة السر مستصحبة لوجودك مع الدوام ورحمة العلانية في وقت دون وقت. وقال: كن خماسياً واعدل فإنك ناج. وقال: لا تسبقك الإناث إلى الحق فينلن ذكوريتك وتنال أنوثيتهن. وقال: ارجع إلى عدمك فإنه وصف قدمك فإن الله راض عنك فيه وقال من اطاع الحق ومات فإنه لم يمت. وقال: اخرق العادة في أخلاقك تخرق لك العادة. وقال: النسب الصحيح بالدين لا بالطين. وقال: كن مع روحانيتك تكن إلى العلوم أقرب. وقال: الزم الصدق والإخلاص فبالصدق تعتصم ولا يؤثر فيك شيء وبالإخلاص تصح عبوديتك وربوبيته. وقال اعتبر: في الأرواح التي سلفت وعزلت بعد مملكتها إلى أين صارت فإليّ ثم تصير سح في الجو سبع سنين وسح في الأرض سنة تنل جميع الأسرار كلها. وقال: إذا ناداك الحق فسمعت صوتاً فلا تجب فليس هو وأنت لمن أجبت.

باب الشاهد الرباني

قال الشاهد: إلى الحق انتهاؤك ولا يحجبنك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] فتقول ليس هو معي في البداية بل هو معك في البداية وفي طريقك وإلى نهايتك لكن تختلف أفعاله فيك وهي اختلاف أحوالك ففي البداية يسويك وفي الطريق يهديك وفي الغاية يملكك ولما كان المنتهى المطلب لذلك أظهر الاسم في المنتهى. وقال: من اعتز بالله فهو العزيز السعيد إذا كان خلعة إلاهية وإن لم تكن خلعة شقي به. وقال: ضرب الحجاب بينه وبين خلقه فمن رأى اسمه عليه فلا يدخل عليه في حضرته إلا باسمك لا باسمه. وقال: الرب الثابت فلا يزول فلا تزيله.

باب شاهد العلم

قال الشاهد: خف الله فله الحكم. وقال: كتاب الله علمه وله تنفيذ الحكم في خلقه فما حكم عليك به فأنت له. وقال: الكتب كثيرة، كتاب الرحمة المطلقة، وكتاب الغضب المطلق، وكتاب الرحمة المقيدة، وكتاب الغضب المقيد، والكتاب المحفوظ، وكتاب المحو، وكتاب أسماء المرحومين، وكتاب أسماء الأشقياء، وكتاب الاحصاء، والكتاب المبين، والكتاب الحكيم، والكتاب المرقوم، والكتاب المسطور، والكتاب العزيز، والكتاب الناطق وغير ذلك من الكتب، وما منها من كتاب إلا لأمر ينفذه في خلقه فيحفظ عنده فإنه لا يبدل. وقال: قبل الملك ما أعطاه اللوح، وقبل اللوح ما جرى به القلم، وجرى القلم بتصريف اليمين، وتصرف اليمين عن القدرة والقدرة مبعوث الإرادة وترجمان القول، وأنفق الكل من خزانة العلم والعلم من الحق والحق منه أنت وهو علمه وأنت علمك ليس هو.

باب الحب

قال الشاهد: كل محب مشتاق ولو كان موصولاً والحق يحبك. وقال: كم يدعوك الحق إليه وأنت تفر منه وهو قادر على ردك إليه فإنك منه لا منك. وقال: إذا دعا الأسرار من حضرة الأمر أدبرت لأن سر العزة سار فيها وإذا دعاها من حضرة اللطف أقبلت معترفة بالفقر والعجز إلا أسرار المحبين العارفين فإنهم يقبلون من دعاهم ومن أي حضرة ناداهم فأخبر ذاتك عند النداء بحي على الصلاة فهو نداء حاجب الباب. وقال: للأسماء الإلهية حقائق ويجب ظهور سلطانها فالأحوال تنقلب منك بتنوع الأسماء والأسماء تطلبك لا أنا.

باب الصرف

قال الشاهد: من طلب العلم فهو جاهل ومن ترك العلم فهو جاهل. وقال: يقول

من لا علم له الرؤية تابع العلم وهما لا يجتمعان. وقال: معلوم العلم الوجود ومرئي الرؤية الذات. وقال: من قال لك تعلم فقد قتلك بسيف الأبد. وقال: العلم يغمر منك ما طلبت أن تخليه وتفرغه لاطلاع الحق فلا تتعلم. وقال: انس ما علمت وامح ما كتبت وازهد فيما جمعت. وقال: إذا علمت فمتعلق علمك الحق أو غيره تعلقه بالحق محال وتعلقه بالغير حجاب، فأنت بعيد على كل حال فما لك والعلم. وقال: العلم ظلمة لا ظلم فيها وليل لا صبح له ومن جاب المفاوز في الظلماء زاد تيهاً على تيه. وقال العلم: يطلب معلومه والحق لا يعلم فليس عندك ما يطلبه وإنما كان هذا حتى تكون رؤيتك إياه فضلاً منه فلو كانت عن علمك لكانت كسباً والحق لا يكون كسباً لخلقه. وقال: كما يشهد طلبك العلم على جهلك كذلك يشهد على علمك في وقت طلبك.

باب العناية

قال الشاهد: إذا كنت للحق لم تعرف وإذا لم تعرف لم يدر القادم على ما يقدم منك فتكون معصوم الذات. وقال: إذا كنت للحق لم تتطرق إليك أيدي العداة لأنك تحت حياطة العزة. وقال: من كان بغير الحق فقد يكون بالحق وقد لا يكون وإذا كان بالحق فقد يكون صاحب عقد أو صاحب حال فإن كان صاحب عقد فنوره مدخر عند الحق إلى يوم القيامة وإن كان صاحب عقد وحال فهو على نور من ربه ويدخر له نوراً أعلى من نوره فإذا لم يكن بالحق فله الظلمة فلا تتغير بنور الشبهات في صدرك فإنها كالسرج تطفئها الأهواء. وقال: كيف يخزى من استند إلى حالي. وقال: اذاية الأصفياء من العباد في الدنيا ليس بذلة في حقهم ولا إهانة لأن الذل من نعت القلب وليس في قلوبهم منه شيء لغير الحق فإن ما تلك الإذاية تطهير وتصفية وحكم الموطن والوقت.

باب القضاء

قال الشاهد: لا تسأل الحق فإن السؤال لا يبدل ما كتب. وقال لا تسأل الحق حتى ترى ما في كتابه. وقال: إن لم تعلم ما يريده الحق بك قبل وقوع المراد منك، فأين عناية المجاورة التي ادعيت. وقال: الكل في القبضة الإلهية، قدر المقادير ووزن الموازين فلا ينزل شيء إلا بقدر معلوم فمن سأل فما خرج من القضاء ومن ترك السؤال فما خرج من القضاء.

باب القدرة

قال الشاهد: الحق بيدك إذا بطشت وبرجلك إذا سعيت وبعينك إذا نظرت وبسمعك إذا سمعت، علمت أن ذلك منه أو لم تعلم فإن كنت طائعاً أعلمك ففائدة

الطاعة التعريف. وقال: الوضعيات لا تؤثر في الحقائق لأنها من الحقائق. وقال: الحق هو القائل للمبعودين ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وللمقربين ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٠] فقد سمع الكلام الشقي والسعيد فزاد الشقي شقاوة والسعيد سعادة وسبب ذلك الإعراض تجرد عن عرضك تأمن سطوة مرضك. وقال أوف بعهد الحق بالحق لا بك يوف لك بعهدك به لا له فهو القدوس.

باب النكر

قال الشاهد من أحب شيئاً غار عليه ومن غار فهو مع الحب لا مع المحبوب، وقال: من أحب الحق وغار عليه فما أحبه إلا في حضرة الخيال والحق سبحانه لا يدخل تحت سلطان الوهم والخيال نعم له في كل حضرة تجل فأحبه في تجلي هذه الحضرة. وقال العارف: لا يغار بل تعشقه للخلق. وقال: من غار على الحق من نفسه كالشبلي فما عرف نفسه. وقال: من غار على الحق لم يذكره ومن لم يذكر الحق لم يذكره الحق ومن لم يذكره فهو مبعود. وقال: أنت تحجبك مشاهدة المذكور عن الذكر والحق يشهدك ويذكرك. وقال: غر للحق ولا تغر عليه. وقال: لا تكون الغيرة حجاباً إلا للعارف وأما لغير العارف فإنها له عين القرب ودليله زوال الغيرة عنه عند المعرفة.

باب المنة

قال الشاهد: حجاب الغيرة لا يرفع. وقال رؤيتك للحق حجاب عنك منه. وقال: إنما تعرف أنك رأيته من خلف حجاب إذا رجعت إلى قصرك ضابطاً لما رأيته والحق لا يضبطه مخلوق هنالك تعرف من رأيت. وقال: في رؤيتك إياه مشهود وشاهد وهو المشهود والشاهد ما حصل لك من رؤيته وهو الذي ينقلب معك وعنه تعبر لأهل منزلك فالشاهد مرئيك لا هو. وقال: رؤية القلوب على قدر صفائها ورؤية الأبصار على قدر قلوبها والبصر أتم ولهذا كان الغاية. وقال: ترى الحق بالبصيرة في الدنيا وبالبصر في الأخرى والآخرة أعلى فالبصر أعلى.

باب العبادة

قال الشاهد: لك الذكر والدعاء، وللحق الذكر والدعاء، فإن ذكرته ذكرك وإن قلت له يا رب قال لك يا عبد وإن قلت أعطني قال لك أقرضني. وقال: الدعاء عبادة والذكر سيادة، فمن دعاه وصل إليه ودخل عليه، ومن ذكره فهو عنده والدعاء نداء والنداء بعد. وقال: لنفسك عليك حق فادع الحق من أجل الجنة لنفسك فاذكره له فالذكر لله والدعاء لما عند الله. وقال: لولا الشاردون ما أرسل الحق المنادى يمسك

عليهم الطريق لكي يرجعوا إليه. وقال: شارد من نور إلى ظلمة وشارد من ظلمة إلى نور وشارد من نور إلى نور وشارد من ظلمة إلى ظلمة ولله قوم رأوه في كل شيء فلم يشردوا من شيء إلى شيء.

باب النسك والتسخير

قال الشاهد: المقام يطلبك وأنت لمن أحببت وقال الحق مرئي في المقام محجوب في الحال. وقال: المقام يحجبك إن نظرت الحق فيه أو نظرته في الحق ولا ينفك فهو العزيز عن الإدراك. وقال: قالت الملائكة ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] بينك وبين الحق فمن استغفر لك فهو ذكر الحق لك فهو معك ومن لم يذكرك فهو مع نفسه للحق لا لك فله معرفتان وكلما قلت المعارف والعلوم عظم المقام. وقال: الأحوال مهلكة والمقامات منجية غير أن الدعوى في المقام مهلك والدعوى في الحال غير مأخوذ به صاحبه. وقال: أنت في الحال مع الحق وفي المقام مع نفسك. وقال: صاحب الحال يصحو ومن صحا شهد على نفسه بالبعد وصاحب المقام ينتقل فكيف ما كنت فأنت صاحب تلوين.

باب السلب

قال الشاهد: لا أقول لك تجرد من هيكلك ولا انسلخ من ظلمتك ولا اسبح في بحار سبحات روحانيتك ولا جل في ميادين تقديس ذاتك كل ذلك لترى الحق أو يهب عليك نسيم جود مشاهدته أو يكون ذلك تعريضا لنفحاته لا أفعل ذلك مطلقاً لأن فيه نسبة العجز إلى الحق وتعظيم الكون في جنابه وهو لا يقاومه شيء فمتى سمعته منه فهو داعيك إلى مقام من جملة المقامات التي لك عنده وهو معك في الموطن الذي دعاك فيه أن تتجرد منه فلا يحجبنك خطابه لما ليس عندك عن مشاهدته فيما هو عندك وروح القدس تطلب الحق على غربته عندك كما تطلبه أنت على حبسك في ظلمة هيكلك وكلاكما عاجز وليس رؤية الحق عند المحقق في نور القدس بأظهر ولا أوضح من رؤيته في ظلمة الطين وهو على كل شيء قدير كما لا يعزب عن الحق شيء كذلك لا يعزب عن شيء.

باب شاهد الغيب

عين قلبك في المثال كعين وجهك فلا يرى إلا بعد نفوذه السبع الطباق التي جعلت جنة بينه وبين الآفات فمشيميته طبقة كونه، وصلبيته طبقة وصفة وشبكيته طبقة تعلقه وعنكبوتيته طبقة تداخل الخواطر عليه وعينيته طبقة تخليصه وفي قرنيته طبقة رمانه وملتحمته طبقة وصلته بما يعرف فإذا نفذ هذه الطباق وتصفح هذه الأوراق حينئذ ينفذ

إلى أول منزل من منازل الغيب وهو منزل نور الضياء والظلال التي يقع بوجودهما الإدراك والنعيم. وقال: عين قلبك وإن أعطى العلم فلا يزال خلف الحجاب حتى يؤيده البصر. وقال: أعلى معارفك التي في عين قلبك هي التي فطرها الحق عليها أو ما اعطاها الحس بارتفاع الموانع. وقال: في الحس سر الحق في الخلق وهو مطلع الصديقيين.

باب الوفاء

قال الشاهد: من ترك حقاً له على زيد ليأخذه ممن ضمنه عنه وهو عمرو فما تركه ومن ترك حقاً له على زيد عن أمر عمرو ليأخذه من عمرو بأمر عمرو فلم يأخذه كان معانداً. وقال: لك على الحق حق وله عليك حق فإن وهبته حقك لم يهبك حقه لأنه لا يتصور أن يقبل هبتك له الذي لك عليه فإنه لا يأخذه ولا يجد لمن يعطيه فقد علم كل شخص مشربه فلا بد أن يرده عليك فمن وهب الحق حقه لم يعرف مراتب الوجود فلم يعرف الحق. وقال: هب الحق حقه فإنه عوض عنه. وقال العفو وإصلاح ذات البين سعي في البقاء ومن سعى في البقاء أبقى في مجاورة الحق فإن ذلك له. وقال خذ حق الحق ولا تأخذ حقك فإنه يأخذ حق العبد ولا يأخذ حقه منك فمن أخذ حق الحق ولم يأخذ حقه فهو للحق وله ولغيره بالشفاعة فيه.

باب الباطن

قال الشاهد: من جاء إلى الحق بشيء جاء الحق به إليه. وقال: الظاهر والباطن أخوان مزدوجان لا ينفصلان فمن عرف الواحد عرف الآخر.

وقال: إنما بطن الحق لمن ظهر له لئلا يفنى فإنه من ظهر للحق بنفسه يفنى. وقال إنما يظهر الحق لمن ظهر له به فإنه لا يقوى على ظهوره غيره.

وقال: مطلع الحق في حده كبأسه في حديده وكهو في خلقه. وقال: حد الحق لا تعرفه إلا من رسولك، فمن وقف عنده من الرسول اطلع الحق عليه ومن اطلع عليه لا يشقى. وقال: من وقف عند حد فمطلعه غير الحق وإن دله على الحق فذلك حد لا مطلع له من الحق لكن له مطلع من شكله فمن رعى حداً ما رعى مطلع ذلك الحد. وقال من تقرب إلى الحق بما ليس للحق قربه الحق سواء كان ذلك على حد الحق أو لم يكن.

باب العزة

قال الشاهد: إن كنت ميتاً لا تدركه وإن كنت حياً تفنيك سبحات وجهه فعلى كل حالة لن تراه. وقال: الحياة التي تفنيها السبحات حياة الخلق فلا تبقى حياة إلا الحياة التي تنظر إليها حياة الحق.

وقال: عالم التركيب له أدوات وعالم البسيط له حوافظ فكلا العالمين في غاية الافتقار ولا ينبغي إلا للحق.

وقال: ما في الحياة آفة إلا الدعوى لأن الحركة معها وما سكن وإن كان متحركاً فهو للحق.

وقال: ما في الموت شرف إلا ترك الدعوى لأنه ساكن وما تحرك فليس للحق، المناسبة بين الحق والسكون الثبات، والمناسبة بين الحق والحركة تنوع الأسماء، فله الحركة وله السكون ففي أيهما تجلى فلا تبالي.

وقال: من طلب الحق بموته وجده يحييه بحياته ومن طلبه بحياته وجده يقويه ويحفظها عليه ما لم يظهر منه أنه حي بغيره فان بغيره أماته فإنه لا يقاوم.

باب تنزل الربوبية

قال الشاهد: الإيجاد للحق والكسب لك ولكل نفس ما كسبت. وقال: إن حاسبك وطالبك كان الحجة له لا لك أرأيت إن قلت له أنت اقمتني في هذا يقول لك أنا قلت لنفسي بك أنت اقمتني في هذا فاردتك فالكل مني فلا يسأل عما يفعل. قال: للخلق عند الحق قدمان قدم صدق وقدم شقاوة.

وقال: الأزل ينعقد عليه الأبد بما هو عليه والخاتمة عين السابقة فلا تكترث.

وقال: أنت في دار المزاج لأنك في عالم الأمشاج فتداخلت الصور في الصور وغابت الأشكال في الأشكال. وقال: للحق قبضة يحكم فيها الأبد وله قبضة يحكم في القنطرة فمن عرف سابقته عرف حاله في حشره.

باب المغالبة

قال الشاهد: أنت مقهور وتطلب مغالبة القوي العزيز. وقال: من لا يقاوم إذا نزل إلى المقاومة فغلب فهو الغالب ومن غالب ضعيفاً فإنما يريد أن يعلي همته أو يستدرجه ومن غالب من هو أقوى منه فهو جاهل.

وقال: المبتدي بطلب السلم ضعيف. وقال: يا أيها الإنسان خلقت ضعيفاً وتأبى إلا القوة. وقال من طلب الحق ما عرفه ومن وصفه ما عرفه.

باب الوكالة

قال الشاهد: لا بد لمن أراد أن يعرف مراتب الوجود أن يدخل إليها وفي الدخلة فيها حل تركيبه فإن كل مرتبة تطلب مناسبتها منه إلى أن تنتهي إلى رتبة الحق ثم يرجع فيتركب فيظهر العين وقد احاط الحقائق علماً.

وقال: خلق الكون للكون وحفظه للحق ليشتغل به ويترك الكون موكلاً عليه الحق وأنت الجعل للوكيل. وقال: وقتك نفسك فليس له مدة. وقال: لا تعجب بإقامة عبوديتك في جانب الربوبية فإن الجمادات أعبد منك لأن عبادتها ذاتية. وقال أمره قوله وقوله صفته وصفته هو فهو بحيث أمره فمن سمع أمره فقد رآه.

وقال سبح: الحق إذا أمرك فقد كنت ولا أمر وما حدث عنده ما لم يكن.

وقال: الوحي سار في الخلق مع كونه متفاضلاً. وقال: الحق بحر قعره الأزل وساحله الأبد فاركب سفينة ذاتك ولا ترفع شراعاً فإن الغرض طلب الساحل ولا ساحل فاترك الموج يسيرك فإني أخاف عليك من الشراع أن يوكلك الحق إلى تدبيرك. وقال: موج هذا البحر موج بلا زبد لأنه لا يعتمد بعضه على بعض.

وقال: ليس العجب من هذا البحر وإنما العجب من الريح التي تموجه، ألا وإن الريح أنفاسك فكل سفينة لا يكون ريحها منها فهي فقيرة فعليك بوحي الماء في حق نفسك وبوحي الخمر في حق صحتك وبوحي العسل في حق روحك وبوحي اللبن في حق من يبلغه كلامك ولا يراك فإنه أنحى وأرجا وأنجى. استوفى الوارد.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتاب التراجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على النبي وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبه أستعين وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

اعلموا يا اخواننا من أصحاب الهمم والترقي في الدرجات العلى وإياكم أخاطب ومعكم أتكلم على طريق التذكار والتنبيه لا على طريق التعليم أن المنازلات التي بين حقائق الأسماء الإلهية وبين الحقائق الإنسانية في الإنسان الكامل امرأة كان أو رجلاً تتعدد بتعدد التوجهات والأسماء وما عدا هذا الصنف الإنساني فليس له هذا التعميم لعدم كمال الصورة فيه فمنازلة الحقائق الإنسانية للطلب بالذلة والافتقار خلو محلها عن الفكر وهذا هو الاستعداد العزيز المطلوب الذي لم يقدر عليه أكثر العقلاء حتى أنكره بعضهم أعني أنكر أن يكون له نتيجة وأقر بها بعضهم وسماها الفيض والروح لكن عجزوا عن التوصل إليها لغلبة الفكر وعدم استعمال العبادات المشروعة على ألسنة الأنبياء عليهم السلام.

وإن كانت لهم عبادات ومناجاة ورهبانية ابتدعوها غير أنها لم تقم على ساق التوحيد ولا بناء صدق فلهذا لم يشموا منه رائحة من الإلهيات ولا كانت لهم منازلات خارجة عن طور العقول فإن الهمم تعلقت منهم بما في العالم العلوي والعقل الأول والنفس الكلية والعقول من الأسرار واللطائف فوكلهم الله لما اعتقدوه وربطهم بما قصدوه فحرموا السعادة الأبدية والكشف والمشاهدة وخالص التوحيد فلم يكن لهم تلك الهمة القوية وصار الخطاب لهم من خلف وراء حجاب الكون فلم يسمعوا منه وكيف يسمعون منه وهم محجوبون بما اعتقدوه ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] فما دام المخاطب ينطلق عليه اسم البشر ولم يتجرد عن بشريته فإن الخطاب له على غير العين ولما لم يكن في العالم فاعل على الحقيقة إلا الله الذي له الاقتدار التام الكامل كان هو المخاطب عباده المحجوبين وغير المحجوبين ويقع التفاضل في الطائفتين على حسب ما تعطيهم مقاماتهم ولهذا قال ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] إشارة إلى فضله على غيره بخطاب مخصوص على رفع الحجاب لم يسمعه من ذلك المقام غيره فإذا تبين لك أن المنازلات إنما تحصل بامتثال

أمور الشرع على أتم الوجوه وتجريد التوحيد والدخول في الحضرات بأوصافك لا بأوصافه والتلقي منه بما يناسب الصورة المقدسة منك فينبغي لك إن كنت عاقلاً أن تتجرد لهذا الطلب على هذا الحد.

واعلم أن صاحب الكتاب كاليهودي والنصراني إذا وفى أمر كتابه الذي أنزل عليه قبل نسخه بشرعنا وتجرد كما وصفه أهل طريقنا أدرك من هذه المنازلات والواردات ما شاء الله بخلاف من عبد عقله واتبع رأيه وإن ركب أعظم المشقات في ذلك لأنهم اتخذوا قربة ما لم يجعلها الله تعالى قربه بل شرعوا ذلك على حسب ما تعطيه حقيقة الذي يطلبون منه أعني من الوسائط الذين نصبوهم شركاء لله تعالى كالكواكب وغيرها فتوسلوا إليها بأذكار ودعوات تعطيها حقائقها حملتهم عليها العادات وما ربط الله فيها من الحكم فمنهم من عبد الملائكة لما كانت عندهم أقرب إلى الله تعالى بمنزلة الوزراء من الملوك فقاسوا فاخطاءوا وفكروا فما أصابوا ولله في خلقه مكر خفي واستدراج لطيف قال الله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤] وقال تعالى: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]وقال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝٤٥﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

وأودع الله أسراره في العالم العلوي والسفلي فالعالم كله رفيع وليس بين حقائق العالم مفاضلة فيقال هذا أشرف من هذا من جهة الحقائق والذاوت فالعالم كله رفيع بلا اتضاع وذلك أن كل حقيقة في العالم مربوطة بحقيقة الإلهية هي حافظته فكله فاضل شريف رفيع بلا ضد فالشرف والاتضاع إنما هو إما العرف أو ما قرره الشارع فمن هناك نقول شريف وأشرف ووضيع وأوضع فمن فهم ما أشرنا إليه استراح في العالم وعرف أنه خير محض محسن لأنه صنعة حكيم لا شريك له فعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي.

وأما صور تلقيات الموحدين الخطابية فهو أن تنبعث اللطيفة الإنسانية مجردة عن الفكر طالبة ما لا تعلم ممن لا تعلم منه إلا نسبة الوجود إليه بتقييدها به فإذا نزل هذا العقل بحضرة من الحضرات نزل إليه بحكم التدلي أو برز له أو ظهر له اسم من الأسماء الحسنى بما فيه من الأسرار فيهبه بحسب تجريده وصحة قصده وعصمته في طريقه فيرجع إلى عالم كونه عالماً بما القى إليه من علم ربه بربه أو من علم ربه بضرب من كونه ثم ينزل نزولاً آخر هكذا أبداً ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأحقاف: ٩] وهو خير البشر وأكثرهم عقلاً وأصحهم فكرة وروية فأين الفكر هنا هيهات تلف أصحاب الأفكار والقائلون باكتساب النبوة والولاية كيف لهم ذلك والنبوة والولاية مقامان وراء طور العقل ليس للعقل فيهما كسب بل هما اختصاصان من الله تعالى لمن شاء.

وليس العجب عندي إلا من القائلين بهذا المذهب مع قولهم إن العقل ليس بمادة ولا في مادة وإنه مستحيل عليه الفكر وإن له إقبالاً على موجده بطريق الذلة والعجز والافتقار للمواهب الإلهية، وله إقبال بطريق العزة والسلطان والإفادة على غيره وهنا سر غاب عنهم لو عرفوا كيفية تلقي العقل من الله تعالى المعارف التي عنده لرأوا أمراً عظيماً فانظروا فقره إلى موجده فقراً ذاتياً والله المؤيد بالعصمة والفاتح باب الرحمة.

باب ترجمة القهر

قال العبد الفقير إلى الله تعالى من جهل مقامه سفهت أحلامه ونكست أعلامه.

لطيفة: إذا كنت في مقام ما مغلوباً فانظر إلى من غلبك فإن كان غلبك مثلك فنفسه غلب ولا تجده إلا كذا.

إشارة: ثَم مقام يجب عليك فيه تعرف بذاتك من جهلك كما قال عليه السلام: أنا سيد ولد آدم ولا فخر[1]، لأنه قصد التعريف.

لطيفة: عزك في أن تُجهل وإذا جهلت حقرت وإذا حقرت غلبت فلا تنتصر.

إشارة: من استهين منع ما يكون لأهل الرفعة.

إشارة: إذا منعت فذاك عطاؤه وإذا أعطيت فذاك منعه فاختر الترك على الأخذ.

لطيفة: الوجود منزلان والعمارة واحدة فإن شئت قسمتها على السواء بين المنزلين وإن شئت رجحت.

لطيفة: العزيز من لا يغالب، ما عجز العزيز عن نصرة من غلب ولا عن خذلان من غلب ولكن لا بد من غالب ومغلوب لأنه لا بد من حق وخلق.

لطيفة: ليست الإهانة إهانة الأشكال وإنما الإهانة إهانة المتكبر بالتكبر فإنه يحجبك عنه فلا تهن مثلك ولا من خلق أجلك فإذا لم تقم بك إهانة موجود فما عندك إهانة فلا تتوجه عليك إهانة منه فإنها تطلب محلها إذ التعشق لا يصح إلا بين الأمثال وهو الداعي إلى الحركة وهو لا يهين لأن الإهانة لا تقوم بها فإهانتك رجعت عليك ومنعتك الخير الذي كان عندك في الوقت الذي كانت إهانتك على مثلك فانتقل الخير إليه بانتقال الإهانة ولا تقف مع الإهانة المعتادة فإن حكم العادة موضوعة لها فرش مرفوعة.

إشارة: إنما هو عملك مردود عليك فاجن ما غرست.

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٢/ ٦٠٤)، وصاحب (مناهل الصفا ٤)، والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٩٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٥٧٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٠٤٠، ٣٣٦٨٢)، والخطابي في (إصلاح خطأ المحدثين ٢٩).

باب ترجمة

إشارة: لو صعدت جبل قاف لكنته فإذا كنته لم تمد أرضك فإذا لم تمد أرضك ثبتت العمارة فإذا ثبتت تفرجت وعرف قدرك فشكرت.

لطيفة: كل ما وقع عندك فهو منه وقد حجبك عنه فيه بنفسك فله انظر لا للحجاب.

لطيفة: انظر أدوات تركيبك الماسكة له هو الماسك ليست هي.

لطيفة: الرقائق منه في العروق منك موضع سريان الحياة فحافظ عليها ففيها تشهده.

إشارة: إذا خاطبك فلا تسمع خطابه إلا به فإنه يغار أن يسمعه غيره وما ثم غيره فنزهه.

لطيفة: انظر في قوله أنا معك أين كنت توصيلاً لفهمك ما له أينية فإذا لم تكن له أينية فهو معك وإذا كانت الأينية فأنت معك لا هو وأنت سره فسره معك وسره حفظه فحفظه معك وحفظه ثمرة صفته فصفته معك وصفته لا هي غيره فهو معك فانظر ما بينك وبينه من الوسائط إذا كنت في الأين وانظر ما أقربك منه إذا لم تكن أينية.

إشارة: إذا ظهر لك بعد فنائك أبقاك بظهوره لرؤيته وخلع عليك الخلع لأنك في حضرة مشاهدته فكنت بلا كون لوجود خلعته عليك فخلعته كرامة وكرامة الكريم تشبه الكريم فمن ظهرت عليه الكرامة سكت عنها ونطق بالكريم فتوهم الاجنبي الاتحاد وليس كذلك وإنما المحقق غيور على نفسه أن ينطق بغير ربه وما كان منه لأنه به مشغوف وعليه ملهوف وبه متلوف فليعذر فقد عذره فإنه أشهده ما ذهب بعقله في الذاهبين.

لطيفة: يا أيها المنكر ما جاء به هذا المحقق من ذهول عقله لم تذهل عقولكم عند وقوع أدنى حادث من حوادث كونه تعالى أما لكم في ذلك معتبر، ما أسعد المجنونين به هم ضنائنه لا يعرفون.

باب ترجمة الكبرياء

لطيفة: تكبر على من تكبر على الله فهو تواضعك ولا تتواضع تحت كبرياء المتكبرين وإن كنت تعلم أنه من الله وإن الكبر صفته ولكن للمحال حكم من أحكامه.

لطيفة: إذا رأيت متكبراً فتواضع له فإن حقيقته عبد فتذكره بتواضعك فترتاح النفس إلى أصلها من حيث لا تشعر فيحبك فإذا أحبك قربك وإذ قربك اشتهى خدمتك فأسمعه حقيقته بسياسة من حكاية أو ضرب مثل في مسامرة ومنازعة حديث يجدها من نفسه فيقبل فتكون معلمه فتنتقل رياسته إليك وأنت متحقق بالله فتردها إلى الله فإن الله لا يأخذ إلا ممن يعرفه لأن العارف يتأدب في العطاء.

إشارة: ليس التواضع تنكيس الرأس ولا الخدمة ولا القيام بحق كذا كل ذلك تملق وتمكن في الرياسة وإنما التواضع استصحابك لمعرفتك بالله وإذا عرفت ربك عرفت ما لك عنده وما له عندك فأعطيته ما له وطلبت منه ما لك فإن أعطاك ما ليس لك اختباراً فردها عليه، أو أخرج بها في موضعها تقوى معرفتك.

لطيفة: أتعرف ما قال القائل ولم تعرف من نطقه ولا ما قال:

إلـه يـبـول الـثـعـلـبـان بـرأسـه ... لـقـد هـان مـن بـالـت عـلـيـه الـثـعـالـب

وقول ابن الجموح لصنمه.

إنـك لـو كـنـت إلـهـاً لـم تـكـن ... أنـت وكـلـب وسـط بـئـر فـي قـرن

تخيلوا أن الألوهية فيمن عبدوه فقضى الله حاجاتهم عند توجههم إلى آلهتهم مكراً بهم واستدراجاً وغيرة على الجناب الإلهي إذ لولا توهمهم وجوداً لإلوهية فيها ما عبدوها والله قولهم وأعطاهم ما نووا في الدنيا فلا تأمنوا مكر الله ولما غفلوا عن معبودهم ولم يتعلقوا به وغاب سر توجههم إليه تمكن من العبث به فكان في ذلك هداية قوم فاشكروا الله الذي دعاكم لما يحييكم.

إشارة: ما تقول فيمن تواضع لمن لا يعقل تواضعه ولا يتصور منه تكبر هل يكون ذلك تواضعاً لأن التواضع ذلة تحت قهر المتكبر في نفس المتواضع وما ثم متكبر.

جواب: هذا المتواضع لهذا الصنف لم يتواضع له في نفسه الكبرياء خلف حجاب العزة فهو يتذلل في نفسه لنفسه وهو لا يشعر وأنف من ظله واعتمد على عباده الظلال.

باب ترجمة الفتح

لطيفة: أنت الكون والله المكون فتح الوجود بك وأنت المفتاح الوجود فأنت عنده ولا يعلمك إلا الله.

إشارة: أتدري أول باب فتح الله بك باب نفسك فلما ظهرت استكبرت فجوعك فافتقرت.

لطيفة: ما أعز طينة آدم حيث نظر الحق إليها وتولاها بيديه فليس العجب من سعادة الإنسان وإنما العجب من شقاوته.

إشارة: لو كانت النفخة واحدة لكان الشقاء يعم الجميع أو السعادة وإنما كانت نفختان كما كانت قبضتان.

لطيفة: انظر فإن النفخة الواحدة من النافخ يطفي السراج وتشعل الحشيش الذي فيه النار فلم ذلك أللمحل أم للنفخة.

لطيفة: الكون كون الحق لا كون الإنسان والإنسان المفتاح لذلك الكون فهو

المفتاح وبه يقع الفتح وعند الفتح تخرج الأسماء إلى الإنسان فمنهم من يشقى بها ومنهم من يسعد.

إشارة: المفاتيح مفتاحان بأسنان وبغير أسنان فيا ليت شعري الإنسان أي مفتاح هو.

إشارة: الإنسان مفتاح كون الوجود وكون العبادات به ظهر الأزل وهو يفتح باب الأبد.

لطيفة: ارم المفتاح أيها الإنسان واهرب إلى الله يسعدك سعادة الأبد قيل لأبي يزيد: اترك نفسك وتعال.

باب ترجمة الإجابة

إشارة: ما ثم إلا عبد ورب فإليه تصعد وإليك ينزل كما قال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وينزل ربنا إلى السماء الدنيا.

لطيفة: هو منك كحبل الوريد فلا تنظر إلى سواه فإنك إن نظرت إلى سواه لم تنظر إلا نفسك ونفسك الحجاب عنه فلن تراه.

إشارة: من كان إلى الله طريقه لا يعرف الكون فإن الكون لا يوصل إليه لأنه لو وصل إليه لكان حداً له وليس بحد لشيء.

لطيفة: معرفة الحق وهبه ولك التلقي فبينك وبين الوهب مناسبة الكون فمن الحق تعرف الحق لا من الخلق وبالحق تعرف الخلق لا بك فالزم الحق للحق تجد الحق فلا تطلب الحق من الطرق فما ثم طريق إليه لارتفاع الارتباط بين الحدوث والقدم.

إشارة: انظر علمك بالحق من الحق تجده غير متصور لك فذلك هو العلم وكل علم متصور فهو كون.

لطيفة: علم الحق لك ليس صورة فالحق في علمك لا يتصور فإنه ليس بصورة ولا يقبل الصورة لكن يعلم وعلمه ليس غيره وعلمه به عين علمه به والعلم ليس المعلوم فإن الإنسان يعلم شيئاً وليس هو ذلك الشيء والعلم أيضاً قد يكون المعلوم فإن بالعلم يعلم العلم فلا تنكر أن العلم عين المعلوم فقد أريتك.

باب ترجمة التعريف

إشارة: من كان على أمر الحق لا يتقيد إلا بالحق ومن لم يتقيد إلا بالحق كان كما قيل.

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

لطيفة: كل طائفة اصطلحت على لغة ولسان للتوصل فاجعل طائفتك معالم الحق فافهم عنه واحفظ لسانه ولغته.

إشارة: اجعل متى بينك وبين العالم الحق فإن سئلت عنها بمتى أجب بك وإن سئلت عنك بمتى أجب بها.

إشارة: من قال الزمان حركة الفلك فقد كانت أشياء ولا فلك ومن قال الزمان مقارنة بين أمرين بمتى فلم يزل الزمان يصحب الأشياء فلا معارضة في الاصطلاح فقد اجتمعت المذاهب فقل للذاهب فيما لا يعنيه لجهله هو فيما يعنيه لعلمي وهو لا يعلم.

باب ترجمة الثبات

إشارة: العلم بالله مزلة القدم إلا من ثبته أثبته الله ولا ثبات إلا لأصحاب الحدود الموفين بالعهود الموقنين بالوعد والوعيد.

إشارة: من طلبه بالفكر وقوة العقل لم يحصل من المعرفة بالحق على طائل كيف يطلب من يقبل المثل والنظير من لا مثل له ولا نظر أفلح العقلاء إن اقتصروا على الوجود ووقفوا مع السلب ومن تجاوز منهم إلى الإثبات هلك فإنك لا تثبت له إلا ما أنت عليه هذه مزلة الأقدام فتحفظ وأعني معرفة الذات لا غير.

لطيفة: واعلم أنك إذا وسبك من العلم به ما وهبك فلا يهبك حتى يعدك لذلك فيصطنعك لنفسه فتقبل منه ما يلقي عليك من العلم به فقد أعطى وجود القبول منك لمواهبه أمراً يربطك به لولا ذلك لم تعرفه من حيث الوهب ولا قبلت منه فالعلم بالله اختصاص غير مكسوب فلا تتعنى في طلب معرفته منك واطلب الحق من الحق تجد الحق أقرب إليك منك كما قال.

باب ترجمة العدل

إشارة: الحق يجازي العبد بما يكون منه فاشكر نفسك أو لمها.

لطيفة: للمواطن حكم وفعل الحق بحسب المواطن فإنه حكيم.

لطيفة: ارحم من وافق الحق ومن خالفه رحمة له فإن ذلك قسمه فإن الكافر إذا رحم المؤمن خفف الله عنه وإذا رحم المؤمن الكافر وفى الله له، الكل خلق الله ومضاف إليه فتعظيم خلقه تعظيمه فطوبى لمن رحم خلقه ولا يلزم من رحمهم أن يلقي إلى اعداء الله بالمودة أرحمهم من حيث لا يعلمون.

لطيفة: السعيد من نظر الحق في الخلق لا من نظر قضاءه فيهم وإن كان سعيداً فهو دون ذلك قال بعض أئمتنا: من نظر الخلق بعين الحق رحمهم ومن نظرهم بعين العلم مقتهم.

إشارة: لله أمر وإرادة فانظر أي الطريقين انجى لك فاسلك عليها.

إشارة: الرحمة من الله تتبع الرحماء حيث كانوا وتتخللهم وإن كانوا بين أطباق الثرى.

لطيفة: لو سلط على الخلق من اسمه القاهر أدنى شيء لتلاشوا والمراد البقاء والرحمة لها البقاء فالرحمة تبقيهم ولو كانوا في العذاب.

باب ترجمة التعظيم

إشارة: إذا تجلت لقلبك العظمة وقيدتك فلم تطرف فلا تتوقف عندها واهرب إلى الله تعالى فإنها تملكك.

إشارة: غلط من بقي له رسم عنده عند تجلي العظمة إلى قلبه فيقيده الأدب ذاك تجلي الحضور فيقول هي العظمة.

إشارة: لا يهولنك مخلوق فمن هاله مخلوق أهلكه ومن أهلكه مخلوق فليس للحق ولا يرى الحق وكيف يرى الحق من حكم على قلبه غير الحق.

لطيفة: احذر الحق فإنه تاركك مع من تقف عنده ولا يبالي فلا تقف إلا عند الحق وبالحق.

لطيفة: المحامد تطلب الإنسان والربوبية تطلب المحامد والعالم يطلبون الربوبية ولو نظروا لرأوا الرحمٰن يطلبهم والرحيم يسعدهم فلما أعرضوا وعدوا بالجزاء للمحسن والمسيء فالسعيد تذلل إلى الرحمٰن وسأل التأييد وافتقر، والشقي ضل في تيه شهواته وأظلمت عليه أقطار مسالكه فاستفزه الشيطان ولحق بالخسران المبين وانفردت الخلاصة من عباد الله بهدايته فيسألون ثبوتها والرسوخ فيها لأن دار التكليف دار تعذر المقام فيها على الصفوة لأن الله تعالى جعلها طريقين وجعلنا فريقين كل طريق له فريق، فذا نعيم وذا حريق.

إشارة: اذكر الله قبل أن تذكر نفسك إيثاراً فمن آثر الحق على نفسه آثره الحق.

إشارة: سمه قبل أن تسم نفسك تكتب في ديوان من تهمم بالحق تهمم به.

لطيفة: اطلب منه الإجابة إذا دعوته فإنه لا يجيب من لا يطلب منه الإجابة ولو دعا فإن دعاءه كلا دعاء.

باب ترجمة المنة

إشارة: البساط للأدباء والأسرار للأمناء.

لطيفة: القائمون بالبساط طائفتان طائفة سلكت فوصلت فمن شرطها الاطراق

والأدب فمن فاته واحد من هذين الشرطين فقد فاته آخر فلم يصل، وطائفة جذبت أخذهم إليه ابتداء فتولاهم بنفسه عناية فلم يكن لغير الحق عليهم منة فأدبهم كما قال عليه السلام «إن الله أدبني فأحسن تأديبي»، ولا ينكر ما ذكرناه فإن أهل السنة معترفون بالوهب والكسب فبالوهب يوصل إلى معرفة ذاته وبالكسب الوصول إلى معرفة وجوده فالواصلون إليه بالوهب أصحاب حياء ووقوف عند حدود ورسوم.

باب ترجمة الغيرة

إشارة: صديقان لا يجتمعان صادق وصديق يجتمع.

إشارة: أنت ثلاثة والواصل إلى الحق منك واحد فإن وصل إليه بنفسه فتلك شبهة وما وصل وإن وصل به وصل وهو عنده صحيح.

لطيفة: الحق إذا رام الوصول إليه من رأى أوصافه عليه نبذه بالعراء قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

إشارة: إذا دعاك الحق إليه فما يدعوك إلا وأوصافه عليك فتعرى منها بما دعاك إليه وادخل فإنه يهب لك ما ينفعك ويرفعك.

إشارة: لولا صفات الحق التي أخذها الخلق وتحلوا بها قبل أن تعين لهم مواطنها لرأيت الكل سعيداً.

لطيفة: كل من تنعم إنما تنعم بشاهده القائم بقلبه وهو ما حصل من الحق عندك وهو محدث مثلك ولا يجوز التنعم بالحق عند المشاهدة لأن المشاهدة فناء ليس فيها لذة وهو العلي الكبير.

باب ترجمة الوجود

إشارة: لما وكلك الحق إلى نفسك ادعيت فكلفك فانظر فقد أعذرك.

لطيفة: شأن القدم والحدوث ضدان فإن سعدت فاشكر الله وإن شقيت فلم نفسك أدباً.

إشارة: ما دامت الدنيا موجودة فالتعب موجود في السعد إلا أنها دار السبك والتخليص فأنت تدور في ستة أيام ويوم السابع هو يوم دخولك دار الأبد.

إشارة: لا يزول عنك مئزر[1] الحذر ما دام الخطاب عليك فإذا ارتفع الخطاب فانظر الخلعة التي خلعت عليك أوجبت لك الأمن فأمن.

لطيفة: اشتغل بالحق في أيام الخلق وهي ستة أيام ولو أدركك الجهد فلا تغتر فإن الراحة أمامك في اليوم السابع.

---

(١) المئزر: كساء يغطي النصف الأسفل من البدن (ج) مآزر.

لطيفة: كل من أحبك لك فاعتمد على محبته فإنه الحب الصحيح وحب الله لخلقه بهذه المثابة أحبهم لهم لا لنفسه.

باب ترجمة الجمع

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [فاطر: ٣٥] أليست هذه اسماءه تعالى أليس المتصفون بها في النار أليس النار محل الحجاب أليس الحجاب عدم الرؤية أليس عدم الرؤية هو الخسران المبين. فما للإنسان لا يهرب إلى ربه ليجود عليه بمشاهدة نفسه الذليلة الفقيرة ألا ترى الصادق ﷺ يقول أعوذ بك منك[١]. وقال أبو يزيد قلت يا رب بما اتقرب إليك فقال بما ليس لي قلت وما ليس لك قال الذلة والافتقار.

إشارة: عليك بأمر الحق فاتبعه ولا تغتر بكونك لا ترى شيئاً إلا تحت تصريفه وحكم إرادته ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦] هذا لا ينجيك والأخذ بأمر الحق ينجيك لكن انظر ذلك عقداً وتصرف بالأمر.

إشارة: إذا رفع الحق عنك الأسماء بالحق فما رفعها لأنه باسم الرافع رفعها فالاسم يصحبك فلا تغب عن الحضور معه فإنك بعينه لا تزال.

باب ترجمة التقديس

لطيفة: المعلوم غير علمك به فإن طلبته لتعرفه فلن تراه وإن طلبته لتراه فلن تعرفه وليس من عرف علم فالمعرفة حجاب عن العلم فلهذا هي طريق إليه والعلم كشف للمعرفة فالعلم والمعرفة حجاب عليه.

لطيفة: من كانت همته جمع المعارف والعلوم فقد شهد على نفسه بالبخل وجمع فأوعى ولا تجده إلا الكرماء من عباده.

إشارة: الحجب المانعة من إدراك الحق عظيمة وأعظمها العلم فإنك تقول قد حصلت، هرقل كان عنده العلم بالنبوة لا الإيمان فما نفعه، اليهود علموا أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً ما نفعهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، إبليس علم ما يستحق أمر الله تعالى من الامتثال لكن ما امتثل حرم التوفيق، فلا تغتر بالعلم العلم يطرد الجهل لا يجلب السعادة فاصحبه، الإيمان يكون نوراً على نور، أتعرف لما هو العلم أعظم حجاب؟ لأنه يطلب يرى المعلوم على حد علمه وما كل معلوم بتصور هذا الطلب عليه، من لم يدع العلم بالحق وعجز وافتقر. آمن بالحق في كل مقام يراه وقد جاء الحديث الصحيح بذلك فانظر ما أشرنا إليه في هذه اللمع الأفقية.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/٥٨).

إشارة: اعرف مواطن الآخرة في الدنيا قبل الوصول إليها فإن للحق غداً تجليات متغايرة بحسب المواطن فالزم الإيمان ولا تنكر ولكن اسكت إن لم تقر.

باب ترجمة الاستواء

لطيفة: عيسى روح الله وكلمته والرسل خلفاء الله في الأرض فهم موضع نظر الحق ومحل المعرفة وأصحاب الولاية فاعرف قدرك.

لطيفة: من جهل قدر الحق عارفاً بجهله فهو المقرب ومن لم يعترف بجهله فهو المبعد هكذا المعاملة.

لطيفة: الولي إذا كان وارثاً لمحمد ﷺ انشىء له من علمه رفرفاً وبراقاً يستوي عليه في الدار الآخرة وإذا ورث نبياً من الأنبياء عليهم السلام أنشىء له من عمله بحسب ذلك المقام مركباً يستوي عليه.

لطيفة: صدور المجالس حيث كان أميرها فلا تخص موضعاً دون غيره.

إشارة: وهو معكم أينما كنتم فإنه القائم على كل شيء القائم به كل شيء.

لطيفة: الأولياء إذا طلبوا الحق بالحق فإنما هو انتقال من اسم إلى اسم باسم ومن حال إلى حال بحال ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] حشروا من الاسم الذي يتقونه إلى اسم الذي يلطف بهم ويرحمهم ولا تنظر إلى قول أبي يزيد لما سمع هذه الآية قال: يا عجباً كيف يحشر إليه من هو جليسه، المتقي جليس الظاهر والآمن جليس الرحمٰن.

باب ترجمة الباطن

إشارة: الحق سبحانه هو الباطن فلا يظهر لشيء لو ظهر للشيء لاحرقت السبحات ما أدركه البصر وهو الحافظ الأشياء فلا يظهر لها.

إشارة: إن سئلت من الظاهر الذي لا يعرف والباطن الذي لا يجهل فقل هو الحق.

لطيفة: للحق ظهوران في العالم يفنى به ويبقى فالعالم بين فناء وبقاء.

لطيفة: العالم كله من حيث الذات واحد فله البقاء والفناء في صور العالم واشكاله.

لطيفة: لا تصح المعرفة بالله لأحد حتى يتعرف إليه ويعرفه بظهوره فيبصره من القلب عين اليقين بنور اليقين وقد قال عليه السلام مخبراً عن الله «ما وسعني أرضي ولاسمائي ووسعني قلب عبدي»(١).

(١) سبق تخريجه.

باب ترجمة الرحمة

لطيفة: من قربه الحق كثر اعداؤه ومن اعتنى به كثر حساده واعلم أن الحق ما يقرب العبد الأعلى قدر تعلق همته به فهمته أنزلته ذلك المنزل وهمتك خلقها فيك عناية منه بك فعنايته أنزلتك فلا شيء لك فالكل منه وإليه.

إشارة: للحق سبحانه الجود المطلق فمن أتى إليه اصطفاه ومن اعرض عنه دعاه فإن إجابه تلقاه وإن تمادى به الإعراض حتى يصل إليه حيث تصير الأمور وجده معرضاً عنه وطلب أن يتلقاه فقيل له هذا إعراضك فهذه صورتك إلا أن تنكرها.

إشارة: من نظر إلى غير الله أخلسته نظرته من الله فلا يقل الغير عدوي، أنت عدو نفسك.

لطيفة: ما أمر الحق إلا واحدة كلمح بالبصر فاحذر نظرة المقت.

إشارة: ما دامت الشمس لم تطلع من مغربها قبلت توبتك انظر حظك من طلوع الشمس من مغربها تجده رجوع سرك إلى الحق من مغرب ذاتك فلهذا لا يقبل توبتك لأن التوبة من عالم التكليف وقد رحلت عنه إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر[1] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١].

باب ترجمة الموعظة

إشارة: من وعظك علمك ومن علمك أثبت له الإمامة عليك ومن ذكرك أقر لك بأنك عالم فهاتان منزلتان.

لطيفة: الموعظة تفرقك قال إنما أعظكم بواحدة والذكر يجمعك.

إشارة: الموعظة مقرونة بالنفور والذكرى توجب السكون والرجوع.

إشارة: الموعظة للمؤمنين والذكرى للعارفين.

لطيفة: ما دمت واعظاً فأنت لافظ وإذا كنت لافظاً فأنت صاحب حرف.

لطيفة: الواعظ واعظان صامت وناطق فالصامت بحاله، قرىء على أبي العباس الخشاب بمدينة فاس كتاب فيما يتعلق بالدين الأخراوي وهو ساكت فطلب منه الكلام على الكتاب فقال للقارىء اقرأ بي واترك الكتاب فقيل لأبي مدين[2] عن قوله فقال أبو

---

(١) غَرْغَرَ الرجل: ردّد الماء أو الدواء في حلقه ولم يُسغه. وغرغرت الروح: ترددت في الحلق عند الموت.

(٢) أبو مدين التلمساني (توفي ٥٩٤ هـ = ١١٩٨ م).

شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، أبو مدين. صوفي، من مشاهيرهم. أصله من الأندلس أقام بفاس، وسكن «بجاية» وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. وتوفي بتلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها، له «مفاتيح الغيب لإزالة الريب، وستر العيب» ٩٢ ورقة.

مدين رضي الله عنه: كان الكتاب حاله قالت عائشة[1] رضي الله عنها: وقد سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. والناطق ناطقان ناطق بما يحمله وناطق بما يعتقده فالناطق بما يحمله ما يقرؤه من كلام الحق والناطق بما يعتقده رسول الحق.

لطيفة: المذكران مذكر يقصدك وهو رسول ومذكر تقصده وهو الوارث والقاصد أبداً يلزمه الدليل على دعواه ولهذا لا يختبر المريد الشيخ ويختبر الشيخ المريد فإن الشيخ أبداً مقصود.

باب ترجمة الأنائية

إشارة: من قال أنا مطلقاً حاز ومن قيد الأنائية فينظر بماذا قيدها فهي لما قيدها به فإما هلاك وإما سلامة والهالك سعيد وشقي بالأنائية.

إشارة: الشيء منك بالفناء هو والشيء منك بالبقاء أنت فانظر من يعز عليك فاستند إليه.

إشارة: أنت منك لا تصح بالغيبة عنك فإن أنت تستدعي حضورك.

إشارة: أنت من الشيء تقضي بحجابك عن الشيء.

إشارة: أنا حيث ما كانت مربوطة بأنت وأنت وقتاً مع الأناء وهو أنت ووقتاً مع نفسك وهو هو.

إشارة: ك حقيقتك أمام المخاطب وكما أنت بك وبالمخاطب وكم أنت بعالمك والأسماء وك نفسك المطلوبة في المشاهدة وكن جماعة حقائقك الدنيا والقصوى كل ذلك بالحضرة فإن غبت عنها قام ها وهما وهم وهن وهو.

إشارة: الضمائر تعطي الاتصال وانفصال فانظر بأي ضمير تخاطب فتعرف عند ذلك أين أنت من المخاطب في محل قرب أو بعد.

= الأعلام ٣/١٦٦، وجذوة الاقتباس ٣٣٢، وشذرات الذهب ٤/٣٠٣، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٩٩ وشجرة النور ١٦٤.

(١) عائشة (٩ ق هـ - ٥٨ = ٦١٣ - ٦٧٨ م).
عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش. أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي (ص) في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولها خطب ومواقف. وكانت ممن نقم على «عثمان» عمله في حياته، ثم غضبت له بعد مقتله، فكان لها في هودجها، بوقعة الجمل، موقفها المعروف وتوفيت في المدينة. روي عنها ٢٢١٠ أحاديث.
الأعلام ٣/ ٢٤٠، والإصابة. كتاب النساء ت ٧٠١، وطبقات ابن سعد ٨/٣٩، وحلية ٢/٤٣.

باب ترجمة السيادة

إشارة: مراتب السيادة على حسب عدد المسودين وكلما عدم مسود عدمت سيادة ومراتب السيادة في السيد.

إشارة: للسيادة عنف ولين فاسلك بهما مواضعهما.

لطيفة: الملك يبقى على اللين والقهر ولا يبقى على العنف خذ العفو وأمر بالعرف.

لطيفة: ليس الرعية والاجناد في الحكم سواء.

لطيفة: الرعية حياتهم في الرفق والحجاب والاجناد حياتهم في الاحسان والقهر.

لطيفة: سياسة السيد لطف وقد تكون عن ضعف.

لطيفة: وعدم سياسته قوة أو خرق.

لطيفة: السيد اسم إضافي يحتاج إلى حافظ ومن احتاج إلى حافظ ثبت افتقاره وهنا نظر فاسأل الخلاص.

باب ترجمة الوهب

لطيفة: من طلب الحق وجده ومن طلب منه أعطاه ولم يجده.

لطيفة: ما كان للحق لم يدخل في عمل الغير ولو استند إليه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

لطيفة: لا تشكر المواطن ولا تحمدها فمن حل فيها تكن جاهلاً ولكن اثن على المواطن وعلى من حصل فيها تكن من العلماء بمواقع الحق في الوجود.

لطيفة: هل يصح لأحد الثناء التام إلا بوجود معرفتك بالحق أو شهودك، غير هذا ليس بثناء.

لطيفة: البيوت وإن كثرت فهي بيتان بيت للمعرفة وهو النفس وبيت للمشاهدة وهو السر وكل بيت يعرى عن هذين فهو خراب.

إشارة: المشرك أثبت الحق وزاد الشريك فهو صاحب علم وجهل فإذا وقع الكشف ارتفع الجهل وبقي العلم فإن العلم لا يرتفع فإنه وجود حق والجهل يرتفع لأنه صورة وجود وليس بوجود حقيقته عدم.

لطيفة: اخفى شيء في الوجود الشرك قل من يعرى عنه وسبب قوة سلطانه الحجاب والحجاب لا بد منه، فالشرك موجود لكن من الشرك ما هو معفو عنه وهو ما لاح على ظاهر النفس فهو سيال لا يثبت ولا ينقطع ومنه ما هو مأخوذ به وهو ما ارتبط بالعقد.

باب ترجمة التبعة

إشارة: الإنسان قطب الفلك وهو العمد ألا تراه إذا انتقل من الدنيا خربت وزالت الجبال وانشقت السماء وانكدرت النجوم.

لطيفة: آدم أنبأ الملائكة بالأسماء فهو إخبار بلسان مخصوص لمعلوم عندهم.

إشارة: إذا رأيت الفتح يتوالى عليك في باطنك فزنه بحالك واحفظ حدود الشريعة عندك فإن قام الوزن عندك بالحق فاعلم أن تلك الفتوحات والواردات بشائر السعادة والقبول فإن كان غير ذلك فأحذر المكر ولا بد.

لطيفة: يجب على الإنسان استعمال الذكر المنسوب إلى الحق وهو القرآن وانظر بأي لسان تتلوه فإن السكينة تنزل بالقرآن بحسب الألسنة.

إشارة: ما في الوجود ذات قائمة من جماد وغيره إلا ولها روح حافظ لها عن أمر الله عاقل عن الله وغير عاقل عن الله فالذي هو غير عاقل عن الله فبعض الإنس والجن ولهذا تصح المتابعة من جميع الخلق وفي الشرع من هذا كثير من تسبيح الحصى وسلام الحجر وحنين الجذع، وفي كرامات الأولياء من ذلك حكايات صحيحة كثيرة.

باب ترجمة الكمال

إشارة: ينبغي للإنسان أن ينظر في روحه كيف توجه إلى مدينة جسمه المزخرف ودخله ليعاين ما أودع الحق فيه من الحكم والترتيب الأحسن لأنه في أحسن تقويم، فإذا أشرعت في هذا النظر فأمعن فيه ولا تترك زاوية من الإنسان حتى تدخلها وتعرف ما خزنت فإنها خزائن الحق فإنك تقف على علم عظيم ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] من عرف نفسه عرف ربه أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه.

لطيفة: لا يؤخذ من اللبن سوى زبدة المخض، عليك بروح الأشياء ولا تأخذ من العسل سوى ما ادخره النحل لنفسه، لا تشرب من خمر العلوم إلا السلافة[1] التي لم يعصرها الأرجل لا تشرب من المياه إلا ماء المطر فإنه ماء التقطير فيه مزيد علم.

لطيفة: إذا ضربت القفل على الصندوق وامتنع المال من المصارفة وحياته فيها فإنه خلق لها فهو مجبول على الحركة وتداول الأيدي والدليل على ذلك ألق سمعك إلى التابوت المقفل تسمع المال يتحرك في جوانب التابوت فإن استطعت أن تفتح القفل ولا تكسره فإنك محتاج إلى ادخاره في وقت ما القفل لسانك فأفهم.

---

(١) السُّلافة: الخمر أول ما تُعصر، وما سال وتحلّب من عصير العنب قبل العصر، وأخلص الخمر وأفضلها (ج) سلافات.

إشارة ولطيفة: الولي الشحيح يستبدل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ثم قال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨] بخلاء أشحاء بل يكونوا كرماء أسخياء أجواداً فاعلم ذلك.

باب ترجمة الكثيب

لطيفة: الأقدام لا تثبت في الكثيب الناس يوم القيامة يكونون على الكثيب الأبيض عند رؤية الله تعالى.

لطيفة: ما علم إبليس أنه لم يرد منه السجود إلا بعد وقوع الإباءية هناك موضع الأخذ فمن شاهد المقدور قبل الوقوع ثم وقع فهناك لأصحابنا واقع هل ينفعه ذلك أم لا.

لطيفة: عالم الأنفاس وهي نفحات الجود إذا ورد على الإنسان أظهر عنده الاشتياق والانزعاج أن نفس الرحمٰن يأتيني من قبل اليمن الإيمان يمان والحكمة يمانية الرفق ههنا وأشار إلى اليمن تعرضوا لنفحات ربكم هيئوا المحال له ولكن هياكل الأنوار تحركها الأنفاس وهياكل الظلم تذهب بها الأنفاس ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]

إشارة: الحكم مودعة في الهياكل.

لطيفة: من وضع شكلاً فيضعه مستديراً فإنه لا بد من الرياح تزعزعه فيدحرج ولا ينكسر فالشكل الكري أبقى.

إشارة: ما ثم إلا حق وخلق كلما أقبلت على شيء أعرضت عن أمر آخر.

باب ترجمة الشريعة والحقيقة

لطيفة: تخيل من لا يعرف أن الشريعة تخالف الحقيقة وهيهات لما تخيلوه بل الحقيقة عين الشريعة فإن الشريعة جسم وروح فجسمها علم الأحكام وروحها الحقيقة فما ثم إلا شرع.

إشارة: الشريعة وضع موضوع وضعه الحق في عباده فمنه مسموع وغير مسموع ولهذا من الأنبياء متبوع وغير متبوع ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢١] ﴿كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة: ١٧١].

لطيفة: ثم موطن يجمع فيه بين الشريعة التي هي علم الأحكام بالدنيا وبين الحقيقة التي هي علم الآخرة وأحكام الحق بها فيكون علم الأحكام مسؤولاً.

إشارة: لا تأخذ من علم الأحكام إلا ما تعين عليك واشتغل بنفسك وارغب في تحصيل العلم الذي يكون معك حيث كنت علم التكليف هنا تتركه والعلم بالله معك تحمله العلم بطلب معلومه حيث كان.

إشارة: كل ما في الكون مسخر للإنسان ومع ذلك كفر ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧].

إشارة: وإلهكم إله واحد وهو كل إنسان إلهه وهو معبوده ولو عبد الله فإنما يعبده لحظه، فحظه عبد والهوى يناسب الحياة فإن استحال هوى الإنسان ما سعد في نفسه وسعد من رآه وإن استحال ناراً سعد ولم يسعد به.

إشارة: ليس الناطق من كلمك بصوته وحرفه وإنما الناطق من كان في قوته أن يوصل إليك ما عنده من المعاني ولا تقل على هذا إن الوجود بذا الاعتبار ناطق هذا فهمك لا نطقه والذي قلناه نطقه لا فهمك فاعلم.

باب ترجمة خبيبة ابن صائد

إشارة: حملة العرش مع الملك يطلب الإنسان فإن لها فيه سراً لا يعلمه كل إنسان.

لطيفة: جمع الإنسان من أشياء متفرقة فلما سوى وعدل وصور الصورة الجسمانية تطاولت إليه الحقيقة الواهبة روح التدبير فنفخ فيه روح الحياة فكان حيواناً فالتفت إليه عن أمر الله فوكل به.

لطيفة: أحرى بها كان إنساناً ثم توالى عليه الإمداد لبقاء العين فلما ادعى أقمت في مقام التفريق لتعرف من أنت فخوطب الإنسان بالوعد والوعيد وملكه إياه مثالاً منصوباً ليفهم ما قيل له.

إشارة: جسمك كرسي منصوب القدمين ولطيفتك عرش محيط بك لوجود الرحمة فلماذا يتباعد الإنسان من عالم الجسوم ولا بد له منها ديني وآخرة فإنها صورة كمال تشريف.

لطيفة: أما يسمع الإنسان إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [النبأ: ١٠] وسكناً ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النبأ: ٩] فليس للطيفة راحة إلا في وجود الجسم لأنها ملك.

إشارة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧] ألست بينهما لما كملت ومنهما خلقت فأنت حق.

إشارة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] ينزل الأمر بينهن وأنت بينهن، فأما عين الأمر وأما محل الأمر.

إشارة: لولا شجرة الزقوم(١) جهل قدر شجرة طوبى.

(١) الزَّقُّومُ: شجرة بجهنم. و ـ: طعام أهل النار.

باب ترجمة التقليب

إشارة: قوائم سريرك يطلبون منك أيها المريد علم أصل الأشياء فعرفهم تحمد ذلك.

لطيفة: مشيمتك ما دمت فيها كانت على صورتك فإذا انفصلت عنها لم تبق على صورتك فأفهم اتصالك فلم تحتاج وبانفصالك تعلقت بك الحاجة فالبعد سبب الحرمان والقرب سبب الوجدان والاتصاف وبقي أبو عقال المغربي بمكة في مقام قرب المشيمة أربع سنين ما أكل ولا شرب حتى مات.

لطيفة: ظلك على صورتك وأنت على الصورة فأنت ظل قام الدليل على أن التحريك للحق لا لك كذلك التحريك لك لا للظل غير أنك تعترض فلم تعرف قدرك وظلك لا يعترض فيا من هو ظله أعلم بقدره منه متى تفلح.

لطيفة: الشخص وإن كان واحداً فلا تقل له ظل واحد ولا صورة واحدة في المرء فعلى عدد ما يقابله من الأنوار يظهر للشخص ظلالات وعلى عدد المرأى تظهر له صور فهو واحد من حيث ذاته متكثر من حيث تجليه في الصور أو ظلالاته في الأنوار فهي المتعددة لا هو وليست الصور غيره.

إشارة: الحق هو واحد في ذاته يقبل الصور والحد للصور لا للجوهر والجوهر لا يستحيل والصورة لا تستحيل أخرى لكن تستحيل في نفسها أي تذهب فاعلم.

باب ترجمة المشاورة

لطيفة: العصيُّ والقضبان إذا تفرقت تكسرت وإذا جمعت لم تقو على كسرها فاجتمعوا ولا تتفرقوا العلم في عين الجمع والوجود.

إشارة: من اعتصم بغير الحق هلك ولم تنفعه شفاعة الشافعين قال العمل غير الصالح ﴿قَالَ سَئَاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣].

إشارة: الحق واحد في الوجود الإنسان واحد في الكون.

إشارة: الكون مفطور على الزوجين فإن الأصل قبضتان ومن هناك ظهر.

لطيفة: يا أيها الإنسان إذا سافرت في بحر الكون فارفع شراعك وإذا سافرت في بحر الحق فلا ترفع شراعاً، سفينة نوح لما لم يكن لها شراع مرفوع قال فيها ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

لطيفة: الحق صفح فيما كان له وأخذ على ما كان في حق الغير فيا غير تخلق خذ للحق لا لك.

إشارة: من لم يتضع هنا اتضع هناك ومن لم يخشع هنا خشع من الذل هناك فلتبشر الخاشعين في هياكل الظلم بالسرور في هياكل الأنوار.

إشارة: تحقق أن المعلم هو الحق فليس لأحد منة على أحد فليشكر الواسطة من حيث الأمر لا من حيث الفعل ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

إشارة: تحفظ أيها السالك من حجاب البشرية ما استطعت.

باب ترجمة حمد الملك

لطيفة: ما ثم مقام جمع رحمتين تاليتين لرحمتين إلا هذا المقام ومقام العظمة الجامعة فرحمة الإجمال لها التقدم ورحمة التفصيل تالية وقد جاء التنبيه في القرآن على هذا المقام فبسمل في الفاتحة ثم ذكر الرحمٰن الرحيم، وبسمل في حم السجدة، ثم ذكر الرحمٰن الرحيم، وكذا جاء قريب من هذا بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١، ٢] النزول إلى قلوب عباده المؤمنين التي وسعته فهو نزول منه إليه فافهم فانظر أيها السالك إلى الأعلام التي رفعها الحق لك على مدرجتك إليه فاقطعها علماً علماً حتى تصل إليه.

لطيفة: أكثر الخلق من الطائفة يتخيلون أن الحق ما دعا منهم سوى لطائفهم فلم يروا قدر الظواهر فاشتغلوا بتقديس اللطائف العلوية بالمعارف الفكرية والحق على خلاف ما اعتقدوه لأنه دعاهم بكليتهم واختلف المدعو به باختلاف المدعو فالذي دعى به البصر ما دعى به السمع والذي دعى به كذا ما دعى به كذا فمن أجابه بواحد دون غيره لم تقبل إجابته قال رجال هذا المقام ما ثم إلا كبيرة فإن المعصي بها واحد فلا سبيل إلى مخالفة الأمر فإن خرق الحرمة كبيرة وإن خفف الجزاء وعفى عنه.

إشارة: أيها السالك ما منك جزء إلا وهو عالم ناطق فلا يحجبنك أخذ سمعك عن نطقه فلا تقل يوماً أنا وحدي ما أنت وحدك ولكن في كثرة منك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١].

لطيفة: ما ألهمت لعلم الاختلاج إلا لتعلم أن النطق فيها ولا تشعر.

إشارة: كن مع كل أحد على خلقه يكن معك.

باب ترجمة المغفرة

إشارة: لله ملائكة يستغفرون لمن في الأرض ولله ملائكة يستغفرون للذين آمنوا ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ﴾ [غافر: ٧] جعل الله الاضطرار في العباد فإذا رجعوا إلى الحق في حوائجهم من غير توبة التقريب كما قال ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] في القرب فعادوا كما قال فتعاين الملائكة ذلك الرجوع بالصورة فيستغفرون

لمن في الأرض فيجاب الدعاء فإذا كان الرجوع بتوبة التقريب استغفر لهم الذين يستغفرون للذين آمنوا فما أعم الرحمة في الدنيا وما أخصها في الآخرة لله مائة رحمة جعل منها واحدة في الدنيا فعمت هذا العموم على الانفراد ورحم الناس بها بعضهم بعضاً فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين ورحم بها الخلق ووقعت بها الشفاعة وما عمت هذا التعميم فانظروا هذه المعنى وتحققوه وكل الناس يحار فيه إلا من عرف أن التصرف للرحمة وغيرها إنما هو بحكم الموطن لا بنفسها فهنا السر الذي يحصل به العلم.

إشارة: إذا انكشف الغطاء تبينت الأمور على ما هي عليه فيربح العالم ويخسر الجاهل فأدرك نفسك بالعلم قبل الموت فإن الظلمة أمامك ما فيها نور إلا علمك وأشرف أعمالك العلم.

إشارة: أيها السالك لا تقل ربي الله فيتمكن منك اعداؤك ولكن قل الله ربي فيقهرهم الاسم فلا يجدون إليك سبيلاً.

لطيفة: لا يغتر الإنسان بكونه روح العالم فيقول أنا أشرف منه هو أخوك العالم والإنسان توأمان فاعرف أباك وأمك.

باب ترجمة الإخلاص

إشارة: الإخلاص لا يبقي في المنزل أحداً.

لطيفة: فرق بين ولد الطين وولد الدين في الميراث الدين للعلم والطين للمال، ولد الدين وليك، وولد الطين عدوك، أبوك من انفق عليك فإن انفقت على أبيك فأنت أبوه.

لطيفة: أنت الدار التي يسكنها السر فنهاره ظهور السر فيه، وليله غيبة عنه فتعبد بالليل وتحدث بالنهار.

إشارة: صورة الإنسان بعد الموت تتنوع بتنوع أحواله في الدنيا فكن على أحسن الحالات تكن على أحسن الصور.

إشارة: من جنى وعلم أن الحق غفار غفر له ومن لم يجن ولم يعلم أنه غفار فقد جنى.

إشارة: لا تلزم هنا أيها السالك أبواب الواو فتشقى فإن النار حفت بالشهوات(١)

(١) إشارة إلى قول الرسول الكريم (ص): «وحُفت النار بالشهوات».
أخرجه مسلم (جنة، ١)، وأبو داود (سنة ٢٢)، والترمذي (جنة ٢١)، والنسائي (إيمان ٣)، والدارمي (رقاق ١١٧)، وأحمد بن حنبل ٢/ ٢٦٠، ٣٣٣، ٣٥٤، ٣٨٠، ٣/ ١٥٣، ٢٥٤، ٢٨٤.

والزم الأبواب التي لم تتقيد فتحها بالواو تسعد فإن الجنة محفوفة بالمكاره جنة في وسط نار في وسط جنة فاعلم ما أشرنا إليه.

باب ترجمة انبعاث نور الصدق

إشارة: الصدق صفة جامعة للشرف عليه دلت المعجزات كلها ولقد سألت عن صورة الإعجاز في القرآن فقيل لي كونه حق صدق والمعارض صاحب تزوير فالزم الصديق أيها السالك ترى العجب العجاب في الدارين.

إشارة: أمام إمام لا تتأخر فإن الإنسان لا يتأخر إلا إذا رأى ما يسؤه النبي ﷺ تأخر في صلاة الكسوف[١] لما رأى وقال عليه السلام فيمن يتأخر عن الصف الأول في الصلاة لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله في النار[٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: ٢٤].

إشارة: أخل مع الحق على قدم الصدق أسبوعاً بل أقل من ذلك لولا أن اتألى على الله لحلفت أن الطير تظلك والوحوش تصلي خلفك وتأنس بك ويخرج منك نور يضيء له المشارق والمغارب وأي شيء هذا في جنب ما يقول الله تعالى من تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً[٣].

إشارة: إذا صدق الصادق وانبعث منه النور فلينظر إلى شمسه فإذا دلكت فلينظر هل يهتز تخطيطه أم لا فإن لم يهتز فلينظر المانع فيجد سكون الريح فلينظر ما اسكنه ولينظر ما معه وما فاته بالسكون فليكن مع أعلاهما.

إشارة: عليك بإبرار القسم أيها السالك ولا تقسم على أحد ما استطعت في أمر ولكن قل إن شاء الله فلتكن المشيئة هي الحاكمة وأنت مستريح.

إشارة: من خرج عن أصله فهو غريب وعذاب الغربة شديد الشقي غريب في الآخرة والسعيد غريب في الدنيا فطوبى للغرباء.

---

(١) الكُسُوفُ: احتجاب نور الشمس أو نقصانه، بوقوع القمر بينها وبين الأرض.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الصلاة ب ٢٨ رقم ١٣٠)، وأبو داود في السنن (الصلاة ب ٩٨)، والنسائي في السنن (الإمامة ب ١٧)، وابن ماجة في (السنن ٩٧٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ٣٤، ٥٤)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٣/ ١٠٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٣٠٠٨)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٣)، وأبو عوانة في (المسند ٢/ ٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (توحيد ١٥، ٥٠)، ومسلم (ذكر ٢٠، ٢١، ٢٢)، (توبة، ١)، والترمذي (دعوات ١٣١)، وابن ماجة (أدب ٥٨)، وأحمد بن حنبل ٢/ ٤١٣، ٤٣٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٣٤، ٣/ ٤٠، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ٣٧٣، ٥/ ١٥٣، ١٥٥، ١٦٩، ٣٥١.

ترجمة الصف الأول

إشارة: من وقف في الصف الأول عاين صفوف الأرواح في غاية الاعتدال.

إشارة: الصحف تجري مع الانفاس صحف الكفار ممحوة حتى لا ينظروا ما تحت المحو فتمادوا في غيهم.

إشارة: الصف الأول إمام متبوع فالزمه.

باب ترجمة الجمع والوجود

إشارة: الإنسان قلب الوجود وقلبه والمؤمن جنانه وروحه.

إشارة: القمر واحدة والمنزلة واحدة والحركة واحدة والأثر مختلف لمن ذلك راجع للمؤثر.

إشارة: زيادة القمر تؤذن بالبعد والمشاهدة ونقصه يؤذن بالقرب والحجاب إن هذا لشيء عجيب.

إشارة: لك ظاهر إلى الخلق ولك باطن إلى الحق فمتى ظهر الحق على ظاهرها سقطت حرمتك عند الخلق وفيها سعادتك لأنهم فرغوك إليه.

إشارة: إذا خرج العبد من عند الحق خدم وعظم وإذا دخل إليه جهل وما احترم إلا عند خصوص الخلق.

لطيفة: إذا صاحب الإنسان الخلق حقروه وإذا غاب عنهم اشتاقوا إليه إنهم جاهلون، إذا دخل حمار الوحش السوق فمد فمه إلى شيء يأخذه من دكان بائع يأكله ضحك له وفرح به وناوله بيده وما نفعه الحمار والحمار، الأنسي إذا مد فمه لدكان البائع ليأخذ شيئاً ضربه صاحب الدكان بالعصا وقد رفع أثقاله ودكانه إنما يبني من على ظهره وأسباب دكانه إنما سيقت على ظهره وما راعى هذه الحرمة أي جهل أعظم من هذا ما هو جهل بل هو غفلة تعقبها حسرة إذا بحثت لم أهين هذا وقرب هذا وجدته للصحبة والخلطة وإن كانت معها المنافع فابعد عن الخلق ما استطعت تكن عندهم عزيزاً.

لطيفة: روث[1] الدواب التي تدوس الحنطة في التبن يبقى وهي تأكله ويصفو الحب كذا الداخل إلى الآخرة، كلام الناس عليهم يرجع ويخلص السالك ما ثبت.

باب ترجمة فتح الأبواب

إشارة: إذا رأيت باباً مغلقاً فاعلم أن وراءه أمراً فتعمل في فتحه.

(١) الرَّوْثُ: خُرْءُ ذوات الحافر (ج) أرواث، والواحدة روثة.

إشارة: من جمعت له المحامد فتحت له جميع الأبواب لجميع الخيرات.

باب ترجمة مالك الملك

لطيفة: مالك الملك الحق لأنه يسأله فيعطيه.

إشارة: ما خلع على أحد خلعة إلا خلع عليه فإنه لا يعرى.

إشارة: سح في الأرض مسبحاً ومهللاً حتى تسمع الإجابة منك أو من غير الناطق.

لطيفة: إذا امتلأ القلب من المعارف فلتحذر النفس فإنها مخربة الديار مبددة الشمل.

لطيفة: أخل قلبك من كل شيء إلا من ذكر الله فإنه قرع الباب من بالباب قيل فلان قيل افتح حصل المقصود.

لطيفة: من سجد لله سجدة حق لم يرفع رأساً أبداً بعد السجود وكل من رفع رأسه بعد السجود فإنما سجد للحجاب لا لله قال سهل بن عبد الله للعباداني: أيسجد القلب، قال إلى الأبد فلزم خدمته.

باب ترجمة الاشتراك بين النفس والروح

إشارة: الولي يصرفه الحال والنبي يصرف الحال يجتمع النبي والولي في ثلاث في العلم اللدني ورؤية الخيال في اليقظة، والفعل بالهمة، ويقع الانفصال بكون النبي متبوعاً والولي تابعاً.

إشارة: يا أهل يثرب لا مقام لكم المقام المحمدي مقام السيادة ومن سواه سوقة.

إشارة: العالم وسط وهو الآن قبله ما لا يتناهى وهو الأزل وبعده ما لا يتناهى وهو الأبد فاعطف الأبد على الأزل يتحد الأمر ويتبين القديم من المحدث.

إشارة: القرب من الحق بحسب تقديس الذات وتزكيتها ولا يختص بذلك ذكر دون انثى بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقد كمل من النساء مريم وآسية.

باب ترجمة القسمة

إشارة: إذا قرأت الكتب فاعرف حالك وانظر ما خاطبك فيها فإن الأحوال محل الخطاب والذوات تحمله.

لطيفة: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين كذا قال تعالى على لسان نبيه ﷺ فالكون الأكبر مخلوق على قسمين قسم للحق وقسم لك والقسم الذي للحق لا يعرفك ولا تعرف القسم الذي خلق لك ولا ينبغي له أن يعرف فإنه حين خلقهم أشهدهم فهاموا

ولم يحتجب فلم يرجعوا بعد والقسم الذي خلق لك استخرج منه هيكل الأنوار ونقش فيه العلوم والحقائق ثم رفع الحجاب فشرقت عليه شمس الوجود فأشرق ونطق بالتحميد ثم نظر إلى نفسه فنطق بالتسبيح ثم نظر إلى ظله فنطق بالتمجيد ثم نظر إلى علمه فنطق بالتكبير فنودي عرفت فالزم ثم بعد ذلك توالت عليه الأعصار فتخلخل البيت واشتغل النور بالتلفيق فانحجب عن علمه ثم يرد إلى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً.

باب ترجمة السبب

إشارة: الوجود في الجود قال عليه السلام: يقول الله تعالى أَنفق أُنفق عليك(١).

إشارة: إنفاق العبد مفتاح الجود الإلهي فما تعمل في أول جود ما كان مفتاحه فمن اجرب الأول وعنده مفاتح الغيب ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] الإنضاج سبب التبديل وهو مفتاحه الجود هنا على العذاب فتأمل.

لطيفة: أهل السماع والوجد بالأشعار التي أهلت لغير الله هم أبعد الخلق عن الحق فإنهم أكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٨٨ ـ ١١٩] ولما كان الوجد يستدعي التنزل جاء في الآية ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] في مقابلة الوحي الحق فتفطن.

إشارة: العبد كل العبد من تقرب إلى الحق بالحق أو بكلام الحق وهو حق.

إشارة: صاحب السماع عند النغمة لا عند الحق.

إشارة: وقع الفراغ من الذوات وبقي العمل في الصور.

إشارة: الكلمات هي الموجودات وكل جوهر فرد من البحار كله فلا تكتب بالنقطة سوى نفسها فأين كلمات الأقلام وغيرها.

إشارة: خلقكم من نفس واحدة ونفخت فيه من روحي فالأجسام من جسم واحد والأرواح من روح واحدة. تنبيه على أن العالم وجد من واحد لا إله إلا هو العليم القدير وإلهكم إله واحد.

باب ترجمة الأقصى

إشارة: القبلة الأولى دليل على شرف الثانية بنقله التوجه مع وجودها قال عليه السلام: أنا سيد ولد آدم ولا فخر(٢) فاستقبل التشريف الشريف.

---

(١) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ١٣/ ٣٩٥)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ١٢٠) والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٠٩)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٥١).

(٢) سبق تخريجه.

لطيفة: الفرح من صفات المؤمنين لأنهم أهل انتظار لما آمنوا به فإذا لقوه فرحوا، للصائم فرحتان والعارفون المحققون لا يجوز عليهم الفرح مع المعرفة بل لو جاز عليهم الغم لاغتموا إذا سمعوا ردوهم إلى تصورهم فلولا مشاهدة الشاهد فيهم لحزنوا فلا فرح عندهم بالمشاهدة لاستيلاء العظمة التي أفنتهم وهي تمنع من الحركة والفرح حركة ولا فرح له بالنعيم لأن مرتبته أعظم والخلق إلى جانب ما حصل له في مشهده كلا شيء فالعارفون بالحق عليهم هيبة وسكينة من الحق بها يعرفون عند كشف الغطاء.

إشارة: الآيات كثيرة لأن الموجودات كلها آيات على الحق لقوم يعقلون فمن وقف مع آية دون غيرها فما عرف من الحق سوى ما تعطيه الآية.

إشارة: إذا عم الفساد البر والبحر فارحل عن الأرض واجعل همتك سماوية علوية مخافة الهلاك.

إشارة: المؤمن منصور بلا شك غير مخذول فمن خذل فلينظر من أين خذل فسيعدم من ذلك الأين الإيمان ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] قول صدق.

باب ترجمة أرض العبادة

لطيفة: الأرض أرضان أرض عبادة وأرض نعمة فمن خرج من إحدى الأرضين وقع في الأخرى وهو لمن وقع فيها.

إشارة: أرض العبادة التي يرثها الصالحون من عباد الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] يرثها في الطاعة ﴿كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ [مريم: ٤٠] إجابة الحق للعبد فيما سأله قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك الإجابة عقيب الطلب طاعة فمنها من عين المنية وهي إجابة الحق فضل منه ومنها إجابة من الذلة والافتقار وهي اجابة العبد.

لطيفة: الابتلاء مقرون بالدعوى لا تدعي ما تبتلي ولا تطالب.

إشارة: عمارة البيت ساكنه ولو كان من أوهن البيوت وخرابه بالخلاء.

لطيفة: خلق الله الدنيا وما نظر إليها ففنيت ووقعت الكفاية بنظر الخليفة فكانت إلى أمد وخلق الآخرة ونظر إليها فبقيت لأن نظر الباقي ثمرته البقاء فما وقع الإعراض عن الدنيا لحيوانها وكيف هي منزل الخلفاء وإنما كان لما ذكرنا من الفناء والبقاء والإنسان هنا خليفة وفي الآخرة إنسان لا غير.

لطيفة: أيها الإنسان بيتك بيت ضعيف تؤثر فيه تصاريف الأزمان فيخلق وينهدم ولو جددته ورقعته لا بد أن ينهدم فإن الأساس يضعف ولا يمكنك تبديل الأساس فإنها تكون عند ذلك داراً أخرى فارحل عنها قبل الهدم كما رحل السعداء وإن لم ترحل

تهدمت عليك فمت في غم تربتها وليس موتك في غير هذه الحالة بشهادة.

لطيفة: الإنسان خلق وأخلقه الزمان ولا بد أن يخلق الزمان فرد النفس بالنفس.

إشارة: موطن الرحلة ليس بموطن.

باب ترجمة الأدب

إشارة: الرمز ليس من شأن الأمر فإنه يقابل البيان وأصحاب الرموز رمز والأمرين لتوقع الضرر أو لعدم الاحترام.

لطيفة: ينبغي للإنسان أن يتأدب بآداب الحق إذا رأى فحشاً يكني عنه ولا يسميه إلا أن يضطر لقوله عليه السلام: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي»[1] ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المائدة: ٦] كناية أكنتها حالة ضرورية ما فعل بغيرك الشارد كناية فأجابه قيده الإيمان برسول ﷺ.

لطيفة: اجعل قلبك مثل مكة يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدن ربك هذا من الشام هذا من مصر هذا من اليمن هذا من نجد هذا من كذا نعم كذا وجد ظاهر الصورة عطلها الحق في الحقيقة فقال ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧] لا من هذه الجهات ولكن أكثرهم لا يعلمون نسبوها إلى الجهات وما ذكروا الحق فإذا جعلت قلبك مثل مكة تجبى إليه الثمرات حقائق الأسماء وحقائق الأكوان فلا تقل هذا كون فلا أقبله الكل من لدنه وما بعثه إليك إلا الحقيقة فيك تطلبه وإن لم تشعر في الوقت صورة الكمال في العلم والعمل.

باب ترجمة البهائم

لطيفة: سر العارف وسر المعروف فإذا التقيا في العالم تصادما وإذا التقيا في غير العالم لم يتصادما.

إشارة: بالحق تجد الحق فلا تطلبه بك فإنك ما تجد سواك أيها الطالب.

لطيفة: أيها العبد بما ليس لك تعتز على مثلك لم لا تكون كما قال الكليم ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

لطيفة: هذا أوان الساعة قد اقترب ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١] لو أزالوا الغفلة لتنبهوا ولو انتبهوا لسمعوا خطاب البهائم قال الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب قالت البقرة لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث.

إشارة: من طلب السلطنة على الخلق ملأ الله قلبه شغلاً ولم يعرف قدره وإن أعطيها نفذ فيها صفر اليدين وقد عرف قدره.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٦٧٣).

إشارة: يا ولي الضحك متى رأيت شيئاً يقول لك أنا الحق قل له أنت بالحق فإنه يفنى ولا بد فاحفظ وصيتي تنتفع بها في سلوكك.

باب ترجمة السعر

لطيفة: عليك أيها المذكر بأن تبلغ ما تحقق في علمك ما عليك أن تهديهم فلماذا تقتل نفسك إذا لم تر القبول فيما تقول من السامعين أما لك في الرسول عليه السلام أسوة ليس عليك هداهم ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢١ ـ ٢٢]، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣].

إشارة: فر إليه منك تعرف مواقع القضاء فإن فررت إليه منه ردك به لتخبر عنه وإن لم تفر وبقيت واقفاً محي عنك ظلك وبقيت نوراً كلك قال عليه السلام: واجعلني نوراً، هذا عين محو الظل فإنه ظلام الجسم.

إشارة: من سألك عن حد ما لا يحد فهو الجاهل فاجب بنتائجه وأثره تكن عالماً.

لطيفة: فصلت الاغراض من بين مكروه ومحبوب وقرر الشرع منها ما قرر فإذا كنت في عين الجمع والوجود فقل ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وإذا كنت في عين التفرقة فقل ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣] وكل قول في موضعه أدب مع الحق.

إشارة: إذا ساعدتك جوارحك على إقامة الطاعة فلا تلتفت لقول المدعين في التروحن ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧] ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] نظروا إلى عالم التراب الزم ما أنت عليه ولا تلتفت فسيندمون ويبين لهم أنهم كانوا جاهلين.

إشارة: قيل لأبي السعود ببغداد وكان محققاً في شأنه: الرجل من يقعد أربعين لا يأكل، قال آخر: الرجل من يأكل قوت أربعين يوماً في أكلة واحدة فقال أبو السعود: الرجل من يأكل كما يأكل الناس فلا يتميز عنهم وكان مقلد الصالح يقعد أربعين يوماً لا يأكل ويأكل أربعين في أكلة واحدة هذه ناقة لها شرب ولكم شرب.

إشارة: من يزرع الحب في السباخ(١) يندم زمان الحصاد.

إشارة: ضع ميزانك بينك وبين ربك وبينك وبين الخلق فطفف(٢) إذا أعطيت واخسر إذا أخذت وإن لم تقدر فاعدل ووف كل موجود حقه.

---

(١) السّباخ: (ج) السَّبْخَة: أرض ذات نزٍّ وملح لا تكاد تُنبت.

(٢) طفَّف على فلان: أعطاه أقل مما أخذ منه. و ـ المكيال أو الوزن: نقصه وبخسه. فهو مطفف.

إشارة: إذا تعين للحق عليك حق فقم به من حينك واظهر التبري من الحول والقوة ولا تجعل لنفسك جاهاً عند الحق فيضعف قابل النصيحة اتكالاً عليك يا فاطمة بنت محمد(١) انظري لنفسك لا أغنى عنك من الله شيئاً وهي قرة عينه.

باب ترجمة إياك أعني فاسمعي يا جاره

إشارة: إذا حضر الرقيب والحبيب فخاطب الرقيب بلسان الحبيب يسمعك الحبيب وتفهم لسانه فتأمن غوائل الرقباء ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] فوقع البيان فما رمز نبي شيئاً قط لأنه بعث للبيان.

إشارة: لا تقع الغيرة عليك إلا إذا عشقت مثلك من جارية أو غلام فإنك تأتية بكلك للمماثلة فإذا عشقت غير الجنس فإنما تعطيه منك ما يناسبه ويبقى منك للحق نصيب ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

إشارة: لا راحة مع الخلق فارجع إلى الحق فهو أولى بك وإن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت من الحق وإن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك فالستر أولى وأيسره أن تكون كائناً بائناً.

إشارة: تحفظ من الصاحب فهو العدو الملازم فدله على الحق واشغله به فإنه سيشكر لك ذلك عند الله وأقرب أصحابك إليك نفسك.

لطيفة: ما مدت الظلال للاستظلال وإنما مدت لتكون سلماً إلى معرفة الله معك فأنت الظل وسيقبضك إليه.

إشارة: لا إله إلا الله يكون عن علم ويكون عن إيمان فمن دخل منهم النار خرج بشفاعة الشافعين فأهل الإيمان يخرجون لشفاعة الرسل وأهل العلم يخرجون بشفاعة أرحم الراحمين فإن نار الخلود لا تقتل إلا المشرك والعالم الذي يخلق فيها خاصة.

باب ترجمة الظلمة والنور

إشارة: من نظر إلى الدنيا نظرة فإن فيها نزل عن مائة درجة من الجنة ودخل في مائة درك من النار فإن تاب تاب الله عليه.

---

(١) فاطمة الزهراء (١٨ ق هـ ١١ هـ = ٦٠٥ ـ ٦٣٢ م).

فاطمة بنت رسول الله محمد (ص) بن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد. من نابهات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات. تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» في الثامنة عشرة من عمرها، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب. وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. وهي أول من جُعل له النعش في الإسلام، عملته لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رأته يصنع في بلاد الحبشة، ولفاطمة ١٨ حديثاً.

الأعلام ٥/ ١٣٢، وطبقات ابن سعد ٨/ ١١ ـ ٢٠، والإصابة كتاب النساء ت ٨٣٠، وصفة الصفوة ٢/ ٣.

إشارة: أمسك عليك لسانك قبل أن يختم عليك بغير إذنك فتقوم ألسنة منك كثيرة بلغة تفهم عنها ما تقول.

إشارة: ما من نور إلا في مقابلة ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها والأنوار متميزة وكذلك الظلم ما من شيء إلا له مقابل.

باب ترجمة وأن إلى ربك المنتهى

إشارة: إلى الحق انتهاؤك فإن عليه صلاحك وعظيم صلاحك حفظ وجودك وحفظ وجودك باعتدالك واعتدالك بحفظ الحق وبيده فأنت راجع إليه.

لطيفة: لا يحجبك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] فتقول ليس هو معي في البداية بل هو معك في البداية وفي طريقك إليه وإليه نهايتك لكن تختلف أفعاله فيك وهي اختلاف أحوالك ففي البداية يسويك وفي الطريق يهديك وفي الغاية يملك ويخلع عليك خلعة الخلافة فلما كان المنتهى المطلب ذلك قال ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢].

إشارة: من اعتز بالحق سعد ومن اعتز بغيره شقيْ وإن نصر في الوقت.

لطيفة: ضرب الحق حجابه بينه وبين كل من رأى اسمه عليه في حضرته.

باب ترجمة العالم

إشارة: خف من له الاقتدار على نفوذ الحكم.

إشارة: كتابه علمه وله تنفيذ الحكم فيك وفي الخلق فما حكم عليك به فأنت له.

لطيفة: قبل الملك ما أعطاه اللوح وقبل اللوح ما جرى به القلم وجرى القلم بتصريف اليمين وتصريف اليمين سلطان الإرادة وسلطان الإرادة ترجمان القول وأنفق الكل من خزانة العلم والعلم الحق والحق العلم.

باب ترجمة العناية

إشارة: إذا كنت للحق لم تعرف وإذا لم تعرف لم يدر القادم على ما يقدم منك فتكون محفوظ الذات.

إشارة: إذا كنت بالحق لم تتطرق إليك أيدي العداة فإنك تحت حياطة العزة.

لطيفة: من كان لغير الحق فقد يكون بالحق وبغير الحق وإذا كان بالحق فقد يكون صاحب عقد أو صاحب حال فإذا كان صاحب عقد فنوره مدخر عند الحق إلى يوم القيامة وإذا كان صاحب عقد وحال فهو على نور من ربه وادخر له نور أعلى من نوره وإن لم يكن بالحق فله الظلمة لا تغتر بنور الشبهات في صدره فإنها مثل السراج تطفئها الرياح و الأنفاس.

إشارة: مذلة للولي في الدنيا ليس بذل فإنها مشاهدة عن الحق في قلوبهم وإنما ذلك تصفية وحكم الموطن.

باب ترجمة القضاء

إشارة: لا تسأل فإن السؤال لا يبدل ما كتب إلا أن يكون السؤال مما كتب فقف عليه في الكتاب فحينئذ تسأله على بصيرة قال عز وجل: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

إشارة: إن لم تعرف ما يراد بك فلماذا تنتسب إلى الحق وأين العناية التي حصلت لك بالمجاورة.

إشارة: العباد في قبضة الحق قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود: ٥٦] لما هي مصرفه فيه فالكل في قبضته من قضائه وفي قضائه.

إشارة: قدرت المقادير ووزنت الموازين ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] فمن سأله ما خرج من قضائه ومن لم يسأله ما خرج من قضائه.

باب ترجمة المنة

إشارة: حجاب العزة لا يرفع ولا يمكن أن يرفع وآخر حجاب يرفع رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن كما جاء الخبر عن النبي ﷺ.

لطيفة: رؤيتك للحق حجاب عليك من الحق.

إشارة: وما يعرف المؤمنون أنهم رأوا الحق حتى يرجعوا إلى قصورهم ضابطين لما رأوه والحق لا ينحصر فينضبط فهناك يعرف العارف من رأى.

إشارة: لا يرى من ليس كمثله شيء إلا من ليس كمثله شيء قاله أبو طالب المكي رحمة الله عليه.

إشارة: رؤيتك للحق مشهود وشاهد فالحق المشهود والشاهد ما حصل عندك من رؤيته وهو الذي ينقلب معك.

إشارة: رؤية القلوب على قدر صفائها ونورها ورؤية الأبصار على مقدار قلوبها فالبصر أتم ولهذا كان الغاية رؤية البصر ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤] بالبصيرة ترى الحق في الدنيا وبالبصر تراه في الآخرة وأنت تصير إلى الأعلى فرؤية البصر أعلى.

باب ترجمة العبادة

لطيفة: للحق ذكر ودعاء وللخلق ذكر ودعاء فإن ذكرت الحق ذكرك وإن قلت له يا رب قال لك يا عبد وإن قلت له اعطني قال لك اعطني فاختر الذكر أو الدعاء،

الدعاء قوله ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] والذكر قوله ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

إشارة: الدعاء عبادة والذكر سيادة فمن دعاه وصل إليه ومن ذكره فهو عنده أنا جليس من ذكرني(١).

إشارة: الدعاء نداء والنداء عين البعد.

إشارة: لنفسك عليك حق ولعقلك عليك حق فاذكر الحق لعقلك وادعه لنفسك بالجنة لا له.

لطيفة: لولا الشاردون من بابه ما أرسلت الرسل يمسكون عليهم الطرق حتى يرجعوا إلى الحق الشارد هو الفار من النور إلى الظلمة.

باب ترجمة الغيب

إشارة: عين الوجه لا يدرك إلا بعد نفوذ سبع طباق المشيمة(٢) والصلبة والشبكية والعنكبوتية والعنبية والقرنية(٣) والملتحمة(٤) ـ قال الحكماء فهذه طبقات العين وهو من ورائها محفوظ بها فكذلك عين القلب تنفذ بسبع طباق مثل البصر فالمشيمة كونه والصلبة وصفه والشبكية تعلقه والعنكبوتية تداخل الخواطر عليه والعنبية تخليصه والقرنية زمانه والملتحمة وصلته بمن عرف فإذا نفذ هذه الطباق وتصفح هذه الأوراق حينئذ ينفذ إلى أول منزل من منازل الغيب وهو منزل الضياء.

إشارة: عين القلب وإن اعطى العلم فلا يزال خلف الحجاب حتى يؤيده البصر.

لطيفة: في الحس سر في الخلق لم يطلع الله عليه إلا المصطفين من عباده.

باب ترجمة الوفاء

إشارة: من ترك حقاً له عند الحق في الدنيا ليأخذه منه في الآخرة فما تركه ومن ترك حقاً له لا ليأخذه منه فقد عاند.

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقال ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] فللعبد على الحق حق وللحق على العبد حق.

(١) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٣٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٨٧)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٢٤).
(٢) المشيمة: ظاهر الغشاء الذي يكون فيه الجنين في البطن، ويخرج معه عند الولادة (ج) مشايم.
(٣) القرنية: الجزء الأمامي الشفاف من جدار مقلة العين.
(٤) الملتحمة: الغشاء الباطني لجفن العين.

باب ترجمة الفهوم

إشارة: ليس مع المشاهدة فهم.

لطيفة: الفهم يريد العجب والعجب يريد الكبرياء والكبرياء رداء الحق فمن تردى به قصم.

إشارة: سله الفهم فإنه يناجيك.

لطيفة: الفهم تفتيش والتفتيش تبديد والتبديد لا يكون إلا في أسماء والأغيار كما أن الحيرة لا تكون إلا فيمن لا يتكيف.

إشارة: ليس العجب من طلب كيفية من لم يعرف وإنما العجب من أين علم أن ثم كيفية.

لطيفة: الحق له حقيقة ولا تحد.

باب ترجمة التوقيع

إشارة: توقيع الربوبية تخضع تحت سلطانه لطائف الأرواح.

تنبيه: قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

إشارة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] لولا انتظار الآمال ما فرح بالتوقيعات.

إشارة: توقيع روح القدس يخالف توقيع الكون.

باب ترجمة التسخير

لطيفة: الحق يطلب الإنسان والمقامات تطلبه وهو لمن أجاب.

إشارة: الإنسان محجوب عن الحق في الأحوال مشهود له في المقامات.

لطيفة: المقام يحجبك إن نظرته في الحق أو نظرت الحق فيه قالت الملائكة ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] وكذلك كل موجود.

لطيفة: الحال مهلكة والمقام منج غير أن الدعوى في المقام مهلك والدعوى في الحال غير مأخوذ بها صاحبها.

إشارة: كن في الحال يكن الحق معك ولا تكن في المقام تكن مع نفسك.

إشارة: صاحب الحال سكران ويصحو ومن صحى شهد على نفسه بالتغيير وصاحب المقام ينتقل فهو مثله فالحجاب موجود على كل حال ورجه.

باب ترجمة السلب والتنزية

إشارة: لا أقول لك تجرد عن هيكلك ولا انسلخ من ظلمتك ولا اسبح في بحار سجات روحانيتك ولا جل في ميادين التقديس لترى الحق أو يهب عليك نسيم جود مشاهدته أو اجعل ذلك تعرضا لنفحاته لا أفعل ذلك مطلقاً فإن فيه نسبة عجز وتعظيم كون في جناب الحق والحق لا يقاومه شيء فمتى سمعت داعي الحق إلى مقام ما فاعلم أنه معك في المقام الذي يدعوك منه فلا يحجبنك الخطاب بالدعاء عن وجوده فيما عندك.

لطيفة: روح القدس تطلب الحق على عزيته عندك كما تطلبه أنت على حبسك في ظلمة هيكلك فالكل عاجز وليست رؤيته في نور القدس عند المحقق بأظهر ولا أوضح من رؤيته في ظلمة الطين.

لطيفة: الحق لا يعزب عنه شيء فهو مع كل شيء فلا يعزب هو عن كل شيء.

باب ترجمة القدرة

إشارة: إذا تنفلت بالخيرات أشهدك أنه كأن يدك عند البطش وسمعك عند الاستماع وبصرك عند النظر فهو السميع البصير الباطش فالعناية بك في كشفك ذلك.

إشارة: الوضعيات لا تؤثر في الحقائق وهي من الحقائق.

لطيفة: هو القائل اخسئوا فيها وهو القائل ادخلوا الجنة فاشتركا في سمع الكلام فليس المطلوب سماع الكلام.

إشارة: من تجرد عن غرضه أمن سطوة مرضه.

باب ترجمة الذكر

إشارة: من أحب الحق وغار عليه فهو مع حبه لا مع الحق، العارف لا يغير على الحق بل يعشقه إلى عباده ويحببه إليهم.

إشارة: من غار على الحق من نفسه فما عرف نفسه فما عرف ربه.

لطيفة: الكون يحجبه المذكور عن الذكر والذكر عن المذكور والحق يذكرك مع مشاهدته إياك فثبت أنه ليس كمثله شيء.

إشارة: لا تغره عليه ولكن غره له.

لطيفة: لا يحجب بالغيرة إلا من ادعى المعرفة فمن لم يدع المعرفة فرعاً قرب على غيرته وبرهان التقريب رفع الغيرة عنه عند الرجوع إلى نفسه.

باب ترجمة المحبة

إشارة: كل محب مشتاق ولو كان موصولاً.

لطيفة: إذا دعيت الأسرار بلسان الأمر أدبرت للعزة التي هي عليها وإذا دعيت بلسان اللطف من غير أمر أقبلت فقيرة إلا المحبون العارفون فإنهم يقبلون عند كل دعاء يقول حاجب الباب حي على الصلاة فيقول المحب وعيت لما فيه قرة عيني ويقول الغير جاء التكليف.

لطيفة: ما دعي الخلق من باب الحب ولكن من باب الجود على الأسماء حتى تظهر حقائقها فهو حب للأسماء جود للعين.

باب ترجمة الصرف

إشارة: من طلب العلم طلب الحجاب إلا من طلبه من باب العين ومن ترك العلم فهو جاهل.

إشارة: من قال: الرؤية تابعة للعلم كأبي حامد، فقل له: العلم تعلق بالوجود وما ضبط غيره والرؤية تعلقت بالموجود لا من كونه موجوداً والعلم لا يضبط ذلك فكيف تكون الرؤية تابعة للعلم.

لطيفة: من قال لك: لا تبرح من العلم فقد قتلك بسيف الأبد.

إشارة: قالت طائفة العلم حجاب وذلك لأنه يعمر منك ما ينبغي أن تفرغه للرؤية فلا تتعلم أي لا تقف مع العلم.

لطيفة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] علم العين وهو الحاصل عن الدليل إذا علمت فلا يخلو علمك بالحق أو يستوي الحق تعلقه بالحق محال، تعلقه بالسوى حجاب، فأنت بعيد مع العلم على كل حال.

إشارة: العلم ليل لا صبح له ومن قطع المفاوز في الظلمات وهو غير خريت زاد تيها على تيه، الدليل للعلم يطلب معلومه وذات الحق لا تعلم فليس عندك ما تطلبه.

إشارة: لو كانت الرؤية نتيجة العلم لكانت كسباً والرؤية من عين المنة الأولى والجود المطلق.

باب ترجمة النوراني

إشارة: الرؤية حجاب وكانت الدار حجاباً فإنها ظلمة والظلمة حجاب.

إشارة: ظل والرؤية ضياء فالناس بين ظل وضياء فإنهم بين حق وخلق إنه نوراني يرى أي حجاب دون الأبصار فكيف يرى الأبصار.

باب ترجمة قدر القرب

إشارة: الحق أقرب إليك منك إليك وهو القريب البعيد خرج رجال الحق يسمعون منه وله خطاب أمر وخطاب ابتلاء فامتثل خطاب الأمر وأقبل خطاب الابتلاء من غير امتثال واسجد عند الخطابين سجود شكر وسجود إقالة.

إشارة: المقدار منك ظهر وإليك يعود فلا تنسبه إلا إليك تصب.

باب ترجمة الاستفهام

إشارة: الاستفهام عن الإنية يؤذن بالمكر والاستفهام عن الإنيتين يؤذن بالاستدراج والاستدراج من حيث لا تعلم والمكر من حيث لا تشعر وترك السؤال يؤذن بالبعد فأين الراحة.

باب ترجمة الجزاء

إشارة: نعتك مردود عليك وعلى ما تكون مع الحق يكون معك.

باب ترجمة الهادي

إشارة: الحيرة قبل الوصول والحيرة في الوصول والحيرة في الرجوع كيف لا تحار العقول والأسرار فيمن لا تقيده البصائر والأبصار.

إشارة: لو جلى الحق نفسك لك لحرت.

لطيفة: الواصل إليه من لا يصل إليه.

إشارة: عين روح القدس دعي منه ليصل إلى نفسه عسى تجد الحق عند وجوده في السراب فطف في بحار غيبه وتوعرت عليه المسالك وتداخلت عليه الطرق تداخل خيوط الرقم في ظاهر الثوب فاستغاث بالإقالة عن طلب المعرفة فأجاب الاسم المغيث يا هذا فيك بهت ولم تقو على مشاهدتك لك فتأدب ولا تطلب ما لا يمكن تحصيله.

باب ترجمة الحجاب

إشارة: الحجاب في الحجاب لأن عيونهم ناظرة إلى من يطلب الدخول.

لطيفة: الرسل حجاب بين يدي الحق دعاة إليه فمن أجابهم دخل فخلع عليه خلعة الحجابة(١) والوفادة(٢) والسقاية(٣) فهو يدعو القلوب خاصة والرسل حجبة تدعوا

---

(١) الحجابة: حرفة الحاجب.

(٢) الرفادة وليست الوفادة: هي ما كانت تخرجه قريش من أموالها في الجاهلية لإطعام الحجّاج في موسم الحج.

(٣) السقاية: حرفه السَّقَّاء. وسقاية الحاجّ: سقيهم الشراب، وكانت من مآثر قريش.

القلوب والجوارح والملائكة حجبة بين يدي الحق والرسل والأنبياء حجبة لذواتهم.

إشارة: الحجاب لا يؤذن بالعذاب في آخرة إلا في حق من طلب الرؤية فحرمها.

لطيفة: من شرط الالتذاذ بالرؤية المعرفة الرؤية التي يجتمع فيها المنافق والمؤمن لا تكون معها المعرفة لا تقع بها اللذة ولا التشريف.

باب ترجمة معرفة الرداء

إشارة: الخليفة نائب الحق في خلقه فلذلك تظهر صفاته ليس العجب مما قلت فهكذا خلقك وإنما العجب منك كيف لا تعرف ذلك ليس العجب منك كيف لا تعرف ذلك وإنما العجب كيف أقول لك كيف لا تعرف ذلك والحق ما عرفك وأنت لا تعرف حتى يعرفك.

لطيفة: الرداء والإزار فمن خلعا عليه معاً فهو النائب والخليفة من كان رداء فهو سعيد ومن كان إزاراً فهو شقي.

إشارة: من عرف الحق قبل نفسه لم يعرفه حقاً لكن عرفه ذاتاً.

لطيفة: لولا الألوهية لما تنوعت التجليات.

لطيفة: التنوعات حقائق الأحكام فما ثم وثم.

والحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتاب منزل القطب ومقامه وحاله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي وآله وسلم تسليماً

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

اعلموا وفقكم الله أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه جعل منزل القطب من الحضرة منزل السر وهجيره من الأسماء الإله ثم جعل منزل الإمام الذي عن يسار القطب منزل الجلال والأنس وله الاسم الرب فله صلاح العالم والنبات وعنده سر البعدية وبيده المقاليد وهو السيد الطاهر في العالم وهو سيف الإمام القطب ثم جعل منزل الإمام الذي عن يمين القطب منزل الجمال والهيبة وله الملك والسلطان بالمقام لا بالفعل وبيده مقاليد عالم الأرواح المجردين عن الصور المسخرين وكيف هيأتهم في الحضرة الإلهية أن القطب وجه بلا قفاء قال ﷺ «إني أراكم من وراء ظهري»[1] فأثبت الظهر حكماً على المادة ونفى حقيقته بوجود النظر منه وجعل الوراء إثباتاً لفقدهم وجعل إمام اليسار ذا وجهين وجه مركب وهو ما يقابل به العالم ووجه بسيط وهو ما يقابل به القطب وجعل إمام اليمين ذا وجه واحد واقفاً ثم غيبه عن الشعور بقفاه فلو سئل لقال إنه وجه بلا قفاء وقد بينا منزل الإمامين في الفلك القلبي من كتاب مواقع النجوم ونحن نتكلم إن شاء الله في هذا الباب على منزل القطب والإمامين بما يليق من هذا الكتاب.

منزل القطب ومقامه وحاله

القطب مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق، عليه مدار العالم له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق بالخير والشر على حد واحد لا يترجح واحد على صاحبه وهو عنده لا خير ولا شر ولكن وجود ويظهر كونها خيراً وشراً في المحل القابل لها بحكم

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٠٣، ١٢٥، ٢٢٩)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ١٨٢)، وابن حجر في (فتح الباري ٢/ ٢٠٨ ـ ٢١١)، والسيوطي في (الدر المنثور ٥/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وابن عبد البر في (التمهيد ٩/ ١٨٨)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١/ ٣٥١)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٣٦٥)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٨٢).

الوضع عند أهل السنة وبالعرض والعقل عند بعض العقلاء قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨] وضعاً صحيحاً من سر الآلهي ثم ظهرت الجنة والنار وجميع النسبة في الوجود نظير الحضرة الذاتية الآلهية ومنها قوله تعالى والله باسم الذات الجامع يقبض ويبسط وبيده المنع والعطاء وعلى التحقيق الذي لا خفاء به عند المحققين أن ما ثم منع البتة بل عطاء سرمد لا ينقطع وفيض دائم وإنما المنع في الوجوب الإلهي الذي أطلق عليه لأمرين، الواحد أن المعطون ليس من حقائقهم أن يقبلوا العطايا كلها في الزمن الواحد لكن يقبلوا بعضها فعدم القبول للبعض سميناه منعاً إلهياً إذ قضية العقل عند من يعتد بهم عقولهم يعطى إن لو شاء لأعطى الممنوع الممنوع له في الزمن الذي منعه إياه وهذا صحيح ولكن لو حرف مشوم ما اقترن قط إلا بما لا يكون قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤] ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣].

وأما الأمر الذي لأجله سمي مانعاً وليس بمانع وذلك أن العقول تقصر عن درك بعض ماهيات الموجودات فإن الحدود الذاتية عسيرة المنال وأكثر العقول إنما تعرف الأشياء بالحدود الرسمية واللفظية فأفاض الحق جوده على الأشياء فيضاً مطلقاً كفيض الشمس نورها على الأرض للمبصرين فاختلف القبول لاختلاف المجال لا أن النور مختلف ولكن قبول الأجسام الصقيلة له ليس كقبول الأجسام الدرنة.

وأما من هو في كن فليس له إلا ضد النور وهو عطاء أيضاً فيصف المنع هذا المحروم الممنوع للحق وهو الذي حجب نفسه إما بحقيقته وإما بعرض مثل الفعل والكن والران والضد أو غير ذلك من العوارض التي يمكن زوالها ولكنه مدركه لحجبها إدراكاً صحيحاً ولسوقها إلى غير حجبها سميت ممنوعة مما تشوقت إليه فمنزل القطب حضرة الايجاد الصرف فهو الخلفية ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم وحاله الحالة العامية لا يتقيد بحاله تخصيص فإنه الستر العام في الوجود وبيده خزائن الجود والحق له متجل على الدوام.

ولهذا قال الصديق: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، وله من البلاد مكة ولو سكن حيث ما سكن بجسمه فإنه محله مكة ليس إلا ولا بد لكل قطب عندما يلي مرتبة القطبية أن يبايعه كل سر وحيوان وجماد ما عدا الإنس والجان إلا القليل منهم فقد صنفنا في هذه البيعة وكيفية انعقادها كتاباً كبيراً سميناه كتاب مبايعة القطب في حضرة القرب.

فالإسرار إليه منصة إذا كان المحبوب يعرفه كل شيء فكيف القطب الذي توقفت عليه حوائج العالم من أوله إلى آخره قال عليه السلام إذا أحب الله عبداً أخبر به حملة العرش وأمر جبريل أن ينادي في السموات باسم ذلك العبد حتى يعرفوه ويحبوه ثم

يوضع له القبول في الأرض[١] ولهذا رأيت من رأى الحية العظيمة التي طوق الله بها جبل قاف المحيط بالأرض وقد اجتمع رأسها مع ذنبها فسلم عليها فردت عليه السلام ثم سألته عن الشيخ أبي مدين الكائن بجابية من بلاد المغرب فقال لها: وأنى لك بمعرفة أبي مدين فقالت وهل على وجه الأرض أحد لا يعرفه إن الله تعالى منذ وضع اسمه على الأرض ما بقي منا أحد إلا عرفه هذا حال المحبوب فكيف حال القطب الذي هذا المحبوب حسنة من حسناته وبه صلاح العالم وإليه ينظر الحق في الوجود ونرجو إن شاء الله عن قريب يظهر عنه للخاص والعام فالزموا طريقته وعضوا عليه بالنواجذ[٢].

وسأل بعض العارفين عارفاً آخر وأنا حاضر بمدينة فاس عن شخص الوقت هل هو الآن موجود أم لا؟ فقال المسؤول: لا ولكنه ينتظر فعرفنا قصوره وقلت ما عنده من معرفة سر الله المبثوث في العالم شيء فلو علم أن القطب صاحب الوقت ما من يهودي ولا نصراني ولا نحلة من النحل وملة من الملل إلا ونفسها صبه إليه محبة فيه للسر المودع عنده وإنما تنكر الاشخاص للجنسية وهي الفتنة الإلهية قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] وقال: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧] وقال: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] فهم ينظرون ظاهره إنكاراً يؤدي إلى الموت وهم يعشقونه بأسرارهم ولكن ليس لهم علم بأن هذا الشخص المطرود هو الذي عنده السر الذي تعشقوا به، ولهذا كان عليه السلام يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون[٣]، وهكذا يقول المحمدي منا حين قال من نزل عن هذه المرتبة ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وهكذا يقول من ورث غير المحمدي منا فالقطب يتعجب ممن يقاتله عليه فإن السر الذي قاتل الكفار عليه الأنبياء وذبوا عنه هو الذي جاءت به الأنبياء واتصفت به فلما كان الظاهر ضيقاً لأنه طرف قرن الصور انضغط العالم فيه فحارت الأسرار لذلك الانضغاط فلو انفسحت انفساح الملائكة لنظرت إلى الحق وهي مشتركة فالأقطاب متفاضلون في هذه المرتبة قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فأكمل الاقطاب المحمدي وكل من نزل عنه فعلى قدر من ورث فمنهم عيسويون وموسويون وإبراهيميون ويوسفيون ونوحيون وكل قطب ينزل على حد من ورثة من الأنبياء والكل في مشكاة[٤] محمد عليه السلام الأمر الجامع للكل وهم

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٣١٠، ٩/ ٦١٠)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٠٨)، وعبد الرزاق في (المصنف ١٩٦٧٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال، ٢٩١٢، ٣٠٧٦١).

(٢) النواجذ: (ج) الناجذ: الضرس أو ضرس الحلُم يقال: ضحك حتى بدت نواجذه؛ أي: استغرق في الضحك، وبالغ فيه. ويقال: عَضُّوا عليه بالنواجذ؛ أي: حرصوا عليه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) المِشْكاةُ: كل كوة غير نافذة. و ـ: ما يُحمل عليه أو يوضع فيه القنديل أو المصباح.

المتفاضلون في المعارف غير المتفاضلين في نفس القطبية وتدبير الوجود فإن هذه الدورة المحمدية الذي الولي فيها نبي ليست مثل الدورة الترابية فإن الدورة الترابية كان يوجد في الزمان الواحدنيين وثلاثة وأكثر، كل شخص لطائفة مخصوصة كإبراهيم ولوط في وقت واحد في تلك الدورة تقتضي ذلك بحقيقتها وهذه الدورة العلوية المحمدية ليست كذلك فإن الزمان قد استدار كأوله ولهذا قال عليه السلام: لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني[(١)]، وقال إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما[(٢)]. فليس الحكم كالحكم ولا الدورة كالدورة وقد تقدم الكلام في استدارة الزمان من هذا الكتاب ولهذا قال عليه السلام: إن عيسى وإن كان نبياً فإنه يؤمنا منا لأمته ويكون من جملة أولياء هذه الأمة فقد جمع ﷺ بين النبوة في دورته والولاية في دورتنا فله حشران.

فإذا قلت فيه ولي فالصديق خلفه وغيره وإذا قلت عليه السلام إنه نبي رسول فالصديق أمامه وغيره فما أعجب معرفة الحقائق وهكذا الناس وكل رسول أدرك محمداً بهذه المثابة ولهذا قال ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فكانا للناس مثل النبي للناس ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي خياراً لتكونوا شهداء على الناس ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فجعل حكمنا ومنزلتنا في غيرنا من الأمم منزلة الرسول منا فنحن في حقهم رسل ولهذا قال عليه السلام: علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم[(٣)]. في هذه المنزلة والمرتبة وكما يحشر كل نبي مع أمته كذلك يحشر كل قطب مع أهل زمانه صالحيهم وطالحيهم وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بمحمد ﷺ أن الرسول يحشر جري الحكم لاقترانه أنه بطائفة مخصوصة والقطب منا ليس كذلك فإنه عام جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر وإن كان ورثه عيسوياً أو موسوياً فلا يقدح ذلك فيه فإنه من مشكاة محمدية فله المقام الأعم وقد نبه عليه ﷺ فقال عن طائفة ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون للبركة المحمدية التي نالتهم من المقام الاعم وسيأتي إن شاء الله من هذا الكتاب أبواب كثيرة من أحوال الأقطاب وتفاضلهم في المنازل مستوفى إن شاء الله تعالى، وبين أيدينا اليوم تلميذ يخدمنا أرجو

(١) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ٨٣، ٢٩٢).
(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الإمارة)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٨/ ١٤٤)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٣٦٧٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ١٩٨)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١/ ٢٣٩)، وصاحب (ميزان الاعتدال ٣١٤٢، ٦٧٠٨، ٧٦٤٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٨٠٧)، والزبيدي في (الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢١٩)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٤/ ٤٣)، وابن حجر في (لسان الميزان ٤/ ١٣٢٩)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٣١٤٢، ٦٧٠٨)، (أزهر ٣٠).
(٣) أخرجه الألباني في (السلسلة الضعيفة ٦٦٦)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠) وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٤٧)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٨٣) والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٧٨٦)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٣).

أن يكون منهم من أكابرهم وقد بشرنا بذلك وأما مناجاة هذا المنزل المبارك فأنا أذكرها وحينئذ اذكر منزل الإمامين إن شاء الله من هذا الباب.

مناجاة هذا المنزل المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك تميمة الولهان لطارق الإنس والجان، فقل أعوذ بالإله الملك الرب من شر ما يغرا في القلب، حاك في الصدور، محدثات الأمور وسمة القلوب في طلب الغيوب بالسر الموهوب ذلكم حكم الله يحكم بينكم، يا أيها الناس أنتم ثلاثة أطباق هلال الطبقتين في محاق[١] وشمس الواحد في إشراق إن ربك هو الخلاق العليم، يصلح العالم بعلمه ويؤتي الملك بحكمه وينفرد الوسط وإن تأخر في المسطور بسر نظمه إن حكيم عليم سر الغيب والشهادة علم في رأسه نار يضيء للبصائر السليمة والأبصار، فالله يعلم ما يسرون وما يعلنون من جاء ثم حبس لم يزل في لبس من خلق جديد والله على كل شيء شهيد، ختمت اللهم بحق إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومحمد والحسن والحسين صلى الله عليهم أجمعين إلا ما شفيت صاحب هذه الأسماء وحاملها من كل داء وعصمته من شر كل شر يهجس في النفس وتجري به الرياح.

منزل الإمام الأكمل

الذي على يسار القطب بينه وبين منزل الاتحاد أن يموت القطب فينتقل السر إليه فإن الاتحاد للقطب فإن الإمام قد يموت في إمامته ويلي مكانه الإمام وينتقل واحد من الأربعة إلى مكانه الإمام الآخر وهكذا يتفق في الإمام الآخر ولهذا الإمام المسمى برب العالم وهو عبد الرب:

فـمـا قـاتـلـوا عـن ربـهـم وربـيـبـهـم   ولا آذنـوا جـاراً فـيـظـعـن سـالـمـا

فعبد الإله هو القطب وليس عند الله أحد البتة وهذا الإمام عبد الرب والإمام الآخر عبد الملك وأسماء بقية العبيد على حسب مقاماتهم فلهذا الإمام معرفة سر الأسرار وله التدبير الإلهي وله في العدد أسرار الإلهية لا يعرفها غيره ويختص هذا الإمام بعلم الصنعة المعشوقة ويعلم خواص الاحجار وهي عنده مكتمة وربما قد يحصل له من معرفة أسماء الانفعالات ما يكون منها حقيقياً وله في المحاربات والمكائد أمر عجيب وهو على النصف من عمره مع العالم وعلى النصف مع القطب أو الحق المخلوق على

(١) المحاق: آخر الشهر القمري حيث لا يظهر القمر، وقيل: ثلاث ليال من آخره أو أن يستسر القمر ليلتين فلا يُرى غدوة ولا عشية.

السواء إلى أن ينتقل إلى القطبية أو يموت وقد تظهر صولته في عالم الكون بالسيف وقد تظهر بالهمة على حسب ما سبق له في الأزل وهذا الإمام عنه تظهر أسرار المعاملات على هذه الهياكل الترابية وله خمسة أسرار، سر الثبات به يعلم حقائق الأمور وبه يدبر ويفصل ويولد ويزوج ويعبر على سر الرموزات وفك الطلسمات(١) وأصول الأشياء الظاهرة والباطنية والحقيقية وغير الحقيقية وله خرق السفينة وله إقامة الجدار وليس له قتل الغلام من حاله وكشفه فإن قتله يوماً ما فعن أمر القطب.

وأما السر الثاني من الخمسة فهو سر التمليك به يرحم الضعفاء وينجي الغرقى ويكسب المعدوم ويقوي الضعيف ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق ويجود على من أساء ويعفو عن الجرائم ويصفح ويقيل العثرات ويجمع بين المتعاشقين والوالدة وولدها وهو يطوي الطريق على القاصدين لما اشتاقوا إليه وما أعطته الحقيقة الرحمانية على عمومها من هذا السر ينبعث ظهوره في الوجود.

وأما السر الثالث فهو سر السيادة وبه يفتخر ويبدي حقيقته ويقول «أنا سيد ولد آدم» وإني أنا الله لا إله إلا أنا وسبحاني وما في الجبة إلا الله وما أعطته الحقيقة التي تظهر مكانته ورفعته فمن هذا السر.

وأما السر الرابع فهو سر الصلاح وعن هذا السر الذي له يحمل الخلق على المكاره التي فيها نجاتهم وتجنبهم عن الملذوذات التي فيها هلاكهم وبهذا السر يحول بين الولد ووالدته وبين المتعاشقين وإن تحابا واجتمعا لله وفي الله ويسعى في تفريق الشمل بين المخلوقات فإن هذا السر يعطيه بحقيقته أن الأشياء القلبية لم يخلق بعضها لبعض ولا يغيرها إلا الله فهو يردها إلى مقام التفريد إلى الله وهو الذي أريدت له ولذلك قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليعرفون ولم يقل وما خلقت الجن والإنس إلا ليأنس بعضهم ببعض ولا يتعشق بعضهم ببعض ولا يتعرف بعضهم أسرار بعض وإنما خلق المكلف من أجله فلا ينظر إلى غيره فبهذا السر يقطع الإمام القلوب عن غير الله ويردها إلى الله وما من حالة من هذه الأحوال إلا والناس يجدونها في نفوسهم ولا يعرفون من أين تنبعث ومعدنها قلب هذا الإمام فهو في حكمه على حسب السر الذي يقوم في حق الشخص المنظور إليه مما سبق في علم الله منه فيقم السر في قلب الإمام على ذلك وما أعطته الحقيقة التي فيها صلاح الخلق عن هذا السر ينبعث.

وأما السر الخامس فهو سر التغذية وبه ينزل المطر ويدر الضرع ويطيب الزرع

(١) الطلسمات: (ج) الطلسم: السرُّ المكتوم. و ـ: نقوش تُنقش على أجساد خاصة في أوقات مناسبة بكيفيات ملائمة لحوائج معلومة يزعمون أنها ترد الأذىٰ.

وتحدث الشهوات وتنضج الفواكه وتعذب المياه وبه تكون القوة تسري في أهل المجاهدات والمحاضرت حتى يواصلون الأيام الكثيرة من غير مشقة والسنين العديدة من غير التفات ولا ضرر وله تمد الحقيقة الإبراهمية والميكالية والمحمدية والإسرافيلية والجبريلية والآدمية والرضوانية والمالكية فإن مدار بقاء العالم على هذه الثمانية وسر بقاء العالم غذاؤه ولهذا الجوهر غذاؤه تجديد أغراضه على الدوام والتألي فمهما عري عنه زمناً فرداً عدمت عينه وبهذا السر غذاء الأغذية وقد ذكرناه في مواقع النجوم في بعض النسخ لأنا استدركناه في الكتاب وقد خرجت منه نسخ في العالم وما أعطته الحقيقة التي بها بقاء العالم ظاهراً وباطناً جسماً وروحاً ونفساً فعن هذا السر ينبعث فهذه خمسة أسرار يختص بها هذا الإمام واسمه عبد الرب.

وفي هذا المقام عاش الشيخ أبو مدين بتجانة إلى أن قرب موته بساعة أو ساعتين خلعت عليه خلعة القطبية ونزعت عنه خلعة هذا الإمامة وصار اسمه عبد الإله وانتقلت خلعته باسم عبد الرب إلى رجل ببغداد اسمه عبد الوهاب وكان الشيخ أبو مدين قد تطاول له بها رجل من بلاد خراسان مات الشيخ قطباً كبيراً وكان له من القرآن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وسيأتي الكلام على حاله عند ذكر أبواب الاقطاب من آخر الكتاب.

منزل الإمام الروحاني

الذي على يمين القطب اعلموا أن هذا الإمام صاحب حال لا صاحب مقام مشتغل بنفسه من جهة مالكه واسمه عبد الملك وإضافته إلى الخلق إضافة غير محضة متمكن القدم في الروحانية له علم السماء وليس عنده من علم الأرض خبر للملأ الأعلى به تعشق وله نشوف أكثر من الإمام الأول لقوة المناسبة وليس عنده سر إلا منهم ولذلك هو غير مخلص فإنهم رضي الله عنهم على ضربين محمول وغير محمول فالأول قائم بنفسه غير محمول وهذا محمود غير قائم واقف خلف حجب السبحات يرى نفسه وربه على حكم ربه لا على حكم نفسه بخلاف من نزل عن مرتبته فإنه يرى ربه على حكم نفسه وأوقاته مشغولة بما هو فيه فهو للقطب مرآة والآخر للقطب محل ومرآة.

وإن كان الأول حظه اللوح والقلم الأعلى فحظ هذا الثاني الإلقاء بما يناسب العلو وله سران سر العبودية وسر السيادة فبسر العبودية هو يسبح الليل والنهار لا يفتر فالتحق بالعباد المكرمين غير أن المقام فيه أمر سفلي فإن الأعداء نطقوا بأنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثاً فإضافتهم إلى الرحمٰن إضافة محضة خالصة ولهذا انسحب عليهم اسم الأنوثية فلو كانوا عباد الإله لغلبت عليهم الذكورية وعبد الملك من عباد الرحمٰن ولذلك هو منكحه للروحانيين تلقى إليه وتنزل فيه ولا يلقى إلى أحد ولا ينزل

في أحد فالأسرار والمعارف والعالم العلوي ينكحه وهو لا ينكح أحداً.

وكذلك كل روحاني من الملأ الأعلى إذا لم يكن لهم في العالم السفلي أثر فهم منكوحون غير ناكحين ومن كان منهم له عندنا أثر فهو منكوح وناكح فغلب عليه التنكير لأنه الأسبق والأشرف تقول العرب الفواطم وزيد خرجوا ولم تقل خرجن وإن كان التذكير واحداً والفواطم جماعة فالتغليب للذكر فتفهم هذا فإنها إشارة لطيفة دقيقة فعبد الملك مؤنث علوي صحيح الحال سعيد فارغ من الكون واقف بين يدي الحق وهو كان الغالب من حال صاحب محمد بن علي بن عبد الجبار النفري(١) صاحب المواقف(٢) فهذا قد ثبت في هذا الباب وقد تقدم الكلام في أول الكتاب على القطب وحقيقته ومنسبه ومصدره وأنه واحد على سر القطبية فانظره هناك.

محاضرة قطبية

في حضرة عينية كنت ببلاد المغرب بمدينة فاس وقد أنست من نفسي بعض إيناس بما استمرنت عليه من العوائد وذهلت في ذلك الحين عن مشاهدة المشاهدة فتنبهت فإذا بالكون قد أخذ بخناقي وشد أسري ووثاقي وأحاطت بي ذنوب الحجاب فقمت قائماً خلف الباب طوراً أقرع وطوراً أتسمع فإذا بالباب قد فتح ففرح صدري وشرح وإذا بالقطب واقف فتبسم وقال: ما يريد العارف فقلت: لي إلى ملائنا العلوي ارتياح لصفات ظهرت علينا قباح وأنا قد وقفت من سري على ما يكون من أمري وإنما غرضي لذة الحال واحد في الترحال.

وقد نظر في الملأ الأعلى بعين السخرية والازدراء فقال: اكتب عني ما يبدو لك مني فما زلت أنظر إليه والأسرار ترد علينا وما يريده القطب ماثل بين أيدينا فانشدته عنه في ذلك المشهد العيني والسر الربي فكأني بلسانه أتكلم وعن ضميره أترجم حتى أتيت على آخر النظم فأمرني بالكتم فكتبت الكتاب وسارت به الهمة على براق الصدق إلى أن حطت بالأحباب فعرفوا مقدارهم.

---

(١) النِّفَّري (توفي ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م).
محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري، أبو عبد الله. عالم بالدين، متصوف. نسبته إلى بلدة «نِفَّر» بين الكوفة والبصرة. من كتبه «المواقف» و«المخاطبات» كلاهما في التصوف.
الأعلام ٦/ ١٨٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٣، ومعجم البلدان ٨/ ٣٠٣.

(٢) المواقف في التصوف للنفري وهو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ وعليه شرح للتلمساني (عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله الأديبي الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠) وهو شرح بالقول في مجلد أوله الحمد لله رب العالمين.. الخ ابتدأ بشرح موقف العز. (كشف الظنون ٢/ ١٨٩١).

فصل

قال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون المصري[(١)] يقول لبعض من يزور أبا يزيد: قل لأبي يزيد إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت القافلة قال فخرج الرجل قاصداً لأبي يزيد وسلم عليه وقال له: ذو النون المصري يقرئك السلام ويقول لك إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة. فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون أن الرجل كل الرجل من ينام الليل كله فإذا أصبح أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة.

قال فرجع الرجل إلى ذي النون فأخبره فقال: هذا كلام لا تبلغه أحوالنا هنيئاً له هذا المنزل منزل عال شريف فيه أسرار عجيبة ومعان لطيفة القائم بهذا المنزل عبد الرب وهو الإمام الأكمل الذي تقدم فيه سر الصباح والظلام والذحول والنمائم والرموز والتحاسد سلوك أهل الطريق إلى الحق على طريقين طريق يسلكونها بأنفسهم وهو قوله من عرف نفسه عرف ربه وطريق يسلك بهم عليها وهذه حالة المرادين المنقطعين والأولى حالة المريدين والمنقطعين ومع هذا فكلا الفريقين سالك وإن سلك به ومثالهما في السفر الحسي سلوك المشاة في قطع المفازات وسلوك راكبي البحر ولهذا شبه بعضهم سير العمر بالإنسان براكب البحر قال قائلهم:

فسيرك يا هذا كسير سفينة ... بقوم قعود والقلاع تطير

فيظهر من كلام أبي يزيد أنه يريد هذا السفر بقوله أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة فدل كلامه على أنه طالب ما طلبت القافلة فزاد عليهم بالراحة والنعيم مثل الفقراء مع الأغنياء بنصف اليوم الذي يختصون به في نعيم الجنة ثم تقع الشركة بعد ذلك هذا هو الظاهر من كلام أبي يزيد ولكن له عندنا مدرك رفيع خلاف هذا مذكور في شرح أحواله في الكتاب الذي سميناه: مفتاح أقفال إلهام التوحيد فلينظر هناك ثم نرجع ونقول قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨، ٩] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١] وقال ما وسعني أرضي ولا سمائي وقد وسعني قلب عبدي وهذه بحور لا سواحل لها ولكن لا بد لنا أن نظهر منها قدر ما يليق بهذا الكتاب حتى نستوفيها على مقتضى ما تعطيه

---

(١) ذو النون المصري (توفي ٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م).
ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو الفيَّاض، أو أبو الفيض. أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر. نوبي الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة. فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها.
الأعلام ٢/ ١٠٢، ووفيات الأعيان ١/ ١٠١، وميزان الاعتدال ١/ ٣٣١، ولسان الميزان ٢/ ٤٣٧، وحلية ٩/ ٣٣١ ثم ١٠/ ٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣.

مرتبة هذا الكون إن شاء الله فاعلم أن القلوب التي اعتنى الله بها على ضربين قلوب غلب عليها الشوق وقلوب لم يغلب عليها الشوق فالقلوب التي لا شوق لها وصلت إلى شاهد علمها بسير من أنواع المعاملات وقنعت واطمأنت ولذا قيل للمطمئنة ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] وأين هذا المقام من قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥] ثم سدل الحجاب فقال كيف مد الظل فرده إليه فواحد يدعوه من نفسه الأضعف والأقوى والأكبر والأصغر والأعلى والأسفل والأشرف والأوضع، وجهان وجه يجتمع به مع ضده يدل على الله ووجه ينفرد به كل واحد عن صاحبه يدل به أيضاً على العلم بالله فالطرق وإن تنوعت وتشعبت فكلها منه انبعثت وإليه تعود كالخطوط الخارجة من نقطة الدائرة إلى المحيط.

فإذا تقرر هذا وتبين تشعب الطرق إليه فاعلم أيضاً أن له جل وعلا لكل طريق وجه لا يشبه الوجه الآخر كما لا يشبه الطريق فاختلفت إذن المعارف ولا تقول تضادت فصار كل متكلم عن الله بعد مشاهدة كانت منه إليه إنما ينطق عن حقيقة وقد خالف طريق صاحبه فاختلفت المشاهدة فتنوع المشهود فتنوعت العبارة فوقع الإنكار عند السامع المحجوب الذي ليس له مدخل في هذه الحقائق فسمع محققين قد اختلفا وكلاهما يقول: إن الله اريد بما أقول فيحمل السامع كلاهما على الجهل ويقول لا بد أن يكون الحق عند أحدهما.

أو ليس عندهما حق على حسب ما تعطيه القسمة في الانتشار أو الانحصار وكلاهما مصيب لا محالة عند المحقق العارف بالحضرة الإلهية فإذا ثبت هذا فقد تبين أن الساري إلى الحق والنائم في المنزل كلاهما سار وكلاهما عند الصباح واصل غير أن المشاهدة اختلفت إذ ليس طريق النوم طريق التعب كان عليه السلام يحمد على السراء بالمنعم المفضل وعلى الضراء يعلى كل حال والمحمود واحد من حيث الذات والمحمود مختلف من حيث الصفات والأسماء فإن الأسماء التي عينها تكون الذات ليست الصفة التي عينها تكون الالآم فلا وجود للصفات إلا بالذات فلا معنى للذات إلا بالصفات والأسماء، فإذا بالجملة يسلم لمن قال الحمد لله الراحم ويسلم لمن قال الرحمٰن ولهذا حق يرجع إليه فالأمر دقيق يعسر على الأفهام فأبو يزيد نام عاشقاً فاستيقظ ومحبوبه عند رأسه التي تطلبه القافلة والقافلة أصبحت فحطت عند مطلوبها في الوقت الذي استيقظ فيه أبو يزيد برفيقتين صحيحتين مختلفتين متماثلتين.

وقد ذكرنا هذا المقام مرموزاً في كتاب عنقاء مغرب[١] في مرجانة.

---

(١) كتاب «عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب» للشيخ محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ.
صنفه الشيخ في سنة ٦٣٢هـ تكلم فيه على مضاهاة الإنسان بالعالم على الإطلاق ونوى أن يجعل فيه ما =

حم عسق مناجاة هذا المنزل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رد لك حجاب الحق من طوارق الخلق وتمام الطواسم من سر الطلاسم إذا انفجر الصبح ودخل القمر في صورة الفتح فتعوذوا بالله من شره واسألوا أن يدرأ عنكم أليم ضيره وهو اللطيف الخبير ختمت ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الكتاب والحمد لله رب العالمين.

= أوضحه تارة ويخفيه أين يكون من هذه النسخة الإنسانية مقام المهدي، وأين يكون منها ختم لإنسانية الأولياء، فجعل هذا الكتاب لمعرفة هذين المقامين وشرحه بعضهم بعد الإشارة إلى شرحه في رؤياه شرحاً أوله الحمد لله الذي جعل المعاني أرواح الكلمات وهو القاسم بن أبي المفضل الشافعي المتوفى في ربيع الثاني سنة ٩٥٤هـ.

رسالة الانتصار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله وحده

هذه رسالة الانتصار في جواب ما سأل عنه عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن هبة الله كتب بها إليه الشيخ الإمام العالم العارف المحقق محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه.

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وعلى عبد اللطيف بن أحمد ابن البغدادي سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإني أحمد الله على ما ألهم وأن علمني ما لم أكن أعلمه وكان فضل الله عظيماً، وأصلي على الموروثة أسراره وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً، وقد أنهى إلي بعض الإخوان ممن يوثق بنقله ما جرى بينكم وبين الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشريف أنفاسي المعروف بالصيقال من السؤالات في طريق التصوف ابقى الله رسمه وتمم علينا نعمه فيه، فأخبرني أنه ما سألكم أبو عبد الله الشريف في مسألة إلا أجبتموه على غاية الاستيفاء والايضاح من طريقة القوم وكلامهم رضي الله عنهم ثم أخبرني أنكم سألتموه عن أسولة متعددة فما أجابكم عن واحد منها ثم رغب إليكم في الجواب عنها فما أدري هل تكلمتم عليها أم لا وهنا انتهى الخبر عندي، وأنا أعزكم الله وإن كنت لم ألق الشريف أبا عبد الله المذكور مجالسه ولا خبرته ممارسة لكن أخبرني غير واحد ممن أثق بنقله إن لأبي عبد الله المذكور باعاً متسعاً ومجالاً رحباً ولا أدري هل ذلك من ذوق أو نقل لكن والله أعلم على ما وصل إليّ من شاهد حاله أنه من أهل النقل وعجز الناقل في هذا الطريق لا ينظر فإن المسائل ذوقية والناقل حال ومع هذا فإنه يحتمل وقوفه عندي لأحد أربع موانع.

المانع الأول

من طريق الوقت والمكان وذلك المسائل في أنفسها عظيمة القدر إذ هي واردة من الحضرات الإلهية على قلوب أهل الصفاء والوجود، الكلام عليها لا يصلح في كل موطن على ما في علمكم حتى يوجد لذلك وقت وإخوان فربما حضر المجلس من لا يعرف طريقة القوم وإشاراتهم لعدم الذوق ومطالعة أغراضهم ومواظبة مجالسة شيوخهم

في أوقات ميعادهم فخاف على نفسه وعلى منكر يحضر المجلس فأمسك رحمة به لئلا ينكر فبهت ولولا ما اتبع موسى الخضر على شرط عن أمر إلهي لعاقبه على فعله كما تقرر حكمه في شريعته ألا تراه لما نسي الشرط وقع الإنكار والسؤال فلما نبهه عليه سكت موسى صلى الله عليهما حتى كان من أمرهما ما كان والخضر رأس أهل الطريق وسيد الطائفة فمبنى الطريق في القول والفعل على التسليم وهو قليل.

المانع الثاني

أراد التأدب معكم والتبرك بكلامكم وأخذ الفائدة منكم لسر تخيله فيكم أو علمه فتحصل الفائدة وتكون لنفسه مجاهدة إذ السكوت عن العلم مع القدرة على الكلام من اشق ما يجري على النفس.

المانع الثالث

إن الكلام في هذا الطريق إنما هو على الفتح الموهوب اللدني لا على النظر والبحث والتفتيش وإنما هي مرأى الهمم مجلوة مهيأة لتجلي الحكم وحصول المشاهدات فالقلوب إذا قامت بها الهمم صفت ونطقت فعلت فوصلت فأدركت فملكت فإن شاء تعالى وصلت وإن شاء أمسكت والصفاء أكرمكم الله يتفاضل على حسب الطريق فقد يوجد في هذا الطريق صاف وأصفى فإذا اجتمع رجلان من هذا الصنف في محل واحد صافياً وأصفى بحيث أن يكون الواحد مثلاً عنده من نور الصفا قدر نور الشمس وعند الآخر قدر نور بصر الخفاش فلا شك في مذهبنا أنه يعطى عليه بقوته ويمنعه من الكشف إذ النور عندنا حجاب لمن ضعف بصره والضعف نفس الوقوف معه اللهم إلا أن يحتجب عنه له بسحابة الرحمة والجود فيأتيه من حيث هو ويقتضي إدراكه عنه فحينئذ تقع بينهما المحادثة وهذا من الموانع العظيمة فقد يمكن أن يكون صمت الشريف من هنا.

المانع الرابع

أن يكون صمته من عجز وحصر فرب صاحب علم قد يعجز في مسائل من فروع علمه الذي هو سبيله وإذا كان هذا على هذا الحد فأراد العبد الفقير إلى الله تعالى وهو أحقر صوفي في المغرب وأقله سلوكاً وأنقصه فتحاً وأكثفه حجاباً مجاوبتكم فيما وصل إليه من سؤالاتكم لأبي عبد الله المذكور فوالله لو رأيت الواصلين منا إلى عين الحقيقة لفنيت في أول لمحة فناءك في الحق ففتح المغرب لا يجاريه فتح إذ حظه من الزمان الوجودي الليل وهو المقدم في الكتاب العزيز على النهار في كل موضع وفيه كان الإسراء للأنبياء وفيه تحصل الفوائد وفيه يكون تجلي الحق لعباده وهو زمان السكون

تحت مجاري الأقدار وهي الغاية. إذا السكون عدم الدعوى لا يبقى وجوداً ولا رسماً فالحمد لله الذي جعل فتح هذا المغرب فتح أسرار وغيره فلا تفتض أبكار الأسرار إلا عندنا ثم تطلع عليكم في مشرقكم ثيبات قد فرضن عدتهن فنكحتموهن بأفق المشرق فتساوينا في لذة النكاح وفزنا بلذة الافتضاض فارتفعت همة العبد الضعيف إلى إجابتكم عند ما دخل أحرار طريقتنا في خدور الصور والتقديس عن ملاحظات الخطاب ومحاورات الكلام وإن كنت عاصياً في الجواب على أصل الطريق فالسائل بدأ بذلك وجوابنا غيره على مغربنا ولذلك ركبت هذا الصعب المهم حتى لا أقعد في مقعد العين.

قال العبد: فلنقدم ما يجب أن يقدم بين يدي جوابنا فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، السؤال في هذا الطريق عند القوم رضي الله عنهم في معاني الأسرار على حد ما سألت لا يتصور أصلاً وإنما يتصور السؤال عنهم في المعاملات ونتائج المقامات على حد ما نوجهه عليكم من السؤالات في آخر المسألتين إن شاء الله وإنما قلنا لا يتصور السؤال في معاني الأسرار لما نذكره إن شاء الله وذلك أن شخصين من أهل هذا الطريق أهل الأذواق جمعهما محل واحد فلا يخلو أن يكونا في مقام واحد أو لا في مقام واحد وإذا لم يكونا في مقام واحد فلا يخلو أن يكون أحدهما دون الآخر أو فوقه وليس ثم قسم رابع وفي كل قسم ندعي أنه لا يتصور سؤال وعليه أتينا الطريق.

وذلك أنهما إذا كانا في مقام واحد فلا فائدة فيه لأنهما شربا من عين واحدة بكأس واحد وإذا قد تقرر هذا وكشف كل واحد منهما على صاحبه فلا يتصور أن يسأل أحدهما الآخر مع حصول العلم عند كل واحد منهما ذوقاً فسؤال أحدهما صاحبه عن أسرار ذلك المقام مع شهوده له فيه. هذيان وفضول إذ الصوفي ابن وقته فلا يشتغل فيه إلا بما هو أولى به لأن الوقت عزيز إذا فات لا يدرك.

وصاحب الهمة يريد أن يكون الوقت له وتحت ملكه فلا يتصور سؤال بين المتكافيين إلا على ما سنذكره فيما يأتي إن شاء الله، فإذا لم يكونا في مقام واحد وعدم التكافؤ فلا بد أن يكون أحدهما في دون الآخر أو فوقه فإن كان دونه وسأله فهو عندنا سوء أدب الطريق لأشياء يعرفها كل من دخله ولهذا نرى الشيوخ الراسخة أقدامهم فيها لا سبيل أن يتكلموا السائل على سر أصلاً لأن السائل لا يخلوا ما أن يكون مبتدئاً أمياً أو قد مارس العلوم وأخذ منها بطرف أعني؛ علوم الدرس والبحث والاجتهاد لا علوم الأذواق فكشفه إياها للمبتدي العامي حرام لأنه وضع الحكمة عند غير أهلها وأنها تزيده عمى وجهالة وتحصل لها في نفسه فائدة فإن أخذها بتحسين في يوم ما فربما ارتد فشنع عليك بها ورماك بأحجارك والطريق مجهولة والإنكار أسرع إليها من السهم إلى منتهاه.

وإن كان السائل كما ذكرنا فهو لا يقبل شيئاً على التسليم إلا بدليل ولما كانت

علوم أذواق وعسر الدليل عليها لم يبق إلا أن يدل على أن القائل بهذه العلوم ولي قد أُوتي الحكمة وإقامة الدليل على تصحيح مسألة من مسائل الطريق أقرب وأيسر من إثبات الولاية لشخص على التعيين إذ المخبر عن الحق بالعصمة المقطوع بها على صدقه قد فقد وهو الرسول عليه السلام فما بقي لنا إلا تحسين الظن بالله في عباده عند ظهور الطاعة منهم ولزوم التقوى وتخيل الولاية فيمن هو على هذا الوصف من غير قطع بها فلا دليل لهم رضي الله عنهم في مسائلهم على التعيين إلا على العموم مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] لكن من هو هذا من أو بأي دليل أخرجه من التنكير إلى التعريف مع أنا نعلم أن لله أولياء يلهمهم أسراره ويهبهم حكمه ولكن متى ادعاها إنسان اتهم ويتهمه الخارج عن طريقته أصلاً ومقامه فرعاً فتعين الشخص عسير جداً ولو انخرقت له العادات فما ظنك بشيخ ربما قد ارتقى عن منازل خرق العادات البشرية الحسية وانتقل إلى خرق عوائد الأسرار التي لا يعرفها إلا من هو في حزبه كيف يكون حاله مع هذا السائل له وأكثر تبيين مسائلهم بالأمثلة أو الاستروواح من الكتاب والسنة على صناعة التأويل والاعتبار وأما إن كان فوقه فسؤاله من دونه عناء ولا يتصور هذا منه لأن الأعلى عندنا متى ادعى له من دونه تحصل أسرار مقام ما فشاهد حاله يكذبه عنده أو يصدقه على هذا جرت الطريقة فسؤال من ذاق من لم يذق من سؤال العنين لذة النكاح.

اعتراض والانفكاك عنه

فإن قلت وفقك الله ينتقض عليك هذا بأنا وجدناهم يتكلمون بالأسرار السنية ويخاطب بها بعضهم بعضاً فنقول هذا لا يلزمني إلا إذا اعترضت بأن يقول يتصور الأسرار وتقيمون عليها الأدلة ثم تأخذ سراً من أسرار التصوف وتقول دليل هذا السر من العلم كذا وكذا ونبين به حقيقة السر عند السامع الخارج عن طريقك وحينئذ كان يصح اعتراضك.

وأما التحدث بالأسرار بينهم لا أنكره وأنه من باب التحدث بالنعم كرجلين أحضرهما الملك في بساط مشاهدته وارتاعا في رياض أنسه ثم انصرفا من عنده وقعدا يتحدثان بما شهداه في ذلك المجلس من محادثتهما للملك ومحادثته لهما وما عايناه في تلك الروضة من اطراد الأنهار وسمعاه من نغمات الأطيار واستنشقاه من نفحات طيب الأزهار وطعماه من فنون فواكه الثمار، فعلى هذا الوجه يكون التحدث بالأسرار بينهم لا على طلب وجه الدليل فهذا وفق الله الولي أنبئنا عليه الطريق على ما في كريم علمه.

تذكرة

ثم اذكر وليي بعد هذا فإن الذكرى تنفع المؤمنين وهو أن السؤال في هذا الطريق

له شرط عظيم أعني في موضع السؤال وحيث يجب كما تقدم وهو أن يكون السائل عارفاً بمقام المسألة وقدرها ومن أين صدرت ومن حظها من الحضرات الوجودية وعارفاً بقدر المسؤول عنها ومقامه منها فإن شهد للسائل حال المسؤول بمسألته حينئذ يسأله ليجمع بين قوله إن أمكن من النطق وبين حاله إذ قد تقرر في طريقتنا أنه متى ذاق الرجل شيئاً من مقامات هذا الطريق وحصل عنده تخلقاً فلا بد له من تأثير على ظاهره أصلاً فيسمون ذلك التأثير شاهد الحال وهو الصحيح الذي يعول عليه لا الفصاحة ولا الجعجعة ألسنا نشاهدهم عند قطع الأسباب والسكون تحت مجاري الأقدار والفرح بما يرد عليهم من الله تعالى من أنواع الآلام والعذاب لا يتغيرون هذا هو شاهد الحال لهم على قوة اليقين والرضاء والتسليم لمراد الله تعالى سواء ساء ذلك أم سر نفع أو ضر إنما هم يشاهدون القائل في الفعال فلا يرون إلا حسناً ولهذا نرى كل إنسان في هذه الطريقة يتكلم وليس كل إنسان يتصف فكان ينبغي لك أيها الولي الحميم، وإن كان سوء أدب مني في حقك لكنها معاتبة وغيرة مني عليك أن تنظر إلى شاهد حال من سألته فإن شهد لك حاله برسوخه في تلك المقامات التي سألته عنها ولم يكن من النطق فعذره مقبول وشاهد حاله فصيح وإن كان على غير ذلك وسألت من لا يحب سؤاله فقد لزمك الندم والاستغفار ووجبت لك التوبة مما أتيت به والتضرع بالإقالة مما عثرت فيه.

وعرف الولي عرفه الله ذنبه وجعل ممن أثر ربه إنما أنهي إلى من أسولتكم للشيخ أبي عبد الله سوى مسألتين المسألة الواحدة كيف يجمع بين قول رسول الله ﷺ من طلب الله وجده وبين قول أبي يزيد رضي الله عنه السالك مردود والطريق مسدود، وهذا كما لا يخفى عليكم فإن القائل بالوجه الواحد ليس هو القائل بالوجه الآخر ولا يصح تعارض كلامين ويطلب وجه الجمع بينهما أو بإبطال أحدهما حتى يكون القائل لهما واحداً أو يكون من شخصين تكلما عن مقام واحد في مسألة واحدة فيكون عين ما ثبته الأول عين ما نفاه الآخر أو يوهم اللفظ ذلك مسألتنا ليس فيها من هذه الشروط شيء.

والمسألة الثانية قول الحسين بن منصور[1]:

سقاني مثل ما يسقي كفعل الضيف بالضيف

ما معنى هذا البيت فتعين لي أن أجيبكم عن هاتين المسألتين اللتين صحتا عندي في مقام يرتضيه الوقت ويسلمه السامع وأعرج عن المراد في تحقيقها إلا لو وقعت المشافهة ثم بعد كلامي عليهما إن شاء الله أوجه على الولي في هاتين المسألتين خمسين سؤالاً أطلب جوابه عنها تبركاً بكلامه وتيمناً بخطه والله يمد الجميع من خزائن لطائفه بالإصابة إن شاء الله.

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٢/ ٢٦٠.

المسألة الأولى

سأل الولي تولاه الله: كيف يجمع بين قول الحبيب رسول الله ﷺ: من طلب الله وجده، وبين قول أبي يزيد رضي الله عنه: السالك مردود الطريق مسدود؟ قد تقدم ما وقفت عليه فنقول ينبغي أن لا يسأل عنه من شم من طريقة القوم رائحة، ولا من بدت له لائحة لقربه على الأفهام فإنه متى أمكن الجمع بين شيئين يظهر بينهما التعارض بوجه ما وبين حصل الغرض والمراد وقد يجتمعان من وجه ووجوه آخر خلاف ذلك لا يعرفها إلا من مارس العلوم ورسخ قدمه فيها ونحن الآن نجمع بينهما إن شاء الله بأيسر شيء في الطريق وستر ما فوقه وما هو أعلى منه وأغمض لعلو منصب أبي يزيد لا غير رضي الله عنه فإن النبي ﷺ ليس لنا سبيل إليه إلا بحكم الاتباع خاصة.

وأما غير ذلك من المقامات فلا، ونوجه على الولي وفقه الله بعد فراغنا من الكلام على هذه المسألة يتبين سؤالاً ولو شئنا بلغنا بها أكثر من ذلك لكن اقتصرنا على السؤالات التي تتعلق ببعض الظاهر منها وتركنا ما عدا ذلك لئلا يتعسر على الأفهام ويقال لنا من أين يلزم هذا السؤال وليس في ظاهر اللفظ ما يعطيه ولا ما شهد له فلذلك تركناها.

ووجه الجمع بينهما بالاستفضال وذلك أنا نقول قال رسول الله ﷺ: من طلب الله وجده هذا صحيح لكن قوله ﷺ من طلب الله يعني بالله أو بغيره إن كان بالله فضرورة أن يجده ومن طلبه بغيره كيف يصح أن يجده ومعنى وجوده إثبات التوحيد له في ذاته وفي صفاته وأفعاله والطالب له تعالى بنفسه لا يصح له هذا التوحيد فإن الاكتساب وإن أضيف له فهو مجاز فإنه لا يصح أن يطلب الله ويجده إلا الذي يطلب معرفته تعالى بفعله لأن طلب العبد الله تعالى إنما هو فعل من أفعال الله خلافاً لما يدعيه مخالفوا أهل الحق فإن وجود الحق في حق من طلبه به يجعل الواحد له كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء ومن تكون له إرادة فليس بميت ولا خرج من رق الدعوى والطالب له بنفسه من هذا القبيل نعوذ بالله لا أشرك به أحداً.

فإذا تقرر مفهوم هذا اللفظ فقول أبي يزيد رضي الله عنه: السالك مردود والطريق مسدود، يجتمع مع هذا الخبر الصدق ويكون هذا الكلام في حق الطالب نفسه لأنه لا يصح له وجود أبداً ونفس السلوك هو الطلب فلا فرق بين أن يقول طلب أو سلك فما دام السالك يثبت لنفسه سلوكاً من نفسه ومعنى هذا أنه يشاهد في سلوكه نفس سالكه بإرادتها اختياراً منها وغاب عنه في ذلك المقام أن الله آخذ بناصيته كما دل عليه النص والعقل فهو مردود، وعين سد الطريق دونه فقده لوجود التوحيد الذي ذكرناه لأنه كيف يصح أن يجده فاعلاً على الإطلاق والكمال وهو يجعل معه في ملكه فاعلاً غيره مثل المعتزلي وإن كان مسلماً مؤمناً فإنه طالب لله تعالى ومع كونه طالباً يضيف الطلب لنفسه

حقيقة وجميع أفعاله التي تحت اختياره، فانظر هل وجد الله من يكون سلوكه على هذا المنهج قط.

فإنما أراد أبو يزيد في ظاهر التصوف ما ذكرناه آنفاً، وأما في باطن التصوف عند التحقيق وفي أي مقام نطق بهذا الكلام وأي شيء كان المتجلى له في ذلك الوقت فليس هذا موضعه وقد اعتذرنا عنه وقد ظهرت المسألة بحمد الله تعالى وجمع بينها وبين كلام رسول الله ﷺ وبعدما تقرر هذا فإني أوجه على الولي وفقه الله في هذه المسألة ثلاثين سؤالاً.

الأول: لم خصص اسم الله في قوله من طلب الله دون غيره من الأسماء؟

الثاني: هذا الطلب كيف يكون مقيد المعنى أولاً مقيداً كقوله ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]؟

الثالث: ما سبب هذا الطلب؟

الرابع: هل هذا الطلب من المقامات المستصحبة أم لا؟

الخامس: الطلب في أي مقام يكون؟

السادس: قوله من طلب هل هو على حده من العموم أو يراد به الخصوص؟

السابع: الكلام في هذا الطلب هل هو من لوح المحور والإثبات أو من أم الكتاب؟

الثامن: هل هو على الشرط أو على الخير؟

التاسع: هذا الوجود هل هو وجود الذات نفسها أو غيرها؟

العاشر: هذا الطلب هل هو بالجسم أو بالهمة أو بهما معاً؟

الحادي عشر: هذا الوجود هل هو من الوجود الذي يصح بعده الرجوع؟

الثاني عشر: هذا الوجود هل يبقى معه رسم أم لا؟

الثالث عشر: هذا الوجود هل هو وجود مكاشفة أو وجود مشاهدة؟

الرابع عشر: هذا الوجود هل هو من مدركات السر خاصة أم لا؟

الخامس عشر: هذا السالك ما هو؟

السادس عشر: متى كان هذا السالك سالكاً؟

السابع عشر: إذا رد هل يزول عنه اسم السالك أم لا؟

الثامن عشر: الطريق ما هو؟

التاسع عشر: هل أراد طريقاً معيناً أو جميع الطرق التي للتصوف؟

العشرون: كيف يكون السر؟

الحادي والعشرون: كيف يكون هذا الرد؟

الثاني والعشرون: أين يصل هذا السالك وحينئذ يرد؟

الثالث والعشرون: هل هذا الكلام حال أو نقل؟

الرابع والعشرون: السالك هل أراد به الجنس أو العهد؟

الخامس والعشرون: بما يرد؟

السادس والعشرون: بماذا يسد؟

السابع والعشرون: لأي شيء يرد؟

الثامن والعشرون: لأي شيء يسد؟

التاسع والعشرون: هل هذا السلوك يصح معه وضول أم لا وإنما منع ذلك أبو يزيد لعلة؟

الثلاثون: كيف يجمع بين الحديث وكلام أبي يزيد من غير هذا الوجه الذي ذكرناه؟

فهذه وفق الله الولي ثلاثون سؤالاً على الاختصار وتركنا من الأسئلة التي تتعلق بظاهر المسألة جملة.

المسألة الثانية

وهي قول الحسين رضي الله عنه

سقاني مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف

الصوفية وفق الله وليّ، أضياف الله تعالى في الأرض وردوا عليه من الأغيار ونزلوا بحضرته فأضافهم بمعرفته ولهذا قيل لشيخ الشيوخ جعفر بن أبي مدين رضي الله عنه كان بتجانة رحمه الله في قطعه الأسباب وجلوسه مع الحق تعالى في بساط مشاهدته فقال شيخ الشيوخ: الضيف إذا ورد على أحدكم فإنه في كنفه وتحت كرامته ثلاثة أيام بعد ذلك يقال له احترف في تلك الثلاثة الأيام فهو غير عارف بالسنة وإن تركه صاحب المنزل فهو عارية، قيل له صدقت فقال رضي الله عنه: فإن كانت الضيافة ثلاث والصوفية أضياف الله تعالى على ما قدمنا فليس لنا أن نحترف حتى تكمل لي ضيافتي بكمال الثلاثة الأيام وأيام الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فيأخذ ضيافته على حسب أيامه فإذا كمل لي في بساط حضرته ثلاثة آلاف سنة ثم لا احترف بعدها حينئذ يقول لي ترك السنة قم فاحترف، فانظر هذا النور الإلهي ما أسناه وإنما سقنا هذا القول تمهيداً لقوله كفعل الضيف بالضيف، ثم

نقول الجواب وفقك الله عن هذه المسألة من وجوه على حسب المقامات حتى لو نطق الرجل بهذا الكلام من غير هذا المقام الذي يعرفه فيه لكان شرحه على وجه آخر غير الوجه الذي نورده في شرحه إن شاء الله، ولقد رأيته في النوم فسألته ما معنى قولك: سقاني مثل ما يشرب؟ فأجابني: ليس كمثله شيء والكلام عندي فيه من صفات الجلال ومن صفات الكمال ومن السبع المثاني ومن قوله يحبهم ويحبونه ومن أشياء أخر لكن اضطرني حال الرجل إلى الكلام عليه من مقام شهد الله أنه لا إله إلا هو لقوله:

ما قد لي عضو ولا مفصل ... إلا وفيه لكم ذكر

وليس يريد الذكر الذي يكون معه الحجاب فإنه قد نبه عليه بقوله ولو وقعت المشافهة بيننا لكان الكلام أبسط وأتم ولكن أجيبك إن شاء الله على أني في حال قبض وهيبة فأقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل نطق الرجل رضي الله عن ذوقه وأعرب عن حاله وصرح بما وصل إليه وذلك أن رب العزة لما أقعده في بساط المنادمة وهو أول مقامات الأنس أدار عليه كأس راح الارتياح إليه لشراب ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] الممزوج بماء العناية فلما تحساه وسرى في أعضائه أخذته أريحية[(١)] الطرب وسكر ذلك المقام فكشف له عن سره فرأى توحيد رب العزة وقد تقرر في سره في توحيده في ذاته وصفاته وأفعاله ثم نظر إلى عالم الله تعالى فوجد أن رب العزة توحيده في علمه القديم القائم به عليّ فصاح لما عاين ذلك منشداً (سقاني مثل ما يشرب) فكنى بالشرب عن العلم القديم وكنى بالمثل حملاً على نفسه وتجوزاً في لفظه إذ الشرب بعد عدم سابق وشرك حاصل والقديم منزه عن هذا كله والشعر موضع تجوز فلما صدر منه هذا القول جرد رب العزة سيف العين وضرب عنقه بيد ليس كمثله شيء على نطع[(٢)] الفناء الكلي عند دور كأس معرفة المشاهدة فعند ذلك قال:

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

ثم قيل له ناد عليك بلسانك وصف الحالة ونزه قاتلك ونديمك عن الحيف فإني سأظهر فيك عجباً فنادى بلسانه على نفسه قبل أن يؤخذ من تركيبه ومحبسه وقال:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشرب ... كفعل الضيف بالضيف

(فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف ـ كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف) ثم رده إلى وجوده بسكره كما ذكر فصلب كما شهر.

---

(١) الأَرْيَحيَّةُ: الارتياح للكرم والمعروف. يقال: (أخذته الأريحية)؛ أي: ارتاح للندى.

(٢) النِّطْعُ والنَّطْعُ والنِّطَعُ والنَّطَعُ: بساط من جلد، كثيراً ما كان يُقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل (ج) أنطاع ونطوع.

اعتراض: فإن قلت وفقك الله: إن المقام الذي أشرت إليه في المسألة من التوحيد هذا هو اعتقاد أهل السنة وفيه أفنت الأشعرية[١] أعمارها حتى علمته فأي غريبة أتى هذا الصوفي أو بأي صفة زائدة ورد علينا.

انفصال: قلنا صدقت وفقك الله فيما قلت لكن بين الصوفي والأشعري في هذه المسألة ما بين علمت وعاينت هو المعنى اللطيف الذي يفضل به الشاهد الغائب. إن علمنا قطعاً أن الخليفة في الوجود لسنا كمن شاهده وشاهد حضرته فلقد في مشاهده صفة واحدة من صفات جلال الله عند فنائك عن نفسك نعني كل أشعري على البسيطة ليس بصوفي ولهذا قيل:

ولكن للعيان لطيف معنى لذا اسأل المعاينة الكليم

وهذا هو عين اليقين الذي يفضل علم اليقين.

ودليلي على ذلك أن أهل السنة وإن كان هذا هو اعتقادهم فإنهم يتغيرون عندما تجري أمور الله تعالى عليهم على غير مرادهم مخالفة لأغراضهم فكيف عند حلول البلايا العظيمة وهذا لعدم مشاهدة المعذب في العذاب أو المنعم في النعمة وهذا الرجل صاحب البيت وكل من حصل في مقامه لا يتغير لذلك بل يلهج فرحاً بمراد الله تعالى فيلحظه ساكناً تحت مجاري الأقدار وسكونه عبارة عن ترك الاعتراض في فعله فيه فبهذا فضلت هذه الطائفة غيرها وقد شوركوا في العلم وهذا القدر كاف في الجواب عن هذه المسألة.

وأنا أوجه على الولي وفقه الله في هذا البيت عشرين سؤالاً على التحرير كما تقدم في المسألة الأولى.

السؤال الأول: من أي مقام نطق صاحب هذا البيت بهذا الكلام هل من مقام الجمع أم من مقام الفرق؟ ويتوجه عليك في أي مقام أدعيته منهما سؤالان.

السؤال الأول: إن كان في مقام جمع ففي أي جمع؟ في جمع الهمم أو في جمع الأسرار؟ وإن ادعيت أنه كان في الفرق ففي أي فرق في فرق السلوك أو في فرق الرجوع؟

الثاني: هذا السقي ما هو؟

الثالث: كيف يكون هذا السقي؟

الرابع: بماذا يكون؟

الخامس: في أي مقام يصح؟

---

(١) الأشعرية: مذهب يقوم على أساس من التوسط بين السلف والمعتزلة، وينسب إلى أبي الحسن الأشعري.

السادس: هل هو من السقي الذي يكون عنه السكر أم لا؟

السابع: هل يصح بعد هذا السقي صحو أم لا إن كان يولد السكر؟

الثامن: هل يستصحب هذا السقي المقامات أم لا؟

التاسع: هل روي بهذا السقي أم لا؟

العاشر: هل هذا السقي سقي فناء أو سقي بقاء؟

الحادي عشر: الساقي المضمر في سقاني من هو؟

الثاني عشر: المثلية لغوية هي أم عقلية؟

الثالث عشر: هذا الشرب ما هو؟

الرابع عشر: الشارب المضمر في شرب من هو؟

الخامس عشر: كاف الصفة من فعل هل هي ومثليه الشرب على حدٍ واحد أم لا؟

السادس عشر: الضيف بالضيف هل أراد ضيفين في بساط مستضاف غيرهما أو كنى بالضيف الواحد عن المستضاف تجوزاً؟

السابع عشر: هل حكم الضيف هنا حكم ضيف العامة أم لا؟

الثامن عشر: هل خاطب وجوده بوجوده أو هل خاطب موجده؟

فهذه ثمانية عشر سؤالاً، والسؤالان اللذان في الجمع والفرق في أول سؤالات هذه المسألة فهذه عشرون سؤالاً ومثل الولي وفقه الله من يتفضل بجواب وليه في الخمسين سؤالا مع حامل ويفيض عليكم بمواده العلية الكتاب لا زال الحق يمدكم بأنواره من الحضرة الربانية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تمت الرسالة بحمد الله ومنه والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتاب الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

ومن كتاب كتبه إلى بعض إخوانه: سلام على وليي في الله تعالى أبي القاسم العماد ابن السكري أبقاه الله محفوظاً، وبعين الصون والرعاية ملحوظاً، ورحمة الله وبركاته اعلم أيدك الله أن الحقائق لا تتبدل، وأن مواجيد الحق لا تزال ترد على قلوب الواجدين وتتنزل، فلو بلغت اقصى ما إليه الانتهاء، وبرزت من جلال حجب العزة والبهاء، لا تزال تحت إمكان الأدلة العقلية موجبة لها أو ساكتة عنها الألسن الشرعية ولهذا قال الجنيد[1] وغيره من ائمتنا: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وما خاطب سبحانه إلا أولي النهى والألباب وليغتنم وليي أبقاه الله حصول هذا الفقير المنقطع الواقف مع وهمه وخياله والمحجوب بما تجلى له من صورة مثاله أبي العباس الخياط ووقوعه في حبالتك وحبسه في دارة هالتك عسى الله أن يفتح له طريق الحق على يديك وذلك بأن تعرب له عن مراسم توحيده وتوقفه على حقيقة وجوده فإنه قد ملكته شبه كالشبه ولا تفطن لغوائلها ولا انتبه فقد قيض الله له من حضرة الابتلاء والمكر قرناء زينوا له سوء عمله وفسحوا له في مجالس أمله ودلوه بغرور تملكوه بمحال من القول وزور فإذا خلوا دونه ضحكوا عليه، ولا يعلم المسكين أنه سقط في يديه، وهو والله رجل يقصد الخير ولا يعرف طريقه ويظن الحق فيما لا يعلم تحقيقه وأشد شبهة ملكته فأهلكته توحيده بنفي السوي الثابت عينه، والصحيح بكل دليل كونه، ومن جحد عين وجوده أو نسب إلى نفسه ما لا تقتضيه مراسم حدوده بأن يقول أنه عين معبوده فلا خفاء بجهله ولنسأل الله أن يلحقنا بأهله فلو كان بمعزل عن قرنائه لأخذناه بأهداب ردائه فتلا فيكم لهذا الأمر من أعظم الأجر، والسلام.

---

(١) الجُنيد البغدادي (توفي ٢٩٧ هـ = ٩١٠م).
الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم. صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند. وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعُرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. وله «رسائل» منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، والغناء ومسائل أخرى. وله «دواء الأرواح» وغير ذلك.
الأعلام ٢/ ١٤١، ووفيات الأعيان ١/ ١١٧، وحلية ١٠/ ٢٥٥، وصفة الصفوة ٢/ ٢٣٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١.

كتاب آخر: أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي ميزك في الرعيل[١] الأول بأن جعلك أول صديق بالإمام الأكمل وأصلي على نبيه المرتقى به إلى قاب قوسين والمعطى في أوحى إلى عبده جوامع الكلم وفصل الخطاب وقد أومأت مشعراً ونبهت مذكراً ومخبراً في سياقي هذا القريض أربعين بيتاً بأربعين مصباحاً وعند فراغك من قرع هذه الأبيات وفتح أبوابها تلوح لك الحكمة مترفلة في برود شبابها بعد حصول العلم اليقين الذي لا تشوبه شبهة ولا تخمين أن تتابع الحكم مواريها البيان كذا جاء السنة من أوتي جوامع الكلم في مشاهدة العيان.

فالجود يريد الوجود، والكرم يريد الحكم، والإيثار يريد الأسرار، وأقول دليلاً وبرهانا عندما تحققت منك ما سنذكره إيضاحاً وإعلاناً أنك صاحب الغار ووارث الأسرار، والمفضل في العشرة الأبرار، صاحب الكبد المصحوب بأنوار أيها الحبيب الأوفى المتنزه في الموقف الأسنى ما اشوقني للتخلق بصفاتك والتنزه في روضة ذاتك والتجلي في سر صفاء مرآتك، ما اشد وجدي بك وكلفي آه من عدمي وتلفي مولاي كم لي من زفرة علت من نار اشتياقك وكم لي من وجنة صدعت كبدي لمضيض فراقك ليتني خديماً بين يديك، ليتني ممن تناديه فيقول لبيك طوبى لك ثم طوبى حيث نزهت ذلك الطرف الصقيل في بهاء ذلك المحيا الجميل ليتني سواد تلك العين ولا أقاسي أليم الشوق والبين هنيئاً لك كم سر أوقره في نفسك كم مرة غيبك عن ملكوتك وحسك لقد اشهدك مشاهد ما فغر بها فاه ناطق ولا وصل إليها من هذا الصنف مخترق طرائق كتابي لك يسري بهمته العليا منتعلاً نجوم السماء بين لطائف الحقائق ومعارف الدقائق متكئاً على رفارف الرقائق وكأني بك تتردد في إسرائك وقد كشف عنه ظلام غطائك بين الحمى السرياني وألقاب العدناني وكيف لا تخترق هذا المقامات وتخص بهذه الكرامات، وهمة ذلك الشخص براقك وكلامه المصيب درياقك[٢]، فما مر البراق ببيت مشيد إلا اخترقه وخرقه ولا وجد الدرياق ألم كون إلا محله وأذهبه ليتني ممن اقتدى بمن نظر من نظر إليك وخدم من وفد على من وفد عليك ولا أخبط في عشوة ظلماء حيث لا ظل ولا ماء قد ابتلعت الشفعية المدلهمة ونزلت عن متون العزمات المهمة فلا أبدي شيئاً ولا أعيده وقد انهك جسمي وعد الله ووعيده ولا أجد إلى الخلاص سبيلاً ولا إلى الإخلاص وصولاً وها أنا في تيه الحجاب حائر وعلى منهله وارد وصادر.

ليت الله أوقفني على ما جنيته ولوح لي بالذنب الذي ارتكبته وأتيته فأستقبل المتاب على التعيين وانتقل من سجين[٣] إلى عليين ترادف على هيمان عظيم إذ كتابهما

---

(١) الرَّعيل: كل قطعة متقدمة من الخيل أو الجراد أو الطير أو الرجال وغيرهم. (ج) أرعال. يقال: فلان من الرعيل الأول؛ أي: من السابقين.

(٢) الدِّرياقُ: مضاد السموم.

(٣) السِّجِّينُ: موضع فيه كتاب الفجّار و ـ: وادٍ في جهنم.

مرقومان كيف يقع التمييز بين الكتابين ونقف على حقيقة المثالين، أرفع الهمة في خديمك أيها الخديم الجحجاح[١] فقد سويت قوادم الجناح، وأخذت في الميل والاجناح، وتخلصت من رق الإمساء والإصباح وبعثت نحوك طرساً[٢] ملأته سواداً وجعلته للتعريف بمقامك العلي مهاداً عسى انتظم في تلك العصبة الزكية والعترة الملكية والنشأة الفلكية فلعمر التصوف وأنه لقسم عظيم وحلف جليل كريم لقد منَّ الله علي بلقاء موصل الكتاب إليك والوافد به عليك أبي محمد عبد الله بن سمي الخليل صاحب الجمل والفصول فاتخذت النظرت إليه عبادة ووجدت لها في نفسي وجود زيادة وجاءت مقدمات الفتح ولاحت أعلام النجح فكيف بمشاهدة حضرة مقامك أو مقام وجود إمامك طوبى لأرض وطئتها وتربة لمستها ليت خدي أرض نعليك وذاتي قائمة بين يديك مصرفة تحت أمرك ونهيك ذلولة منقادة بعناية همك وسرك رغبتي أن أكون منكم بخاطر حاضر عند مناجاتك في حضرة ابتلاء السرائر.

ولعل معترضاً يشير من بعيد، ويقول إن الله أقرب من حبل الوريد، فأقول له من هنا يرحم الله أبا يزيد في نازله الفتى الذي استغنى بالله عن رؤية العبيد فقيل له لو رأيت أبا يزيد مرة كان خيراً لك من أن ترى الله ألف مرة فرْآه فمات فالتحق بأهل المقامات فصح عند أهل الذوق والتحقيق أن التجلي على قدر الطريق وقد نشر الرحمٰن بساطه وقدس ذاته عن الإحاطة وابن الشهيد من الصديق وابن طريق من طريق والشيخ المؤيد شيخنا أبو أحمد فأجل حضرته أن أخطر ببالها وأتدرع بسربالها وما كان مني من خطاب إليها فحال أعرضه عليها لتكون منه إلى نظرة ألحق بها بأهل النعمة والنضرة وأحشر في الاتباع لذلك المجد الذي لا يستطاع وهذا زمان قد ذهب شبابه وخلق إهابه[٣]، بصره حديد، وشيطانه مريد، وقرينه عتيد، وجباره عنيد، حطت فيه أقدار الأحرار، وطمس فيه وميض الأنوار وانفطرت فيه سماء الأسرار، وجهلت مقادير الأعيان وحجبت القلوب بمشاهدة الأكوان جهلت مقادير الشيوخ أهل المشاهد والرسوخ واستنزلت ألفاظهم جهلاً وكان لها شموخ جعلني الله من أحيا رسمها وعلا منصبها واسمها بمنه.

كتاب آخر: سلام على الشيخ الولي المبارك اللازم للطاعة القائم بالسنة والجماعة كرمه الله بعبودية الاختصاص ومنحه مفاتيح الصدق والإخلاص كتابي للمولى كتاب عبد مفتون بنفسه محجوب بحسه مستمرة غفلاته كثيرة هفواته مطبقة ركعته قلبه شهواته أنف في السماء وأست في الماء دعواه دعوى العارفين وأفعاله أفعال الشياطين عبد ما ارتفع من مهاده ولا نظر في غير سواده دلاه الشيطان بغروره وخدعه بأباطيل زوره ونصب له

---

(١) الجَحْجاحُ: السيد الكريم (ج) جحاجح وحجاجيح و(جج) جحاجحة.
(٢) الطِّرْسُ: الصحيفة (ج) طروس وأطراس.
(٣) الإهاب: الجلد المغلف لجسم الحيوان، أو ما لم يُدبغ منه (ج) أُهُبٌ.

حبالة أمانيه وأعماه برؤية أسافله عن ملاحظة أعاليه عين جامدة وأرض هامدة وقلب قاس وعبد عاص آه كيف الخلاص من كدر الانتقاص إلى صفوة الاجتباء والاختصاص العبد مبعود بذنبه مطرود على باب ربه انظر إليه بعين العناية وارسمه في ديوان الولاية وانشر عليه رداء الهداية البصر حديد النظر في غير العبر واليد باطشة من غير ارتباط والقدم ساعية في محال الاختلاط والأذن واعية لسيء الكلام لا حسنه واللسان ناطق بزور القول وفتنه والقلب بالوساوس معمور وبحجاب الدعاوى مستور قد سدت دونه أبواب التحقيق وسلك برعيته على غير طريق فهو تائه في قفر لا أنيس به ولا يستيقظ لذلك ولا ينتبه بل يخبط في عشوة ظلماء حيث لا ظل ولا ماء.

فبينا هو يسحب أذيال عجبه ويتردد في ظلم حجبه إذ صرخ به الشيطان بآية ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فافتتن بهذا الخطاب وسكر به وطاب وتخيل أنه على المنظر البهيج وقد لعبت به رياح الهوج فكان عند هواه يسير على غير هداه حتى أشرف على شفا جرف[١] هار وعاين إقبال الليل وإدبار النهار ونادى بالدليل فرجع وراه وقال منه بالبراءة فتحقق عند ذلك أنه اللعين إبليس صاحب الخيال والتلبيس فرجع إلى مولاه بالإقالة فإذا النبأ الصادق قد قاله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] الآيات وقامت له الشواهد والدلالات فناداه بلمته الملك يا من ابق عن سيده وهلك، كم لي أنادي غير سميع هلا نويت إليه سبحانه الرجوع قلت وإياه أريد قال خدعك المريد فقلت يا أيها الملك الكريم ورسول العزيز الحكيم كن إمامي واسع بالنور أمامي، وارفع لي منار الهدى، وجنبني سبيل الرداء اكفني من طائشات سهام العدا وجدني السير واسترني عن الغير حتى يتصل حبلي بحبل الرحمٰن وينتظم الشمل بالأمان وطهرني من أوضار[٢] المأثم ونزهني من ارتكاب الجرائم وحلني بالصفات الكرام واهدني طريق التفويض والاستسلام، فإني استحيي من محمد عليه السلام حيث لم انهج مناهجه ولا عرجت معارجه وعصيت أمره ونبذت زجره وخالفت من والاه وحالفت من عاداه فسلك غير بعيد باسمه المجيد وقال ألق السمع وأنت شهيد فسمعت ترجيع الألحان بتلاوة القرآن فقلت من هؤلاء الكرام قال أهل قيام الليل والناس نيام يا نائم هكذا فليكن الاحترام.

ثم استنشقت رائحة الطيب فقال هذا خلوف أفواه الصائمين لمناجاة الحبيب بإبطال هكذا فليكن الاحتشام والاهتمام ولم يزل يسيرني على مقامات المعاملات ويخترق بي سموات المناجاة حتى أوقفني بحضرة الأنوار وقال هذا محل المستغفرين بالأسحار فتذكرت حال مولانا الزكي في ذلك المقام الكريم في دعائه لكل ولي وحميم فخاطبني

---

(١) الجرف: شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله (ج) أجراف.

(٢) الأوضار: (ج) الوَضَر: الوسخ من الدسم أو غيره.

له الملك بمن تعلق الخاطر أيها الغادر فقلت بحالة من سمتني همته وعظمت لدي قيمته فهمت لها عزاماً وذبت وجداً وسقاماً فهذا المقام هجيرها وأنيسها وسميرها فقال لي اقرع الباب وانظر هل رسم في أم الكتاب فقرعت باب الاستغفار فتجلى من وراء الأستار فصافحني مصافحة حبيب وقال لي يا أيها الغريب العذيب لقد أطلت مغيبك حتى شوقت إلى حميمك وقريبك ذاتي بذاتك منوطة وهمتي بنجاتك مروطة أدخل في حزب الرحمٰن دخول متيم هيمان فرأيته ضجيعاً لهمة ما رضيت بالدون وما برحت عن التعلق بنجاة المغبون وقد اتخذت الشريعة جلباباً والخلق الإلهية أسباباً ودارت أكؤس راح الاشتياق لا الأشوق.

وليعلم السيد أبقاه الله لما رماني بسهمه البين وقد تفطر الكبد وهمت العين لم أزل أقطع المناهل بتذكاركم وأعمر المنازل بجميل آثاركم حتى وصلنا قصر كتابه وألفينا بها الشيخ العلامة درة الفاخرة المواجد الموسوم في أبناء الآخرة فدعا لكم بما يسر الواد ويسيء المعاد ثم رجعنا نحو الجزيرة الخضراء والمدينة الغراء فلقينا بها الشيخ العارف الصوفي الواقف الطريف الظريف أبا إسحاق بن طريف فذكرتم عنده بأطيب الذكر وحبيتم منه بأسنى الدعاء وأوفى الأجر ثم سرنا إلي رندة[1] فنزلنا بمحل الصوفي المحقق الرباني المتخلق أبو الحسن الخوني فشكرتم عنده فوعي وحمد مساعيكم ودعا.

ثم شددنا الرحال وأخذنا في الترحال إلى إشبيلية[2] الوارث الإمام الأوحدي أبي عبد الله المحاسبي[3] الشيخ القار بذنبه والذاب خواطر السوء بعلمه وحسن يقينه أبو عمران موسى بن عمران الماويلي[4] والفقيه العابد التقي الزاهد أبي عبد الله بن عسوم

---

(١) رُندة: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكُرُنّا، وهي مدينة قديمة على نهر جارٍ وبها زرع واسع وضرع سابغ. (معجم البلدان ٣/ ٧٣).

(٢) إشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تُسمى حِمص أيضاً، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عباد، ولمقامهم بها خربت قرطبة، وعملها متصل بعمل لبلة وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً.
(معجم البلدان ١/ ١٩٥).

(٣) هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (توفي ٢٤٣ هـ = ٨٥٧م) من أكابر الصوفية. كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مُبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه «آداب النفوس» و«شرح المعرفة» تصوف، و«المسائل في أعمال القلوب والجوارح» رسالة، و«البعث والنشور» رسالة، و«الخلوة والمنتقل في العبادة» و«رسالة المسترشدين» وغير ذلك، ومن كلامه: «خيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم».
الأعلام ٢/ ١٥٣، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٣٤، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٧، وميزان الاعتدال ١/ ١٩٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٧٣، وابن خلكان ١/ ١٢٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٢١١.

(٤) هو موسى بن حسين بن موسى بن عمران القيسي (٥٢٢ ـ ٦٠٤ هـ = ١١٢٨ ـ ١٢٠٧م) أبو عمران الزاهد المعروف بالميرتلي، شاعر أندلسي، له علم بالتفسير والفقه والحديث. أصله من ثغر ميرتلة (من =

خليفة الإمام أبي عبد الله المنسوب إلى قسطلة[١] فما منهم إلا من كان له إلى ذكركم ابتهاج، ودعاء كريم في نهار مشرق وليل داج، ورد علينا بها من قدس الله صفاته وكرم بالمشاهدة ذاته محبكم وشاكركم ووليكم وذاكركم الحاج السني الأخلاق أبو محمد عبد الله المواري خديم عبد الرزاق وهو قائل بحميد صحبتكم معترف بحسن عشرتكم داع لكم بانتظام السعادتين في الحياتين وقد أعملنا الركاب بعون العزيز الوهاب إلى. . . .[٢] المكرمة ذات المشاهد المعظمة فلقيت بها الشاب الصالح المبادر إلى جميع المصالح الفقير السني المتشرع الحنيفي أبا عبد الله الأسطني فاودعته من محاسنكم ما يحب ودعا لكم بمنال أسنى الرتب.

ثم رحلنا إلى غرناطة[٣] إلى سيدها وعابدها ومجتهدها وزاهدها أبي محمد عبد الله السكار الداعي فدعا لكم بما يسر الله على فؤاده أن يجعلكم من خير من اصطفاه من عباده ثم امتطينا الأقدام للأوحدي الإمام أبي أحمد بن سيدبون فلقيته بمرسية[٤] وقد أدبه الحق وهجره الخلق مكسوف البدر خامل القدر، لا ينظر إليه ولا يعول عليه قد هجره حبيبه ومقته قريبه تصفية إن شاء الله وتطهيراً ليحقق بكون الله عليماً خبيراً، وذلك لأمور طرأت لا يمكن ذكرها إلا مشافهة ولا يتحدث بها إلا مواجهة لكن الشيخ وفقه الله أغراضه حميدة ومساعيه في نفسه منجبحة سعيدة، غير أنه أعطى ملكاً غاب عنه تدبيره فأول من ثار عليه وزيره وحرم سياسته فلم يحكم رياسته يبدو لك الصدق على وجهه والمقصد الحسن على غرضه، فإن أمضاه في عالم الشهادة عاد قبيحاً وصار فاسداً بعد ما كان صحيحاً فدعا لكم والشيخ أبي عمران المعلم وثبته بكل صفة فاضلة فيه فرحلت من عنده وقد بكى لفراقي متفجعاً وخرج معي إلى بعض الطريق مشيعاً وهنا انتهى ما لقيت ولا أزور أحداً بعدها ما بقيت، والسلام.

= أعمال باجة) أقام بإشبيلية، وتوفي بمدينة فاس، ودفن بخارج باب الفتوح له ديوان شعر أكثره في الزهد والتخويف. ومن نثره: «ملك فؤادك من أفادك» و«من خف لسانه وقدمه، كثر ندمه».
الأعلام ٧/ ٣٢٢، والتكملة ٧٥٤ ت ٢١٤٧.

(١) قَسْطَلَّةُ: مدينة بالأندلس، قد نسب إليها جماعة من أهل الفضل منهم أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي.
(معجم البلدان ٤/ ٢٤٧).

(٢) بياض في الأصل.

(٣) غرناطة: هي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويُعرف الآن بنهر حدارُه.
(معجم البلدان ٤/ ١٩٥).

(٤) مرسية: مدينة بالأندلس من أعمال تُدمير اختطها عبد الرحمٰن بن الحكم بن هشام وسماها تُدمير بتدمر الشام فاستمر الناس على اسم موضعها الأول.
(معجم البلدان ٥/ ١٠٧).

كتاب آخر: سلام على الصالح الحبيب النازح القريب أما بعد فإني سافرت لكي أصح وأغنم وأتعلم ما لم أكن أعلم فهجرت الأهل والوطن ورحلت من ساعتي عن أرض البدن ورقيت في صعود، وانتقل بدر حقيقتي من سعد الذابح إلى سعد السعود، وامتطيت الجواب قاصداً حضرة الملك، وفنيت بالمنة عن العادة مخافة الهلاك وقطعت اليباب الشاسع حتى بلغت المقام التاسع، فسرت في المحاق ثلاث لا فوز عند الرجوع بثلاث وخلعت النعلين عندما جزت موضع القدمين وخرقت الحجاب وفتحت الأبواب فاشرفت على جبل الطور وبدا لي فيه الكتاب المسطور فرأيته جبروتياً فنزهت نفسي عنه فتلوته ملكوتياً فعندما تلوته ووقفت على سره فهمت رأيت الواحد بالواحد والتقى الغائب بالشاهد فسر برجوعي إليه منه فكلمني به عنه فقال ليس وراء الله منتهى، وإن في ذلك لذكرى لأولي الألباب والنهى ثم قال لي متى أحطت بالستة قلت عند ما طلقتها البتة فقال متى وقفت على مركز الدائرة قلت بعدما رجمت العاهرة، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد يا أخي فإن الله سبحانه لما كلف خلقه ما كلف وعرفهم على لسان نبيه عليه السلام بما شاء أن يعرف وجب على كل عاقل حكيم ومستبصر فهيم التأهب لما وعد والتأمل لما به توعد، فبادر بالطاعة جهد الاستطاعة وشد عليك مئزر الحذر وتدبر ردع قوله سبحانه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١١ - ١٢] فإذا تيقنت النفس بورودها على تلك الأهوال سهل عليها عند ذلك ركوب شدائد الأعمال فراقب الأوقات وخاف الفوات واتقى الآفات وقدم ما يجده بين يديه ووثق به سبحانه وعول عليه فمن إليه الرجوع حتماً ينبغي للعاقل أن يتخذ عنده يداً، ولا سيما من أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً. فالواجب علينا يا أخي إذ قد بعد الدار وشط[1] المزار أن يدعو بعضنا لبعض بظهر الغيب أن لا يجعلنا فيما عرفنا به أصحاب غفلة ولا ريب نهج الله بنا مناهج الاهتداء وعرج بنا معارج الاقتداء، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد يا أخي عصمنا الله وإياك من قبائح الغفلات وأمننا من روعة البيات فإن الله سبحانه لما أوضح المنهج الموصل إليه وبين الأمر المزلف لديه حمل من اصطفاه من عباده عليه وعدل بمن حرمه إلى أحد جانبيه. فهنيئاً لمن حمل على الجادة. ويا بؤس لعبد قطعت عنه العناية الربانية والمادة ونحن يا أخي من هذا كله على بصيرة مع قبح سريرة، فتدارك أخاك بدعوة ترقيه إلى موقف الاختصاص وتلحقه بأهل الصدق والإخلاص قبل أن تفجأه الموت فينقلب بحسرة الفوت فقد طال الأمل وساء العمل وترادف الوبر الكسل ولم تعظنا بمرورها الأيام ولا زجرتنا حوادث العلل والآلام فسله سبحانه أن يظهر الذوات بأحمد الصفات، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد يا أخي فالقدر سابق والقضاء لاحق فلا يغرنك ما أنت عليه

---

(١) شطّت داره شطّاً وشطوطاً: بَعُدَتْ وأفرطت في البُعد.

من سني الأعمال وزكي الأحوال ما دام رسنك[١] مرخى وحبلك على غاربك[٢] ملقى فإن الخاتمة أمامك ولا تدري بما يرسل الحق إليك أيامك فخذ الكرامة منه على أدب، وأعرض عن الاشتغال بها وخذ في الطلب فكم مريد كانت حظ عمله لما كانت غاية أمله من الله نسأل عصمة الأحوال في السابقة والمآل، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد يا أخي فإن الحق تعالى لما أظهر الدنيا بأكوانها وأوجد الأشياء في أعيانها كلمك بوساطة الشرع، وقال لك ألق السمع، فخاطبك من هذه الوجهة أن كل شيء هالك إلا وجهه[٣] فمن وقف مع الكون حرم مشاهدة العين، ومن وقف مع الهبات حرم لذة السمات، ومن وقف مع المعرفة حرم وجود الموصوف في الصفة، وأكثر الناس في الحجاب ومن قرب فقارع باب، فمن فتح له وصل أمله ومن سد دونه أتهم ظنونه، فاسعٍ يا أخي في تحصيل ما لا يحصل وتفصيل ما لا يفصل، والسلام.

كتاب آخر: سلام على عالم العلماء، ورافع الصفات والأسماء أبقى الله رسمه في الملأ الأعلى وميزه في الحضرات العلى، أما بعد فإن الوجود كما بينته وإلا . . .[٤] العلى كما عاينته غير أن الأمر قد رده المدعي مشتبها بدعواه حين مازجه بهواه، فسلك على غير هداه لكن تعين علينا الأخذ بيد من هذه صفته، ورفع الهمة في شخص هذه سمته، فإنا وإن كنا قد فارقناهم في المقام، وقد جمع الله بيننا في الإيمان الوافي التام، فقال عز من قائل ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فمن صحت عنده الأخوة فتظهر عليه آثار الفتوة ونحن فيما ندعيه من أرباب هذا الحال السني فينبغي لنا أن ننظر فيهم بعين الجود الإلهي ليصح بذلك دعوانا ويتولاهم الحق كما تولانا، والسلام.

كتاب آخر: سلام على الولي الإيماني والخليل الإسلامي صحح الله له حاله، وأذهب عنه محاله، أما بعد فإن البشرى في التقوى كما أن الخسران في الدعوى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤] السعيد من اتقى ربه وعرف ذنبه وآثر مولاه على من سواه، فإنه سبحانه الباقي الوافي، وغيره الفاني الواني، ومن أوى إلى ركن شديد، فهو الناجي السعيد، جعلنا الله وإياك ممن أوى إليه، وعول في كل أحواله عليه وزهد فيما في يديه وحتى يكون الزلفى لديه وآمين بعزته والسلام.

كتاب آخر: كتاب إلى من لم يكن ثم كان وضمه التركيب وتنزه عن المكان وتقدس بسره عن الزمان لما وقف في الآن أبقاه الله للعارفين علماً وللحكم متمماً.

---

(١) الرَّسَنُ: الحبل تُقاد به الدابة (ج) أرسان، وأرسن. يقال: (ألقى رسنه على غاربه)؛ أي: خلّى سبيله.
(٢) الغارب: الكاهل. يقال: حبلك على غاربك؛ أي: اذهب حيث شئت.
(٣) إشارة لسورة القصص الآية (٨٨): ﴿لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه. . .﴾.
(٤) بياض في الأصل.

أما بعد يا سيدي فإني خاطبت حضرتكم بما لا يقتضيه مقامي ولا يعرفه إمامي لكن الكشف في الطريق يعطي بعض تحقيق فقد تكلمنا في الحق وما يجب له وما يستحيل وما يجوز عليه وإن كنا من ذلك ممترين فأنا من هذا العلم بالله على يقين وإن كنت مقصراً فيما خاطبت فإني شرحت ما به احطت، فأعرفكم أبقى الله معروفكم وأمضى في رقاب الجاحدين سيوفكم فإن النفس قد أوقفتني في ربانيتها وحجبتني برهانيتها حتى انقض ظهري وقوفها وأتعب فكري سفوفها وقد أعطاني الكشف رفع الهمة عنها والانتقال منها والمقام يأبى إلا المقام فكن بي خير رسول كما جعلتك خير مسؤول واتخذتك انجح مأمول، والهمة منتظره لما يكون من أسرار الكاف والنون، والسلام الأتم على مقام البركة.

كتاب آخر: كتابي لمن عقد الفضل عليه زمامه، واتخذه إمامه فليس لمنصرف عن حضرته منصرف، ولا لآمل عنها منحرف، وكيف تنصرف النفس عن شخص دون أخمصه النجم، وأقل أوصافه العلم، فعلاه قد وطي المعالي بأقدامه، حتى اهتدت في تيهها بمناره وإعلامه، والقيام بحق من هذه أوصافه عي من الطالب الأديب، والإقرار بالعجز عن برها معرفة الحاذق الأريب، لا زال السعد له رسيلاً، والمجد التليد له نزيلاً، بمنه والسلام.

كتاب آخر: كتابي عن ود ملك الوفاء بأزمته، وقبض عنه السنة آراء العذر وأئمته، فلا يزال بقلب وليكم تحميه أسنته، وتدرسه السنته، وهذه صفة تغنيك عن الموصوف، ومعرفة تستدل بها على المعروف، وكيف لا يثبت لكم هذا الود في خلدي، وأنتم عين الدهر وإنسانه، وترجمان العلم ولسانه، نكتة الفلك الدائر وتربح التاجر، لا زلتم للمعاني علماً وللملأ الأعلى في اختصامهم حكماً والسلام.

كتاب آخر: كتابي عن بر بجناب سيدي عالي السنا طيب الجنا، يانع الزهر، عاطر النشر، فأيادي جوده المجيد، وكرمه التليد، أعجزني شكرها حين أعوزني حصرها، والعذر في العجز عن حصر ما لا يتناهى مقبول، ويد الطول من سيدي على الاستمرار بخديمه موصول، والله الكفيل بشكر ما أولى، وله الحمد في الآخرة والأولى، لا زالت المكارم بحضرة سيدي عاكفة، والمعالم عليها واقفة، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد فإن صاحب المقامات، إذا رام اللقا مات فإذا أراد الانتهاض هاض، أو الانفساح ساح، أو الإلهام هام، أو الانتفاض فاض، أو الخطاب طاب، أو مناجاة الاسحار حار، أو مناجاة الآصال صال، أو سلوك الآثار ثار، أو صعود المنار نار، أو يفوز بالفراغ راغ، أو هم بالانتزاغ زاغ، أو وصل إلى الإيجاد جاد، أو يعصم عن الاتحاد حاد، أو يحشر في الإتباع باع، أو يغلب في الكفاح فاح، أو يستمسك بالعرى عرى، أو يهدم الأشباح باح، أو يلتذ بالأبصار صار، أو يستبيح أعمار السغار

غار، أو يمتطي فستو بين السنام نام، فسوس جوامع الكلم وذي النون فقد جمع الله بينهما في سورة ن.

فلما بلغ الواحد الأعلى وعلا، كذلك لما حصر الآخر في الأدنى دنا، من أراد التخلق بسرائر الأسرى سراً، أو يفوز بسبحة الضحى ضحا، لا يعرف الأسماء إلا من سما، لا تغالط نفسك بالترهات[١] وهات، فمن عرض نفسه للآفات فات، كم سألك عند الاتصال صال، فعوقب وهو بالانفصال صال، وكم واقف لم يجرع عند الحقيقة ريقه، وكم عارف ضل وظل، ووارث للهدى ما هدى، أما علمت أن بقاء الحال محال، وأن فنى الطوالع رائع. وشهد الروائح رائح، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد أدام الله أيام من تعلق بالله وجل عن النظر أو الأشباه خير من تخلق بالصفات والأسماء، ورقى إلى الموقف الأسمى، فلما توسط بحر الصفات هبت على قلاع حقيقته رياح التوحيد فألقته بساحل الذات فصار للذات شاهداً، ولجمع الصفات والأسماء مالكاً وقابلاً وورث المقام، واتضح الحق الجلي به وقام، أثبت لسفينة التركيب نوحها، ونفخ في صورة الغلام روحها، وهدم جدار الكنز، ووقف في الكبرياء والعز، أعلى الله مناره وأطلع في سماء قلبه شمس توحيده وأقماره، ووهبه جوامع الكلم وأسراره، والسلام.

كتاب آخر: أسلم على من عومل فدان، وفطر على النظير فبان، أو حدى المشاهدة غنى عن المشهود بالشاهد خير من توارى بالحجاب وأزال عن بابه الحجاب.

وأبواب الملوك محجبات وباب الله مبذول الفناء

تخلق بأخلاق من أخرجه من وجود علمه، وتعرض لنفحات جوده، عبده على مقدار فهمه، وما قدروا الله حق قدره، فصح له الإثبات، وأجزلت له الهبات، وملك مقاليد الأسباب، ورفعت رتبته عن درجة رؤية الاكتساب، وقيل له هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب، من أنفق لغيره ماله، كيف يقيد الحق عليه أعماله، أمام برز بين شدة ورخاء، وتهادي بين زعزع ورخاء، إظهار للبرازخ السنية وإثباتاً لمقامات العلية والدنية، إذ همة شيخنا رضي الله عنه ما رضيت من الوجود إلا بميراث صاحب المقام المحمود، فلا كمال مع اتخاذ الصفات، فإنه مقام النقص والآفات، وإلا فأين حظ الأسماء، وأين وجود الصفات، فإنه مقام النقص والآفات، وإلا فأين حظ الأسماء، وأين وجود الأرض والسماء، وأين مرج البحرين، وأين كرسي القدمين، بعد أن يسلم للمعترض حد الاستواء، فأين وجود الماء والهواء فشيخنا رضي الله عنه يضع الأشياء في مواضعها، ويرد الشوارد إلى مراتعها.

(١) الترهات: (ج) الترهة: الباطل و ـ: القول الخالي من النفع، والتافه والمزخرف.

وقد أيده الله على ذلك، وحصل بيده زمة المسالك، فهو بين ناه وآمر، لكل وارد وصادر، فصح له الميراث النبوي، والمشهد اليثربي، جعلنا الله ممن اقتفى أثره، حتى لحق بأصحابه البررة، وأعرف حضرة الولي أدام الله أيامها، ونشر في موكب الوحدانية أعلامها، بوصول خديمه الحاج أبي محمد عبد الله بن الأديب الشاطبي إلينا ونزوله علينا أكرم نزله، وأراح من مشقة السفر نزله.

فملأ قلب العبد سروراً بذكركم إياه، وإلى العبد الآبق أن يذكر مولاه، فلم يستطع العبد أن يستقر عند ذلك فرحاً واغتباطاً، ولا قدر على نفسه أن يتخذ أرض المغرب بساطاً، فكيف أن يتخذ فاساً معقلاً، وهو أن يجد من دونكم موئلا، فامتطت همته متون الذاريات براقاً، وسارت ركائب وجده نحو حضرتكم وجداً وأعناقاً، لمشافهة الحضرة السنية، وتقبيل يمين بساطها تتميماً للأمنية، فخفت عليها من الاحتراق بنور جلال المقام في أول نظره، وقد أبى السر الآن يوفى بنذره في ملازمة الحضرة، فاتخذ من ظلال جودكم خياماً، وغادر لدى بنات شوقكم أيتاماً ومحى آية الليل لأزوف الرحلة.

وقد خلع الكرى على الكواكب ولم ترعه حائلات الأسنة والقواضب، وها هو قد حط رحله بفنائكم، وألقى عصا تسياره بارجائكم، ليأخذ ما علم عياناً، وليشاهد السر أعلاناً، ومثلكم من ينظر لسر وليه بعين جوده، ويفيض عليه من أنوار وجوده، وقد أوصاه أن يعرض عليكم رقوم لوحه، ويوقفكم على مكتمات خواطر فتوحه، لتثبتوا له ما يجب إثباته، وليصح له أثاره وآياته، فإن العبد لم يزل عاكفاً على لوح الإثبات والمحو متردد بين السكر فيه والصحو، قارعاً حلقة الباب راعياً في أم الكتاب.

فإن وهبتم ذلكم فمثلكم من وهب وإن كان غير ذلك قرأ على نفسه ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، فنعوذ بالله من الردة، ومن حجاب العدة والعدة، والعبد قد أودع بطن طرسه نبذاً من أسرار نفسه لتزيلوا رمد جفنها وتحيوا ميت دفنها فقال:

سرى بسر الذي أسررت مبتول ... على الإله وبالرحمٰن موصول
فالنور للنور برهان ومعرفة ... يدل أن حجاب الذات مسبول
من ادعى الذات ما ينفك ذا سخط ... عنها ودعواه إشراك وتضليل
الحال يكذبه والحق يشهد لي ... بأن قولي فيما قلت مقبول
ففي الفناء بقاء الرسم تعلمه ... من ذاته وسوى هذا أباطيل
إني لأعجب من قوم قلوبهم ... دمالج وبدعواهم أكاليل(١)
لله قوم هم في الغيب غيرهم ... وفي الشهادة أشخاص بهاليل(٢)

(١) الدمالج: (ج) الدُملج: سوار تُحلّى به العَضُدُ.
(٢) البهاليل: (ج) البهلول: السيد الجامع لصفات الخير.

والسر منهم وإن كانوا ذوي عدد فرد غبي فمعلوم ومجهول
إني لأعجب للطرف العتيق وقد حاز لوجود سباقاً وهو معقول
إني أستقر به شأو الوجود ولم يظهره جمع ولا اخفاه تفصيل
فكل سر وإن دانت ركائبه إلى الكثائف محسوس ومعقول
هذا سرائر سر لله أنزلها على فؤاد له الأسرار تنزيل

ولولا أدام الله بركتهم ها هي:

سرائري عند سر الله واضحة فكل سر بعين الصون ملحوظ
أخفيته غيرة مني عليه به عني على أنه في العلم محفوظ

لكن الأمر على ما في كريم علمكم من إفشاء الله سبحانه أسراره لأربابها وما ظلم امرؤ أتى البيوت من أبوابها، والسلام.

كتاب آخر: استوهب الله لك أيها البارع أدبه الشائع في المعاني ندبه العذب مورده العصب مهنده من المراتب القدسية سماها وجعله لأسمائه الحسنى مسماها.

كتبه العبد والأمل يرجو قد آن وقد عاد شراباً سائغاً ما كان بالأمس حميماً آن، فللّه دره يوم العروبة وارداً، وربه وافداً بالمسرات وقاصداً، وكان يربوع الإنس لم تكن على عروشها خاوية(١) وبأزهار حدائق السرور بملاقاتكم لم تمس هشيمه(٢) ذاويه.

وعندما أثنيت نحونا عنان طرف الود الجموح، ونظرت إلينا بطرف العهد المتقادم الطموح، وجاء رسول الإنس بشيراً، وألقى قميص الألفة على جفن قد عمى لطول الفرقة فارتد بصيراً، فعاين إقبال صباح الاقتراب، وأدبار ظلام الاغتراب، وبدا له حاجب شمس خلوص الولاء، بمشرق المنن الإلهية، وإلا لأعاد طرف الحسود كليلاً، ما وجد إلى العري سبيلاً لأزال السعد لحضرتك خديماً، والمجد التليد بجلالك نديماً، والسلام.

كتاب آخر: نقدم خطابي لحضرة الإمام الأكرم والمقام الأقدس الأعظم رائس السهام، ورافع الأعلام، فسح الله له المدى، واقفه في المرتدى في ظاهر الردا، وقد كنا عرفناهم في ذلك الخطاب المذكور بحقائق ما وراء الستور، ومعولنا في هذا الكتاب أن يكون من الحكمة لا من فصل الخطاب كتاب ربانية لا رهبانية وسادة لا عبادة وجمع لا فرق وحقيقة لا حق.

فأول ما به نفاتحك ما يغاديك ويراوحك وهو السر الأكبر، والنور الأبهر الذي

(١) خَوَتِ الدارُ خَواءً وخُويًا: تهدمت، وسقطت، وخلت من أهلها. فهي خاوية.
(٢) الهشيم: النبت اليابس المتكسر.

حاز مسراه ما لا يذكر، وقد بعثناه نحوك بريداً، ورميناك به سهماً شديداً، فكأني بوجود مرآك، ينادي من بالعراق لقد أبعدت مرماك، أنه لقد جاوز بالمطلع تنزيها وتشريفاً وتلقينا المصطنع تنبيها وتعريفاً، فكيف لا يبعد هذا المرمى، وغاية أن يكون من نبه أشار وأومى، والإشارة نداء على رأس البعد، فكيف يعبر عنها بعد مع أنها عقائل الإشراك، وحبائل الإشراك، لكن التعريف يستدعي ما قلنا فليقف الواقفون عندما جردناه، وربما بلغ البريد الخبر وظن أنه الحق الأشهر، فقال لا مقام غاية الكمال، ولا سبيل إلى هذا القول بحال، الآن يكون علماً لا وصفاً ولا عرفاً لا عرفاً لقد صدق الصادق في مبينه حيث قال، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ إلى قوله، ﴿بِيَمِينِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧]، أليس هذا حصول الملك في يد الاقتهار وتحقير الملك بأخذ الاقتدار لئن كانت أسرار أسرار الأزل أشرف وارد لقد أبصرناها كالحجر الجامد، ورضي الله عن أبي يزيد حيث قال: أنت المراد والمريد ليت شعري أين كان حيث لا أين ولا مكان كما قيل:

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه ... فكان بلا كون لأنك كنته

لاذا بنية وسر لا أينية وحقيقته لاهوتية وكنا نسهب الخطاب فأقصرنا وما صفر الوطاب[1].

وهذي إشارات العيون مخبره ... وأسرار أسرار القديم منوره

أتينا بها في صفحة الطور درة ... معطلة الأحياء غير مصوره

وإلى هذا أدام الله أيامكم ونشر في موكب الوحدانية أعلامكم فموصله إليكم خديمكم الصالح والعقل الراجح الحاج أبو محمد بن الأديب الشاطبي وكنا قد سألنا رب العزة في الإطلاع على مقامه والإشراف على مناهجه وأعلامه، فاوقفنا على ما سألناه، وأسعفنا في ما طلبناه، وأخبرنا أن له إلى الحضرة الفردانية انقطاعاً قديماً، وانخناساً مرعياً كريماً وكان مكرماً لديها، ومقرباً في كل حالة إليها للذي كانت قد بلته، من همته وعنايته ونهضته فيما تقلد واكتفى به وهو متغير الوصف والذات جار في كل ما يفعله إلى ما يقع بالأغراض والإرادات، وقد أم جنابكم الرفيع وحماكم المنيع، وظلكم الوريف المريع، مترامياً على معارفكم قاصد البارع لطائفكم، لما عاينه من بركات سلطانكم، وعميم إحسانكم، على من انقطع إليكم وامتنانكم، حتى ملأ القلوب والأسماع وحتى ارتاحت الهمم للشوق إلى ذلك البقاع، ولم يزل مسبحاً ممجداً ومتهماً بطيب ذكركم ومنجداً، فخاطبناكم أكرمكم الله لتلحفونه رداء الأجمال، وتخلعون عليه برد الجلال والجمال، حتى يتميز في جملة عبدانكم، ويرتسم بجميل فضلكم في ديوان

(١) الوطاب: إناء للبن من الجلد.

إحسانكم، وعندما تخبرونه تحمدونه وشكرنا يوافيكم على ما تشيرون به في جانبه وتفعلونه مردداً موصولاً في كل الأحيان مجدداً، والسلام.

كتاب آخر: لما رأيت أكرمكم الله أن البسيط يحد والوسيط يمد، والتخطيط يحل ويعد، والعرض يتميز ومحله يتحيز، وإن حقيقة الإنسان أشرف، ونفسه أرق وألطف، وباطنه حق، وظاهره خلق، والمجد المتظاهر حيث لا باطن ولا ظاهر، أردت أن أثبت في ذلك ليبقى إذا فنى الهالك، فلولا ربط الحق بالحقيقة، ما صح وجود الخليقة، فتأمل ما يصل إليك، وتجاوز عنها فإنها بعض ما لديك، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد فإن الواصل على الحقيقة من صحا بعد نشوته، وأفاق بعد غشيته ووصل بكرته بعشيته مع اتئاد مشيته، وفناء خشيته فاستغرق بسلوكه الأوقات، واتحد عنده الميقات، فلم يعين عليه ملاحظة جزء حتى لو فقده يعذب بعظيم رزء، فلما وصل هذا المقام، وأحسن القعود بعد ما قام، وانتصب وارثاً، وصل على التفصيل باعثاً، ولم يزل كل ذي همة على مقامه باحثاً تولى استمداد الأرواح وأرسل على النفوس لواقح الرياح وقد رحق قدر الإحاح والمحاح ولا ذم الليل ولا حمد الصباح، بل صير كل واحد في عالمه حركات مفتاح، وإن كان الواحد يعطيه الستر والآخر يعطيه الإيضاح، وسحب أذيال اللطائف في رياض المعارف، واشرقت أرض وجود منور الصديق واحاد هالة كور عمة الاحاطة بمفرق التحقيق، والسلام.

كتاب آخر: بدأت بأول ﴿يسٓ ۝١﴾ إلى قوله تعالى ﴿مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨] ثم قلت أما بعد فإن سر العبد الآلي مستفاد من السر الأزلي ولذلك ينطق بلسانه ويجول في ميدانه وخديمكم قد أحرقه الاصطلام، حتى ما يحس بموارد الآلام، وهو اليوم في أول أودية المشاهدة، واضع قدم الموافقة والمساعدة، وقد آن زمن الآن ويقضى الدين وتطفى العين، ويفنى المقام وينعدم الحال والمقام، وتتولى الموارد، وتترادف الفوائد، وتنصب الموائد، ويأكل الغائب والشاهد في صحن واحد، وأخاف الفوت قبل الوصول بمشاهدة الفصول، فخاطبتكم في كريم عناية تورث النهاية، إذ لا نهاية مع بقاء البداية فلا وجود لمن لم يجمع الطرفين، كما لا حياة لمن لم يخلع الكونين.

أخذت قبضة الوجود فلما ... شهدت أعدمت ولم تتجزى
ثم صارت على الجسوم عذاباً ... وعليها من المكاره حرزا[1]

كتاب آخر:

سلام عليكم أبا يوسف ... سلام النبي على ذاته
فقال السلام علينا وقد ... توسط بحر مناجاته

(١) الحِرزُ: العُوذة التي يُتعوذ بها. و ـ: الموضع الحصين.

فـمـا مـن فـراق يـكـون الـسـلام ولا مـن ورود مـن آيـاتـه
ولـكـنـهـا نـكـتـة سـافـرت مـن أعـلـى إلـى عـلـو إثـبـاتـه

ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فكتبه من لا يراكم غيره ثانياً، ولا يزال على جلالكم ثانياً، ولا يبرح عنانه إلى جهة حضرتكم ثانياً، ولا يعتقدكم أولاً ولا تالياً، بل وصله إيجاد وسر اتحاد فلو كان الأمر اثنين لذقنا ألم البين، فدل وجود اللذة في بعد الدار، على اتحاد الأسرار، ولو وجدنا اللذة بالأقراب، لتشوقنا إلى لقاء الغياب، ولكن لم يزل الحاضر مع ذاته حاضراً، وإن كان وارداً عليها وصادراً، ومن الله سبحانه نسأل المنحة لمن حرم ما أومأنا إليه ولم نغر في ذلك عليه إذا الغيرة على الاغيار موقوفة وعلى أرباب أهل الجمع والوجود مصروفة، هيهات ما أقرب من ليس بات، وكيف يغار الإنسان على أن يقف بعضه على بعضه، أو يحول بين سنته وفرضه.

وقد قال من أمرنا بالجري على مهيعه[1]، إن الإنسان تكمل له فريضته من تطوعه، فلولا أن الفريضة والنافلة سيان، ما امتزجا بالأعيان، فليس العالم على هذا بغير العارف، ولا الراجع بثان للواقف، فليس إلا الاتحاد الصرف، لولا العادة والعرف، الذي صحت به المراسلة واستجليت المواصلة، وكانت المكاتبة والمخاطبة، وفرق بين المعاقبة والمعاتبة، ولولا حقائق العوالم، ما ندبت الأطلال والمعالم، ولوقوفكم رضي الله عنكم على حقائقها، واختلاف طرائقها، سألتم الالتقاء جسماً، والاجتماع رسماً، إذ وأنتم العالمون بما ذكرته والعارفون بما سطرته من أن اجتماع الاجساد إنما هو راجع لما ذكرناه من التأنيس المعتاد ولكن صاحب الحال الذي انخرقت عبادته وثبت حشره وإعادته لا تزيده ما دام على هذه الحالة تلك العوائد تاثيراً ما إلا مزجا منها بحاله بشيراً، فيأخذه منه بشراه، ويرده على مسراه، حتى يتنزه الحاضر، عن التعلق بالوارد، والقلب عن التعلق صادر، والرغبة إليكم في الدعاء الموصول، في مظان القبول، والله يقدس أوصافكم، ويحمد اتصافكم والسلام عليكم مردد معاد.

أبـا يـوسـف والـلّـه يـعـلـم نـيـتـي وما بـفـؤاد الـصـب مـن لـوعـة الـحـب
لـقـد كـنـت اشـهـى أن أسـيـر إلـيـكـم مـن الـنـاهـل الـظـمـآن لـلـمـورد الـعـذب
ولـكـنـنـي لـمـا رأيـت بـحـالـكـم مزيـد مـع الأحـبـار فـي حـضـرة الـقـرب
فـررت حـذاراً أن أمـوت صـبـابـة بـمـشـهـدك الأسـنى فافضح في صحبي

كتاب آخر: سلام على سر الفلك ومعلم الملك حتى بدت للأول حركاته وتعينت للآخر مقاماته، فأورثهما من المفاخر ما أغنت عن الأول والآخر، وأودعهما من المآثر،

(١) المَهْيَعُ: الطريق الواسع البيّن (ج) مهايع.

ما عجز عن التلفظ بها كل ناظم وناثر.

أما بعد: فإن الله عز وجل لما جعل الوجود زوجين فتفرد بالوترية دون ريب ولا مين، أودع أحد الزوجين سر إنشاء الكونين فصار به فعالاً في العالمين وهو المقام الآلي المتصل بالسر الأزلي والسلام.

كتاب آخر: أسلم على من خرج عن رق الأوقات وكلم من غير ميقات، السيد المؤمل العارف الأكمل، أبقاه الله مرشداً كما أكرمه فرعاً ومحتداً، كتبته وقد أفناني الحق عن شهود الحركات والسكنات وملاحظة الواردات والممكنات وأوقفني في حضرة الأدب والتجلي.

وقال لي هذا باب الاسم العزيز فعليك بالتخلق به والتحلي، وبينك وبينه من وراء هذا الحجاب سبعون ألف حجاب، لو رفعت عنك لأحرقتك سبحاته ومحقتك لمحاته، لكن قد أذن له أن يبرز لك صفة من صفاته على شكيك ذاته، وإن كانت ذاته مقدسة عن التضاهي، كما تقدست عن الوقوف والتناهي، وقد اخفيتها في خزائن الغيرة حتى لا يلحظ من وجودي غيره وترك الطالبين على الكشف عليه في مهامه التيه والحيرة، فهو صدفة درة المواد، وحدقة عين الأشهاد، فتأهب لتجلي سيدك وانظر واشكر الله على ذلك ولا تكفر، فكأني بك، يا سيدنا قد تبرزت في صدر الوترية فغابت لتجليك كل صفة شفعية، فنظرت بطرفك الأيمن، إلى عالم البقاء، بصفة أرحم الرحماء، فأتبعت رسومهم وأمحقت جسومهم، واسبغت عليهم من لذيذ نعيم مشاهدتك ما أفناهم عن كل نعيم، وأستقيتهم من شراب معرفتك ما اغناهم عن ملاحظة الرحيق المحتوم الموقوف على أهل الجسوم، فرفعتهم بذلك عن درجة المقربين إلى محل المقربين، ثم نظرت بطرفك الأيسر وكلاهما يمين إلى عالم الفناء بصفة القهر والكبرياء فأعدمت آثارهم واطمست أنوارهم وعطلت عشارهم وكورت شموسهم وأفنيت نفوسهم فعندما رأيت قد قهرهم سلطانك وأذهب شبهتهم برهانك، نادى العزيز العلي مهلاً يا وجودي برعيتك مهلاً فراجعته فقلت يا من أوترني بذاته وشفعني بصفاته وقال لي أظهر بأسمائي وتجل لعبادي من أبواب سمائي ومن أسمائك القهار الشديد فكيف يبقى عند تجلينا بهذا الاسم رسوم لوجود العبد قال صدقت ولكن قد بلغ الفناء فيهم حده، وفعل فيهم جهده، فردهم بك إليهم وأسبغ من نعيم مشاهدتك عليهم وألحقهم بأهل البقاء فهو أهل الفوائد عند اللقاء، فنفخت فيهم، رضي الله عنك أرواحهم، وكسوت سرابيل المهابة أشباحهم ورددتهم إلى نفوسهم وأشرقت أرض جسومهم بنور شموسهم، فأذعن الكل لسلطانك وارتسموا في ديوان عبدانك، فقبلت يمينك في ذلك الموقف وتأخرت ورجعت لعالم شهادتي بتلك الصفة وظهرت، فبقيت مدة يناديني العدو والولي، هذا العزيز العلي، لقوة ثبوت الصفات، ونسأل الله العافية من الآفات، والله يبقيني لمجدك خديماً، ولنعلك

نديماً بمنه وأعرفكم عرفكم الله بما به الهمة متعلقة، وستركم عن الاغيار بأفنان غيرته المورقة، وأخلفكم في عنايات أسرار أنواره المشرقة، ووعر الطريق إلى مقامكم بأنزال سحائب عزته المغدقة، بوصول كتابكم الذي ارتد به عين البصيرة بصيراً واتخذه الخديم موئلاً لمقام الأمن ونصيراً، فكان أول ما به تمام كتابكم المسطور المودع أسرارها من النور.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تيمناً وتبركاً باسمه العزيز الكريم ثم اتبعتم رضي الله عنكم ذلكم بالصلاة على الموروثة أسراره تيمناً لمقام النعمة التي ظهرت منه آثاره، ثم قلتم رضي الله عنكم وسلام على المرسلين إشارة بحصر المقامات أجمعين ثم قلتم والحمد لله رب العالمين شكراً لهذه النعمة التي حاباكم بها في محل كشف المقربين ثم خاطبكم رضي الله عنكم رهين ودكم عقيب شكركم وحمدكم، فقلتم أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، فكانت له البشرى هنا ويوم الدين، وكنت أترقبها من كتاب الله في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله، ثم قلتم لا تخف أنك أنت الأعلى وكيف يخاف عبد بهمتكم علا ثم قلتم إنني معكما أسمع وأرى، فقطعت أني قد تخلقت بصفتي موسى وهارون لا على السواء ثم قلتم وليكم فلحظت من هذه الكلمة ما لحظت الصحابة من قول النبي عليه السلام: أنا نبيكم[1] ثم قلتم سلام عليكم ومن كان سلامك عليه لا يرده الحق بعد فنائه إليه.

ثم قلتم مسرور بكم وأنى للخديم أن يسر به مخدومه وللمقام به أن يلهج به قيومه، ثم قلتم فارح بما فتح الله عليكم فعلمت أن همتكم كانت بي متعلقة، ولذلك لم تكن الأبواب دون وجهي مغلقة، ثم قلتم ومعلم لكم بوصول المكتوب تنبيهاً أنه أتى على وفق المطلوب ثم قلتم الذي أرسلتم مع محمد، نبهتم على استصحاب المقام اليثربي الأوحد، ثم قلتم رضي الله عنكم وبموت ابن عمكم حالة جيدة، وكيف لا يكون ذلك وكانت أنفاسه بهمتكم عن ملاحظة الأغيار مقيدة، ثم قلتم ونسأل الله أن يثبتكم بالقول الثابت، موافقة لدعاء عيسى عليه السلام لي وأنا مائت، ثم قلتم وإن يشيد مشاهدكم، وكيف لا تقوى وفطركم منها تشيدت.

ثم قلتم وإشراق مطالعكم، وكيف لا تشرق وبكم تأيدت، ثم قلتم وإن ينور بنور الحقيقة مشارقكم ومغاربكم، اجيبت الدعوة بكشفكم، ثم قلتم وإن يقطع قواطعكم وسوابقكم ولواحقكم، إذا أعانني الله عليها نضر بها بقائم سيفكم، ثم قلتم وإن يوصل

(١) أخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية ١/ ٣١)، وأبو عوانة في (المسند ١/ ٥)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٤/ ١/ ١٥٨).

أنواركم، وليلكم بنهاركم، وصلت إن شاء الله بسلوكي حميد آثاركم، واهتدائي برفيع مناركم، ثم قلتم ما زاغ البصر وما طغى، فكيف يزيغ لعدم لا يرى، ثم قلتم كتابنا ورد، الوصل يشملنا تفضلاً منكم وتأنيساً وإلا فأي رداء يلحقنا وأنتم بالمقام الأسنى، وخديمكم بالجانب الأدنى.

ثم قلتم والسلام معاد عليكم، ختمتم اختصاصاً بما به بدأتم وإن كنتم قد أخفيتم اسمي في سلام على المرسلين فالحمد لله على ذلك رب العالمين، ثم قلتم ورحمة الله وبركاته، باسم الله إذ باقي أسمائه بحولها صفاته، ثم قلتم ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، إشارة إلى فناء المحدث بظهور القديم.

ثم قلتم وكتبت يوم الأحد، بذلك أن سركم في ذلك. . .[١] في قوة التوحيد وعين بصيرتكم لإدراك الواردات حديد، ثم قلتم في العشر الأول، بما كتبتموه في العشر الأول ثم قلتم في ربيع، نبهتم على ابتدائيات الغيوب إما في أرض الجسوم وإما في أرض القلوب فلما قلتم ربيع الثاني علمنا أنه من مقامات الملاحظات إذ الشهور كما في كريم علمكم تجري على بدايات الطريق وغاياته، ومقدماته ونهاياته، وذلك أن في المحرم وهو أول السنة مقام الابتداء فيه يحرم على المريد ما كان فيه من الاعتداء.

ثم في صفر تخلى أرضه من نبات السيئات لتزول لنزول الأنواء، ثم في ربيع الأول ينبت فيه ربيع المعاملات، وفي الثاني ربيع الملاحظات، وفي جمادى الأولى جمود الأحوال، وفي الثاني جمود الأسرار عند الإقبال، وفي رجب ترجيب الواردات، وفي شعبان تشعيبها في البرزخيات، وفي رمضان خرق العادات لثبوت الآيات، وفي شوال إشالة الحجب للواصل لأهل العادات، ثم في ذي القعدة قعوده لأهل البدايات، ثم في ذي حجة حجة بهم في الصفات إلى الذات، وهنالك تبلغ الغايات وتتحد الشاهدات والغائبات وتجتمع الهمم والإرادات ومن هنالك ابتداء نشأة أخرى في الحضرات الإلهيات والحمد لله رب العالمين.

كتاب آخر: خاطبنا درة الكيان وزهرة العيان بحمده، وقد رجع إلينا الملك من عنده، وأخبر أن سر كبد النون مخبو تحت لفظة نون فعلمنا أن السمسمة هناك، وأن دونها الأملاك:

سمسمة ربة امثالها ... خلت فما تدركها سمسمه

لما رأت سرك يسري لنا ... قالت له يا سيدي سم سمه

فحادت العين إلى درة ... لقول عجباً لسني الشمس مه

(١) بياض في الأصل.

فأخذنا في اختراق الحجب باحتراق الذنب وما زلنا على ذلك حتى. . [(١)] العميق، والركن الوثيق، فانخنا الركائب، وقمنا على ديار الحبائب، نندب آثارها الطامسة، واطلالها الدارسة، وهي ملعب للرئال[(٢)]، ومهب للصبا والشمال، ديار درستها الجنائب، وبكتها السحائب، فراجعنا الصدا، ونادى سرنا بمثل ما به بدا، فانتهضنا عن الملكوتيات مرتحلين، وكنا نخاطب الحقيقة مرتجلين.

أنا الذي أنت فمن ذا الذي ... قال أنا وأنت أينيتي
قال أنا قلت أنا قال قل ... قلت أنا قال بأنيتي
أنت أنا لا أنت غيري وقد ... كنت أنا وأنت عينيتي
قلت أنا لا بل أنا حاضر ... وغائب عني وعن حضرتي
فالنون مثل الكاف مهما مشت ... خواطر التحقيق في نشأتي
انظر إلى الحرف الذي قد بدا ... ما بين كاف النون من حكمتي
فمن يكن غيري أكنه أنا ... ومن يكن ذاتي فيا وحدتي
أعد في الخلق عبيداً له ... وأنه في بوتر يتي
أعد في الناس حبيباً لهم ... وأنني فيهم بشفعيتي
قد كشف السر بدار الفنا ... أين أنا مني ومن حيرتي
أنا أنا لست أنا قائلاً ... عبد أنا إلا بأيتي
اللّه رب وأنا عبده ... والكل في قهري وفي قبضتي

فلما امتزجت الحقائق، واتحد المعشوق والعاشق، برزت الألوهية في سلطانها، وتبرزت العبودية في غيطانها، فصار العين لديها أثراً، والمشاهدة خبراً، وظهر الفصل للمحسوسات مع كونها مرءوسات، فهذا هو سر الأعيان، والمعبر عنه بالإنسان، صرح به الواحد الحي، في ليس كمثله شيء، وضرب الحجب دون الملك، واستوى على عرشه الملك، عرشه حقيقته، واستواؤه مثليته، لؤلؤة القدم جرت على اللسان فرقمها في لوح زمردة العيان، وعبر عنها في صريف القلم الرحمٰن، فقال ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمٰن: ٣١]، للنشأة النقلية سر لو بدا، ما ضل أحد ولا اهتدى، هو الممد للعالم الأعلى، وصاحبه الطريقة المثلى، لما حملت على كل شيء ثقلت فرجحت، وسلبت الكونيات كل شيء فخفت فانحجبت، فسخرت الملكوت للنقلية فحركها بالرقيقة المثالية، فعنت وجوهها لقيومية النقل، وزل لعز الحس سلطان العقل،

(١) بياض في الأصل.
(٢) الرئال: (ج) الرَّأل: فرخ النعام.

وأنتم أيها الحزب المفلح، والفرع الكريم المنجح، اعرفوا قدر من استنزل روحانية الروح الأمين، بربوة ذات قرار ومعين، هو الكاتب في ألواحكم، والمسوي لأشباحكم، وصاحب النفخ في صوركم من أرواحكم، فاعلموا قدر ما نظر به منكم، وما يوجد بسببه عنكم، فلقد أوجده الحق درة صدفتها الغيرة، ومقلة حدقتها الحيرة.

كتاب آخر

ألا حيِّ القبور وساكنيها ... وحيِّ شمسها أم العلاء
بكيت وكيف لا ابكي عليها ... سمية بنت خير الأنبياء
بكيت وحق لي أبكي عليها ... إلى يوم القيامة واللقاء
نعيت بعبرة المشتاق حزناً ... لعبرتها وفارقني عزائي
وما لي لا أنوح أسى وأبكي ... وأي بلاء أعظم من بلائي
وساعدت الدموع فلم أنادي ... إلا يا عين جودي بالبكاء
أسيدة البنات ومن تخلت ... عن الأشياء في طرق الحياء
سقى جدثا حللت به حبيباً ... إليّ مكرماً صوب السماء
أجيبي واسمعي الشكوى وردي ... جواب أخ قريب منك نائي
أجيبي ما لقيت فخبريني ... من الأسرار في كشف الغطاء
أنعمي كان عند الكشف حتى ... يكون لنا النعيم على السواء
وظني بالإله لها جميل ... فحقق ظن عبدك يا رجائي
دعوتك في فطيمة مستجيراً ... بفاطمة تقبل لي دعائي
وتحشرها وإياها جميعاً ... مع المختار في ظل اللواء
وتجمع شملنا ولنا سرور ... لنا دار الإقامة والثواء

إلى محل الوالدة الأخت المكرمة أم السعد بلغ الله بها حيث اسمها، وقوى صبرها، وربط على قلبها، وأعظم أجرها، ويدعو لها وقد اتصل به الأمر الذي لا بد منه، ولا محيص لمخلوق عنه، وفاة البنت الشهيدة، الأخت الطيبة السعيدة، الدرة البيضاء، سمية فاطمة الزهراء، المرجو لها الغفران، والروح والريحان، في دار الكرامة والرضوان، ولعله نعيم استعجلها، وأهلت له كما أهل لها، حقق الله تعالى في ذلك حسن الظن والرجاء، وأجاب فيها خالص النداء، أنه سميع الدعاء فخاطبها ابنها معزياً ومصبراً ومنبهاً ومذكراً، فأول ما استفتح به الخطاب، وقدمه في صدر الكتاب، وفتح به باب العز، أحمد من له العزة والبقاء، وثنى بالصلاة على خير الأنبياء، ثم أخذ في

الموعظة الحسنة على منهاج الاقتداء.

فقال أحمد الله أقدم، وبه اختم، وأتمم الذي جعل الموت غاية كل حي، والفناء منتهى كل شيء، إلا ما استثناه في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] قهر به سطوة كل جبار عنيد، وهلك به سلطان كل شيطان مريد، عم بلاؤه الصالح والطالح، والمفلح والكالح، مصيبة لا تنقضي أوصابها، ولا يساغ صابها، والصلاة على محمد صاحب المعراج، والمقامات، والمعجزات والكرامات، وبعد الارتقاء لذلك المقام الأرفع المشهود، وشهد له بالاستواء على المقام المحمود، صار ضجيع اللحود تحت الجنادل(١) والصعيد(٢)، فما لنا لا نفكر وما ذا نرجو وننتظر، فبدار بدار الخروج من هذه الدار لما لا بد منه، ودراك دراك بالأسباب المفيدة من الهلاك ما لا محيص عنه.

أما بعد ألهم الله الأخت الحبيبة، الوحيدة الغريبة، إصلاح شأنها قبل حلول آوانها، واقتران انقضاء زمانها، وجعلها ممن نظر بالأصلح لنفسه، فمهد لرمسه(٣)، واستدرك في يومه ما فاته في أمسه، قبل خسوف بدره، وكسوف شمسه، فإن الموت قاطع الآمال والأعمال، ومشتت الأهل والمال، ومخرب الديار السامية، ومهلك الجبابرة بالطاغية، لم يدع صاحب تاج وإكليل، إلا أودعه بطن دارس محيل، أين بنو الأصفر وخاقان، وفارس وأبناء قحطان، وقيصر وآل ساسان، ونبيط أخت كلدان، أصحاب الأطواق والتيجان، أبادهم ريب الزمان، وأخنى عليهم الجديدان. ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨] إنه لو لم يكن في الموت إلا تجرع الآلام، وانحلال هذه الأجرام، ومفارقة الليل والنهار وإن طال الأعمار، إلى محل يندرس فيه الأخبار والآثار، لأطلنا التفكير والاعتبار، فكيف ومن ورائه مساءلة وحساب، ومناقشة وعتاب، فإما إلى نعيم وإما إلى عذاب، في يوم يشيب فيه الوليد، ويخضع فيه كل جبار عنيد، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، فهل من مساعد على النوح والبكاء، على أن أفوز مع السعداء، هيهات هيهات اشتغلنا بالترهات، عما حل بالأموات، اعتكفنا على أصنام لذاتنا، وأرسلنا عنان شهواتنا، وفرطنا في جنب الله كأننا في أمن مما توعد نابه الله فكأنا والله قد اختلسنا بسطوته، وأزعجنا إلى دار غربته، وفارقنا الأحباب، وتقطعت بنا أسبابنا، وتشتت بعد الجمع عيالنا، وتقسمت بالميراث أموالنا.

أما حان لنا أن ننظر إلى سهام المنية، كيف أصابت قراطيس البرية، ولا بد

(١) الجنادل: (ج) الجندل: الحجارة. و ـ الصخر. الواحدة. جندلة،
(٢) الصعيد: وجه الأرض. و ـ: التراب (ج) صُعُد.
(٣) الرَّمْسُ: القبر أو ترابه (ج) أرماس ورموس.

لقرطاسنا من سهمها، ولا بد لأنفسنا من يومها، لقد رأيناها قد نصبت حبالتها، وأدارت علينا إهالتها، وعركتنا بثفالها[١]، ورمتنا بنبالها، وأين الفرار، وكيف القرار، حجبتنا الدنيا بحسن الحال، عن تذكر الترحال، إلى دار العاقبة والمآل، مع علمنا أنها في اضمحلال، وإن نعيمها إلى زوال، أما آن لنا أن نرجع ونسمع ونقلع لقد تيقنا القدوم على الحي القيوم، قل الحياء، وعظم الاعتداء، جعلنا في آذاننا عن سماع وقراً، فحملنا على ظهورنا من الأوزار وقراً، تالله لقد ظهرت للعيون، ما يعبأ العلى بالدون، غرسنا الأماني بدار الغرور، وزرعنا البذور في غير معمور، وكأن بنا نجني ما غرسنا، ونحصد ما زرعنا.

سيحصد عبد الله ما كان حارثاً   فطوبى لعبد كان لله يحرث

كفى بأنفسنا اليوم حسيباً، وبربنا علينا رقيباً، والله ما خلقنا عبثاً، ولا نترك سدى، بل هو يوم مشهود، يتميز فيه الشقي من السعيد فانظري وفقك الله إلى ما أنت عليه صائرة، وليشغلك ذلك عما أصابك من الحادث الذي نابك وهل هو إلا أمر يعم الفقير، ولا بد لنا من ورود ذلك المورد العسير، وقد مات رسول الله ﷺ وهو خير البشر ومات نساؤه وصحابته ووزراؤه حتى ما بقي في الدار من أحد.

أخنى عليها الذي اخنى على لبد

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] فسلمي الأمر للقضاء، وقولي ما قال سيد الأنبياء، وقد دمعت عينه ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يكيد بنفسه بين يديه ﷺ فقال «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»[٢]، فلا حرج عليك في إرسال الدموع وتفجع القلب المصدوع، فإن النبي ﷺ وقد رفع له صبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة[٣] ففاضت عيناه فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، فالبكاء مباح من غير نياحة ولا صياح[٤].

---

(١) الثُّفالُ: الحجر الأسفل من الرحيٰ.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الفضائل ٦٢)، وأبو داود في السنن (الجنائز ب ٢٨)، والبخاري في (الصحيح ٢/ ١٠٥)، وابن ماجة في (السنن ١٥٨٩)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٤/ ٦٩) والسيوطي في (الحاوي للفتاوى ٢/ ١٨٩)، وابن حجر في (تغليق التعليق ٤٧٥، ٤٧٦) وابن أبي شيبة في (المصنف ٣/ ٣٩٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤٠٤٧٩، ٤٢٤٧٨) والقرطبي في (التفسير ٩/ ٤٢٩)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٩٥، ٣/ ٢١١) والبيهقي في (دلائل النبوة ٥/ ٤٣٠).

(٣) الشنة: القربة الخَلَقُ الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها.

(٤) أخرجه البخاري في (الصحيح ٢/ ١٠٠، ٧/ ١٥٢، ٨/ ١٦٧، ٩/ ١٤١)، ومسلم في صحيحه (الجنائز ١١)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٦٨، ٥/ ٢٠٤)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٤/ ٦٥) وعبد الرزاق في (المصنف ٦٦٧٠)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ١١٨، ١١/ ٥٤١، ١٣/ ٣٥٨) والمتقي =

وقال عليه السلام: ألا تسمعون أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحمه(١)، ومات ميت من آل النبي ﷺ فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر فنهاهن فقال رسول الله ﷺ: دعهن يا عمر فإن العين دامعة والفؤاد مصاب والعهد قريب(٢)، وهذه كلها أخبار صحاح أوردتها عليك أيها الأخت الشقيقة، لتشتفي من بكائك مع علمك أن لا ذنب عليك فيه ولا سؤال، وإن احتسبت وصبرت كان أجرك على الله وظفرت فقولي إنا لله وإنا إليه راجعون، يثني الله عليك ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٧] وقد ذكرتك فاذكري ووعظتك فازدجري، واستعدي للنقلة إلى الدار الآخرة، وفكري في الجواب عند السؤال في الحافرة(٣)، فكأن بالدنيا لم يكن، وبالآخرة لم تزل، فربح عبد قصر الأمل، وأخلص في العمل، ونظر فاعتبر، وفكر فاستبصر، ووعظ فازدجر، وأمن الفزع الأكبر، أرشدنا الله إلى طاعته وأدخلنا برحمته في رحمته، والسلام.

كتاب آخر: مفاتيح الأمور بيد الله الكريم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وهو القائل سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، فطهروا قلوبكم من دنس الإعراض، وقيدوا جوارحكم عن ارتكاب الجرائم والآثام، وجودوا مما رزقكم الله على فقرائكم، وكونوا عباد الله إخواناً، واعتصموا بحبل الله جميعاً، واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم. وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون فإذا أحكمتم هذه الأمور وصحت العزمات في التوجه إلى من إليه المصير فاطلقوا ألسنتكم بالدعاء، واجتهدوا في إخلاص النداء، فإنه القريب المجيب قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] فقرن إجابته لكم بإجابتكم له، وقد تقدم دعاؤه لكم في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٣١] فإن

= الهندي في (كنز العمال ٤٢٩٠٢، ٤٢٤٨١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١٧٢٣) وصاحب (الأذكار النووية ١٣٤).

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٢/١٠٦)، ومسلم في الصحيح (الجنائز ١٢)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٤/٦٩)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١٧٢٤)، والبغوي في (شرح السنة ٥/٤٢٩)، وصاحب (الأذكار النووية ١٣٤)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٤٢٩)، والكحال في (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية ١٣٨)، وصاحب (شرح معاني الآثار ٤/٢٩٢).

(٢) أخرجه النسائي في (السنن ٤/١٩)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٤/ ٧٠)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٧٤٧، ٢٠١١)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٢٢٤٧٥)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٨٧).

(٣) الحافرة: الأرض المحفورة.

استجبتمْ استجاب لكم وإن تصاممتم فما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وإنما هي أعمالكم ترد عليكم، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض، وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين، فقد غفر لكم وأجابكم إن أنتم أجبتم داعيه، وكلامه حق، ووعده صدق، وإن كان ما حل بكم عن ذنوب تقدمت، وجرائم سلفت، وفرطت، ثم اقلعتم عنها وتبتم إلى الله منها، ولم تصروا على ما فعلتم وندمتم على قبيح ما صنعتم، فإن الرجاء وحسن الظن بالله تعالى يقطع إن شاء الله عز وجل على الله وكرمه بكشف ما نالكم من السوء، ودفع ما دهاكم، وإن أمراً من الله تعالى عن غير عقوبة إلا جزيل مثوبة، فالقوا ذلكم بالتسليم، والتفويض فلا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وتعلمون عند ذلكم أنكم ممن اعتنى به الله وابتلاه فالبلاء في الدنيا نعمة معجلة من الله تعالى على عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] فالبلاء على قدر المراتب عند الله تعالى وجاء في الأثر أن النبي ﷺ قال: ما ابتلى الله أحداً من الأنبياء بمثل ما ابتليت به.

فسأل عن هذا بعض العلماء فقيل له: إن أيوب وزكريا وما أشبههما من الأنبياء عليهم السلام قد ابتلوا بأعظم البلاء ورسول الله ﷺ ما ابتلى بشيء من ذلك فما هذا البلاء الذي ذكر رسول الله ﷺ أنه ناله؟ فأجاب عن ذلك المسؤول بأن قال وأي بلاء أعظم من بلاء رسول الله ﷺ وقد أنزله الله لمخاطبة هذا العالم الأدنى بعد مشافهة الوحي من غير واسطة في قاب قوسين أو أدنى، فأي بلاء أعظم من فراق الحبيب فما ابتلى أحد بمثل ما ابتلى به ﷺ، وأنتم فرج الله عنكم ودرأ عنكم الأسواء ووقاكم ما تجدونه وجعل ما حل بكم غفراً لذنوبكم ولكم في هذا الانحصار الذي عمكم، والداهية الدهياء التي وطئت أرضكم، صدم الله بقوته سلطانها، ورمى برجوم الإحراق شيطانها، فلكم فيه أعظم معتبر، فانظروه بعين البصيرة لا بعين البصر.

واعلموا رحمكم الله أنه لا منجا من القدر إلا القدر، ولا يغني الاستعداد والحذر، هل هو إلا تأنيس النفوس، وحصن لاستدامة بقاء هذا البناء المحسوس، فاتخذوا حصركم هذا واعظاً زاجراً، ومعرفاً ذاكراً، بأن العبد محصور في قبضة الاقتدار، مملوك في يد من بيده ملكوت كل شيء وهو الواحد القهار، يتصرف بالحقيقة، تحت قيد الشريعة.

فلما كان الأمر معنوياً، والسر ملكوتياً مع عمى البصيرة، عن النظر في إصلاح السريرة، ارتكبت المحرمات، وتورط الجاهلون في الشبهات، فسحبوا أذيال المجون واللهو، ونفخ الشيطان في أنوفهم وسمت بالكبرياء والزهو، وغفلوا عن انحصار معناهم، تحت قهر مولاهم، أراد سبحانه أن ينبههم بما دهاهم في معقلهم ومغناهم، تأديباً وتهذيباً، وتخليصاً لنفوسهم إن شاء الله وتقريباً، فحصرهم من قال فيهم أشد كفراً

ونفاقاً، وأقلهم رحمة واشفاقاً، حتى نغصوا عيشهم، وعطلوا عليهم فرشهم، وظل الإنسان لا يعرف قبيلاً من دبير وكأنه دهاه يوم النشور فالجؤا رحمكم الله إليه افتقاراً واضطراراً، وادعوه سراراً وجهاراً، عساه يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجاً، واتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله وقولوا ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يقول لكم: نعم كما قال لمن سلف، فهو أرحم بعباده وأرأف. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتاب آخر

تحية مثل عرف الروض في السحر ... على الإمام الأجل السيد الخضر
معلم العلم من جاء الكلام له ... من الإله بلا غبر ولا غير

عالم العلماء، ورافع لواء الصفات والأسماء علم الحقيقة، ورئيس بدلاء الخليقة الذي وصلت حياته الفانية بباقيته، وجمع له بين سره وعلانيته، جعل الحوت عليه دليلاً، فاتخذ في البحر سبيلاً، فلما اتخذ سرباً، شكا الكليم نصباً، فقال لفتاه آتنا غداءنا فقال اتخذ في البحر سرباً، ورآنا فارتدا على آثارهما قصصاً، فلما أبصرا مقام ارتفاع الوسائط شخصا، فاتبعه الكليم، على الرشد والتعليم، فخرقت سفينة تابوت يمه وقتل غلام قبطي همه، وأقام جدار حتى صدر الرعاء وأبونا شيخ كبير وقنع بالظل وإني لما أنزلت إلي من خير فقير، ثم أعطيت ما أردت وأردنا وأراد ربك ما احتوى عليه من الأدب الإلهي قلبك سر فعال في الوجود، وهمة تعالت عن السجود، وقالت أيها العابد والمعبود، إذ كانت متكلمة بغيرها وفانية على صفتي نفعها وضرها فتنازعنا الحديث مع الملك لياليا، وامتطينا للسباق فيما أذكره سوارياً وأظهرت بين الصديقية والنبوة مقام لا تبلغه أكثر الأفهام.

وقد علمت ما قال أرباب المحققين من أنه لا يتخطى رقاب الصديقين، حذراً من الوقوع في المقام الذي لا ينال، ولا تبلغه سهام النضال، وأنا أتخطاه وأعلو مطاه وهيهات لما ذكروه ويا عجباً للعارفين كيف ستروه، بل لو علموه رمزوه وأبدوه. مكتماً وألغزوه، ألست قد بينت بحقيقتك واعظاً ما شاهد طريقتك حضرة بين العالمين، ورتبة بين المقامين، مع كونكم عندنا دون المقام المحتوم، بل في اتباع أسرار الرسوم، فرغبنا في جوابكم عن هذا المقام، وهل وقف عليه غيرنا من السادات الأعلام، فإن أبا حامد قد صرح بحجابه في غير ما موضع من كتابه، وغيره من الأئمة على سنته وطريقته محجوب بحقه عن حقيقته والله يؤيدني بجوابك، ويشرفني بكتابك:

بيني وبينك سر ليس يعلمه ... إلا الذي قال كن للشيء عني فكان

إذا كنت بالسفل عني معرضاً وأنا بالعلو إذ قلت صدق ما يقول فلان
هذا سميكم الدقاق يخبرنا بصورة الحال أخباراً بغير لسان
هو الرسول إليكم من خديمكم على تناء وإن أمسى لقاؤك دان

كتاب آخر: ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما يضرنا جهل الجاهل لنا إذا كان الله يعرفنا، لله خصائص صافهم فصافاهم فشرعوا شرائع دانوا الله بها فيما بينهم وبينه فهم على بينة من ربهم ويتلوهم شاهد منهم، عاينوا الحقائق فتحكموا في الخلائق، استتروا عن الكونين وخبأهم الحق تحت حجاب الغيرة والصون لهم بين الخلق بعوائدهم وهم مع الحق على صلاتهم دائمون يناجونه بعبارات روحانية، ولطائف سماوية، استقرت أقدامها في ملكوته وسرحت أفكارها في جبروته فلهم التعريف والتصريف، ولهم التصويب والتحريف، تجري أمورهم على قياس، وما هم في شك مما يوردونه ولا التباس، بأيديهم أزمة الحلال والحرام، ومن عندهم تخرج مقادير الأحكام، فيأخذون من الكون ما يريدون لا ما يشتهون فهم فيما نصب لهم الحق من التمتع فاكهون، فمن أراد أن يغترف من بحرهم وينخرط في سلكهم، فليسلم لهم أحوالهم ولا يزنها بميزان اللسان الظاهر، فإن في خفايا الغيب في الحاضر، ما يقضي على الغابر، رسل تترى مع الأنفاس وأنواع تنفصل من أجناس، فقد سعد من كان له محلاً، وصير ذاته له حراماً وحلا، فصير قلبه مسجداً، وذاته معبداً، يقيم العبادات فيه الروحانيات العلى، بالمنظر الأجلى، وقد أوضحنا للولد ما يقتضيه حاله وما يبقى عنه به إن كان موفقاً محاله، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ونحن على ما قال الله من الشاهدين، وبرسله عامة وبمحمد خاصة مصدقين. وقد أمرنا بأمر الله ونهينا وغير ذلك ما يجب علينا ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤] سلم تسلم والزم الصدق تغنم وقد نصحتك، والسلام.

كتاب آخر: أما بعد يا أخي فإن الله سبحانه لما كلف خلقه وعرفهم على لسان نبيه عليه السلام بما شاء أن يعرف وجب على كل عاقل حكيم ومستبصر فهيم التأهب لما وعد، والتأمل لما به توعد، فبادر بالطاعة جهد الاستطاعة وشد عليه مئزر الحذر وتدبر ردع قوله سبحانه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١١ ـ ١٢] فإذا تيقنت النفس بورودها على تلك الأهوال، سهل عليها عند ذلك ركوب شدائد الأعمال، فراقب الأوقات وخاف الفوات، واتقى الآفات، وقدم ما يحبه بين يديه ووثق به سبحانه وعول عليه، فمن إليه الرجوع حتماً، ينبغي للعاقل أن يتخذ عنده يداً ولا سيما من أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، فالواجب علينا يا أخي إذ وقد بعد الدار، وشط المزار، أن يدعو بعضنا لبعض بظهر الغيب، أن لا يجعلنا فيما عرفنا به

أصحاب غفلة ولا ريب، نهج الله بنا مناهج الاهتداء، وعرج بنا معارج الاقتداء.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإن التجليات ضروب شتى يجمعها الفناء والبقاء فمن طلب تجلي الفناء لم يدر ما طلب لأن الحق يعطي التجلي ويعطي فيه فإذا أفناه التجلي لم يدر ما يعطي فيه يا أخي انظر فيما حصل لك عند الانصراف من التجلي فذلك حظك وبه نعيمك، وعليه اعتمادك، تسابق العارفون إلى الله على نجب الهمم وتسابق العلماء على أفراسها، وتسابق إليه الأنبياء على براقاتها وتسابق إليه المحمديون على رفارفها، وغاية كل سابق بحسب مركوبه، فالرفرف تحمله الرياح، والبراق يحمله الجناح، والنجيب يحمله السواط، والفرس يحمله المهماز[1]، فعليك بالاستعدادات فهي الوسائل، يا أخي عجبت ممن يطلب التجلي ممن لا حجاب عليه، عجبت لمن غمض عينيه، وقال أريد أراه، عجبت، لمن اعطاه ظهره وقال إياك أقصد، عجبت لمن مديده لغيره وقال إياك أسأل على علالات ليس لها طائل والسلام عليك ورحمة الله.

• **كتاب آخر:** من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فاعلم أن السبحات أنوار الوجه وهي التي تدرك لا الوجه فإنها حجاب عنه لكن ما بين هلاك مدركها وبينها إلا وجود إدراكها فلهذا لا تدرك لأن المراد من المشاهدة إنما هو بقاء العين لتحصيل الشاهد.

يا أخي: إن الأنوار، أنوار بها يتراءون العوالم لا تقل، ـ يا أخي ـ كيف أراه وهو نور له ضياء وله ظلمة وظل فيوقفك في الظل ويسبح ببصرك في الضياء فتراه، وتعلم أنه ما أوجد الكون كله إلا من النور وكان ظلمة دونه فهو النور وأنت الظلمة، واعلم أن الظلمة في النار والنور في الجنة، والرؤية إنما تكون في الكثيب لوجود الضياء والظل، والجنة حجاب لأنها نور، والنار حجاب لأنها ظلمة فافهم، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فاعلم أنه قابل الجمع بالجمع إلا أنه جمعه بين الهوية والأنية والصوائد ارتباط الأنية بالأنية والهوية بالهوية، فاعلم يا أخي أنه إنما جمع لك ليعلمك أنه لم يفردك لمقام فتقف عنده فإنه لا يحب من عبده المحمدي أن يقف في مقام فيضيق الواسع فيكون جاهلاً وهو يعظك أن تكون من الجاهلين.

يا أخي: غاية التقريب من الشيء أن يكون من الشيء تحت العرض بحيث جوهره وإن كانا ذاتين ودونه في القرب أن يحوي عليك وقد تحوى عليه فالأول الرحمٰن على العرش استوى، والثاني ووسعني قلب عبدي، فاختر من هذه الثلاثة ما تريد.

---

(١) المِهْمازُ: حديدة في مؤخر حذاء الفارس أو الرائض، ينخس بها دابته لتُسرع (ج) مهاميز.

يا أخي: العبدية أرفع من المعية والمعية طريق وغايتها العبدية.

يا أخي: «لي وبي» مقامان رفيعان وفي أرفع منها وعزته وجلاله لقد انكحني الحروف والكواكب بالمغرب فما رأيت ألذ من نكاح «في» فاعتمد يا أخي على «عند» إذا خرجت إلى عالمك واعتمد على «في» إذا دخلت إليه، واجعل بينهما «لي وبي» سلمة فاجعل «لي» يخدم «في» «وبي» «يخدم» «عند» وقد نصحتك، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإن ثم عباد حجبهم عن الحق فلا يظهرون إلا بظهوره في الدار الآخرة، وثم عباد لا يظهرون لا في الدنيا ولا في الآخرة، وله عباد عرفهم أسرار الخلائق فهم يعرفون ولا يعرفون وله عباد عرفهم به ولا يعرفون غيره مختصون فمن عرض نفسه عنده لأي مقام شاء، باستعداده أوصله الله إليه ومنحه إياه.

يا أخي: لا تغتر بولاية الدنيا فإنه يوليها من يرتضيه ومن لا يرتضيه بخلاف الآخرة فإنه ما ولاها إلا من يرتضيه.

يا وليي: اسمع من ناصح مشفق كرامات أولياء الله وخرق عوائدهم في بواطنهم لا في ظواهرهم فإن الكرامات الظاهرة تمحيص، وبلاء فمن وقف معها كان لها ومن هرب عنها فتح له في قلبه عيناً به ينظر إليه فينعم نعيم الأبد ويعطيه لساناً في باطنه يكلمه به فذلك وليه الذي آثره وإليه ينظر وإياه يطلب والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فاعلم يا أخي أن المسلم يخاطب ويناجي والمؤمن يعلم والمحسن يؤدب فالمسلم ينقاد والمؤمن يصدق بما لا يعلم والمحسن يشهد الحق فيه إذا رأوا ذكر الله ثم لتعلم يا أخي أنه إذا تنزلت الأرواح على الهياكل فإنها لا تنزل في هياكل أنوارها وإنما تندرج في هيكل ممتزج ممثل من البرزخ ليرتفع الافكار وتقع المؤانسة بالجنس فمن قعد منكم بين يدي صاحبه فليتابعه فقد نبهتك يا أخي أجب سائلك على كل حال وإن علمت أنه يعلم ما سأل عنه فكن أديباً تحريراً جهبذاً[1]، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد. فإنه تناظر موسوي مع محمدي فقال الحجاب لطف، الحجاب أشرف من قوة الهمة، لطف الحجاب يعطي القرب لا الضعف، فإن القوة والضعف ليس بحقيقة للعبد، إذ لا أثر لقدرته فحاج المحمدي الموسوي، اسمع يا أخي سبب المناظرة ما هي قال تعالى جاء ربك في ظلل من الغمام فكان كالجبل لموسى والجبل أكثف والمقام المحمدي أشرف فحجابه ألطف أين لطف الغمام من لطف الجبل، هبت رياح همم العارفين عندما تنفسوا

(١) الجِهْبِذُ: النَّقّاد الخبير بغوامض الأمور (ج) جهابذة، وهو الجهباذ.

شوقاً إليه فمزقت الغمام فظهر فخروا سجداً، همة موسى دكة الجبل، فكان أقوى، فإن الغمام ألطف من الجبل فهل الشرف في قوة الهمة أم في لطف الحجاب كما يؤذن بالقرب يؤذن بالضعف، كثافة الحجاب كما يؤذن بالبعد يؤذن بالقوة، فهذا كان سبب المناظرة والمحاضرة فاشتغل يا أخي بتلاوة كتابك تنزل السكينة غمامة عليك يستمعون الذكر فتكون جليساً للملأ الأعلى هو أحسن من البطالة أو كن أستاذاً يتلو عليك كتابه فيكون منزلاً من ربك بالحق غض جديد لا تقليد فيه، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك.

أما بعد: يا أخي فإني أوصيك فاعلم أن الحق إذا أوقفك في المقدار وخاطبك من خلف الاستار بينك وبينه حجابان المقدار والخطاب، أما حجاب الخطاب فإن الرؤية والكلام لا يجتمعان لأنه إذا خاطبك أفهمك وإذا أشهدك أفناك عندك فلم تعقل أنت أنت.

وأما حجاب المقدار فإنه يعطي المحاذاة وهي لا تصح هناك فأنت في البساط قاب قوسين لا في العين أقرب قاب قوسين قطرى الكرة ومن حيث هو مقدار تساوى فيه البعيد والقريب وذا النون إذ ذهب مغاضباً ثم نادى في الظلمات، وكان قاب قوسين أو أدنى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، مقام عام ومقام خاص يؤذن بالقرب والبعد فهو الموجود في النور والظلم فليس بشيء أقرب إليه من شيء فأين التفضيل نعم الفضل عندك على قدر علمك بك ما كل أحد يعرف نفسه دليل ما أقول من نفسه فلماذا يجهلها عند البسط من قال لا أعرفها فلماذا يعرفها عند القبض فالزم الطريقة والحث على الحقيقة توفق، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك، أما بعد يا أخي فإن العيون ثلاثة، عين الوجه وقيده بالجهة، وعين العقل وقيده بالفكر، وعين القلب وقيده بالكشف، فكل عين مقيدة وهو لا يتقيد فبأي عين تراه عين القلب مجاله في الغيب وعين الوجه مجاله في الشهادة، وعين العقل مجاله في الطلب وهو خالق الغيب والشهادة والطلب، وما ثم عين رابعة، فأين العين التي تدركه يا أخي مشهودك فيك وهو صورتك، لكنك لا تراها إلا فيه وإن لم تره لم ترها فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، فيك أخفى مطلوبك وأنت حامله أبداً ولا تعرف فابحث على هذا المشهد الذي نبهتك عليه فلقد دللتك على أمر عظيم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك.

أما بعد: فإنه من شاهده لم يعظم عنده شيء إلا الخاصة من عباده فإنهم إذا شاهدوه عظم عندهم كل شيء لأنهم شاهدوه في كل شيء فلم يروا الأشياء غير ما شاهدوه فلا حجاب دونهم ولا يأتوه حتى يناديهم من غير الاسم الذي أشهدهم فيه

فيجيبوه فيروه في غير الصورة التي كانت عندهم ثم ينصرفون بها فيشهدوها في كل شيء أبداً في الدنيا بالعلم والمشاهدة وفي الآخرة بالعين والرؤية، وغير الخاصة يشهدوه ثم يرجعون بنوره، ثم يشتاقون إليه فيطلبون مشاهدته فيشهد فيجيبهم فيشهدهم ثم يردهم إليه فيشتاقون فيطلبون فيجيبهم فيشهدون هكذا دائماً فانظر لنفسك في أي الطائفتين تتميز وبمن تلحق، واعلم يا أخي أنه من شاهده يقوى قلبه، ولا يهوله ما يرى ومن شاهد فعله هاله كل ما يرى فيطلب لمن يأوي فيدفع منه ما يخافه من فعله فإن خاف فعله من أجل أنه منه كان ركنه الذي يأوي إليه وإن خاف فعله من أجل نفسه وكله لنفسه وخذله فلا ينصر فاعرف قدرك، والسلام.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: يا أخي فكم تخاطبني بلو ولولا وإن ومهما وهي حجب من أكثف الحجب لا يقع معها معرفة ولا عين لا يغرنك قوله لو شئنا لو شاء فإن المشيئة منه لا تتبدل ولا تتردد فقد شاء ما شاء وهي نافذة فاثبت وأسكن تحت مجاري الأقدار ولا يهولنك اشتداد الرياح وضعف السفينة وتلاطم الأمواج فإنه يهلك بأقل من ذلك وينجي من أعظم من ذلك كم من غريق نجا وصار الماء عليه كالطاق[1] وكم من هلك على سريره في بيت أنسه وسروره مع محبوبه، وكم محفوظ في الجوانب من النوائب جاءته الطارقة فنزلت على قلبه فأخذ بغصة أو مغتالاً فسلم فقد مضى ما قضى فاجتهد في الدعاء والتضرع فلعله من القضاء ومع هذا فالزم التسليم يلزمك السرور بالسابقة ومن سلم لقضائه فإن ذلك من دلائل قربه فقل وإليه يرجع الأمر كله وأفوض أمري إلى الله وحسبي الله عليه توكلت.

كتاب آخر: من فلان إلى فلان سلام عليك.

أما بعد: فإن للحق في العالم وهبين وهباً مطلقاً ووهباً مشروطاً، قال في المشروط ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] والمطلق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم قسم الطوائف فطائفة منحهم الهداية وحرمهم الدراية وطائفة منحهم الدراية وحرمهم الهداية، وطائفة منحهما جميعاً، وطائفة حرمهما معاً، وطائفة منحها ذلك بالشفاعة. وطائفة لم تقبل فيهم الشفاعة، ولو كان ذلك يرجع إلينا لم يكن إلهاً ولا كان مشكوراً على ما أعطى كما يقول من أضله الله فالكل راجع إليه وإلى مشيئته فهو مخصوص وإن كان مطلقاً ولكن مع هذا فلم نفسك فإنه لا يستوي عنده الأديب والذي لا أدب له: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] فالله الله يا أخي ملازمة الأبواب همة الكلاب وطرح الثواب ورشوة البواب تحمد عاقبة المآب، والسلام.

(١) الطّاقُ: ما جُعل كالقوس من الأبنية من قنطرة ونافذة وما أشبه (ج) طاقات وطيقان.

كتاب آخر: نعزي فيه بعض سلالة الملوك في ملك سلب ملكه ومات بعد ذلك بمدة طويلة أطال الله بقاءه وبارك لنا في عمره وصلني انقلاب المرحوم الفقير إلى رحمة ربه تفضل الله برحمته عليه فاشفقت لفقد مشاهدته وسررت لثقتي برحمة الله به، في تضاعف أجره في مصابه في ملكه، وفيما فرط من واجب حق ربه، فهو وإن كان مسؤولاً فله أجر المصاب وهي مسألة دقيقة لمن أعطى العلم حقه. والسلام.

كتاب آخر: كتبه إلى بعض الفضلاء في جواب كتاب كتبه يسأل فيه عن بعض الأحوال فكتب إليه رضي الله عنه يقول.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ورد كتاب المولى يسأل وليه عن شرح ما رأى أنه به أولى ليكون في ذلك بحكم ما يرد عليه وإن وليك لما أراد النهوض في طريقه، والنفوذ إلى ما كان عليه في تحقيقه، اعترضت الوكيل، عقبة كؤود[1]، حالت بينه وبين الشهود، والبلوغ إلى المقصود، والتحقق بحقائق الوجود، فخفت أن تكون عقبه القضاء لما كشفته من المضاء فرايتها صعبة المرتقى، حائلة بيني وبين ما أريده من اللقاء، فوقفت دونها في ليلة لا طلوع لفجرها، ولا أعرف ما في طيها من أمرها، فطلبت حبل الاعتصام، والتمسك بعروة الوثقى عروة الإسلام، فنوديت بأن الزم الطلب ما بقيت فعلمت بأن هذا الخطاب في صورة مثالية متخيلة، في حضرة خيالية، وإن علاقة تدبير الهيكل ما انقطع، وحكمه فيه ما ارتفع، فاستبشرت بزوال أفلاسي، عند ردي إلى احتباسي فنظمت ما شهدت وخاطبت وليي في نظمي ببعض ما وجدت، فإذا نظر وليي إليها، فليعول عليها وليحذر من الأمن من مكر الله فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فاسمع هديت بما به على لساني نوديت فليتدبر وليي ما سطرته. . .[2] فيما ذكره وليأخذ عبره من البصر لبصيرته ومن سره فقد آن أن يجيء زمان المحو وقد علمت لما أوجدك ورتبة الكمال الذي أشهدك، وما طلب منك إلا ما يقتضيه وجودك، ويقضي به شهودك، فإن أنصفت فقد عرفت، وإن تعاميت بعدما أراك ما قد رأيت فقد وهنت، فأشد المقالة، سؤال الإقالة، والسلام فسر بورود الكتاب عليه، وأمعن بالنظر فيه وإليه فأورثه التفكر فيه، علمه كانت سبب حلته، وسرعة نقلته، فما بقي إلا أياماً ودرج وعلى أسنى معراج إلى مقصوده عرج، والسلام والحمد لله رب العالمين.

(١) الكُؤُودُ ـ عقبة كؤود: صعبة.
(٢) بياض في الأصل.

كتاب المسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على محمد وآله وسلم

الحمد لله واهب الأسرار، لأرباب المشاهدات والأبصار، القائمين بوظائف المجاهدات والأذكار، مطلع الأنوار، لأصحاب النظر والاستبصار، من خلف حجاب العقول والأفكار، فقيل في العلوم على هذا التقسيم أنها وهب باعتبار، وكسب باعتبار، والعلم الوهبي الذي لا يدخله كسب بوجه من الوجوه وهو العلم العزيز المقدار، هو ما أدت إليه الجبلة[1] الطاهرة الأصل والنشأة عندما ترددت في عالم الانتقالات في الأطوار، وانتقلت من عالم الأغذية إلى عالم التقديس والاطهار، في أسعد دور تكوين من الأدوار، وأيمن طالع طلع في ليل كان أو نهار.

فخرجت النشأة الطبيعية على غاية الصفا والاعتدال الذي أعطاه مكور الأكوار في الأكوار، كما. . .[2] السيد المصطفى المختار، تخيرك الله من آدم، فما زلت منحدر. . .[2] فكان انحداره في عالم الظلم والأغيار وتخليصاً وتزكية فبورك فيه من انحدار وكان عين الترقي إلى مقام أقدس ونعت أنفس يعسر مدركه على المجتهدين والنظار، فكان المعتدل النشأة الحسن الهيئة المرضي الخصال المحمود المناقب والآثار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأخيار، ما حكم سلطان الزهر في الأزهار، وما كانت سيئات المقربين حسنات الأبرار، وسلم تسليماً كثيراً.

فصل

أما بعد فإن للعقول حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة فما لها لا تقف عند حدها فما هلك امرؤ عرف قدره.

١ ـ **مسألة:** آية مناسبة بين الحق سبحانه الواجب الوجود بذاته وبين الممكن وإن كان واجباً عند من يقول بذلك من القائلين باقتضاء ذلك للذات أو القائلين باقتضاء ذلك للعلم السابق بكونه وما حدها الفكرية إنما تقوم وتصح بالبراهين الوجودية وهي إن، ولا

---

(١) الجِبِلَّةُ: الأُمَّةُ. و ـ: الخلقة (ج) جبّلات.

(٢) بياض في الأصل.

بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له تعلق بالدليل وتعلق بالمدلول، ولولا ذلك الوجه ما وصل ذلك إلى مدلول دليله أبداً فلا يصح أن يجتمع الحق والخلق في وجه أبداً من حيث الذات لكن من حيث إن هذه الذات منعوتة بالإلهية فهذا علم آخر تستقل العقول بإدراكه لا تحتاج في ذلك إلى كشف بصري فكل معقول عندنا يكون موجوداً يمكن أن يتقدم العلم به من حيث الدليل على شهوده إلا الحق سبحانه فإن. . .[1] يتقدم على العلم به من حيث الذات لا من حيث الإلهية فإن. . .[1] في هذا الحكم مناقضة للذات في حكم تعلق العلم، فالإلهية تعقل ولا تكشف، والذات تكشف ولا تعقل، وهذا البحر بحر لا ساحل له ومن وقع فيه لا يمكن أن يسبح فيه، فإنه بحر الهلاك للبصائر بالذات فلا سبيل إلى الخوض فيه وكم من متخيل ممن يدعي العقل الرصين من العلماء القدماء يظن أنه يسبح في هذا البحر.

وقد عاينا منهم جماعة على هذا المذهب من الأشاعرة بمدينة فاس وهو يسبح في بحر وجوده لأنه متردد بفكره بين السلب والإثبات، فالإثبات راجع إليه لأنه ما أثبت إلا ما هو عليه في نفسه ففي نفسه يتكلم وفي عينه يدل ويبرهن والحق وراء ذلك كله والسلب راجع إلى العدم والعدم نفي الإثبات فما حصل لهذا الفكر المتردد من السلب والإضافات من العلم بالله شيء هيهات فزنا وخسر المبطلون، أنى للمقيد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيه ولا رائحة له منه وكيف للممكن أن يصل إلى معرفة الواجب بالذات وما من وجه للممكن إلا ويجوز عليه العدم والدثور فلو جمع بين الحق الواجب لذاته وبين العلم وجه لجاز على الحق ما جاز على العالم من ذلك الوجه من الدثور وهذا محال، فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم محال.

٢ ـ **مسألة:** لكني أقول إن للإلهية أحكاماً وإن كانت حكماً وفي صور هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة حيثما كانت فأقول بالحكم الإرادي لكني لا أقول بالاختيار فإن الخطاب بالاختيار للتوصيل بما تقرر في العرف لثبوت الإيمان كأحاديث التشبيه وأمثالها وإن كان له مدخل صحيح من وجه كما ذكرنا لكن لا يقتضي ذلك ما نحن بصدده.

٣ ـ **مسألة:** فأقول على ما أعطاه الكشف الاعتصامي أن الله. . .[1] شيء معه وهو الآن على ما عليه كان في الحكم والآن وكان أمر. . .[1] علينا إذا بنا ظهر وأمثالهما وقد انتفت المناسبة بظهور حكم واحد. . .[1] من وجهين مختلفين.

يا واهب العقل أعميت البصائر عن   مدارك الكشف فارتدت على العقب
إن أنصفت تركت أفكارها وأتت   فقيرة تستمد العلم بالأدب

---
(١) بياض في الأصل.

فيضاً على قائل فإن سجيته / زكية من ضروب الشك والريب
قامت على قدم الإجلال آخذة / جواهر العلم في حق من الذهب
وأخذها بصري إذ بصيرتها / مسجونة الذات في بيت من اللهب
فما لها في وجود الحق معتمد / سوى التعلل بالعلات والسلب
لكن لها الحكم بالتمثيل يعضدها / عوالم الحس بالإرفاد والعطب

والمقول عليه كان الله ولا شيء معه إنما هي الألوهية لا الذات من حيث وجودها فحسب فتحقق وكل حكم يثبت في باب العلم الإلهي للذات إنما هو بحكم الألوهية وهي أحكام كثيرة هي نسب وإضافات وسلوب ترجع إلى عين واحدة لم تتعدد من حيث الآنية والهوية وإنما تتعدد من حيث الحقائق الإمكانية والفهوانية فالكثرة في العالم حكماً وعيناً وهناك حكماً لا عيناً ونسباً لا حقيقة وهنا زلت أقدام طائفة من الإسلاميين حيث حكموا بمن لا يقبل التشبيه على من يقبل التشبيه واعتمدوا على ما تحققوه من الأمور الجامعة والرابطة كالدليل والمدلول والحقيقة والمحقق والعلة والشرط وهذا لا يليق بالذات لكن تقبله الألوهية من وجه وترده من وجه فالتزمت طائفة وجه القبول والتزمت طائفة أخرى وجه الرد ووقع الخلاف بينهما.

وكل واحد من الفريقين ببطلان مذهب صاحبه والألوهية تحكم بالإصابة للفريقين وسبب اختلافهم حبسهم في دائرة الفكر لم يبرحوا منها إلى المقامات الخارجة عن أطوار العقول وهي أطوار الولاية والنبوة حسب العقول التسليم لما يأتي به هذان الصنفان إن أنصفت وإن لم يوف الفكر حقه وصحبها التقصير والعمى ردت الأخبار النبوية والكشوفات وألحقتها بالخيالات الفاسدة لمناقضتها الأدلة التي قامت عند الخصم فيما يزعم وهو المخطي في كونه اعتقد دليلاً ما ليس بدليل فإن هذه الأمور لا تعارض الأدلة العقلية البتة لكن ليس كل ما يتخذه العقل دليلاً هو دليل لأن غلطه كثير وليس بضروري فيستوي فيه العقلاء وهذا النبي ﷺ من جملة العقلاء بل من أجل العقلاء وأكملهم عقلاً ولم يحل ذلك الذي أتى به دليله بل دله العقل على إمكانه فالتسليم أولى بمن لم يذق مدارك الكشف ولا ظهر له سلطان فيها فلو أنصفوا من نفوسهم وسلموا لهذين الصنفين أحوالهم لسعدوا في الدارين واستفادوا لكن الرياسة مانعتهم من ذلك وآخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة.

٤ ـ مسألة: وإذا ثبت ما ذكرناه وتقرر وإن قصرت أفهام أهل الفكر عن إدراكه فلنقل مخاطباً أولياءنا وأصحابنا الذين على مدرجتنا إن علومنا غير مقتنصة من الألفاظ ولا من أفواه الرجال ولا من بطون الدفاتر والطروس بل علومنا عن تجليات على القلب عند غلبة سلطان الوجد وحالة الفناء بالوجود فتقوم المعاني مثلاً وغير مثل على حسب

الحضرة التي يقع التنزل فيها فمنها ما يقع من باب المحادثة ومنها ما يقع من باب المسامرة ومن باب ما ينقال ومن باب ما لا ينقال.

٥ ـ **مسألة:** والوهب الإلهي كله ينقال وتأخذه العبارة وتبسطه غير أنه قد يقترن به أمر الإفشاء في وقت وأمر الكتمان في وقت وقد نسكت عنهما ابتلاء في حقنا لنلزم الأدب.ونحفظ الأمانة ونتقوى في علم المواطن التي توجب الإفشاء والكتم فيغني التحقق في ذلك عن ورود الأمر بالإفشاء والكتم والعلة في كون الألوهية تنقال لأنها حكم منتقض بالدليل الكوني المألوه ولا بد من وجه جامع يربط الدليل بالمدلول فمن هناك صح أن ينقال التجلي الإلهي والتجلي الذاتي لا ينقال لكن يشهد وإذا شوهد لا ينضبط ولا يشهده إلا الخاصة وليس في الكون طريق إليه ينال به فإن يتعالى أن يدرك بالسعايات لما ذكرناه من الارتباط فهو اختصاص مجرد وليس جزاء وهو الزيادة على الحسنى.

٦ ـ **مسألة:** وإذا ثبت ما ذكرناه فكلما وقفت عليه في كتبنا أو كتب أصحابنا مما يجري هذا المجرى فهو مما ذكرناه فما دون، فلا تطمع فيما لا مطمع فيه فإن حجاب العزة حمى وهو بحر العمى من هذا البحر اتصفنا بأوصاف الربوبية من القدرة والقهر والرأفة والرحمة وجميع الأسماء التي يتخلق بها وهي حق الألوهية كما اتصفت الألوهية من هذا البحر بما هو حق لنا من التعجب والتبشبش والضحك والفرح والمعية والأينية وجمع النعوت الكونية فإن سعيت في تخليص ذاتك من يد حجابك وتحريرها عن رق الكون اطلعت على الحكمة الإلهية التي لها قبل هذه الأوصاف التي وصف بها نفسه في كتبه وعلى السنة سفرائه ورسله عليهم الصلاة والسلام الحكمة التي لها قبلنا هذه الأوصاف الربانية التي وصفنا بها ووجدناها نحن في ذواتنا وهل القبول لما ذكرناه حقيقي أو مجازي وذاتي أو عرضي حُكمي أو حكمي.

٧ ـ **مسألة:** انظر وفقك الله من أردته لم تصل إليه إلا به ومن أراد أن يصل إليك لم يصل إلا بك فانظر الباعث الداعي لنزولك عليه أو نزوله عليك هو معدن الحكمة الموجبة عين المناسبة بينك وبينه وانظر هل يصح هذا في الحضرة الذاتية تجد ذلك محالاً.

٨ ـ **مسألة:** الافتقار موجب النزول بلا شك ولا ريب والافتقار على الذات محال والنزول محال ولنقبض العنان عن بسط هذا المدرك فإنه بحر مهلك وإن كانت سواحله بادية لكن أمواجه عظيمة ودوابه موذية وسفينته لا تقوم لموجه وريحه زعزع لا سكون لها لا تنفع فيه الاستغاثة ولا تنفع فيه الإقالة لكن الغريق فيه ناج سعيد والناظر إليه من سيفه المشفق عليه من هو له ناج محروم وهم الأكثرون فالمؤمنون كثيرون والعاملون الصالحات قليلون هذا وفقكم الله وقد ذكرنا طرقاً مما تستحقه الذات والحكم الإلهي وفرقنا بينهما بالوجوه التي تقتضيه كل حضرة منها.

٩ ـ مسألة: المتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى إنما هو الألوهية وأحكامها ونسبها وإضافاتها المعبر عنها بالأسماء والصفات وهي التي استدعت الآثار ووجود كل ما سواها إذ لا قاهر بلا مقهور وقادر بلا مقدور وراحم بلا مرحوم والخالق بلا مخلوق إلى جميع الأسماء الإضافية لا يصح بل لأنه منه صلاحيته من حيث الإمكان مقهور فالقاهر بالصلاحية كذلك قاهر فهو حكم الألوهية بالصلاحية لا بالفعل وأن لم يتصور التنبيه بين الحق والموجود الأول فهي تتصور في وجود الأجسام وما تحمله من المعاني بينها وبينها لا بين الحق وبينها لوجوه قد ذكرها الناس لا نحتاج إلى ذكرها لتداولها بين أهل هذا الشأن والوصف الخاص والعام لجميع الموجودات كونها قادرة وتعلق حكم القادر بالمقدور لا يعلم البتة لا كشفاً ولا بالدليل إذ القدرة الحادثة عند مثبتها ممن سلم نظره في إثباتها لا أثر لها فلا تعلق لها فمن أين له معرفة التعلق وكذلك الكشف وما عدا هذا الوصف الخاص الذي به وقع الامتياز عند المحققين منا بين الحق والخلق فمدرك بالدليل والكشف.

١٠ ـ مسألة: فأول موجود ظهر مقيد فقير موجود يسمى العقل الأول ويسمى الروح الكلي ويسمى القلم ويسمى العدل ويسمى العرش ويسمى الحق المخلوق به ويسمى الحقيقة المحمدية ويسمى روح الأرواح ويسمى الإمام المبين ويسمى كل شيء وله أسماء كثيرة باعتبار ما فيه من الوجوه وهو على نصف الصورة المعلومة عندنا سمعاً وكشفاً في وجه وعلى الصورة في وجه آخر على حسب ما يقع تجليه لأن العالم كله على الصورة والإنسان من العالم على صورة العالم فهو على الصورة والروحانيات أقوى على الكمال من عالم الأجسام لاستعدادهم الأكمل ولهذا يرغب البشر في تحصيل القوة الروحانية بالطبع.

فمنهم من وصل فكمل ومنهم من لم يصل لموانع عرضية وأصلية في هذا الدار وأما في الدار الآخرة فالكل يصل إليها ويقع الامتياز بينهم بأمور أخر ترجع إلى الصورة التي يدخلون فيها.

فلما أوجد هذا الموجود الأول ظهر له من الوجوه إلى الحضرة الإلهية ثلثمائة وستين وجهاً فأفاض الحق تعالى عليه من علمه على قدر ما أوجده عليه من الاستعداد للقبول فكان قبوله ستة وأربعين ألف ألف نوع وستمائة ألف نوع وستة آلاف وخمسين ألف نوع فظهرت لهذا العقل أحكام تعددها لا غير ونشر منها في كل عالم بما يستحق نشر إفاضة لا نشر اختيار فإن وجوهه مصروفة إلى موجده والعالم يستمدون من ذاته بحسب قواهم كقبول عالم الأكوان لنور الشمس من غير إرادة الشمس في ذلك وهذا الفرق بين الفيض الذاتي والفيض الإرادي، ذلك راجع لنفس المفيض ألا ترون إلى فيض العالم كلامه على الأسماع إرادي لأن له الإمساك عنه فإذا ظهر عين الكلام في

الوجود ففيضه على الأسماع ذاتي لا إرادي فتحقق هذا فهو هنا كذلك.

فالجمع بين الفيضين هكذا يكون فلاحظت طائفة فيض المفاض فقالت بالفيض الذاتي ولاحظت طائفة فيض المفيض فقالت بالفيض الإرادي فكل واحد تحظى صاحبه والإلهية تصوب قول كل طائفة ولما ظهر هذا الحق المخلوق به السموات والأرض الذي هو لوح الألوهية وقلمها الأعلى باليمين أقدس الجاري بالكائنات رأس عالم الأمر الرباني المخصوص بإضافة التشريف الفياض الذي لا يقبل حقيقة الاختيارات والإعراض قابل التحولات لكنه لا تقبل الإعراض ليس بمادة ولا يقبلها صدرت عنه أنوار شريفة لطيفة أودعها بضرب من الإقبال أرواحاً تناسبها في اللطافة والشرف فكأن الملأ الأعلى عالم الأمر والتسخير ولكن بعد إيجاد النفس وتوجهها عليه بضرب من الالتحام الإلهي والإقبال الرباني.

١١ ـ **مسألة:** ولما قيل هذا العدل ما لا يتناهى من العلوم قبولاً ذاتياً ظهر بصورة الغنى فانحجب عما يجب عليه من الافتقار للحضرة الإلهية فإن الغنى لا يدخلها للذات التي تقتضي ذلك وبحكم الغيرة فاشتغل بالنفس اشتغال تعشق ملكي وسلطنة عظمي ومملكة كبري ولهذا العقل فيض ذاتي وفيض إرادي كما له قبول ذاتي وقبول إرادي وهكذا الكل موجود وما من موجود من الموجودات كلها عن سبب إلا وله وجهان وجه به يقابل سببه ويأخذ عنه ويظهر لنفسه عزة في افتقاره إليه من ذلك الوجه ووجه آخر يقابل به باريه عز وجل فتارة ترد عليه الأحكام الإلهية من طريق سببه وعلى يديه وتارة يدعوه من الوجه الخاص به فإذا دعاه من الوجه الخاص به لم يبق للسبب عليه سلطان ولا يعرف أين ذهب فيحكم عليه الذل والافتقار إلى الله تعالى فيكون له التجلي ففيض النفس الله سبحانه ودعاها من الوجه الخاص فقدها العقل من حيث الفيض الإرادي ولا يقبل الفيض الإرادي إلا القول الإرادي فرجع العقل فقير إلى موجده فوجد الباب قد غلق دونه من حيث الاسم الخاص به فوجد الاسم القدوس قد حكمه الحق عليه فدخل تحت سلطانه حتى أظهر أثره فيه فلما أخلاه عند ذلك دخل وخدم بساط الحضرة وافتقر وهذا كان المراد ولما كان لكل موجود مما سوى الحق تعالى وجه إليه سبحانه صح أن يتصف بالفقر والغنى فالفقر إذا صرف وجهه إليه والغنى إذا صرف وجهه إلى الكون وهو متحقق بوجه الحق منه ومتى غفل عن التحقق بذلك الوجه وشهود ذلك العين لم يكن للغنى إليه طريق وكان فقيراً محضاً.

١٢ ـ **مسألة:** ومن ذلك الوجه الخفي ظهرت الآثار عن الموجودات بأسرها علوها وسفلها بسيطها ومركبها، حيوانها ونباتها ومعدنها ثم اختلفت أنواع التأثيرات فمنها أثر يقترن به إرادة وعزم ونية ومنها أثر يعطيه ذات الموثر لا يقترن معه إرادة كتأثير الأدوية المسهلة والقابضة وسببه ذلك.

ومنها ما يكون أثره حسياً ونفسياً ومنها آثار تكون في النفس لقيام أثر آخر موجود فيها كشخص أبصر ديناراً فاعلم أن للدينار أثراً في نفسه فإن تقوى ذلك الأثر حركت النفس الجسم لأخذه فالحركة الأصلية للدينار والبواعث لذلك تتنوع فباعث الطبع في ذلك لنفاسة جوهرية الدينار وخاصية الذهب وباعث العامة للحاجة إليه من غير تأمل إلى الجوهر وبواعث الصادقين من الزهاد الورعين لما عليه من اسم الله وبواعث المحققين لهذه كلها وزيادة، ولما كانت هذه البواعث محلها النفس كانت النفس في هذه الأمور هي المؤثرة في ذاتها لكن لا يظهر فيها مثل هذه الآثار إلا بوجود هذه الأعيان الخارجة.

١٣ ـ مسألة: وبهذا الوجه الذي ذكرناه لا يكون أثراً إلا للألوهية لأنه بذلك الوجه ظهرت هذه الآثار عن الأكوان كلها في الأكوان ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] قضاء صحيحاً ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] فلولا هذا السريان الدقيق والحجاب العجيب الرقيق والستر الأخفى ما عبدت الألوهية في الملائكة والكواكب والأفلاك والأركان والحيوانات والنباتات والأحجار والأناسي إذ الألوهية هي المعبودية من الموجودات فاخطأوا في الإضافة من وجه لا غير ولكن كان في ذلك الوجه شقاوة الأبد فالمحقق تحقق ذلك الوجه ورفع الخطأ من جهة العقل لا من جهة الحكم فإن النظر الإلهي كان تمكنه من هؤلاء المعبودين أكبر من غيرهم فربط الآثار بهم فظهرت عندهم ليضل من يشاء ويهدي من يشاء وربما ارتفعت طائفة عن مدرج نسبة الألوهية لهم مطلقاً ولحظت الوجه الخفي فقالت ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فاتخذوهم حجبة ووزراء نعوذ بالله ولكن هي أشبه من الأولى ولو رأت هذه الطائفة هذا الوجه من أنفسها ما عبدت الألوهية في كون خارج عنها بل كانت تعبد نفسها ولكن أيضاً لتحققها بها ووقوفها مع عجزها وقصورها واتلافها لم نتمكن لها ذلك ولو لاح لها ما ذكرناه ما اختصت بعبودة الألوهية في كون بعينه ومحصول ما قلناه إن الألوهية هي المعبودة على الإطلاق لا الأكوان ولهذا قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقضاؤه غير مردود فمن وقف على هذه الوجوه الإلهية من الأكوان فما يصح عنده أن يعبده كون أصلاً ومن لم يعرفها ولا يشاهدها تعبده وجه الحق في الكون لا الكون وبهذا القدر يعاقب ويطلق عليه اسم الشرك.

١٤ ـ مسألة: اعلم أنه ما من معبود إلا ويتبرأ من الذي يعبده هنا من حيث لا يسمع العابد إلا بخرق العوائد وفي الدار الآخرة على الكشف قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦] وتبرؤهم منهم أن يقولوا ما عبدوا غيرك منا فلم نكن بمعبودين لهم خوفاً من العقوبة لكنهم أضافوا فيقال لهم صدقتم لكنهم عبدونا فيكم على غير بصيرة صحيحة وإن اقتضت الحقائق فأخذناهم بالعمى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ [الإسراء: ٧٢] فهم مصروفون في الدنيا

والآخرة عن هذا القدر من العلم ثم إن أخذ الحق لهم من باب مظالم العباد لافترائهم على المخلوقين بنسبة الألوهية لهم فكان أخذه عدلاً إقامة لحق الغير وعقوبة للجاهل حيث لم يستبصر واتبع هواه فإن الله قد ندبنا إلى العفو فيما يرجع إلينا من الحقوق وأن لا نعفو فيما يرجع إلى حقه وهو أولى بهذه الصفة فلذلك كان الشرك من مظالم العباد لا من حقه الذي يرجع إليه والمعبودين منهم سعيد ومنهم شقي فالسعيد ناج والمثال الذي اتخذوه معبوداً على صورته يدخل معهم النار ولولا قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] لكان في قصته ما يقال في زوال الآثار الإلهية عمن عبد في الآخرة فإنهم ما عبدوا إلا الفاعل المؤثر وهنا بحور طوامس.

١٥ ـ مسألة: فإن الألوهية تقتضي أن تكون في العالم ذو بلاء وعافية وإلا فليس زوال المنتقم منه من الوجود بأولى من ضده ولو بقي من الأسماء اسم لا حكم له ولا أثر لكان ما يقتضي له الحكم معطلاً وهذا محال والممكنات كلها على موازنة الأسماء المؤثرة الإلهية وما عدا هذه الأسماء المؤثرة من أسماء الذات فليس بأيدينا منها شيء إلا ما يرجع إلى السلوب والنعوت وبعض أسماء الكمال كالبصر والسمع فلا تعلق لها بالممكنات من حيث الآثر فافهم ذلك.

١٦ ـ مسألة: عجبت من طائفة تعدت طورها، وتجاوزت حدها فجعلت نفسها أعرف بالله من الله بنفسه فقالت أعوذ بالله من التشبيه وقالت أخرى أعوذ بالله من تنزيه يؤدي إلى تعطيل ووقفت المعبودة من التشبيه فلو وفت العلم حقه لتعوذت من تنزيه العبد نفسه تعوذها من التشبيه وسلمت قول القائل:

ظهرت لمن ألقيت بعد فنائه فكان بلا كون لأنك كنته

وسلمت قول الآخر سبحاني وأنا الله، وأمثال ذلك هذا وإن كانت طائفة قد كفرت القائلين بهذه الألفاظ وطائفة تأولت لهم ذلك كما تأولت أخبار التشبيه فكلا منا مع تأول أخبار التشبيه وما تأول هذه الألفاظ فإنها تعوذت من التشبيه ثم نزهت وصرفت الأخبار عما تعطيه ظواهرها ولم تتعوذ من التنزيه في حق الخلق وحينئذ كانت يثبت ما يليق بالحدث بصرف ما قالوه مما يليق بالحق عندهم إلى ما يناسب الكون إذ الألفاظ قابلة لصور المعاني فتقبل المعنى والاثنين فصاعداً وتلك الألفاظ المشتركة وليس التنزيه في هذه المسألة بأولى من التشبيه، عميت البصائر عن إدراك غوامض الأسرار وما تعطيه الألوهية.

ثم إن العجب كل العجب من هذه الطائفة هربت من التشبيه إلى التشبيه وجعلت ذلك تنزيهاً فضحك العقلاء لجهلهم فيما أتوا به فإنهم ما عدلوا من التشبيه لا إلى نفوسهم من المعاني المحدثة فانتقلوا من ظواهرهم إلى معانيهم المحدثة القائمة بهم فهربوا من التشبيه بهم إلى التشبيه بهم وسموا هذا العدول تنزيهاً فنفوسهم تزهوا إن

حملوها على المعاني الإلهية أو الحق شبهوا إن حملوا على المعاني النفسية وما لهم قدم يجول في غير هذا فلو رجعوا إلى محل التحقيق إذ حرموا الكشف وقالوا الحق سبحانه أثبت لنفسه هذه الأحكام في كتبه وعلى ألسنة رسله وسفرائه والذات مجهولة عند الخلق كلهم أي لا تعلم وهذه أحكام للذات عندنا والجهل بالحكم أقرب من الجهل بالذات إذ لا تعرف حقيقة نسبة هذا الحكم لهذه الذات المحكوم عليها به حتى تعرف هي في نفسها ولا معرفة بها فلا معرفة بنسبة الأحكام لها فكانوا لا يشبهون ولا يعيبون حكم تنزيه بعينه بل يسلمون علم ذلك لمن وصف بها نفسه وهو الله تعالى.

وقد روي عن بعض السلف أنه سئل عن الاستواء على العرش فقال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فنحن ومن جرى على طريقتنا من أهل العلم الذوقي المشهودي فلا يسلك هذا المسك البتة فإن الذات تشهد ولا تنقال ولا تزال الهوية منصحبة معها ولذلك قال العارف: لا هو إلا هو فأثبت الهوية بنفسها ولكن سلكنا مسلكاً آخر تحتمله الألوهية لا الذات وتعطيه حقيقة هذا الحكم فهذه الأحكام كلها لها وهي صحيحة في نفسها وهكذا يقع الشهود فيها لمن شاهد فستصل وترى.

وقد صح فيما أخرجه مسلم في صحيحه من تحول الألوهية وتبدلها في صورة الاعتقادات والمعارف وفيها اعتقاد المشبهة وغيرهم ولا بد من إقرار كل طائفة في تلك الدراية فلا بد من تجليها في صور اعتقاداتهم وذلك راجع إلى المدرك لا إلى المدرك فإن الحقائق لا تتبدل ولهذا نقص لمن خرج عن طريقتنا في أي حضرة تقع مشاهدة الألوهية ولهذا سمي عالم التمثل والتبدل برزخاً لكونه وسطاً بين حقائق جسمانية وحقائق غير جسمانية فتعطى ذات هذه الحضرة المتوسطة هذه التجليات تربط بها المعاني بالصور ربطاً محققاً لا ينفك.

وقد أشار إلى هذا المقام بعض العارفين في حكاية أذكرها بإسناد متصل إلى السري[1]، قال الجنيد: قال السري: سمعت غليم الأسود يقول: من أقبل على الأشياء وهو يراها هربت عنه ومن تركها أتته، قلت له كيف ذلك يا سري؟ قال كان يذكر أنه كان يكسب ويجتهد فلا يقوم بكفاية معيشته قال فقرأت هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ

(١) هو سريّ بن المغلس السقطي (توفي ٢٥٣ هـ = ٨٦٧ م) أبو الحسن. من كبار المتصوفة. بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد وأستاذه. قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت. من كلامه: «من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز». الأعلام ٣/ ٨٢، وطبقات الصوفية ٤٨ ـ ٥٥، والوفيات ١/ ٢٠٠، وتهذيب ابن عساكر ٦/ ٧١ ـ ٧٩، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٩، وحلية ١٠/ ١١٦، ولسان الميزان ٣/ ١٣.

ﭐللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ [الأنعام: ٤٦] الآية فتركت الكسب متوكلاً على الله بالكفاية فلو ضربت بيدي إلى هذه الأسطوانة فصارت ذهباً وضرب يده على الأسطوانة فإذا هي تلوح ذهباً.

ثم قال يا سري هذه الأعيان لا تنقلب ولكنك هكذا تراه لحقيقتك بربك فانظر في قوله هكذا تراه يعني الحق وهكذا تراه يعني المرئي أي الرؤية عائدة على الرائي يعني الصورة المشهورة للرائي ومن هنا أيضاً زلت أقدام طائفة عن مجرى التحقيق فقالت ما ثم إلا ما ترى فجعلت العالم هو الله والله نفس العالم ليس أمر آخر وسببه هذا المشهد لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله فلو تحققوا به ما قالوا بذلك واثبتوا كل حق في موطنه علماً وكشفاً فاترك تأويل الأخبار الواردة بالتشبيه لمن وصف بها نفسه إذا لم تكن من أهل هذا الكشف والتحقيق ولا تحمله عليك أصلاً فإنك تبطل أصلك حيث تعتقد نفي التشبيه وما زلت منه ولكن تركت التشبيه بالمخلوق المركب وأثبته بالمخلوق المعقول وأنى للممكن أن يجمع مع الواجب بالذات في حكم أبداً.

١٧ ـ **مسألة:** المدرك والمدرك كلاهما على ضربين مدرك بعلم وله قوة التخيل فتمسك صور المرئيات ومدرك بعلم فقط ليس له قوة التخيل إذ ليس جسماً ولا في جسم، والمدرك على ضربين مدرك مقيد بصورة فهذا يتخيله من له قوة التخيل ويعلمه من ليس له قوة التخيل فلا تقوم به منه صورة لأن حقيقته تأبى ذلك، ومدرك لا يمكن أن يتخيل لأنه لا صورة له ولكن يعلم فقط وكل مفطور على العلم الذي تعطى حقيقته كسب العلوم فهم على ضربين ضرب ظهرت حياته للحس بالعادة فيتخيل ولا يكتسب علماً من طريق فكر وضرب بطنت حياته عن الحس بالعادة فلا يتخيل البتة وما في الوجود سوى ما ذكرناه فالوجود كله حي ناطق بتعظيم الحق سبحانه لكن يختلف نطقهم باختلاف حقائقهم قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤] فقوله: ومن فيهن، رد على من يقول بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كأنه يقول، أهل السموات السبع، وأهل الأرض، فنفى هذا الاحتمال بقوله: ومن فيهن، إذ قد ورد مثل ذلك في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ﴾ [يوسف: ٨٢] وليس هذا كذلك وقوله عليه السلام في أحد، «هذا جبل يحبنا ونحبه»(١)، وقوله، «يشهد للمؤذن مدى صوته من رطب ويابس»(٢)، وقوله «ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة»(٣)، وهذه أمور كلها تقتضي العلم وهو مشروط بالحياة لكن

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه النسائي (أذان ١٤)، وأبو داود (صلاة ٣١)، وابن ماجة (أذان، ٥)، وأحمد بن حنبل ٢/١٣٦، ٢٦٦، ٤١١، ٤٢٩، ٤٥٣، ٤٦١، ٤/٢٣٤.
(٣) سبق تخريجه.

كما قلنا بما ظهر منها للحس وما لم يظهر فما لم يظهر بالعادة ظهر بخرق العادة للنبي والولي فالكل حي ناطق بتسبيح الله وحمده لكن لا يفقهون أي لا يعلمون تسبيحهم أنه كان حليماً بإمهال من تأول هذا القول وصرفه إلى غير وجهه ولم يأخذه به غفوراً بستره نطق هذه الأصناف عن الإدراك السمعي.

١٨ ـ **مسألة:** العلم ليس تصور المعلوم ولا هو المعنى الذي يتصور المعلوم فإن ما كل معلوم يتصور ولا كل عالم متصور فإن العالم إذا تصور الأشياء التي من حقيقتها أن تتصور فليس يتصورها من كونه عالماً فقط بل من كونه متخيلاً وهي قوة التصور فمن ليست له هذه القوة لا يتصور ما يمكن أن يتصور، لكن يدرك ولا كل معلوم يتصور فإنه ليس من حقيقته أن تقبل الصورة فلا يتصور ولكن يعلم فالعلم ليس التصور على هذا وهو الصحيح.

١٩ ـ **مسألة:** ليس لمخلوق قدرة عندنا وعند المحققين منا إذ لا فاعل إلا الله تعالى خالق الأفعال الظاهرة في العين على أيدي الخلق وغيرها وذلك أنه ما استدللنا على أن كون الباريء قادراً إلا بوجود الأثر عن هذا الحكم ولم نجد أثراً لمخلوق عقلاً فمن أين ثبتت القدرة الحادثة مع انتفاء الأثر حقيقة.

٢٠ ـ **مسألة:** لا حاجة لنا في إقامة الدليل على إثبات الوحدانية فإن المشاهدة تمنع من الجدال في الله وفي وحدانيته ولكن قد يقال للمشرك نحن وإياك مجمعون على واحد وأنت زدت عليه فما الدليل على إثبات الزائد فهو يتكلف طلب الدليل لا نحن.

٢١ ـ **مسألة:** كون الباريء حياً عالماً قادراً إلى غير ذلك من أوصاف الكمال عندنا أحكام للذات أضيفت وسلوب صحيحة وصف بها لا ترجع إلى أعيان زائدة على الذات لأنه كامل الذات فمحال كماله بالزائد فإن فيه نقص الذات والنقص محال فالكمال بالزائد محال.

٢٢ ـ **مسألة:** العين وإن كانت واحدة الذات فلها تعلقات متعددة تتنوع بتنوع التعلقات حكماً فهي عالمة بكذا وقادرة لكذا ومزيدة لكذا وهكذا جميع ما ينسب إليها من أحكام الصفات.

٢٣ ـ **مسألة:** الصفات الذاتية للموصوفين هي عينها فهي مقدورة فإن كانت أحكاماً تابعة للموصوف لا عين الموصوف ولا غير الموصوف ولا موجودة ولا معدومة لكن معلومة فليست بمقدورة كالتحيز للجوهر وقبوله الأعراض والتأليف للجسم والطول والعرض والعمق ومثل ذلك.

٢٤ ـ **مسألة:** الأعيان من حيث الجوهرية لا تنعدم بعد وجودها أبداً والصور والأشكال والمقادير والأكوان والألوان أعراضٍ في عين الجوهر وهي التي تخلع على

الجوهر على الدوام فالكون من حيث الجوهر لا يفنى ولا يتبدل ومن حيث الصورة فكما ذكرنا.

٢٥ ـ **مسالة:** ليس العالم مع الباري في وجوده ولا بينهما بون[١] يقدر بل هو ارتباط ممكن بواجب ومخلوق بخالق فهو في الدرجة الثانية من الوجود والباري في الأول وليس بينهما رتبة مثاله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] الحيزين المتجاورين للجوهرين ليس واحد منهما في درجة الآخر ولا بينهما حيز فيمكن بهذه النسبة يكون الارتباط على التقريب إذ العبارة لا تسع أكثر من هذا في هذه المسألة وهذا مذهب ثالث لاح بين القدماء والأشاعرة فانتفى القدم عن العالم ولا يقول به القدماء وانتفى التقدير الوهمي الذي تقدره الأشاعرة بين الحق والخلق ويثبت الحدوث والافتقار وثبت العدم للخلق في وجود الباري.

٢٦ ـ **مسالة:** العرض ينعدم لنفسه في الزمان الثاني من زمان وجوده فكان الحق خالقاً على الدوام وصح الافتقار من الجوهر على الدوام ولو بقي العرض لارتفع هذان الحكمان وارتفاعهما محال، فبقاء العرض زمانين محال وهذا من باب الحقيقة الكشفية والسياق النظري أن الفاعل لا يفعل العدم والضد لا يعدم لأنه لا يجتمع معه ولأن الضد معدوم وانعدام الشرط لا يعدمه لأن الكلام فيه كالكلام في العرض الذي انعدم فلهذا قلنا ينعدم لنفسه ويستحيل بقاؤه.

٢٧ ـ **مسالة:** الحق تعالى يشهد من كل وجه ويرى إلا من وجه الفعل لرفع المناسبة لأنه خاص بالذات ليس فينا منه شيء بخلاف العلم والإرادة وغير ذلك من الأسماء لأن حقيقة المشاهدة من حيث نحن لا من حيث هو.

٢٨ ـ **مسالة:** لا يتمكن عندنا معرفة حال من الأحوال ما تقتضيه ذات ما إلا بعد معرفة تلك الذات حتى تعرف كيف ينسب إليها ذلك الحكم وذات الحق تعالى لا تعلم عندنا فالأحكام التي تنسب إليها يعلم وجه النسبة إليها أيضاً كالمعية والاستواء والنزول والضحك والتبشبش واليد والعين وكل ما حكم على نفسه به وعلى هذا المنوال حقيقة الإنسان وما ينسب إليها ولهذا قال عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربه»، والنفس بحر لا ساحل له فأحالنا في المعرفة علينا فلما دخلنا بحر معرفتنا بنا غرقنا وما برحنا نقاسي أمواج ثبجه[٢] فكرة وكشفاً إلى أن عرفنا أن معرفتنا بنا بحر لا ساحل له ننتهي إليه فننتقل إلى معرفة الربوبية فيئسنا ففينا نتكلم وعلينا نحوم وما يبدو لنا سوانا فنحن حجاب العزة الأحمى على الرب يجل ويتعالى أن يدركه خلقه على كنه ما يدرك نفسه

(١) البون: مسافة ما بين الشيئين. يقال: بينهما بون بعيد؛ أي: بين درجتيهما أو بين اعتبارهما في الشرف.
(٢) الثَّبَجُ: من البحر: أعالي موجه، وعلو وسطه إذا تلاقت أمواجه.

بل الخلق قاصر عن إدراك نفسه فكيف له بالظفر بإدراك منشئه من حيث هو منشىء له فأحرى من حيث ذاته تعالى وتقدس علواً كبيراً لا يعرفه على حقه عارف ولا يصفه واصف.

٢٩ ـ **مسألة:** دل الدليل الواضح على إثبات إله واحد ونفي إلٰهين لم يدل دليل قط على نفي قديمين فصاعداً ولا على إثبات ذلك بل الجواز إلا أن يرد السمع بإثبات ذلك أو بنفيه فلا إله إلا إله واحد سبحانه وتعالى عما يشركون.

٣٠ ـ **مسألة:** للقدم المنسوب إلى البارىء سلب الأولية التي ثبوتها عن عدم لا الأولية الوجودية التي سمى بها نفسه في قوله هو الأول.

٣١ ـ **مسألة:** البقاء استمرار الوجود لا غير لا عين صفة فيبقى فيحتاج إلى بقاء والذي يبقى به البقاء به يبقى الباقي المنعوت بكونه باقياً وهو ما ذكرناه فإن كان الباقي ممن يتقيد بالزمان فاستمرار وجوده بمرور الأزمان عليه وإن كان الباقي ممن لا يتقيد فاستمرار وجوده لا غير.

٣٢ ـ **مسألة:** الكلام على حسب من ينسب إليه فليس ثم حد يجمعه فمعرفة نسبته إلى البارىء موقوفة على معرفة ذاته كما قد قررناه وكذلك سائر ما نعت به وسمى.

٣٣ ـ **مسألة:** وحدانية الكلام حقيقة والتجلي من كونه متكلماً واحد والمتجلي إليه مختلف متنوع مقيد بالوقت والمكان وقد يتقيد بالآلة فينقسم إلى الأوامر والنواهي والأخبارات وغير ذلك من أقسام الكلام اللفظي الموقوف على الصيغ والعبارات.

٣٤ ـ **مسألة:** الأسماء للذات أحكام يرجع إليه من المحدثات ما علم منها وما لا يعلم مما يصح أن يعلم فثم اسم يدل على عين الذات لإيقاع التمييز للسامع في العبارة يسمى مرتجلاً أو جامداً وهذا الاسم لولا نحن ما أطلق عليه وثم اسم يعقل منه معنى زائد على عين الذات وهل يدل على الذات أم لا؟ فيه توقف بالنظر إلى العقل وإن دل على عين الذات فهل هو عين الذات المقول عليها هذا الاسم أم ذات زائدة؟ فذهبت طائفة إلى أنه عين الذات وهم القدماء وذهبت طائفة إلى ذات زائدة وهم الأشاعرة كقولنا عالم قادر ومريد، حي وسميع وبصير وغير ذلك.

وثم اسم تعقل منه إضافة لا غير كالأول والآخر والظاهر والباطن وثم اسم يعقل منه سلب ما لا يليق بالمسمى كالقديم والقدوس ومع هذا كله فمنا تعلقها لا منه فهي أسماء حمل لا أسماء تحقق.

٣٥ ـ **مسألة:** الاسم قد يرد ويراد به المسمى ويرد ويراد به اللفظ الدال على المسمى فالخلاف في هذه المسألة لفظي لا غير ليس بأيدينا على الحقيقة من الحق تعالى إلا أسماؤه ولا نعقل منه غيرها وبهذه النسبة نسميه معروفاً ومعلوماً ونسمي أنفسنا

علماء وعارفين ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس إلا على الاسم فقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٧٨] فحقق هذا الفصل أيها الناظر.

٣٦ ـ **مسألة:** الحمد هو الثناء على الله بما هو أهله والشكر الثناء على الله بما يكون منه من النعم ولا يكون الثناء أبداً على الله إلا مقيداً، أما بالنطق وأما بالمعنى الباعث على الحمد وقد يرد في النطق مطلقاً ومقيداً مثل قوله تعالى في المطلق اللفظي: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]وأما المقيد فتارة يفيده بصفة تنزيه كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] وتارة يقيده بصفة فعل كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وما خرج حمد من محاميد الكتب المنزلة من عنده عن هذا التقسيم.

٣٧ ـ **مسألة:** خلق الله الخلق ليكمل مراتب الوجود وليكمل المعرفة في الوجود أي ليكمل وجود تقاسيم المعرفة فخلق الخلق ليعرفوه إذ كان كنزاً لا يعرف كما ورد في بعض الأخبار المشهورة لا ليكمل هو سبحانه في ذاته تعالى الله عن ذلك فكان يعرف نفسه بنفسه فبقي من مراتب المعرفة أن يعرفه الكون فتكمل المعرفة فأوجد الخلق وأمرهم بالعلم به وكذلك الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث فلو لم يخلق الكون ما كملت مراتب الوجود فافهم.

٣٨ ـ **مسألة:** اسم البخل على الله محال فلو ادخر شيئاً من الممكنات لم يكن اسم الجود عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخل عليه فيما أمسك فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم من حيث حصر الأجناس فليس في الإمكان جنس زائد ومن حيث إنه نصب العالم دليلاً على العلم فلا بد أن يكون الدليل كامل الأركان فما ابقى شيئاً إلا الأمثال فالمثل عين المثل في حقيقته.

٣٩ ـ **مسألة:** ليس ثم أعلى من الكشف ولا أدنى من الحجاب فالكشف غاية المطالب وهو الرؤية، والحجاب أعظم الحرمان وهو عدم الرؤية، وقد ظهر الحكمان في العالم فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم يحصره بين التجلي والحجاب.

٤٠ ـ **مسألة:** الأفراد في هذه الأمة هم الخارجون عن دائرة القطب وهم الذين على بينة من ربهم ويتلوهم شاهد منهم وهم في هذه الأمة بمنزلة الأنبياء في الأمم الخالية الذين كانوا على شريعة من ربهم في أنفسهم ليسوا برسل ولا متبعين إلا لما يوحي الحق إليهم سبحانه وتعالى وينظر إليهم الاسم الفرد وبانفراده عن الاسماء والقطب من الأفراد له مزية التقدم بالنظر في العالم بخلاف سائر الأفراد وأخبرت عن عبد القادر الجيلي[1] ببغداد أنه قال في الشيخ عبد الرحمٰن الطسونجي، وطسونج: قرية على جانب

(١) عبد القادر الجيلي (٤٧١ ـ ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ ـ ١١٦٦ م).

عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني أو =

الدجلة محاذاة النعمانية من الجانب الشرقي أنه من الأفراد وهم أعيان الأولياء.

٤١ ـ **مسألة:** المختار هو الذي يفعل أمراً ما إن شاء ويتركه إن شاء وسبق العلم بالفعل أو بالترك تخيل وقوع ما لم يسبق به العلم فالاختيار محال والمضطر هو المجبور على الأمر ولا جبر فلا اضطرار ولا اختيار فحقق أيها الناظر هذه المسألة تنتفع بها إن شاء الله.

٤٢ ـ **مسألة:** الاختراع حصول المخترع في النفس أولاً ثم بالفعل ولم يحصل في النفس شيء لم يكن فيها فلا اختراع لكن عدم المثل في ظهور العين ابتداء سماه اختراعاً وليس على حقيقة الاختراع.

٤٣ ـ **مسألة:** إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد فهما ذاتان وإن عدمت العين الواحدة وبقيت الأخرى فليس للأول حد فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه ويكون الدليل مخالفاً للحس فيكون له وجهاً كالكناية عن حركة يد الكاتب حساً وبالدليل أن الله خالقها وأنها أثر القدرة القديمة لا المحدثة فالوقوف على هذا القدر من المعرفة بطريق الكشف والشهود لا من طريق الفكر يسمى اتحاداً.

وقد يكون الاتحاد عندنا عبارة عن حصول العبد في مقام الانفعال عنه بهمته وتوجه إرادته لا بمباشرة ولا معالجة فبظهوره بصفة هي للحق تعالى حقيقة تسمى اتحاداً لظهور حق في صورة عبد ولظهور عبد في صورة الحق.

وقد يطلق الاتحاد في طريقتنا لتداخل الحق في الأوصاف والخلق فوصفنا بأوصاف الكمال من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وجميع الأسماء كلها وهي له ووصف نفسه بأوصاف ما هو لنا من الصورة والعين واليد والرجل والذراع والضحك والنسيان والتعجب التبشبش وأمثال ذلك مما هو لنا فلما ظهر تداخل هذه الأوصاف بيننا وبينه سمينا ذلك اتحاداً لظهورنا به وظهوره بنا فيصح قول القائل عن هذا:

أنـا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنـا

= الكيلاني، أو الجيلي. مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة ٤٨٨ هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ. وتوفي بها. له كتب، منها «الغنية لطالب طريق الحق» و«الفتح الرباني» و«فتوح الغيب» و«الفيوضات الربانية»، وللمستشرق مرجليوث الإنجليزي رسالة في ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الأسياوية الإنكليزية. ولموسى بن محمد اليونيني كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني».
الأعلام ٤/ ٤٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧١، وطبقات الشعراني ١/ ١٠٨ ـ ١١٤، وشذرات الذهب ٤/ ١٩٨.

٤٤ ـ مسألة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] المماثلة عقلية ولغوية زيد مثل عمرو في الإنسانية لاشتراكهما في صفات النفس هذه المماثلة العقلية، وليس عليها ليس كمثله شيء، إلا بزيادة الكاف أو بتخريج بعيد على تقدير فرض المثل لا على وجوده فالمماثلة إذاً في الآية لغوية وهو الصحيح زيد كالأسد وعمرو كالبحر أي زيد مثل الأسد شجاعة وعمرو مثل البحر جوداً ونزاهة واتساعاً، مثل نوره كمشكاة، فانظر.

٤٥ ـ مسألة: العلوم المكتسبة ليس إلا نسبة حكم المحكوم عليه بنفي أو إثبات وليس شيء من المفردات مكتسب وأعني بالاكتساب ما حصل بالنظر فإذا نسب الاكتساب إلى التصور الذي هو معرفة المفرد فليس ذلك إلا في اللفظ لا من جهة المعنى وإنما تسمع لفظاً يدل على معنى ذلك المعنى عنده معلوم إما حساً أو بديهة لكن لا يعرف أن ذلك اللفظ وضع له فلهذا يسأل عنه فيكتسب أن ذلك اللفظ موضوع لذلك المعنى المعلوم عنده ليس إلا.

٤٦ ـ مسألة: المعلومات منحصرة في حس ظاهر أو باطن أو بديهة وما يركب من ذلك عقلاً إن كان معنى وخيالاً إن كان صورة ويسمى الباطن إدراك نفسي وهو العلم بالآلام وشبهها فالخيال لا يركب أبداً إلا في الصور خاصة والعقل يعقل ما ركب الخيال وليس في قوة الخيال أن يصور بعض ما يركبه العقل وإن وقعت الصور في المعاني فليس إلا على تقدير أن لو كانت صوراً لكانت على هذه الصورة كالعلم في صورة اللبن والدين في صورة القيد وسورة البقرة لها لسان وعينان تشهد لقارئها والأعمال في صورة شاب حسن إذا كانت صالحة وليس في هذه المرتبة المال الذي لم يأخذ منه الزكاة حظها فيكون شجاعاً أقرع له زبيبتان فلو كان عين المنع كان ملحقاً بهذا الباب بلا لطف لأنه عدم من حيث هو منع وإنما هو عين المال وقد اشترك مع الشجاع في الجوهر فهو خلع صورة كان الجوهر حاملاً لها ولباس صورة الشجاع.

٤٧ ـ مسألة: النظر في الأشياء من حيث ذواتها من غير نظر إلى كمال أو نقص أو ملائمة طبع أو منافرة أو عرض أو وضع لا حسنة ولا قبيحة ولا محمودة ولا مذمومة فالحسن والقبح والحمد والذم أوصاف وضعية وضعها شرع وطبع بحكم ملائمته أو منافرته وناظر في كمال ونقص لا غير ثم هي بالنظر إلى فاعلها من حيث استنادها إليه حسنة كلها أدباً إلهياً فانظر كيف تنظر في هذه المسألة يزول عنك الخلاف المشهور فيها ومن هذا الباب عندنا الشريف والوضيع.

٤٨ ـ مسألة: لا يلزم الراضي بالقضاء أن يرضى بالكفر والمعاصي والمخالفات فإنها كلها معصية ما هي عين القضاء والشارع أمرنا بالرضا بالقضاء لا بالمقضي وهو اختيار الحق تعالى لا مختاره وليس لك أن تقول رضيت بما قضى الله لي من المخالفات

فإن ما هنا هي عين المقضي إلا أن يجعل ما زائدة فحينئذ يجوز لك ذلك.

٤٩ ـ مسألة: لا يلزم من وجود الصفات المتعلقة وجود المتعلق كوجود القدرة أزلاً وتعلقها إنما هو الإيجاد ولا يصح أن يكون الإيجاد أزلاً وكذلك العلم لا يلزم من وجوده أن يكون متعلقاً بحقائق المعلومات بل له صلاحية التعلق والعلم عندنا المحدث واحد لا أقول إن لكل معلوم علماً فإني لا أشترط فيه التعلق بكل المعلومات وإنما هو معنى فيه صلاحية التعلق فإذا نسب إلى الحق نسب إليه متعلقاً بما لا يتناهى من المعلومات حذراً من أن يقوم به جهل بما يصح أن يعلم وذلك على الله محال وقلنا بوحدانيته إذ لو كان لكل معلوم علم والمعلومات لا نهاية لها وهو عالم بها فكان يقوم به لا نهاية لها ودخول ما لا نهاية له في الوجود فوجود علوم. لا نهاية لها محال ولما ذكرناه جوز الإمام أبو عمرو السلالقي الأشعري رحمه الله تعالى تعلق العلم المحدث بما لا نهاية له حدثني بذلك بعض أصحابه ممن قرأ عليه عنه وهو قول صحيح عندنا نرتضيه وإن اختلفت مآخذنا في دركه فالمدلول واحد ولا يعترض علينا بالنوم والغفلة والذهول فإن تلك أموراً بدنية طبيعية بعبور الآلات ليس محلها اللطيفة الإنسانية فهي العالمة نام الجسم أو استيقظ وليس بحصرها عالم واحد فلها العوالم كلها حسها وخيالها وعقليها، ملكها وملكوتها فحيث ما سار بها الحق سارت وحيث ما أوقفها وقفت ولا يخلو عن تعلقها بمعلوم حيث كانت ومهما علمت ما لم تكن عالمة فليس ذلك راجع لتجدد علم فيها وإنما يجدد التعلق بالمعلوم لظهور المعلوم حساً كان أو غير حس فادركته بالعلم الذي اتصفت به قبل ظهور ذلك المعلوم وكذلك الإرادة سواء وكلامنا في هذا كله إنما هو في الصفات المحدثة المخلوقة وأما علم الله وصفاته المتعلقة فقد وافقنا على ذلك العقلاء إلا شرذمة[1] قليلة وهي المعتزلة ولا اعتبار لهم عندنا.

٥٠ ـ مسألة: للعقل نور وللإيمان نور فنور العقل يصل إلى معرفة وجود الله تعالى، وكونه قادراً سميعاً عالماً مريداً إلى غير ذلك مما يجب للألوهية وما يجوز عليها وما يستحيل، وبنور الإيمان يعرف ذات الحق وما وصفت نفسه به مما يقتضي التشبيه والتنزيه فيأخذها مشاهدة وهذه درجة الأنبياء والأولياء كما أن للعقل حد وللإيمان حد فحد العقل يوصله إلى التدبير في أسبابه ومصالح وجوده بحسب ما يقتضيه نظره من العادة، وحد الإيمان خرق العادات عنده لتخرق العادات له فيجد اللذة في العذاب والألم في النعيم وشبهه وعلى حد العقل تجري أمور العقلاء من الخلق وعلى حد الإيمان تجري أمور بعض المنتمين إلى الله تعالى أصحاب الأحوال والأوامر الإلهية والخواطر المستقيمة الربانية.

---

(١) الشَّرْذِمَةُ: القطعة من الشيء. وشرذمة من الناس: جماعة قليلة (ج) شراذم.

٥١ ـ **مسألة:** توجه الذات على جميع الممكنات يسمى إلهاً، لمعنى يسمى ألوهية، وتعلقها بنفسها وبجميع حقائق المحققات على ما المحقق عليه وجوداً كان المحقق أو عدما يسمى علماً، تعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه يسمى اختياراً، تعلقها بالممكن من حيث سبق العلم قبل كون المكون يسمى مشيئة، تعلقها بتخصيص حد الجائزين للممكن على التعيين يسمى إرادة، تعلقها بإيجاد الكون يسمى قدرة، تعلقها بالأحكام قبل وقوعها يسمى قضاء، تعلقها بوقت وقوع الحكم يسمى قدراً، تعلقها بأسماع المكون لكونه يسمى أمراً، وهو على نوعين بواسطة وبلا واسطة فبارتفاع الوسائط لا بد من الامتثال فيكون الكون ولا يلزم الكون بالواسطة ولا بد ولا هو أمر في عين الحقيقة إذ لا يقف للأمر الإلهي شيء، تعلقها بأسماع المكون لصرفه عن كونه أو كون صادر منه يسمى تهيئاً وصورته صورة الأمر في التقسيم من الوساطة وتركها تعلقها بتحصيل ما هي عليه هي أو غيرها من الكائنات أو ما في أنفس في النفس المكون يسمى أخباراً، فإن تعلقت بالمكون على طريق أي شيء عندك يسمى استفهاماً فإن تعلقت به على جهة النزول إليه تعلق الأمر يسمى دعاء، ومن باب تعلق الأمر إلى هذا يسمى كلاماً، تعلقها بالكلام من غير اشتراط علم بذلك يسمى سمعاً، فإن تعلق علم بذلك يسمى فهماً، تعلقها بكيفية النور وما يحمله من المرئيات يسمى بصراً ورؤية، تعلقها بإدراك كل مدرك الذي لا يصح تعلق من هذه التعلقات كلها إلا به يسمى حياة والعين في ذلك كله واحدة بعدد التعلقات بحقائق المتعلقات والأسماء للمسميات فتفهم.

٥٢ ـ **مسألة:** علم اليقين معرفة الله بك إذ أنت عين الدليل عليه وهو إثبات ذات غير مكيفة ولا معلومة الماهية محكوم عليها بالألوهية سلطاناً وحجة لا ريب فيه عين اليقين مشاهدة هذه الذات بعينها لا بعينك فناء كلياً لا يعقل معها نسبة ألوهية إثباتاً أو نفياً لكن مشاهدة نفي الأحكام والرسوم وبمحق الآثار حق اليقين نسبة الألوهية لهذه الذات بعد المشاهدة لا قبلها وهو الفرق بين العلم والحق ليس إلا وهنا سكت المحققون وبعد هذا حقيقة ليقين ظهور الانفعالات عن العبد الكلي مع غيبته عنها فيه به غيباً كلياً وفناء محققاً وهذه غاية المراتب فالثلاثة كتابية علم وعين وحق والرابعة سنية قال عليه السلام «فما حقيقة إيمانك»[1] لكل حق حقيقة فهذه الحقيقة بها يختبر العبد المحقق نفسه في دعواه في معرفة حق اليقين فتأمل.

٥٣ ـ **مسألة:** مشاهدة الحق لا تعطي الإحاطة بذاته ولذلك قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ولو كانت المشاهدة تعطي معرفة مناسبة الألوهية للذات لم تكن

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ٥٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٢٧) والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ١٦٣)، وابن كثير في (التفسير ٣/ ٥٥٣).

فائدة لقول رسول الله ﷺ في التجلي الإلهي في الدار الآخرة وقوله تعالى للناس: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢] فيقولون نعوذ بالله منك ولم يعرفوا أنه الحق مع مشاهدتهم إياه فأذن العلم بالألوهية لا يلزم منه العلم بالذات فمدار المعرفة على الحقيقة على علوم ثلاثة علم الألوهية وعلم الذات وعلم نسبة هذه الألوهية لهذه الذات وبعد هذا كله فلا إحاطة ولا إدراك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتاب التجليات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله. الحمد لله محكم العقل الراسخ، في عالم البرازخ، بواسطة الفكر الشامخ، وذكر المجد الباذخ، معقل الأعراس، مجلي وجود الأنفاس، منشأ القياس، وحضرة الالتباس، مورد الإلهام والوسواس، ومعراج الملك والخناس، منزل تنزل الروحانيات العلى، في صورة القوالب الجنسية السفلى، عند ارتقائها عن الحضيض الأوحد الأدنى، ووقوفها دون المقام الأعلى، متمم حضرة الوجود، ومعدن نسب الكرم والجود، خزانة الرموز والألغاز، وساحل بحر الإمكان والجواز، حمده بالحمد الموضح المبهم، كما يعلم وكما أعلم وصلى الله على الرداء المعلم، الرضي بالمرتدي الأقدام، على آله الطاهرين وسلم، هذا التنزل من منازل الطلسم الثالث وهو واحد من ثلاثة عشر.

قال تلميذ جعفر الصادق صلوات الله عليه سألت سيدي ومولاي جعفراً: لماذا سمي الطلسم طلسماً؟ قال صلوات الله عليه: لمقلوبه يعني أنه مسلط على ما وكل به وقد وصفناه بكماله في كتاب الهياكل فلينظر هناك إن شاء الله وهو من حضرة الوحدانية المطلقة التي لا تعلق للكون بها لأنها للأول الذي لا يقبل الثاني وحضرة التوحيد التي تقبل الكون لتعلقه بها مذكورة في كتاب الحروف من «الفتوحات المكية» الذي هذا كتاب منه فلينظر هناك إن شاء الله.

فلنقل بعد التسمية أن حضرة الألوهية تقتضي التنزيه المطلق ومعنى التنزيه المطلق الذي تقتضيه ذاتها مما لا يعرفه الكون المبدع المخلوق فإن كل تنزيه يكون من عين الكون لها فهو عائد على الأكوان فلهذا قال من قال «سبحاني» لإعادة التنزيه عليه واستغنائها بالتنزيه المطلق فللألوهية في هذا التنزل تجليات كثيرة لو سردناها هنا طال الأمر علينا فلنقتصر منها على ذكر بضع ومائة تجل أو أكثر من ذلك بقليل بطريق الإيماء والايجاز لا بطريق التصريح والإسهاب، فإن الكون لا يحمله من حيث الفهوانية وكلمة الحضرة لكن يحمله من حيث التجلي والمشاهدة فكيف من حيث النيابة والترجمة، ثم إن الرحمة الشاملة التي بها كان الاستواء على عرش الربوبية بالاسم الرحمٰن الموصوف بالمجد والعظمة والكرم نسجت جوداً على الممكنات كلها فأظهرت أعيانها سعيدها وشقيها، رابحها وخاسرها وألقت كل فرقة على جادتها وحسب كل فرقة غاية طريقها

فالله يجعلنا ممن جعل على الجادة التي هو سبحانه غايتها وتنزهنا عن ظلم المواد ومكايدة أعراض النفوس المقيدة بالأجسام فنعم الوفد وفد الرحمٰن فطوبى لهم ثم طوبى لهم وحسن مآب.

١ ـ تجلي الإشارة من طريق السر: اعلم أن الرقيم المشار إليه ليس يشار إليه من حيث هو موجود لكن من حيث هو حامل لمحمول والإشارة للمحمول لا عليه وهو من بعض ألسنة الفهوانية فصورته في هذا المقام من طريق الشكل صورة المثلث إذا نزل إلى عالم البرازخ عالم التمثل كنزول العلم في صورة اللبن فزاوية منه تعطي رفع المناسبة بين الله وبين خلقه، والزاوية الثانية تعطي رفع الالتباس عن مدارك الكشف والنظر وهو باب من أبواب العظمة، والزاوية الثالثة توضح طريق السعادة إلى محل النجاة في الفعل والقول والاعتقاد وأضلاعه متساوية في حضرة التمثيل فالضلع الواحد يعطي من المناسبة ما تقع به المعرفة بين الله وبين العبد، فمن شاهد هذا المشهد عرف علم الله بنا أي كيفية تعلقه بنا ومعرفتنا به ماذا نعرف فإن معرفتنا جزء به لا يصح أن يكون متعلقها كلاً.

والضلع الآخر ضلع النور يريك ما في هذا الرقيم فيه تبصر ما رقم في درجتك وما هنالك من قرة عين في درجك والضلع الثالث يعطيك الأمور التي تتقي بها حوادث الأقدار وما تجري به الأدوار والأكوار فتحفظ ذلك فإذا استوفيت هذا المشهد علمت أنك أنت الرقيم وأنك الصراط المستقيم وأنت السالك وفيك وإليك تسلك فأنت غاية مطلبك وفناؤك وذهابك في مذهبك فبعد السحق والمحق والتحقق بالحق والتمييز في مقعد الصدق لا تعاين سواك والعجز عن درك الإدراك إدراك.

٢ ـ تجلي نعوت التنزه في قرة العين: اعلم أنك إذا غيبت عن هذا التجلي الأول وأسدل الحجاب أقمت في هذا التجلي الآخر ترتيباً إلهياً حكمياً ليس للعقل فيه من حيث فكره قدم بل هو قبول كشفي ومشهد ذوقي ناله من ناله فقام العبد في إنسانيته مقدس الذات منزه المعاني الأحكام تتعشق به الفهوانية تعشق علاقة تظهر أثرها عليه فيكور موسوي المشهد، محمدي المحتد، فلا تزال النظر بالأفق الأعلى إلى أن ينادي من الطباق، السفلي، احذر من الحد عند نظرك إلى الأفق الأعلى فإني مناديك منه ومن هنا فيتدكدك عند ذلك جبلك، ويصعق جسدك، ومدحت نفسك في الذاهبين إلى محل التقريب بمشاهدة اليقين فتعطى من التحف ويهدى إليك من الطرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[١].

(١) أخرجه الدارمي (رقاق ٩٨، ١٠٥)، وأحمد بن حنبل ٢/٣١٣، ٣٧٠، ٤٠٧، ٤١٦، ٤٣٨، ٤٦٢، ٤٩٥، ٥٠٦.

ثم ترد إلى المنظر الأجلى بالأفق الأعلى عند الاستواء لا قدس الأزهى، فيأتيك عالم الفقر والحاجة من ذات جسدك لغريب يسألون نصيبهم من تحف الحبيب فأعطهم ما سألوا على مقدار شوقهم وتعطشهم، ولا تنظر إلى إلحاحهم في المسألة فإن الإلحاح صنعة نفسية وقوة تعليمية ولكن انظر إلى ذواتهم بالعين التي لا تستتر عنها الحجب والأستار وأقسم عليهم على قدر ما يكشف منهم فمن استوت ذاته فأجزل له في العطية ومن تعاظم عليك وتكبر فكن له أوطأ مطية ولا تحرمه ما تقتضيه ذاته وإن تكبر فتكبره عرضي فعن قريب ينكشف الغطاء وتمر الرياح بالأهواء ويبقى الدين الخالص فتحمد عند ذلك عاقبة ما وهبت، والأرزاق أمانات بأيدي العباد روحانيها وجسمانيها فإذا الأمانة تسترح عن عبئها وإن لم تفعل فأنت الظلوم الجهول وعلى الله قصد السبيل.

٣ ـ **تجلي نعوت تنزل الغيوب على الموقنين:** وبعد هذا التجلي المتقدم يحصل لك هذا التجلي الآخر تستشرف منه على مآخذ كل ولي خاص مقرب وغيره ومآخذ الشرائع الحكمية والحكمية وسريان الحق فيها وارتفاع الكذب منها ثم يلقى إليك ما يختص باستعدادك من ما لا تشارك فيه فتمرض في هذا التجلي وتموت وتحشر وتنشر وتسأل ويضرب لك صراطك على متن جهنم طبيعتك ويوضع لك ميزانك في قبة عدلك وتحضر لك أعمالك صوراً أمواتاً أحياء على قدر ما كان حضورك مع ربك فيها ولست بنافخ فيما مات منها روحاً في ذلك التجلي فإنها مثال الدار الآخرة وتعطى كتابك بما كان من يديك مطلقاً وترى فيه ما قدمت فيرتفع الشك والالتباس، ويأتي اليقين كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] بمعاينة هذه الأشياء وهذه هي القيامة الصغرى ضربها لك الحق مثلاً في هذا التجلي سعادة لك وعناية لك أو شقاوة أن ضللت بعدها فتكون من أضله على علم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة: ١١٥] فاعرف ما تشهد ولا تحجب بما أسدل لك من لطائف الغيوب والأسرار وتنزل هذه الأنوار عن التحقيق بالمعاملات عند الرجوع من هذا التجلي إلى عالم الحس وموطن التكليف فإن الحق ضربه لك مثالاً حتى تصل إليه بعد الموت عياناً فقد أمهلك ومن عليك إذ ردك إلى موطن الترقي وقبول الأعمال لتنفخ روحاً في تلك الصورة الميتة فيكسوها حلة الحياة فتأخذ غداً بيدك إلى مستقر السعادة فإنه خير مستقراً وأحسن مقيلاً.

٤ ـ **تجلي الإشارة من عين الجمع والوجود:** هذا التجلي يحضر لك فيه حقيقة محمد ﷺ ويشاهده في حضرة المحادثة مع الله فتأدب واستمع ما يلقي إليه في تلك المحادثة فإنك تفوز بأسنى ما يكون من المعرفة فإن خطابه لمحمد ﷺ ليس خطابه إياك فإن استعداده للقبول أشرف وأعلى فألق السمع وأنت شهيد فتلك حضرة الربوبية فيها يتميزون الأولياء ويتجاوزون في طرق الهداية من جمعية أدنى إلى جمعية أعلى، فأعلى

إلى مكانه زلفى إلى مستوى أزهى، إلى حضرة عليا، إلى المحل الأسمى، حيث لا ينقال ما يرى فإذا رجعت من هذا التجلي أقمت في التجلي الأنية من حيث الحجاب.

٥ ـ **تجلي الآنية من حيث الحجاب والستر:** وهذا التجلي أيضاً يحضر فيه معك حقيقة محمد ﷺ وما من تجلى لولي يحضر معه فيه ولي أكبر كالنبي وغيره إلا وكلمة الحضرة مصروفة للأكبر وهذا الآخر سامع وهي عناية إلهية بهذا العبد فليسمع من تلك المحادثة الأسرار المكتمة والغيوب التي لا تتجلى أعلامها لمن لم يقم في هذا التجلي ومن هذه الحضرة تعرف أن لله عباداً أمناء لو قطعهم إرباً إرباً[1] أن يخرجوا له بما أعطاهم في أسرارهم من اللطائف بحكم الأمانة المخصوصة بهم وهم المبعوثون بها إليهم ما خرجوا إليه بشيء منها لتحققهم بالكتمان ومعرفتهم بأن ذلك البلاء ابتلاء لاستخراج ما عندهم ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩] فكيف إن يخرجوا إلى غيرهم فهم يودونها إلى وجودهم كما أمروا فيجلى أعلامها دار العقبى ويتميزون بها بين الخلائق فيعرفون في تلك الدار بالأخفياء الأبرياء والأمناء طال ما كانوا في الدنيا مجهولين وهم الملامتية من أهل طريقنا أغناهم العيان عن الإيمان بالغيب وانحجبوا عن الأكوان بالأكوان قد استوت أقدامهم في كل مسلك على سوق تحقيقه فهم الغوث باطناً وهم المغاثون ظاهراً فإن شهدتهم في هذا التجلي فأنت منهم وإن لم تشهدهم فتحفظ عند الرجوع إليك فإنك ستجول في ميدان الدعاوى وإن كنت على حق فيها وقائماً على قدم صدق فإن لطف بك حجبت عنك أسرار الكتم فلم تعرفها فعشت سعيداً بما عرفت ومت كذلك، وإن خذلت أعطيت أسرار الكتم ولم تعط مقامه فبحت فحرمت ثناء الأمانة وخلعت عليك خلع الخيانة فيقال ما أكفره، وما أجهله، وحقاً ما قيل ويقيناً ما نسب أتيت بالعبيان في موطن الإيمان فكفروك فجهلك عين إتيانك فنطقوا بالحق وهم مأثومون.

٦ ـ **تجلي أخذ المدركات عن مدركاتها الكونية:** وهذا التجلي أيضاً تحضر فيه الحقيقة المحمدية وهو التجلي من اسمه الحميد فعند النواظر عن التصرف الذي ينبغي لها وجميع المدركات وفي هذا المقام يشاهد الاسم الذي بيده الختم الإلهي وكيفية فعله به في الوجود فيه تختم النبوة والرسالة والولاية وبه يختم على القلوب المعتنى بها ولا يدخل فيها كون بعد شهود الحق بحكم التحكم والملك لكن يدخل بحكم الخدمة والأمر ثم يخرج وما وقع بعد هذا المقام من تعلق الخواطر بحب جارية أو غير ذلك فذلك بحكم الطبع لا من جهة السر الرباني المختوم عليه الذي هو بيت الحق ومقعد الصدق ومن هنا كان حب الأنبياء صلوات الله عليهم ومن هنا أصل الحب في الكون مطلقاً غير أن أسرار العامة وإن لم يختم عليها بخاتم العناية لكن ختم عليها بغير ذلك

(١) الإِرْبُ: العضو الكامل. يقال: قطعهُ إرْباً إرْباً؛ أي: عضواً عضواً (ج) آراب، وأرآب.

فأسرارهم في ظلمة وعمى من حيث صرف وجهها للطبع الذي هو الظلمة العظمى والحب في الخلق على أصله في العالي والدون وليس حب الله من هذا القبيل وهو من هذا القبيل غير أن أكثر الناس لا يفرقون بين ذلك فحبنا لله أيضاً من حيث الإحسان فهو من حيث الطبع وحبنا المقدس عن ظلمة الطبع ينسب إلينا على حد ما ينسب إلى الحق فكما لا يكون حبه مثلاً كذلك لا يمال إليه وهذا التجلي يعرفك حقيقة هذين الحكمين في المحبة.

٧ ـ **تجلي اختلاف الأحوال:** هذا التجلي هو الذي يكون على غير صورة المعتقد فينكره من لا معرفة له بمراتب التجليات ولا بالمواطن فاحذر من الفضيحة إذا وقع التحول في صور الاعتقادات وترجع تقر بمعرفة ما كنت قائلاً بنكرانه وهذه الحقيقة هي التي تمد المنافقين في نفاقهم والمرائين في ريائهم ومن جرى هذا المجرى.

٨ ـ **تجلي الالتباس:** هذا التجلي يعرف الإنسان منه دقائق المكر والكيد وأسبابه من أين وقع فيه من وقع ويعرف أن الإنسان يتحليه بما هو عليه من الأوصاف فليحذر ومما يحجبه عن الله تعالى ومن هذا التجلي قال من قال سبحاني ومنه قال عليه السلام: إنما هي أعمالكم ترد عليكم(١)، وصورة اللبس هو الذي فيه كون الإنسان يعتقد أن أعماله وفعله ليس هو خلقه عليه وأنه أمر يعرض ويزول فمن وقف على هذا المنزل وشاهد هذا التجلي فقد آمن من المكر وعرف كيف يمكر لكنه حتى يحصل في المواطن الذي يقتضي المكر والكذب كقوله ﷺ، «الحرب خدعة»(٢)، وكالإصلاح بين الرجلين وكقوله، هي أختي، وما أشبه ذلك فلهم في الخروج عن هذا المراتب المباح فيها الكذب والمكر مسالك غيرها تخرج عليها ولا يتجلى بهذا الوصف ولا يغتر بقوله،

(١) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٥١، ٢/ ٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في (الصحيح ١٣٦١، ١٣٦٢)، وأبو داود في (السنن ٢٦٣٦)، والترمذي في (السنن ١٦٧٥)، وابن ماجة في (السنن ٢٨٣٣، ٢٨٣٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٩٠، ٢/ ٣١٢، ٣١٤، ٣/ ٢٢٤، ٢٩٧، ٣٠٨، ٦/ ٣٨٧)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٤٠، ٩/ ١٥٠)، والطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ٨٣، ٥/ ١٤٩، ١١/ ٣٠٠، ١٨/ ٥٣، ١٩/ ٤٣)، وأبو داود في (السنن ٩٤٩، ٢٦٣٦، ٢٦٣٧)، والحميدي في (المسند ١٢٣٧)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ٣٢٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٧٣)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٣٩٣٩)، وابن حجر في (فتح الباري ١٢/ ٢٨٧)، والبغوي في (شرح السنة ١١/ ٤٠، ١٣/ ١١٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٧/ ٢٤٧)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٠٨٩١، ١١٣٩١، ١١٤٠٠)، وسعيد بن منصور في (الطبقات الكبرى ٦/ ١٧٠)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٢/ ٤٣٢)، وابن الجوزي في (الأذكياء ٢٨) وأبو نعيم في (تاريخ بغداد ٣/ ١٠١، ٤/ ٣٤١، ٥/ ١١٧، ٩/ ٢٦٨، ١٤/ ٧٥)، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٤٥٦، ٤/ ٢٢٠)، والخطابي في (إصلاح خطأ المحدثين ٣٢)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة ٧٥)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٢/ ٨٣٥، ٣/ ٩٠٢، ٤/ ١٥٦٤، ٥/ ١٨٤٩)، وابن حجر في (لسان الميزان ١/ ٧٦٨).

ومكر الله، وشبه ذلك فإن مكرهم.هو العائد عليهم تجليه فهو مكر لله بهم فتحقق في هذا التجلي وقف حتى تحصل ما فيه.

٩ ـ **تجلي رد الحقائق:** هذا التجلي إنما يتحقق به من ليس له مطلب سوى الحق من حيث تعلق الهمة لا من حيث الكسب والتعشق بالجمال المطلق فتبدو له الحقائق في أحسن صورة بأحسن معاملة بألطف قبول فيقول:

ألا كــل شــيء مــا خــلا الله بــاطــل

وما هي باطل لكن غلب عليه سلطان المقام كما قال عليه السلام «أصدق بيت قالته العرب».

ألا كــل شــيء مــا خــلا الله بــاطــل[(١)]

والموجودات كلها وإن كانت ما سوى الله فإنها حق في نفسها بلا شك لكنه من لم يكن له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهو الباطل وهذا من بعض الوجوه التي بها يمتاز الحق سبحانه من كونه موجوداً عن سائر الموجودات أعني وجوده بذاته وإن لم يكن على الحقيقة بين الحق والسوي اشتراك من وجه من الوجوه حتى يكون ذلك الوجه جنساً يعم فيحتاج إلى فصل مقوم، هذا محال على الحق أن يكون ذاته مركبة من جنس وفصل.

١٠ ـ **تجلي المعية:** ولما كان الإنسان نسخة جامعة للموجودات كان فيه من كل موجود حقيقة فتلك الحقيقة تنظر إلى ذلك الموجود وبها تقع المناسبة وهي التي تنزل عليه فمتى ما أوقفك الحق مع عالم من العوالم وموجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة معك بكليتي ليس عندي غيرك بالعرض فإنه يصطفيك ويعطيك جميع ما في قوته من الخواص والأسرار هكذا مع كل موجود ولا يقدر على هذا الفعل إلا حي يحصل في هذا التجلي التي هي معية الحق تعالى مع عباده قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فإذا تجلى في هذه المعية عرفت كيف يتصرف فيما ذكرته لك.

١١ ـ **تجلي المجادلة:** إذا كان لك تجلي من اسم ما وقع الكشف وما حصل القدم في بساط ذلك التجلي ثم قيل لك ارجع فلا ترجع وقل إن كان رجوعي إليه فليس يخلو عنه مقام فلماذا يقال لي ارجع هذه الحضرة أيضاً طريق فدعني أمشي عليها وإن كنت أرجع إلى غيره فأنا لم أحكم هذا الموقف ولا عرفت هذا التجلي من حكم الذات فأدخلني في بساطه حتى أرى ما لديه وحينئذ تنتقل وتحفظ من الرجوع فإن قيل لك إنما

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٥/ ٥٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٤٨)، وابن أبي شيبة في (المصنف ٨/ ٥٠٧)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٥٣٧، ١١/ ٣٢١).

تجني في هذه التجليات ثمرات أعمالك وكنت في عمل يقتضي هذا فقل صحيح ذلك فأين العفو والغفار والرحيم والمحسان وأين القائل أنا عند ظن عبدي بي[(١)] وما ظننت إلا خيراً فإنه ينتفع بهذا.

١٢ ـ **تجلي الفطرة:** اعلم أن الإنسان ملك الهداية في أول نشأته وهي الفطرة التي فطره الله عليها وفطر الناس عليها وهو ميثاق الذر وهذه الهداية ليس للإنسان من جهة ما يقتضيه طبعه وجه يقضي له التعشق بها فهو منافر لها طبعاً والغواية لم يملك إياها وملكها الشيطان وهي تلائم الطبع الإنساني وتوافق مزاجه وله بها تعشق نفساني وسبب ذلك أن الإنسان لما كان ربانياً في أصله لم يحمل التحجير عليه والهداية تحجير والغواية رفع التحجير وإظهار ربوبية الإنسان فلذلك لم يعصمه الله مع قناع السعادة التي هي ملكه بالشقاء لملائمته لطبعه في الوقت بدار الدنيا فإن السعادة تلائم طبعه أيضاً لكن في المستأنف فيعجل ولذلك قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨] فهذا التجلي إذا حصل فتحقق في الثبات فيه فإنه يثبتك على الفطرة والسعادة.

١٣ ـ **تجلي السريان الوجودي:** سر الأمر سري في الوجود سريان النور في الهواء فظهرت العلل والأسباب والأحكام الفاعلة وغاب كل موجود عن حقيقته وانفعاليته ومعلوليته وقال أنا وزهى واستكبرت الموجودات بعضها على بعض وغاب المستكبر عليه على مشاهدة المتكبر عليه بتكبره على شبهه ومعلوله فظهر الكبرياء في العالم ولم يظهر تعظيمه وكان الظهور على الحقيقة لمن له الكبرياء الحق ذلك هو الله العزيز العليم.

١٤ ـ **تجلي الرحموت:** انتشرت الرحمة من عين الوجود فظهرت الأعيان في الوجود عن الكلمة للخروج لكن التعشق أخرجه وأبرز عينه لكلمة الحضرة التي هي كن فلما برز طلب رؤية المحبوب الذي له خرج فلم يجد لذلك سبيلاً وقام دونه حجاب العزة فلم يرى سوى نفسه فاغتم، وقال من مشاهدة كوني هربت وإياه طلبت فإن ظهوري لي في محبتي غيبتي عن مشاهدتي له في علمه حيث لم أظهر لعيني فاذ ولا تجلي فرجوعي إلى العدم ومشاهدتي له من حيث وجودي في علمه أولى من مشاهدة كوني فلذلك وطني حيث أحدية المعين وعدم الكون:

ولما بدا الكون الغريب لناظري ... حننت إلى الأوطان حنَّ الركائبِ

١٥ ـ **تجلي الرحمة على القلوب:** استوت الرحمة على القلوب ففتحت أعين

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٣١٥، ٤/ ١٠٦)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٣٩٣، ٤٧٧، ٤/ ٢٦٩)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥، ٦، ٧، ٤٠، ٩/ ١٦٩، ٢٢١، ١٠/ ٢٧٧)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٠٨)، والسهمي في (تاريخ جرجان ٥٠٦) وابن أبي الدنيا في (حسن الظن ٣).

البصائر فأدركت ما غاب عنها وهي مقلة وإرادة على حضرة الغيب والمنزه الأبهى وعرفت بهذا التجلي أن الله اختصها من غيرها من القلوب التي أعماها الله تعالى عنه فأشهدها ظلمتها فنظرت إليها صادرة عمياء منحطة إلى أسفل سافلين منكوسة الرأس ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فكل من قيده الطرف فهو المحتوى عليه المحصور في قيد الأين في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن يجعل الله له نوراً من عنده فما له نور من ذاته.

١٦ - **تجلي الجود:** انتشر الوجود في العالم فثبتت أعيان الموجودات بأسرها فلا زوال لها وانتشر الصلاح في المحل القابلة له فصلحوا وأصلحوا وملكت الرقاب وظهرت الدعاوى وفي أهلها وجاد الأغنياء على الفقراء بما في أيديهم وجاد الفقراء على الأغنياء بالقبول منهم فنعم الفريقان فصلح ظاهر الفقير وصلح قلب الغني قال كل في النعيم دائمون، وبمشاهدتهم مسروررون.

١٧ - **تجلي العدل والجزاء:** انتشر العدل فمال قوم إلى ظلمة الطبع فهو جزاؤهم ومال قوم إلى نور الشرع فهو جزاؤهم والمائلون إلى نور الشرع من حيث حقائق لطائفهم هم المفردون الذين لا يعرفون والمائلون من حيث حقائق كنائفهم في روضة يحبرون يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين.

١٨ - **تجلي السماع والنداء:** فتق الأسماع نداء الأمر فأدركت بالعرض نغمات الألحان والأصوات الحسان فحنت حنين النيب[1] إلى حضرة الحبيب، فسمعت فطابت فتحركت عن وجد صادق فوجدت فحمدت فحصلت لطائف الأسرار وعوارف المعارف ولذات المشاهد والمواقف فرجعت إلى وجودها فتصرفت على قدر شهودها.

١٩ - **تجلي السبحات المحرقة:** ارتفعت الأنوار والظلم، وسطعت على العارفين سبحات الكرم، فدفع سلطان إحراقها، قدم الصدق فحماهم فهم من وجه وما هم إذ لا ثبوت لكون في شهوده إلا بجود وجوده، وذلك أنه لو اجتمعت العينان لأحرقت الأكوان فلما رأيناه من غير الوجه الذي يرانا ثبتنا فشاهدنا عياناً.

٢٠ - **تجلي التحول في الصور:** تنوعت الصور الحسية فتنوعت اللطائف فتنوعت المآخذ فتنوعت المعارف فتنوعت التجليات فوقع التحول والتبدل في الصور في عيون البشر ولا تعاين إلا من حيث المعلم والمعتقد والله أجل وأعز من أن يشهد.

٢١ - **تجلي الحيرة:** جل جناب الحق العزيز إلا حمى عن أن تدركه الأبصار فكيف البصائر فأقامهم في الحيرة فقالوا زدنا فيك تحيراً إذ لا تحيرهم إلا بما يتجلى لهم فيطمعون في ضبط ما لا ينضبط فيحارون فسؤالهم في زيادة التحير سؤالهم في إدامة التجلي.

---

(١) النيب: (ج) النّاب: الناقة المُسِنَّةُ.

٢٢ ـ **تجلي الدعوى:** قل لمن ادعى العلم الحق والوجود الصرف إن صار لك الغيب شهادة فأنت صاحب علم، وإن ملكت الأخبار عما شاهدته بأي نوع كان من الإخبارات فأنت صاحب العين السليمة المدركة، وإن حكمت على ما علمت وعاينت ما تريده وجرى معك على ما حكمت به فأنت الحق الذي لا يقبله ضد.

٢٣ ـ **تجلي الإنصاف:** إن ادعيت الوصلة وجمع الشمل أخاف عليك أن يكون جمعك بك لا جمعك به فتقول قد وصلت وأنت في عين الفصل وتقول اجتمعت وأنت في عين الفرق هذا المحك والمعيار والميزان لا تغالط نفسك في هذا المقام فهو يشهد بالبراءة منك الأكوان تحدث مع الأنفاس لا أطالبك بمعرفتها معيارك الحادث الكتاب الذي تهتز إليه النفوس السالفة وتطيش له القلوب الثابتة قبل حلول أوانه فقد أتاك به النبأ العظيم على لسان الملك الكريم ومن طريق المحادثة النديم من غير أن يعرف حركة فلكية ولا قرانات دورية هذا معيارك فلازمه.

٢٤ ـ **تجلي معرفة المراتب:** مشاهدة القلوب اتصالها بالمحبوب اتصال تنزيه لا اتصال تشبيه فكان بلا كون لأنك كنته ومشاهدة العيان النظر من غير تقيد بجارحة ولا بنية فالبصر والرؤية صفة اشتراك وإن كان ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والقلب صفة خاصة لك فتشهده بالبصر من حيث يشهدك فيكون بصره لا بصرك وتشهده بالقلب من حيث لا يشهدك فمشهد القلب يبقيك ومشهد البصر يحرقك ويفنيك.

٢٥ ـ **تجلي المقابلة:** إذا صفت مرآتك وكسرت زجاجة وهمك وخيالك وما بقي لك سوى الحق في كل ما يتجلى لك فلا تقابل مرآتك إلا حضرة ذات ذاتك فإنك تربح ولكن أن تلبس عليك الأمر فاقلب وجه مرآتك نحو حضرة الكون واعتبرها في الأشخاص فإن النفوس تتجلى فيها بما فيها من صور الخواطر فتكلم على ضمائر الخلق ولا تبالي حتى يسلم لك جميع من تكلمت على ضميره ولا تجد منازعاً واثبت عند الاختبار فقد يرد الحق على وجهك ابتلاء فإن كنت صادقاً فاثبت وإن وجدت عندك خللاً عند الموافقة فما كسرت زجاجتك ولا تتعدى قدرك وتعمل في التخليص.

٢٦ ـ **تجلي القسمة:** ما من خلق إلا وله حال مع الله فمنهم من يعرفه ومنهم من لا يعرفه، وأما علماء الرسوم فلا يعرفونه أبداً فإن الحروف التي عنها أخذوا علومهم هي التي تحجبهم وهي حضرتهم وهم الذين هم على حرف ليس لهم رائحة من نفحات الجود فإن مآخذهم من كون الحروف ومعلومهم كون فهم من الكون إلى الكون مترددون بداية ونهاية فكيف لهم بالوصول وإن كان لهم أجر الإجهاد والدرس بالأجر كون أيضاً فما زال من رق الكون ووثاق الحرف، وأما من كان على بينة من الله تعالى فإنه يكشف له عما إراده فيطمئن ويساكن تحت جري المقادير فطاعته له مشهودة ومعاصيه له مشهودة فيعرف متى يعصي وكيف يعصي ولمن يعصي وأين يعصي وكيف

يتوب ويجتبي فيبادر لكل ما كشفت مستريحاً برؤية عاقبته متميزاً عن الخلق بهذا الحق.

٢٧ ـ **تجلي الانتظار:** المحقق إذا صرف وجهه نحو الكون لما يراه الحق من الحكمة في ذلك فيحكم بأمر لم يصل أوانه لا على الكشف له لكن يشاهد القلب ودليل صدق الخاطر وميز الحركة فأولى به انتظار ما حكم به حتى يقع فإنه إن غفل عن هذا الانتظار ربما زهق من حيث لا يشعر فإنه في موطن التلبيس فليحذر المحقق من هذا المقام ولا معيار له إلا الانتظار.

٢٨ ـ **تجلي الصدق:** من كان سلوكه بالحق ووصوله إلى الحق ورجوعه من الحق بالحق فنظره الحق من كونهم حقاً بالحق واستمداده من عرفانيات الحق فلم يخط له حكم فلم يجر على لسانه ولا عليه لسان باطل وكان حقاً في صورة خلق بنطق حق وعبارة خلق.

٢٩ ـ **تجلي التهيؤ:** إذا تهيأت القلوب وصفت بأذكارها وانقطعت العلائق بأستارها وتقابلت الحضرتان وسطعت أنوار الحضرة الإلهية من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] والتقت بأنوار عبودية القلب وهو ساجد سجدة الأبد الذي لا رفع بعده اندرج نور العبودية في نور الربوبية إن كان فانياً فإن كان باقياً اندرج نور الربوبية في نور العبودية فكان له عيناً ومعنى وروحاً وكان نور العبودية شهادة ولفظاً وجسماً لذلك النور فسرى نور العبودية في باطنه الذي هو نور الربوبية فانتقل في أطوار الغيوب من غيب إلى غيب حتى انتهى إلى غيب الغيوب فذلك منتهى القلوب والانتقال ولا يحصى ما يرجع به من لطائف التحف التي تليق بذلك الجانب العالي.

٣٠ ـ **تجلي الهمم:** جمع الهمم على الهم الواحد حتى يفنى في الواحد بالواحد فيبقى الواحد يشهد الواحد ذلك من أحوال الرجال عبيد الاختصاص فيشرح لهم الصدور عما أخفي لهم فيها من قرة أعين ويسبحون في أفلاك الأقدار شموساً إن كانوا بالحق، وبدوراً إن كانوا بالعين، ونجوماً إن كانوا بالعلم فيعرفون ما يجري به الليل والنهار إلى يوم الشق والانفطار فيكون من كان شمساً ويخسف من كان بدراً أو ينطمس من كان نجماً فلا يبقى نور الأنور الحق وهو نور الوحدانية الذي لا يبقى لتجليه نور فيفيض على ذاته من ذاته نور في نور.

٣١ ـ **تجلي الاستواء:** إذا استوى رب العزة على عرش اللطائف الإنسانية كما قال: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي[1] ملك هذا العرش جميع اللطائف فتصرف فيها ويحكم بحكم الملك في ملكه وتصرف تصرف المالك في ملكه ألا فهو القطب.

(١) سبق تخريجه.

٣٢ ـ **تجلي الولاية:** الولاية هو الفلك الأقصى من سبح فيه اطلع ومن اطلع علم ومن علم تحول في صورة ما علم فذلك الولي المجهول الذي لا يعرف والنكرة التي لا تتعرف لا يتقيد بصورة ولا تعرف له سريرة يلبس لكل حالة لبوسها أما نعيمها وأما بؤسها:

يــومــاً يــمــان إذا لاقــيــت ذا يــمــن   وإن لــقــيــت مــعــديــاً فــعــدنــان

امّعه لما في فلكه من السعة.

٣٣ ـ **تجلي المزج:** دار المزاج يشبه نطفة الأمشاج، فما أردأ ما يكون بينهما النتاج، لكن الحق جعل للشقي دلالة وللسعيد دلالة وجعل للوصول إليهما عيناً مخصوصة في أشخاص مخصوصين ونوراً مخصوصاً من حضرة مخصوصة إلهية فإذا كشف غطاء الأوهام عن هذه العين وطرد ذلك النور المخصوص ظلام الأجسام عن هذا الكون أدركت الأبصار بتلك الأنوار علامات الأشقياء والأبرار، واستعجلت قيامتهم لما تخلصوا وأخلصوا.

٣٤ ـ **تجلي الفردانية:** لله ملائكة مهيمون في نور جلاله وجماله في لذة دائمة، ومشاهدة لازمة، لا يعرفون أن الله خلق غيرهم ما التفتوا قط إلى ذواتهم فأحرى ولله قوم من بني آدم الأفراد الخارجون عن حكم القطب لا يعرفون ولا يعرفون قد طمس الله عيونهم فهم لا يبصرون حجبهم عن غيب الأكوان حتى لا يعرف الواحد منهم ما ألقى في جيبه أحرى أن يعرف ما في جيب غيره أحرى أن يتكلم على ضميره يكاد لا يفرق بين المحسوسات وهي بين يديه جهلاً بها لا غفلة عنها ولا نسياناً وذلك لما حققهم به سبحانه من حقائق الوصال واصطنعهم لنفسه فما لهم عرفة لغيره فعلمهم به ووجدهم فيه وحركتهم منه وشوقهم إليه ونزولهم عليه وجلوسهم بين يديه لا يعرفون غيره قال عليه السلام سيد هذا المقام «أنتم أعرف بمصالح دنياكم»[(١)].

٣٥ ـ **تجلي التسليم:** لا تعترضوا على المجتهدين من علماء الرسوم ولا تجعلوهم محجوبين على الإطلاق فإن لهم القدم الكبيرة في الغيوب وإن كانوا غير عارفين وعلى غير بصيرة بذلك ولذلك يحكمون بالظنون وإن كانت علوماً في أنفسها حقاً وما بينهم وبين الأولياء أصحاب المجاهدات إذا اجتمعوا في الحكم إلا اختلاف الطريق وكان غاية أولئك الكشف فكان ما أتوا به علماً في نفسه علماً لهم فدعوا إلى الله في ذلك الحكم على بصيرة قال عليه السلام في تلاوته للقرآن ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (الفضائل ١٤١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢١٨٢)، والقاضي عياض في (الشفا ٢/٤١٧)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٤٥٥).

وهم أهل المجاهدات الذين اتبعوه في أفعاله أسوة واقتداء فأوصلهم ذلك الاتباع إلى البصيرة وكان غاية المجتهدين غلبة الظن فكان ما أتوا به علماً في نفسه ظناً لهم فدعوا إلى الله على غير بصيرة فلهم حظ في الغيوب مقرر ولهم شرع منزل من حيث لا يعلمون.

٣٦ - **تجلي نور الإيمان:** الإيمان نور شعشعاني ممزوج بنور الإسلام فإنه ليس له بوحدته استقلال فامتزج بنور الإسلام أعطى الكشف والمعاينة والمطالعة فعلم من الغيوب على قدره حتى يرتقي إلى مقام الإحسان وهو حضرة الأنوار.

٣٧ - **تجلي معارج الأرواح:** للأرواح الإنسانية إذا صفت وزكت معارج في العالم العلوي المفارق وغير المفارق فينظر مناظر الروحانيات المفارقة فترى مواقع نظرهم في أرواح الأفلاك ودورانها بها فينزل مع حكم الأدوار وترسل طرفها في رقائق التنزيلات حتى ترى مساقط نجومها في قلوب العباد فتعرف ما تحويه صدورهم وما تنطوي عليه ضمائرهم وما تدل عليه حركاتهم فطرق علم الغيب كثيرة.

٣٨ - **تجلي ما تعطيه الشرائع:** تنزلت الشرائع على قدر أسرار الخليقة إلا أن الشريعة تنزلت عيوناً تقوم كل عين بكثير من أسرار الخليقة فإذا كان عين الواحدة منها أو الاثنين أدرك أسرار الخليقة في النوم وإذا انضافت العيون بعضها إلى بعض أدركها في اليقظة وهذا الإدراك أحد الأركان الثلاثة التي يجتمع فيها الرسول والولي والإدراك لها على الحقيقة للرسول من كونه ولياً لا من كونه رسولاً فهو الولاية ولهذا وقعت المشاركة من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم واتقوا الله ويعلمكم الله.

٣٩ - **تجلي الحد:** إذا توجهت الأسرار نحو قارئها بفناء وبقاء وجمع وفرق سقطت عليها أنوار الحضرة الإلهية من حيثها لا من حيث الذات فأشرقت أرض النفوس بين يديه فالتفت فعلم ما أدركه بصره وأخبر بالغيوب وبالسرائر وبما تكنه الضمائر وما يجري في الليل والنهار.

٤٠ - **تجلي الظنون:** ظنون الولي مصيبة فإنه كشف له من خلف حجاب الحسد فيجد الشيء من نفسه ولا يعرف من أين جاء ويعرف مقامه فيعرف أن ذلك لغيره فينطق به فيكون حال الغير فهذا ظن عندنا وفي هذا المقام أيضاً يكون الأكابر منا وليس بظن في حقهم وإنما يجري الله على لسانه ما هو الحاضر عليه من الحال فيقول الحاضر قد تكلم الشيخ على خاطري والشيخ ليس مع الخاطر حتى لو قيل له ما في ضمير هذا الشخص ما عرف، سئل أبو السعود البغدادي عن هذا المقام فقال لله قوم يتكلمون على الخاطر وما هم مع الخاطر وأما صاحب الظن فلولا السكون الذي يجد عنده بلا تردد ما تكلم به وهذا مقام عيٍّ على الأولياء وحصرهم فما ظنك بفهمهم ومن هنا ينتقلون إلى تلقي الأقدار قبل نزولها على أن لها بطأ في النزول يدور القضاء في الجو في مقعر فلك

القمر إلى الأرض ثلاث سنين وحينئذ ينزل ويعرفون الأولياء ذلك بحالة تسميها القوم فهم الفهم ومعنى فهم الفهم لفهمهم الأعمال أولاً ثم يفصلون بقوة إحدى ذلك الأعمال فتلك القوة فهم الفهم.

٤١ ـ **تجلي المراقبة:** امتثال الأمر والنهي ودوام مراقبة السر تطلعك على معرفة ذلك وما يقتضيه مقامك فإذا رأى من هذه حالة ما لا يقتضيه مقامه عرف أنه لغيره لا محالة بهذه الثلاثة الأركان هي التي تعطي أوائل تجليات غيوب الكون.

٤٢ ـ **تجلي القدرة:** إذا اجتمعت الإرادة من البعد باستبقاء شروطها من جنس المعاملة مع الجود الإلهي تعالى في برزخ من البرازخ نطق صاحبها بضرب من ضروب الغيوب.

٤٣ ـ **تجلي القلب:** الجهل حالة الوقفة عند مصادمة الأضداد على نقطة واحدة فيتمانعان فصاحبه في ظلمة أبداً فليس بصاحب علم والشك حالة الشروع في العمل على غير قدم صدق لكنه اتباع لظاهر ما هم الخلق عليه لعلهم يكونون على حق فيتهم نفسه ويتهم الخلق لكن يغلب عليه لائمته لنفسه والظن حالة التقليب فإنه ينظر بعين القلب والقلب لا ثبات له على حال سريع التقلب، ما سمي القلب إلا من تقلبه، والعالم حالة الصدق فإنه ينظر بعين الحق فيصيب ولا يخطىء.

٤٤ ـ **تجلي النشأة:** إذا استوت بنية الجسد على أحسن ترتيب وألطف مزاج ولم تكن فيها تلك الظلمة التي تعمي البصائر ثم توجه عليه النفخ الإلهي من الروح القدسي مقارناً لطالع يقتضي العلم والصدق في الأشياء فهذا تطهير على صاحبه مجبول على الإصابة في كلامه في الغالب بل إذا تكلم على ما يجده من نصيبه من صغره لا يخطىء وإذا اخطأ فإنه يخطىء بالعرض وذلك أن يترك ما يجد من نفسه ويأخذ ما أكتسبه من خارج فقد يكون ما رآه أو سمعه باطلاً وقد ارتسم منه في النفس صورة فيجدها فينطق بها فذلك خطوة لا غير.

فإذا انضاف إلى هذه الجبلة الفاضلة استعمال الرياضات والمجاهدات والتشوف إلى المحل الأشرف والمقام الأقدس ارتفع الروح الجزئي إلى كله الكلي فاستشرف على الغيوب من هناك وراء صور العالم كله في قوة النفس الكلية ومراتبه فيها وما حظ كل شيء من العالم ومكانه وزمانه كل ذلك بعلم واحد وفطرة واحدة فينزل إلى محل تفصيل الكون فيعرفه بالعلامات وهذا الإفراد خلقهم الله على هذا النعت عناية أزلية سبقت لهم وبهذا النوع وجدت الكهنة غير أنهم لم ينضف إلى هذه النشأة المباركة استعمال رياضة ولا تشوف فصدقت خواطره في الغالب وفي حكم النادر يخطئون وللروحانيات لأصحاب هذه النشأة تطلع كثير وتأمل لتلك المناسبة وهي اللطافة الأصلية فيمدونهم بحسب قواهم وإنما حرموا الجناب العزيز الإلهي المخصوص به الأولياء من عباد الله تعالى فهنيئا لهم.

٤٥ ـ **تجلي الخاطر:** الخواطر الأول ربانية كلها لا يخطىء القائل بها أصلاً غير أن العوارض تعرض لها في الوقت الثاني من وقت إيجادها إلى ما دونه من الأوقات فمن جاءته معرفة الخواطر الأول وليس عنده تصفية خلقية فلا رائحة له من علم الغيوب ولا يعتمد على حديث النفس فإنه أماني.

٤٦ ـ **تجلي الاطلاع:** إذا صفى العبد من كدورات البشرية وتطهر من الأدناس النفسية اطلع الحق سبحانه عليه إطلاعة يهبه فيها ما يشاء من علم الغيب بغير واسطة فينظر بذلك النور فيكون ممن يتقى ولا يتقي هو أحداً ومهما بقيت فيه بقية من أتقى الأولياء وهو الخوف من الصالحين وليس عنده هذا التجلي فيبقى فيه حظ نفسي ولقد بلغني أن الشيخ أبا الربيع الكفيف الأندلسي لما كان بمصر أنه سمع أبا عبد الله القرشى المبتلي وهو يقول: اللهم لا تفضح لنا سريرة، فقال له الشيخ: يا محمد ولأي شيء تظهر لله ما لا تظهر للخلق هلا استوى سرك وعلانيتك مع الله هذا من حيث السريرة فتنبه القرشي واعترف واستعمل ما دله عليه الشيخ وانصف فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ وهذا نوع عجيب من التجليات.

٤٧ ـ **تجلي تارة تارة:** إذا جمعك الحق به ففرقك عنك فكنت فعالاً وصاحب أثر ظاهر في الوجود وإذا جمعك بك فرقك عنه في مقام العبودية فهذا مقام الولاية وحضور البساط وذلك مقام الخلافة والتحكم في الأغيار فاختر أي الجمعين شئت فجمعك بك أعلى لأنه مشهودك عيباً وجمعك به غيبته عنك بظهوره منك وهذه غيبة غاية الوصلة والاتصال الذي ليق بالجناب الأقدس وجناب اللطيفة الإنسانية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٠] أنهم ليبايعون الله دونك فاعتبر.

٤٨ ـ **تجلي الوصية:** أوصيك في هذا التجلي بالعلم وتحفظ من لذات الأحوال فإنها سموم قاتلة، وحجب مانعة، فإن العلم يستعبدك له وهو المطلوب منا ويحضرك معه والحال يسودك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتبسط لهم بنعوت الربوبية وأين أنت في ذلك الوقت مما خلقت له فالعلم أشرف مقام فلا يفوتنك.

٤٩ ـ **تجلي الأخلاق:** تتنزل الأخلاق الإلهية عليك خلقاً بعد خلق وبينهما مواقف إلهية مشهدية عينية أعطاها ذلك الخلق تمر كالبروق فلا تفوتك فإنك لا تفوتها ولا تطلبها فإنها نتائج الأوقات ومن طلب ما لا بد منه كان جاهلاً وما اتخذ الله ولياً جاهلاً.

٥٠ ـ **تجلي التوحيد:** التوحيد علم ثم حال ثم علم، فالعلم الأول توحيد الدليل وهو توحيد العامة وأعني بالعامة علماء الرسوم، وتوحيد الحال أن يكون الحق نعتك فيكون هو لا أنت في أنت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] والعلم الثاني بعد الحال توحيد المشاهدة فترى الأشياء من حيث الوحدانية فلا ترى إلا الواحد وبتجليه في المقامات يكون الوجدان والعالم كله وجدان ينضاف بعضها إلى بعض يسمى

مركباً يكون لها وجه في هذه الإضافة يسمى اشكالاً وليس لغير هذا العالم هذا المشهد.

٥١ ـ **تجلي الطبع:** قد يرجع العارف إلى الطبع في الوقت الذي يدعوه الحق منه لأنه لا يسمع من غيره إذ لا غير له نداء أصلاً وليحفظ نفسه في الرجوع لأن للطبع قهراً تقصده العادة فينبغي له أن لا يألف ما يقتضيه الطبع أصلاً وقد رأينا من هؤلاء قوماً انصرفوا من عنده على بينة منه ثم ودعهم وما ناداهم فألفوا الطبع باستمرار العادة فتولد لهم صمم من ذلك فنودوا نداء الاختصاص فلم يسمعوا فنودوا من المألوفات فسمعوا فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الردة عن توحيد الفطرة.

٥٢ ـ **تجلي منك وإليك:** لله خزائن نسبية يرفع فيها توجهات عبيده المفردين فتقلب أعيانها فتعود أسرار إلهية بعين الجمع وتوجهاتها بما منهم فيردها عليهم بما إليهم ولهم خزائن فيقلبون أعيانها على صورة أخرى فيرفضونها إليه بما منهم فتقلب أعيانها على صورة عرفانية فيرسلونها بما إليهم فينقلبون عنها في صورة أخرى بما منهم هكذا قلباً لا يتناهى في الصورة والعين واحدة فإليهم عرفان ومنهم أعمال.

٥٣ ـ **تجلي الحق والأمر:** لله رجال كشف لهم عن قلوبهم فلاحظوا جلاله المطلق فاعطاهم بذاته ما تستحقه من الآداب والإجلال فهم القائمون بحق الله لا بأمره وهو مقام جليل لا يناله إلا الأفراد من الرجال وهو مقام أرواح الجمادات ومن هذا المقام تدكدك الجبل فصعق موسى عليه السلام ولم يفتقر في ذلك إلى الأمر بالتدكدك والصعق فهؤلاء خصائص الله قاموا بعبادة الله على حق الله وهم الخارجون عن الأمر ولله عبيد قائمون بأمر الله كالملائكة المسخرة الذين يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وكالمؤمنين الذين ما حصل لهم هذا المقام فهم القائمون بأمر الله وهم القائمون بحقوق العبودية وهؤلائك القائمون بحقوق الربوبية فهؤلاء محتاجون إلى أمر يصرفهم وهؤلاء ينصرفون بالذات بصرف الخاصية.

٥٤ ـ **تجلي المناظرة:** لله عبيد أحضرهم الحق تعالى فيه ثم أزالهم بما أحضرهم فزالوا للذين أحضرهم فكان الحضور عين الغيبة، والغيبة عين الحضور، والبعد عين القرب، وعين البعد وهو مقام إيجاد الأحوال فاجتمعت بالجنيد في هذا المقام وقال لي المعنى واحد فقلت له لا ترسله بل من وجوه فإن الإطلاق فيما لا يصح الإطلاق فيه يناقض الحقائق وقال غيبة شهوده وشهوده غيبه فقلت له الشاهد شاهداً بداً وغيبته إضافة والغيب غيب لا شهود فيه لا تدركه الأبصار فالغائب المشهود من غيبة إضافة فانصرف وهو يقول الغيب غائب في الغيب وكنت في قوت اجتماعي به في هذا المقام قريب عهد بسقيط الرفرف أين ساقط العرش في بيت من بيوت الله عز وجل.

٥٥ ـ **تجلي لا يعلم التوحيد:** يا طالب معرفة توحيد خالقه كيف لك بذلك وأنت في المرتبة الثانية من الوجود وأنى للاثنين بمعرفة الواحد بوجودها وإن عدمت فيبقى

الواحد يعرف نفسه كيف لك بمعرفة التوحيد وأنت ما صدرت عن الواحد من حيث وحدانيته وإنما صدرت عنه من حيث نسبة ما ومن كان أصل وجوده على هذا النحو من حيث هو ومن حيث موجده فأنى له بذوق التوحيد لا تغرنك وحدانية خاصيتك فإنها دليل على توحيد الفعل جل معنى التوحيد عن أن يعرفه غيره فما لنا سوى التجريد وهو المعبر عنه عند أهل الطريقة بالتوحيد وفي هذا التجلي رأيت النفري رحمه الله.

٥٦ ـ **تجلي ثقل التوحيد:** الموحد من جميع الوجوه لا يصح أن يكون خليفة فإن الخليفة مأمون بحمل أثقال المملكة كلها والتوحيد يفرده إليه ولا يترك فيه متسعاً لغيره قلت للشبلي في هذا التجلي: يا شبلي التوحيد يجمع والخلافة تفرق فالموحد لا يكون خليفة مع حضوره في توحيده فقال لي: هو المذهب فأي القائمين أتم؟ قلت: الخليفة مفطر في الخلافة والتوحيد الأصل قال لي: وهل لذلك علامة؟ قلت نعم فقال لي: وما هي؟ قلت له: قل فقد قلت فقال أن لا يعلم شيئاً ولا يريد شيئاً ولا يقدر على شيء حتى لو سئل عن التفرقة بين يده ورجله لم يدر ولو سئل عن أكلة وهو يأكل لم يدر أنه أكل وحتى لو أراد أن يرفع لقمة لقمة لم يستطع ذلك لوهنه وعدم قدرته فقبلته وانصرفت.

٥٧ ـ **تجلي العلة:** رأيت الحلاج[1] في هذا التجلي فقلت له: يا حلاج هل تصح عندك علته له؟ وأشرت فتبسم وقال لي: تريد قول القائل يا علة العلل ويا قديماً لم تزل، قلت له: نعم قال لي: هذه قولة جاهل، اعلم أن الله يخلق العلل وليس بعلة كيف يقبل العلية من كان ولا شيء وأوجد لا من شيء وهو الآن كما كان ولا شيء جل وتعالى لو كان علة لارتبط ولو ارتبط لم يصح له الكمال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً[2] قلت له: هكذا أعرفه قال لي: هكذا فينبغي أن يعرف فأثبت. قلت له: لم

(١) الحلاّج (توفي ٣٠٩ هـ = ٩٢٢ م).
الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحجَّ. ودخل بغداد وعاد إلى تستر. وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان. ثم كان ينتقل في البلدان وينشر طريقته سراً، وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه. فسجن وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث. له كتب غريبة الأسماء والأوضاع منها «طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية» و«الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية» و«قرآن القرآن والفرقان» و«علم البقاء والفناء» و«مدح النبي والمثل الأعلى» و«القيامة والقيامات» و«هو هو» و«كيف كان وكيف يكون» و«الكبير الأحمر» وغير ذلك.
الأعلام ٢/ ٢٦٠، والفهرست ١/ ١٩٠، ولغة العرب ٣/ ١٥٤، والمشرق ١٢/ ١٩١، وروضات الجنات ٢٢٦، وطبقات الصوفية ٣٠٧، والبداية والنهاية ١١/ ١٣٢، ولسان الميزان ٢/ ٣١٤.

(٢) إشارة إلى سورة الإسراء الآية (٤٣): ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً...﴾.

تركت بيتك يخرب؟ فتبسم وقال: لما استطالت عليه أيدي الأكوان حين أخليته فأفنيت ثم أفنيت ثم أفنيت وخلفت هارون في قومي فاستضعفوه لغيبتي فأجمعوا على تخريبه فلما هدوا من قواعده ما هدوا رددت إليه بعد الفناء فأشرقت عليه وقد خلت به المثلات فأنفت نفسي أن أعمر بيتاً تحكمت فيه يد الأكوان فقبضت قبضي عنه فقيل مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن البيت خرب والساكن ارتحل فقلت له عندي ما تكون به مدحوض الحجة فأطرق وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] لا تتعرض فالحق بيدك وذلك غاية وسعي فتركته وانصرفت.

٥٨ ـ **تجلي بحر التوحيد:** التوحيد لجة وساحل فالساحل ينقال واللجة لا تنقال والساحل يعلم واللجة تذاق وقفت على ساحل هذه اللجة ورميت ثوبي وتوسطتها فاختلفت على الأمواج بالتقابل فمنعتني من السباحة فبقيت واقفاً بها لا بنفسي فرأيت الجنيد فعانقته وقبلته فرحب بي وسهل فقلت له: متى عهدك بك؟ فقال لي: مذ توسطت هذه اللجة نسيتني فنسيت الأمد فعانقني وعانقته وغرقنا فمتنا موت الأبد فلا نرجو حياة ولا نشوراً.

٥٩ ـ **تجلي سريان التوحيد:** رأيت ذا النون المصري في هذا التجلي وكان من أطرف الناس فقلت له: يا ذا النون عجبت من قولك وقول من قال بقولك أن الحق بخلاف ما يتصور ويتمثل ويتخيل ثم غشي عليَّ ثم أفقت وأنا أرعد ثم زفرت وقلت: كيف يخلي الكون عنه والكون لا يقوم إلا به كيف يكون عين الكون وقد كان ولا كون يا حبيبي يا ذا النون وقبلته وقلت: أنا الشفيق عليك لا تجعل معبودك عين ما تصورته منه ولا تحجبنك الحيرة عن الحيرة وقل ما قال فنفى وأثبت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ليس هو عين ما تصور ولا يخلو ما تصور عنه فقال ذو النون: هذا علم فأتني وأنا حبيس والآن قد سرح عني فمن لي به وقد قبضت على ما قبضت فقلت: يا ذا النون ما أريدك هكذا مولانا وسيدنا يقول ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] والعلم لا يتقيد بوقت ولا مكان ولا بنشأة ولا بحالة ولا بمقام فقال لي: جزاك الله خيراً، قد تبين لي ما لم يكن عندي وتجلت به ذاتي وفتح لي باب الترقي بعد الموت وما كان عندي منه خبر فجزاك الله خيراً.

٦٠ ـ **تجلي جمع التوحيد:** جمع الأشياء به جمع عين التوحيد ألا ترى الأعداد هل يجمعها إلا الواحد فإن كنت من أهل النظر فلا تنظر في البراهين إلا بآحادها ولا تنظر فيها إلا بالواحد منك وإن كنت من أهل المساحات والمعبر فليكن هو بصرك كما كان نظرك فيكون التوحيد يعرف بالتوحيد فلا يعرف الشيء إلا بنفسه.

٦١ ـ **تجلي تفرقة التوحيد:** إذا تفرقت الأشياء تمايزت ولا تتمايز إلا بخواصها وخاصية كل شيء أحديته فبالواحد تجتمع الأشياء وبه تفترق.

٦٢ ـ **تجلي جمعية التوحيد:** كل شيء فيه كل شيء وإن لم تعرف هذا فإن التوحيد لا تعرفه ولولا ما في الواحد عين الاثنين والثلاثة والأربعة إلى ما لا يتناهى ما صح أن يوحد به أو يكون عينها وهذا مثال على التقريب فافهمه.

٦٣ ـ **تجلي توحيد الفناء:** التوحيد فناؤك عنك وعنه وعن الكون وعن الفناء فابحث به فإن كل ما سوى الحق مائل ولا يقيمه إلا هو ولا إقامة إلا بالتوحيد فمن أقام فهو صاحب التوحيد أي واحد قبل الاثنين فهو مائل.

٦٤ ـ **تجلي توحيد الخروج:** اخرج عن السوى تعثر على وجه التوحيد ولا تقل كيف فإن التوحيد يناقض الكيف وينافيه فاخرج تجد.

٦٥ ـ **تجلي تجلي التوحيد:** التوحيد أن يكون هو الناظر وهو المنظور لا كمن قال:

إذا ما تجلى لي فكلي نواظر ... وإن هو ناجاني فكلي مسامع

فإذا انكشفت فيما ظهر وظهر فيما به انكشف فذلك مقام التوحيد وهذه زمزمة لطيفة تذيب الفؤاد رأيت في هذا التجلي أخانا الخراز[١] رحمه الله فقلت له: هذا نهايتك في التوحيد أو هذا نهاية التوحيد فقال: هذا نهاية التوحيد فقبلته وقلت له: يا أبا سعيد تقدمتمونا بالزمان وتقدمناكم بما ترى كيف تفرق يا أبا سعيد في الجواب بين نهايتك في التوحيد ونهاية التوحيد والعين العين ولا مفاضلة في التوحيد، التوحيد لا يكون بالنسبة هو عين النسبة فخجل فأنسته وانصرفت.

٦٦ ـ **تجلي توحيد الربوبية:** رأيت الجنيد في هذا التجلي فقلت يا أبا القاسم كيف تقول في التوحيد يتميز العبد من الرب وأين تكون أنت عند هذا التمييز لا يصح أن تكون عبداً ولا أن تكون رباً فلا بد أن تكون في بينونة تقتضي الاستشراف والعلم بالمقامين مع تجردك عنهما حتى تراهما فخجل وأطرق فقلت له لا تطرق نعم السلف كنتم ونعم الخلف كنا، إلحظ الألوهية من هناك تعرف ما أقول للربوبية توحيد واللألوهية توحيد يا أبا القاسم قيد توحيدك ولا تطلق فإن لكل اسم توحيد أو جمعاً فقال لي كيف بالتلافي؟ وقد خرج منا من خرج ونقل ما نقل فقلت له لا تخف من ترك مثلي بعده فما فقد أنا النائب وأنت أخي فقبلته قبلة فعلم ما لم يكن يعلم وانصرفت.

---

(١) الخَرّاز (توفي ٢٨٦ هـ = ٨٩٩ م).
أحمد بن عيسى الخراز، أبو سعيد. من مشايخ الصوفية. بغدادي. نسبته إلى خرز الجلود. قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. له تصانيف في علوم القوم. منها «كتاب الصدقة، و«الطريق إلى الله» ومن كلامه: إذا بكت أعين الخائفين، فقد كاتبوا الله بدموعهم.
الأعلام ١/ ١٩١، وشذرات ٢/ ١٩٢، واللباب ١/ ٣٥١، والعبر ٢/ ٧٧.

٦٧ ـ **تجلي ريّ التوحيد:** لما غرقنا مع الجنيد في لجة التوحيد ومتنا لما شربنا فوق الطاقة وجدنا عنده شخصاً كريماً فسلمنا عليه وسألنا عنه فقيل لنا: هو يوسف بن الحسين وكنت قد سمعت به فبادرت إليه وقبلته وكان عطشاناً للتوحيد فروي فقلت له: أقبلك أخرى قال: رويت فقلت له: وأين قولك: لا يروى طالب التوحيد إلا بالحق وقد يروى الدون بما يسقيه من هو أعلى منه ولا ريّ لأحد فاعلم، فتنبه يوسف وهفا إليّ فاحتضنته ونصبت له معراج الترقي فيه الذي لا يعرفه كل عارف المعراج إليه ومنه حظهم لا غير، وأما نحن ومن شاهد ما شاهدنا فمعارجنا ثلاثه إليه ومنه وفيه ثم يرجع عندنا واحداً وهو فيه فإن إليه فيه ومنه فيه فعين إليه ومنه فيه فما ثم إلا فيه ولا يعرج فيه إلا به فهؤلاء أنت فتحقق هذا التجلي يا سامع الخطاب.

٦٨ ـ **تجلي من تجليات المعرفة:** رأيت ابن عطاء في هذا التجلي فقلت: يا ابن عطاء إن غاص رجل جملك أجللت الله قد أجله معك الجمل فأين إجلالك بماذا تميزت عن جملك هل كان الرجل ممن الجمل تطلب في غوصه سوى ربه قال ابن عطاء لذلك قلت جل الله قلت له: فإن الجمل أعرف بالله منك، فإنه أجله من أجلالك كما يطلبه الرأس في الفوق يطلبه الرجل في التحت فمْا بعدي الرجل ما يعطيه حقيقته يا ابن عطاء ما هذا منك بجميل تقول أمامنا رسول الله ﷺ: لو دليتم بحبل لوقع على الله[1] فكان الجمل أعرف بالله منك هلا سلمت لكل طالب ربه صورة طلبه كما سلم لك تب إلى الله يا ابن عطاء فإن جملك أستاذك، فقال: الإقالة، فقلت له: ارفع الهمة، فقال: مضى زمان رفع الهمم، فقلت له: للهمم رفع بالزمان وبغير الزمان زال الزمان فلا زمان ارفع الهمة في لا زمان تنل ما نبهتك عليه فالترقي دائم أبداً. فتنبه ابن عطاء وقال بورك فيك من أستاذ ثم فتح هذا الباب فترقى فشاهد فحصل في ميزاني فأقر لي وانصرفت.

٦٩ ـ **تجلي النور الأحمر:** سريت في النور الأحمر الشعشعاني وفي صحبتي إبراهيم الخواص[2] فتنازعنا الحديث فيما يليق بهذا التجلي وما تعطيه حقيقته فما زلنا على تلك الحال فإذا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ماراً في هذا النور مسرعاً فأمسكته فالتفت إليَّ فقلت له: هو هذا؟ فقال: هو هذا وما هو هذا؟ كما أنا وما أنا

(١) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ٦/ ١٧٠)، وابن كثير في (التفسير ٨/ ٣٣)، والطبري في (التفسير ٢٧/ ١٢٤، ٢٨/ ٩٩)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/ ١٣، ١٤).

(٢) إبراهيم الخواص (توفي ٢٩١ هـ = ٩٠٤ م).

إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص. صوفي، كان أوحد المشايخ في وقته. من أقران الجنيد. ولد في سر من رأى ومات في جامع الري. قال الخطيب البغدادي: له «كتب» مصنفة. والخواص: بائع الخوص.

الأعلام ١/ ٢٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٧، وسماه الشعراني في طبقاته ١/ ٨٣، «إبراهيم بن إسماعيل».

وأنت وما أنت قلت: فثم ضد؟ قال: لا، قلت: والعين واحدة؟ قال: نعم، قلت: عجب! قال: هو عين العجب فما عندك؟ قلت: ما عندي عند أنا عين العين، قال: فأنت أخي، قلت: فواخيته، قلت: أين أبو بكر؟ قال: أمام، قلت: أريد اللحاق به حتى أسأله عن هذا الأمر كما سألتك، قال: انظره في النور الأبيض خلف سرادق[1] الغيب فتركته وانصرفت.

٧٠ ـ **تجلي النور الأبيض:** دخلت في النور الأبيض خلف سرادق الغيب فألقيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه على رأس الدرجة مستنداً ناظراً إلى الغرب عليه حلة من الذهب الأبهى له شعاع يأخذ الأبصار قد اكتنفه النور ضارباً بذقنه نحو مقعده ساكتاً لا يتكلم ولا يتحرك كأنه المبهوت فناديته بمرتبتي ليعرفني فإذا هو أعرف بي مني بنفسي فرفع رأسه إليَّ، قلت: كيف الأمر؟ قال: هوذا تنظرني، قلت له: إن علياً قال كذا وكذا، قال: صدق علي وصدقت أنا وصدقت أنت، قلت: فما أفعل؟ قال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: هو مقامك، قال: هو مقامه ﷺ قد وهبه لك قال: قد وهبته لك قلت هو بيدك قال: خذه فقد وهبته لك.

٧١ ـ **تجلي النور الأخضر:** ثم نظرت إلى تجلي آخر في النور الأخضر خلف سرادق الحق فإذا بعمر بن الخطاب، قلت: يا عمر، قال: لبيك، قلت: كيف الأمر؟ قال: هوذا يقول لي كيف الأمر؟ فذكر مقالة أبي بكر وعلي رضي الله عنهما وذكرت له من بعض ما كان بيني وبين رسول الله ﷺ فقال: خذ المقام، قلت: هو بيدك، قال: قد وهبته لك، قلت: يا عجباً، قال: لا تعجب فالفضل عظيم ألست الصهر المكرم خذ النور المحدود فقد جاء الشاهد انصب المعراج وجه اليدين.

٧٢ ـ **تجلي الشجرة:** نصب المعراج ورقيت فيه مملكة النور الممدود وجعلت قلوب المؤمنين بين يدي فقيل لي أشعلها نوراً فإن ظلام الكفر قد اكفهر[2] ولا ينفره سوى هذا النور فأخذني هيمان في المعراج.

٧٣ ـ **تجلي توحيد الاستحقاق:** توحيد استحقاق الحق لا يعرفه سوى الحق فإذا وحدناه فإنما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فيقع منا بذلك فاحاً سلطان توحيد الاستحقاق لم يكن هناك فكان التوحيد ينبعث عنا ويجري منا من غير اختيار ولاهم ولا علم ولا عين ولا شيء.

٧٤ ـ **تجلي نور الغيب:** كنا في نور الغيب فرأينا سهل بن عبد الله التستري فقلت له كم أنوار المعرفة يا سهل؟ فقال: نوران. نور عقل ونور إيمان، قلت: ما مدرك نور

---

(١) السُّرادق: ما يُمد فوق صحن الدار وهو ستر الدار. و ـ الخيمة الواسعة (ج) سرادقات.
(٢) اكْفَهَرَّ الليل: اشتد ظلامه. و ـ الرجل: عَبَّسَ.

العقل وما مدرك نور الإيمان؟ فقال: مدرك نور العقل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] ومدرك نور الإيمان للذات بلا حد، قلت: فأراك تقول بالحجاب، قال: نعم، قلت: يا سهل حددته من حيث لا شعر لهذا سجد قلبك من أول قدم وقع الغلط. قال: قل، قلت: حتى تبرك بين يدي فجثا فقلت: يا سهل مثلك من يسأل عن التوحيد فيجيب وهل الجواب عنه إلا السكوت تنبه يا سهل ففني ثم رجع فوجد الأمر على ما أخبرناه، فقلت: يا سهل أين أنا منك؟ فقال: أنت الإمام في علم التوحيد فقد علمت ما لم أكن أعلم في هذا المقام وأنزلته إلى جنب النوري في علم التوحيد وواخيت بينه وبين ذي النون المصري وانصرفت.

٧٥ ـ تجلي من تجليات التوحيد: نصب كرسي في بيت من بيوت المعرفة بالتوحيد وظهرت الألوهية مستوية على ذلك الكرسي وأنا واقف وعلى يميني رجل عليه ثلاثة أثواب ثوب لا يرى وهو الذي يلي بدنه وثوب ذاتي له وثوب معار عليه فسألته: يا هذا الرجل من أنت؟ فقال: سل منصوراً فإذا بمنصور خلفه فقلت: يا أبا عبد الله من هذا فقال: المرتعش[1] فقلت: أراه من اسمه مضطراً لا مختاراً فقال المرتعش بقيت على الأصل والمختار مدع ولا اختار فقلت: على ما بينت توحيدك؟ قال: ثلاث قواعد، قلت: توحيد على ثلاث قواعد ليس بتوحيد فخجل، فقلت له: لا تخجل ما هي؟ قال: قصمت ظهري، قلت: أين أنت من سهل والجنيد وغيرهما وقد شهدوا بكما لي؟ فقال: مجيباً بقواعد توحيده:

رب وفـــرد ونـــفـــي ضـــد   قــلــت لــه لــيــس ذلــك عــنــدي
فــقــال مــا عــنــدكــم فــقــلــنــا   وجــود فــقــدي وفــقــد وجــدي
تــوحــيــد حــقــي بــتــرك حــقــي   ولــيــس حــقــي ســواي وحــدي

فقال: ألحقني بمن تقدم قلت: نعم وانصرفت وهو يقول:

يــا قــلــب ســمــعــاً لــه وطــوعــاً   قــد جــاء بــالــبــيــنــات بــعــد

فالتفت إليه وقلت:

ظــهــرت فــي بــرزخ غــريــب   فــالــرب ربــي والــعــبــد عــبــدي

٧٦ ـ تجلي العزة: إن قيل لك بماذا وجدت الحق فقل لقبوله الضدين معاً اللذين يصح أن ينسبا إليه كالأول والآخر والظاهر والباطن والاستواء والنزول والمعية وما جاء

---

(١) المرتعش: وهو أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش (توفي ٣٢٩ هـ، ٩٤٠م): نيسابوري من محلة الحيرة، وقيل: من ملقاباذ. صحب أبا حفص وأبا عثمان ولقي الجنيد، وكان كبير الشأن، وكان يقيم في مسجد الشونيزية. وقد مات ببغداد.
(الرسالة القشيرية ص ٤٣١).

من ذلك فإن قيل لك ما معنى قبول الضدين؟ فقل ما بين كون ينعت أو يوصف بأمر إلا وهو مسلوب من ضد ذلك الأمر عندما ينعت به من ذلك الوجه وهذا الأمر لا يصح في نعت الحق خصوصاً إذ ذاته لا تشبه الذوات فالحكم عليه لا يشبه الأحكام وهذا وراء طور العقل فإن العقل لا يدري ما أقول وربما يقال لكن هذا يخيله العقل فقل الشأن هنا إذا صح أن يكون الحق تعالى من مدركات العقول حينئذ تمضي عليه أحكامها لئن لم تنته لتشقين شقاء الأبد ما لك وللحق أية مناسبة بينك وبينه في أي وجه تجتمع أترك الحق للحق فلا يعرف الحق إلا الحق يقول الحق وعزة الحق لا عرفت نفسك حتى أجليك لك وأشهدك إياك فكيف تعرفني تأدب فما هلك امرؤ عرف قدره اقتد بالمهتدين من عبادي.

٧٧ ـ **تجلي النصيحة:** لا تدخل داراً لا تعرفها فما من دار إلا وفيها مهاوٍ ومهالك فمن دخل داراً لا يعرفها فما أسرع ما يهلك لا يعرف الدار إلا بانيها فإنه يعرف ما أودع فيها بناك الحق داراً له لتعمرها به ما أنت بنيتها ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] فلا تدخل ما لم يبن فإنك لا تدري في أي مهلك تهلك ولا في أي مهواة تهوى قف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويمشيك فيك يا سخيف العقل أبشرك الفكر تقتنص طيراً أبخيول الطلب تدرك غزالة أبسهم الجهد ترمي صيده ما لك يا غافل ارم صيدك بسهمك فإن أصبته أصبته ولا تصبه أبداً يا عاجزاً عن نفسه كيف لك به ما ظفرت يداك بسوى التعب.

٧٨ ـ **تجلي لا يغرنك:** يا مسكين ما لك يضرب لك المثل بعد المثل ولا تفكر كم تخبط في الظلمة وتحسب أنك في النور كم تعول أنا صاحب الدليل وهو عين الدليل متى صحبك تفتري عليه لا يغرنك اتساع أرضه كلها شوك ولا نعل لك كم مات فيها من أمثالك كم خرقت من نعال الرجال فوقفوا فلم يتقدموا ولم يتأخروا فماتوا جوعاً وعطشاً.

٧٩ ـ **تجلي عمل في غير معمل:** كم ماش على الأرض والأرض تلعنه كم ساجد عليها وهي لا تقبله كم داع لا يتعدى كلامه لسانه ولا خاطره محله كم من ولي حبيب في البيع والكنائس كم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد يعمل هذا في حق هذا وهو يحسب أنه يعمل لنفسه حقت الكلمة ووقعت الحكمة ونفذ الأمر فلا نقص ولا مزيد بالنرد(١) كان اللعب لا بالشطرنج(٢) قاصمة الظهر وقارعة الدهر حكم نفذ لا راد لأمره ولا معقب لحكمه انقطعت الرقاب سقط في الأيدي تلاشت الأعمال لطاحت المعارف أهلك الكون السلخ والخلع يسلخ من هذا ويخلع على هذا.

---

(١) النَّرْدُ: لعبة وضعها أحد ملوك الفرس وتُعرف بطاولة اللعب. يقال: لعب بالنرد.

(٢) الشطرنج: لعبة تُلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربّعاً وتمثّل دولتين متحاربتين ولها اثنتان وثلاثون قطعة مختلفة تمثّل الملكين والوزيرين والخيالة والقلاع والفيلة والجنود «هندية».

٨٠ ـ **تجلي الكمال:** اسمع يا حبيبي أنت العين المقصود من الكون أنت نقطة الدائرة ومحبطها أنت مركبها وبسيطها، أنت الأمر المنزل بين السماء والأرض ما خلقت لك الإدراكات إلا لتدركني بها فإذا أدركتني أدركت نفسك لا تطمع أن تدركني بإدراكك نفسك بعيني تراني ونفسك لا بعين نفسك تراني، حبيبي كم أناديك فلا تسمع كم أتراءى لك فلا تبصر كم أندرج لك في الروائح فلا تشم وفي الطعوم فلا تطعم لي ذوقاً ما لك لا تلمسني في الملموسات؟ ما لك لا تدركني في المشمومات؟ ما لك لا تبصرني؟ ما لك لا تسمعني؟ ما لك ما لك ما لك؟ أنا ألذّ لك من كل ملذوذ، أنا اشتهي لك من كل مشتهي، أنا أحسن لك من كل حسن، أنا الجميل، أنا المليح حبّني حبني لا تحب غيري، اعشقني، هَم فيَّ لا تهم في سواي، ضمني قبلني ما تجد وصولاً مثلي كل يريدك له وأنا أريدك لك وأنت تنفر مني يا حبيبي ما تنصفني إن تقربت إليَّ تقربت إليك أضعاف ما تقربت به إليَّ، أنا أقرب إليك من نفسك، ونفسك من يفعل معك ذلك غيري من المخلوقين حبيبي أغار عليك منك لا أحب أن أراك عند الغير ولا عندك كن عندي بي عندك كما أنت عندي وأنت لا تشعر حبيبي الوصال الوصال:

لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً ... لأذقنا الفراق طعم الفراق

حبيبي تعال يدي ويدك تدخل على الحق تعالى ليحكم بيننا حكم الأبد، حبيبي من الخصام، ما يكون ألذّ الملذوذات وهو خصام الأحباب فتقع اللذة بالمحاورة قال الشاعر:

ولقد هممت بقتلها من حبها ... كيما تكون خصيمتي في المحشر

قل هل عندكم علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ولو لم يكن من فصل الخصام إلا الوقوف بين يدي الحاكم فما ألذّها من وقفة مشاهدة محبوب يا جان يا جان.

٨١ ـ **تجلي خلوص المحبة:** حبيبي قرة عيني أنت مني بحيث أنا كريمي قسيمي تعالى الله لا بل أنت ذاتي هذه يدي ويدك أدخل بنا إلى حضرة الحبيب الحق بصورة الاتحاد حتى لا نمتاز فنكون في العين واحداً ما ألطفه من معنى ما أرقه من مزج.

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

عسى تعطل العشار وتمحى الآثار وتخسف الأقمار وتكور شمس النهار وتنطمس نجوم الأنوار:

فنفنى ثم نفنى ثم نفنى ... كما يفنى الفناء بلا فناء

ونبقى ثم نبقى ثم نبقى ... كما يبقى البقاء بلا بقاء

٨٢ ـ **تجلي نعت الولي:** حبيبي ولي الله مثل ﴿ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ [الانشقاق: ٣ ـ ٥] انشقت سماء العارفين فذهب أمرها فبقوا بلا أمر فعاشوا عيش الأبد لم تتعلق بهم حمم الأكوان فيشوش عليهم حالهم نسوا في جنب الله فلا يعرفون طوبى لهم وحسن مآب ما أحسن من مآب لم يعرف لهم غنى فيقال لهم أعطونا ولا يعلم لهم جاه فيقال لهم ادعوا لنا أخفاهم الحق في خلقه بأن أقامهم في صورة الوقت فاندرجوا حتى درجوا سائلين ما رووا في أوقاتهم هم المجهولون في الدنيا والآخرة المسودة وجوههم عند العالمين لشدة القرب وإسقاط التكليف لا في الدنيا يحكمون ولا في الآخرة يشفعون صم بكم عمي فهم لا يعقلون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

٨٣ ـ **تجلي بأي عين تراه:**

إذا تجلى الحبيب ... بأي عين تراه
بعينه لا بعيني ... فما يراه سواه

من زعم أنه يدرك على الحقيقة فقد جعل وإنما يدرك المحدث من حيث نسبته إليه، المحب يرى محبوبه بعين محبوبه ولو رآه بعينه ما كان محباً، والمحبوب يرى محبه بعين المحب لا بعينه وربما يقال في هذا المقام:

فكان عيني فكنت عينه ... وكان كوني فكنت كونه
يا عين عيني يا كون كوني ... الكون كونه والعين عينه

٨٤ ـ **ومن تجليات الحقيقة:**

إذا ما بدا لي تعاظمته ... وإن غاب عني فإني العظيم
فلست الحميم ولست النديم ... ولكنني إن نظرت القسيم
فلا تحجبن بعين الحديث ... فإن الحديث بعين القديم

حبيبي قدمك أظهر حدثي أو حدثي أظهر قدمك لا أدري عرفني إذا كنت بك حبيبي لا أعرف فإن ما ثم من أعرف وإذا كنت بي فلا أعرف فإن حقيقتي ألا تعرف فإذ ولا بد من الجهل فكن عيني حتى أريك بك فسبحان من يرى ولا يعلم.

٨٥ ـ **تجلي تصحيح المحبة:** من صحت معرفته صح توحيده ومن صح توحيده صحت محبته فالمعرفة لك والتوحيد له والمحبة علاقة بينك وبينه بها تقع المنازلة بين العبد والرب.

٨٦ ـ **تجلي المعاملة:** قلت: رأيت إخواننا يأمرون المريد بالتحول عن الأماكن التي وقعت لهم فيها المخالفة، فقيل لي: لا تقل بقولهم قل للعصاة يطيعون الله على الأرض التي وقعت لهم فيها المخالفة وفي الثوب وفي الزمان فكما يشهد عليهم يشهد

لهم ثم بعد ذلك يتحولون إن شاؤا وأتبع السيئة الحسنة تمحها.

٨٧ ـ تجلي كيف الراحة:

إذا قلت يا الله قال لما تدعو ... وإن أنا لم أدع يقول ألا تدعو
فقد فاز باللذات من كان أخرساً ... وخصص بالراحات مع الإله سمع

٨٨ ـ تجلي حكم المعدوم:

ثلاثة ما لها كيان ... السلب والحال والزمان
فللعين لا وهي حاكمات ... قال به العقل واللسان

٨٩ ـ تجلي الواحد لنفسه:

لولاه ما كان لي وجود ... نعم ولا كان لي شهود
لكن أنا في الوجود فرد ... وأنت في عالمي فريد
والفرد في الفرد كون عيني ... أو كونه الواحد المجيد

٩٠ ـ تجلي العلامة: علامة من عرف الله حقيقة المعرفة أن يطلع على سره فلا يجد فيه علماً به فذلك الكامل الذي لا معرفة وراءها وفضل رجال الله بعضهم بعضاً باستصحاب هذا الأمر على السر وفي هذا التجلي رأيت أبا بكر بن جحدر.

٩١ ـ تجلي من أنت ومن هو:

لست أنا ولست هو ... فمن أنا ومن هو
فياه قل أنت أنا ... ويا أنا هل أنت هو
لا وأنا ما هو أنا ... ولا هو ما هو هو
لو كان هو ما نظرت ... أبصارنا به له
ما في الوجود غيرنا ... أنا وهو وهو وهو
فمن لنا بنا لنا ... كما له به له

٩٢ ـ تجلي الكلام: إذ سمع الولي موقع الخطاب الإلهي من الجانب الغربي فما بقي له رسم لكن بقي له اسم كما بقي للعدم اسم بغير مسمى له وجود ثم أفنى الاسم عن الاسم فلم يكن للاسم حديث من الاسم صنعة مليحة ثم خاطب نفسه بنفسه فكان متكلماً سامعاً والآثار تظهر في الولي:

فآثار تلوح على ولي ... ظهور الوشي في الثوب الموشي

كيف للمحدث بمشاهدة القديم عيناً أو خطاباً.

٩٣ ـ ومن تجليات الحيرة: كيف تريد أن تعرف بعقلك من عين مشاهدته عين

كلامه وعين كلامه عين مشاهدته ومع هذا فإذا أشهدك لم يكلمك وإذا كلمك لم يشهدك بالله لا ترى ما أقول لا بالله ولا أنا أدري ما أقول كيف تدري:

من يقبل الأضداد في وصفه ويقبل التشبيه في نعته
هيهات لا يعرفه غيره والفوق تحت التحت من تحته
قد فزت بالتحقيق من دركه يا عابد المصنوع من تحته
أين أنا منك وأنت الذي تخاطب الصامت من صمته

وقد قيل في هذا المعنى.

هكذا يعرف الحبيب فمن لم يعرف الله هكذا فاتركوه
خضعوا لي فمر قلبي إليهم وأتى بابهم فما تركوه
ملكوه حتى إذا هام فيهم ملكوه وبعد ذا أهلكوه

٩٤ ـ **تجلي اللسان والسر:** للتوحيد لسان وسر فإذا أنطقك فرقك في خواص الأعيان فظهر التوحيد بالآحاد وإذا أطلعك على سر التوحيد أخرسك فجمعك عليه به فلم تر سوى الواحد بالواحد.

٩٥ ـ **تجلي الوجهين:** العبد إذا اختص كان له وجهان وجه من حيث عبوديته ووجه من حيث اختصاصه ولا يرى وجه العبودية إلا من وجه الاختصاص فكل مختص عبد وما كل عبد مختص فعين الاختصاص تجمعك وعين العبودية تفرقك فكن مختصاً تكن عبداً.

٩٦ ـ **تجلي القلب:** أول ما يقام فيه العبد إذا كان من أهل الطريق في باب الفناء والبقاء فإذا تحقق به استشرف على معرفة القلب الذي وسع الحق فإذا علم قلبه عرف أنه البيت الذي يحسن فيه السماع وهو المعبر عنه بالمكان الذي هو أحد شروط السماع وعند ذلك يحصل له علم فيسمع الحق بالحق في بيت الحق وبالسماع وقع الخروج إلى الوجود من العدم.

٩٧ ـ **تجلي خراب البيوت:**

محوتني عنك وأثبتني فيك فعين المحو عين الثبوت
عجبت منكم حين ابعدتم من جاءكم من خلف ظهر البيوت
إن صح لي الساكن يا سيدي فما أبالي من بيوت تفوت
أوهن بيت قد أبنتم لنا هذا الذي يعزى إلى العنكبوت
لا فرق عندي بينه في القوى وبين ما عاينت في الملكوت
ما قوة البيت سوى ربه ويخرب البيت إذا ما يموت

٩٨ ـ **ومن تجلي الفناء:** إذا أفناك عنك في الأشياء اشهدك إياه عيناً فإن غفلت أنك رأى فما أفناك عنك فلا تغلط وهذا هو فناء البقاء ويكون عن حصول تعظيم في النفس.

٩٩ ـ **ومنها:** البقاء ينسبك إليه والفناء ينسبك إلى الكون فاختر لنفسك لمن شئت.

١٠٠ ـ **تجلي الرؤية:** اطلب الرؤية ولا تجزع من الصعق فإن الصعق لا يحصل إلا بعد الرؤية فقد صحت ولا بد من الإفاقة فإن العدم محال.

١٠١ ـ **تجلي الدور:** سألت: كيف تصح العبودية؟ قيل بصحة التوحيد، قلت: وبماذا يصح التوحيد؟ قيل: بصحة العبودية، قلت: أرى الأمر دورياً، قيل: فما كنت تظن؟ قلت: دليل ومدلول، قال: ليس الأمر كذلك لا دليل ولا مدلول، قلت: من شأن العبد أن يفعل ما يؤمر به قيل: من شأن العبد أن يسمع ما يفعل به.

١٠٢ ـ **تجلي الاستعجام:** حبيبي استعجم[1] الأمر عن الوصف واشتغل الكل بالكل فلا فراغ حبيبي. دعينا فنزلنا فبقينا وفقدت الأحوال:

فأبدأ وجود الوجد ما كان يكتم ... ولاحت رسوم الحق منا ومنهم

١٠٣ ـ **تجلي الحظ:** حبيبي! انظر إلى حظك منك فأنت عين الدنيا والآخرة فإن رأيتك ثم فاعلم أنك مظرود وخلف الباب طريح حظك يدركك فلا تسع له حبيبي لا تغب عنه فيفوتك غب به عنك:

صير الأعين عيناً واحداً ... فوجود الحق في رفع العدد

١٠٤ ـ **تجلي الأماني:** أماني النفوس تضاد الأنس بالله سبحانه لأنه لا يدرك بالأماني ولذلك قال: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤] أماني النفس حديثها بما ليس عندها ولها حلاوة إذا استصحبها العبد فلن يفلح أبداً هي ممحقة الأوقات صاحبها خاسر يلذ بها زمان حديثها فإذا رجع مع نفسه لم ير في يده شيئاً حاصلاً فحظه ما قال من لا عقل له:

أماني أن تحصل تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

حبيبي تترك الأنس بربك لمنية نفسك ما هذا منك بجميل لا يغرنك إيمانك ولا إسلامك ولا توحيدك أين ثمرته إن خرج روحك في حال أمانيك وأنت لا تشعر ما يكون حالك وأنت لا ترى بعد الموت إلا الذي مت عليه ولم يكن عندك سوى الأماني فأين التوحيد وأين الإيمان خسرت وقتك:

حالي وحالك في الرواية واحد ... ما القصد إلا العلم واستعماله

(١) استعجم الكلام عليه: صعب واستبهم.

١٠٥ ـ تجلي التقرير: طلب الحق منك قلبك وهبك لك كلك فطهره وحله بالحضور والمراقبة والخشية كما أشار إليك في هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [المزمل: ٧] فأعطاك أربعاً وعشرين ساعة وخصص منها أوقات فرائضك ما يكون فيها نصف ساعة أبداً وقال لك اشتغل بجميع أوقاتك في مناجاتك وأكوانك وفرغ لي هذا القدر من الزمان وقد قسمته لك على خمسة أوقات حتى لا يطول عليك.

وانظر يا أخي أي عبد تكون انظر هذا اللطف العظيم من الجبار العظيم لو عكس القضية ما كنت صانعاً ثم مع هذا اللطف في التكليف أضاف إليه لطف الإمهال عند المخالفة فأمهلك ودعاك وقنع منك بأدنى خاطر وأقل لمحة بالله يا مسكين من يفعل معك ذلك غيره تبارز مثل هذا السيد الكريم، رب هذا اللطف العظيم والصنع الجميل بالمخالفات ولا تستحي لا يغرنك إمهاله فإن بطشه شديد، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ما لك قرية سوى نفسك وإذا أخذها مثل هذا الأخذ فمن يقري ومن يتعظ، الشقي من وعظ بنفسه، وما وعظ الله أحداً بنفسه حتى وعظه بغيره من لطفه فانظر أي عبد تكون، السباق السباق في حلبة الرجال لا يغرنك من خالف فجوزي بأحسن المعارف ووقف في أحسن المواقف وتجلت له المشاهد هذا كله مكر به واستدراج من حيث لا يعلم قل له إذا احتج عليك بنفسه:

فسوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرس تحت رجلك أم حمار

١٠٦ ـ تجلي نكث المبايعة: المبايعون ثلاثة الرسل والشيوخ الورثة، والسلاطين، والمبايع على الحقيقة في هؤلاء الثلاثة واحد، وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود لله تعالى على بيعة هؤلاء الاتباع وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القائم بأمر الله وعلى الاتباع الذين بايعوهم شروط تجمعها المبايعة في ما أمروا به فأما الرسل والأشياخ فلا يأمرون بمعصية أصلاً فإن الرسل معصومون من هذا والشيوخ محفوظون.

وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً وإلا كان مخذولاً ومع هذا لا يطاع في معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله، ومن نكث من هؤلاء الأتباع فحسبه جهنم خالداً فيها لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يزكيه ولهم عذاب أليم، هذا حظه في الآخرة.

وأما في الدنيا فقد قال أبو يزيد البسطامي[1] في حق تلميذه لما خالفه دعوا من

---

(١) أبو يزيد البسطامي (١٨٨ ـ ٢٦١ هـ ـ ٨٠٤ ـ ٨٧٥ م).
طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال: بايزيد: زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر. نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها، ووفاته فيها قال المناوي: وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة. وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود، وأنه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء. ويُعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية.
=

سقط من عين الله فرئي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث، أين هو ممن وفي ببيعته مثل تلميذ داود الطائي[١] الذي قال له: ألق نفسك في التنور[٢] فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً هذا نتيجة الوفاء.

١٠٧ ـ **تجلي المعارضة:** لا يزاحم من لا يفنى برؤيتك ولا يشغله شأن عن شأن ذاك مخصوص به من مفردات الربوبية ولا تغتر بقول عارف حين قال لا يشغله شيء عن ربه ولا يشغله ربه عن شيء إنما أراد قوة الحضور لا المشاهدة فما أشهدك قط إلا أفناك وأبقاك له وما أبقاك لك فخذ ما لك واترك ما له.

١٠٨ ـ **تجلي فناء الجذب:** لم يفن من الأسماء ولم يبق بالله إلا المضطر ولهذا يجيبه فعلامة الاضطرار الإجابة وهذا هو فناء الجذب لأنه ما فنى فيه إلا بحظ نفسه فلما رآه زهد في حظه قيل له: ارجع، قال: علمت الأمر كذا فالحمد لله الذي جعل حظي عين وصلي.

١٠٩ ـ **تجلي ذهاب العقل:** المعرفة الخفية أنوار تشرق فإن أخذتها العبارات فبلسان لا يعقل وخطاب لا يفهم فإذا رد يقال له ما قلت فيقال له ما ينحكي ما قلت فيقول لأنه لم يسمع فيقال له أعد فيقول حتى أعود أو يعود وعن مثل هذا يرتفع الخطاب فإنه مجنون ونعم الجنون صحة التوحيد وكتمان الأسرار وحسن الظن فيما لا يعلم من علامات من هو من أهل الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. تمت.

= الأعلام ٣/ ٢٣٥، وطبقات الصوفية ٦٧ ـ ٧٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٠، وميزان الاعتدال ١/ ٤٨١ وحلية الأولياء ١٠/ ٣٣، والشعراني ١/ ٦٥، والمناوي ١/ ٢٤٤.

(١) داود الطائي (توفي ١٦٥ هـ = ٧٨١ م).
داود بن نصير الطائي، أبو سليمان من أئمة المتصوفين. كان في أيام المهدي العباسي. أصله من خراسان، ومولده بالكوفة. رحل إلى بغداد، فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس، ولزم العبادة إلى أن مات فيها. قال أحد معاصريه: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئاً من خبره. وله أخبار مع أمراء عصره وعلمائه.
الأعلام ٢/ ٣٣٥، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٧، وحلية ٧/ ٣٣٥، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧.

(٢) التَّنُّورُ: ضرب من الكوانين يُخبز فيه، أعلاه أضيق من أسفله.

كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الكائن في العماء الموصوف بالاستواء، جلال ذاته بعد فراغه، من خلق أرضه إلى خلق سماواته، وأنزل القرآن في ليلة القدر وهي الليلة المباركة إلى السماء الدنيا جملة بسوره وآياته، ورحل السيارة في منازل المزج والتخليص وجعل ذلك مما تمدح به من تقديراته، وأسرى بسيدنا محمد عبده ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى قاب قوسين أو أدنى ليريه من آياته، وأهبط آدم إلى أرض ابتلائه، وأخرجه من جنته دار نعيمه ولذاته، ورفع إدريس عليه السلام من عالم الأكوان إلى أن أنزله المكان العلي في أوسط درجاته، وحمل نبيه نوحاً عليه السلام بين تلاطم أمواج بحر طوفانه في سفينة نجاته.

وهذب بإبراهيم خليله عليه السلام ليمنحه ما شاء من هدايته وكراماته، وأخرج يوسف عليه السلام عن أبيه عليه السلام ثم أتبعه أباه ليصدقه فيما رآه في منامه من أحسن بشاراته.

وأسرى بلوط وأهله لينجيه من نقماته، وأعجل موسى عليه السلام عن قوله لما جاء ربه لميقاته، وألاح له نوراً في صورة نار ليتفرغ إليه فناداه من حاجاته، فسعى إليه فحاباه بمناجاته، وأخرجه فاراً من قومه ليرسله بتكرمته برسالاته، وأسرى بقومه ليغرق من نازع ربه في ربوبيته من طغاته، وأتعبه حين فارق الأدب في علمه في طلب من علمه من لدنه علماً وآتاه رحمة من رحماته.

ثم أتبعه في سفره ليعلمه بما خصه الله من قضاياه وحكوماته، وحمل نبيه موسى عليه السلام في تابوته، وهو لا يعقل في يم هلكاته.

ورفع عيسى عليه السلام إليه لما كان كلمة من كلماته، وأذهب نبيه يونس عليه السلام مغاضباً فضيق عليه في بطن حوت في ظلماته.

وأفضل طالوت بالجنود وفيهم داود عليه السلام ليبتليهم بنهر البلوى ليتمكن من صاحب غرفاته، وأخرق الآفاق بذي القرنين ليقيم سداً بين الطائعين من عباد الله وبين عصاته.

وأنزل الروح الأمين على قلوب أهل نبواته، وأصعد الكلم الطيب إليه على براق العمل الصالح ليكرمه بمشاهدة ذاته، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ خير من تخلق بأسمائه وصفاته، والسلام عليه وعلى آله من أصحابه وقراباته، وأزواجه وبنيه وبناته.

أما بعد فإن الأسفار ثلاثة لا رابع لها أثبتها الحق عز وجل وهي سفر من عنده، وسفر إليه، وسفر فيه، وهذا السفر فيه هو سفر التيه والحيرة فمن سافر من عنده فربحه ما وجد وذلك هو ربحه، ومن سفر فيه لم يربح سوى نفسه، والسفران الأولان لهما غاية يصلون إليها ويحطون عن رحالهم، وسفر التيه لا غاية له، والطريق التي يمشي فيها المسافرون طريقان طريق في البر وطريق في البحر قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وهنا نكتة، وهي أنه تعالى ما قدم البر على البحر وتهمم بتقديمه إلا ليعلم أنه من قدر على البر لا يسافر في البحر إلا من ضرورة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لولا هذه الآية ثم يتلو ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] لضربت بالدرة(١) من سافر في البحر ولو لم يكن في الإشارة إلى ترك السفر إلا قوله في ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] لكانت هذه الآية كافية ثم نقول وما منها سفر من هذه الثلاثة الأسفار إلا وصاحبه فيه على خطر إلا أن يكون محمولاً كالإسراء فكل من سوفر به نجى وكل من سافر من غير أن يسافر به فهو خطر، ثم إنه لما كان الوجود مبدأه على الحركة لم يتمكن أن يكون فيه سكون لأنه لو سكن لعاد إلى أصله وهو العدم فلا يزال السفر أبداً في العالم العلوي والسفلي والحقائق الإلهية كذلك لا تزال في سفر غادية ورائحة وقد جاء النزول الرباني إلى السماء الدنيا وقد جاء الاستواء إلى السماء على ما يعطيه التنزيل ونفي المماثلة والتشبيه.

وأما العالم العلوي فلا تزال الأفلاك دائرة بمن فيها لا تسكن ولو سكنت بطل الكون وتم نظام العالم وانتهى. وسياحة الكواكب في الأفلاك سفر لها والقمر قدرناه منازل وحركات الأركان الأربعة وحركات المولدات في كل دقيقة بالتغيير والاستحالات في كل نفس وسفر الأفكار في محمود ومذموم وسفر الأنفاس من المتنفس وسفر الأبصار في المبصرات يقظة ونوماً وعبورها من عالم إلى عالم بالاعتبار وهذا كله سفر بلا شك عند كل عاقل، وقد ذهب بعضهم إلى أن عالم الأجسام من وقت خلقه الله لم يزل بجملته نازلاً ولا يزال في الخلأ الذي لا نهاية له وعلى الحقيقة فلا نزال في سفر أبداً من وقت نشأتنا ونشأة أصولنا إلى ما لا نهاية له، وإذا لاح لك منزل نقول فيه هذا هو الغاية انفتح عليك منه طرائق أخر تزودت منه وانصرفت فما من منزل تشرف عليه إلا ويمكن أن تقول هو غايتي ثم إنك إذا وصلت إليه لم تلبث أن تخرج عنه راحلاً وكم

(١) الدِّرَّةُ: السَّوْطُ يُضرب به (ج) دِرر.

سافرت في أطوار المخلوقات إلى أن تكونت دماً في أبيك وأمك ثم اجتمعا من أجلك عن قصد لظهورك أو غير قصد فانتقلت منياً ثم انتقلت من تلك الصورة علقة إلى مضغة إلى عظم ثم كسي العظم لحماً ثم أنشأت نشأة أخرى ثم أخرجت إلى الدنيا فانتقلت إلى الطفولة ومن الطفولة إلى الصبا ومن الصبا إلى الشباب ومن الشباب إلى الفتوة ومن الفتوة إلى الكهولة ومن الكهولة إلى الشيخوخة ومن الشيخوخة إلى الهرم وهو أرذل العمر ومنه إلى البرزخ فسافرت في البرزخ إلى الحشر ثم من الحشر أحدثت سفراً إلى الصراط إما إلى جنة وإما إلى نار إن كنت من أهلها وإن لم تكن من أهلها سافرت من النار إلى الجنة ومن الجنة إلى كثيب الروية فلا تزال تردد بين الجنة والكثيب دائماً أبداً وفي النار لا يزالون مسافرين من صعود إلى هبوط ومن هبوط إلى صعود مثل قطع اللحم في القدر على النار ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] فما ثم سكون أصلاً بل الحركة دائمة في الدنيا ليلاً ونهاراً ويتعاقبان فيتعاقب الأفكار والحالات والهيئات بتعاقبهما وتعاقب الحقائق الإلهية عليهما فتارة تنزل على الاسم الإلهي الرحيم وتارة على الاسم التواب وتارة على الغفار وتارة على الرزاق وعلى الوهاب وعلى المنتقم وكل اسم للحضرة الإلهية وهي أيضاً تنزل عليك بما عندها من الوهب والرزق والانتقام والتوبة والمغفرة والرحمة فنزول منك عليها بالطلب ونزول منها عليك بالعطاء فإذا كان الأمر على هذا فيرجع العبد تفكره ينظر في الفرقان بين السفر الذي كلف أن يستعد له وفيه سعادته أعني في الاستعداد وهو السفر إليه والسفر فيه والسفر من عنده وهذه الأسفار كلها مشروعة له وبين السفر الذي ما كلف أن يستعد له كالمشي في الأرض في المباح والسفر في تجارة الدنيا لتثمير المال وأمثال ذلك وكسفر نفسه بالدخول والخروج فإنه من وجه غير مكلف به ولا مشروع وإنما تقتضيه النشأة نسأل الله جميل العاقبة والعافية.

ثم إن المسافرين من عنده على ثلاثة أقسام مسافر مطرود كإبليس وكل مشرك، ومسافر غير مطرود لكنه سفر خجل كسفر العصاة لأنهم لا يقدرون على الإقامة في الحضرة مع المخالفة للحياء الذي غلب عليهم، وسفر اجتباء واصطفاء كسفر المرسلين من عنده إلى خلقه ورجوع الوارثين العارفين من المشاهدة إلى عالم النفوس بالملك والتدبير والناموس(١) والسياسة.

ثم المسافرون إليه أيضاً ثلاثة مسافر أشرك به وجسمه وشبهه ومثله ونسب إليه ما يستحيل عليه إذ قال عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فهذا المسافر يصل إلى الحجاب لا يراه أبداً طريداً عن الرحمة، ومسافر نزهه عن كل ما لا يليق به بل يستحيل عليه مما جاء في المتشابه في كتابه ثم يقول في آخر تنزيهه والله أعلم بما قاله

(١) الناموس: القانون أو الشريعة (ج) نواميس.

في كتابه ثم لم يزل فيما عدا الشرك والتشبيه خالصاً في المخالفات فهذا إذا وصل وصل إلى العتاب لا إلى الحجاب ولا إلى عذاب مؤبداً فهذا يتلقاه الشافعون ينتظرونه على الباب فينزلونه عليه خير منزل لكنه يعتب في عدم الاحترام ومسافر معصوم ومحفوظ قد بسطهما الأنس والدلال يخاف الناس ولا يخافون ويحزن الناس ولا يحزنون لأنهم من الخوف والحزن انتقلوا ومن انتقل من شيء من المحال أن يحط فيه ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وهي البشرى التي لهم في الآخرة فهؤلاء هم المسافرون إليه.

وأما المسافرون فيه فطائفتان طائفة سافرت فيه بأفكارها وعقولها فضلت عن الطريق ولا بد فإنهم ما لهم دليل في زعمهم يدل بهم سوى فكرهم وهم الفلاسفة ومن نحا نحوهم، وطائفة سوفر بها فيه وهم الرسل والأنبياء، والمصطفون من الأولياء كالمحققين من رجال الصوفية مثل سهل بن عبد الله وأبي يزيد وفرقد السبخي والجنيد ابن محمد والحسن البصري ومن شهر منهم ممن يعرفه الناس إلى زماننا هذا غير أن الزمان اليوم ليس هو كالزمان الماضي وسبب ذلك قربه من الدار الآخرة فكثر الكشف في أهله اليوم وصارت لوائح الأرواح تبدو وتظهر فأهل زماننا اليوم أسرع كشفاً وأكثر شهوداً وأغزر معرفة وأتم في الحقائق وأقل عملاً من الزمان المتقدم فإنهم كانوا أكثر عملاً وأقل فتحاً وكشفاً منا اليوم وذلك لأنهم أبعد الأزمان الصحابة لشهود النبي ﷺ ونزول الأرواح عليه فيما بينهم مع الأنفاس كان المنورون منهم عندهم هذا وكانوا قليلين جداً مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأمثالهم فالعمل فيما مضى كان أغلب والعلم في وقتنا هذا أغلب والأمر في مزيد إلى نزول عيسى عليه السلام فإنه يكثر والركعة اليوم منا كعبادة شخص ممن تقدم عمره كله كما قال ﷺ «للعامل منهم أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»(١) وما أحسنها من عبارة وألطفها من إشارة وهذا مما ذكرناه من الاقتراب اقتراب الزمان وظهور حكم البرزخ ألا ترى إلى قوله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخذه بما فعل أهله وعذبة سوطه»(٢) وتقول الشجرة هذا يهودي خلفي اقتله، وهذا في الدنيا فهل هذا إلا من ظهور أمر الآخرة التي هي الدار الحيوان فالعلم واحد منتشر يستدعي حملة فمهما كثر حاملوه بما هم فيه من الصلاح لأنه علم الصالحين قسم عليهم ولهذا قل فيمن تقدم ومن كان عنده منه شيء لم يظهر عليه لأنه غالب عليه ومهما قل حاملوه بما هم في العامة من الفساد حصل للصالح منهم موفوراً لأن عنده نصيب كل مفسد فإنه وارثه فلهذا كثر العلم والفتح والكشف في المتأخرين ومن كان عنده منه شيء ظهر عليه لأن علمه

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٧).
(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ٨٤)، وأبو نعيم في (دلائل النبوة ١٣٢).

غالب عليه لكثرته فسبحان واهب الكل، ولكن مع هذا كله فالآخر في ميزان الأول ولا بد إذا كان تابعاً له مقتدياً به ولكن من حيث الوزن وهو العمل لا من حيث العلم بالله فإن العلم بالله لا بد فيه من الميزان ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].

ونحن إن شاء الله نذكر في هذه العجالة من الأسفار التي وقفنا عليها علماً وعيناً وهي التي وقعت للأنبياء عليهم السلام والأسفار الإلهية وسفر المعاني في معرض التنبيه على ما يبقى من الأسفار فإن الله قد ذكر في القرآن العزيز أسفاراً كثيرة عن أصناف من المخلوقات فاقتصرنا على هذا القدر.

فمن ذلك سفر رباني من العماء إلى عرش الاستواء الذي تسلمه الاسم الرحمٰن

ورد خبر وهو أن بعض الناس قال لرسول الله ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق أو كما قال، فقال ﷺ «في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء»[(١)] فقد تكون لفظة ما هنا نافية وقد تكون بمعنى الذي.

اعلم أن هذا سرادق الألوهية وحاجز عظيم يمنع الكون أن يتصل بالألوهية وتمنع الألوهية أن تتصل بالكون أعني في الحدود الذاتية ومن هذا العما يقول الله تعالى ما ورد في الصحيح عن النبي ﷺ: «ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي»[(٢)] وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] يعني في يوم الفصل والقضاء وما أشبه هذا النوع مما ورد في الأخبار فهذا من جانب الألوهية لما أرادت الوصول إلى الكون.

وأما ما ورد في هذا الفن عن الكون لما أراد الاتصال بالألوهية قوله ﷺ «لا أحصي ثناء عليك»[(٣)] وقوله «أو استأثرت به في علم غيبك»[(٤)]، وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: العجز عن إدراك الإدراك إدراك، فلما أوجد دائرة الكون المحيطة المعبر عنها بالعرش الذي هو السرير الأقدس فلا بد من ملك لهذا السرير وهو يريد الإيجاد والإيجاد يمده جود الوجود الإلهي ولا بد فلا بد من الرحمانية أن تكون الحاكمة في

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٦١٠)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٢٦٤).
(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٥٨)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٧١).
(٤) أخرجه أحمد بن حنبل ١/ ٣٩١، ٤٥٦.

هذا الفصل فاستوى عليه الاسم الرحمٰن في سرادق العما الذي يليق بالرحمانية الإلهية وهو نوع من العما الرباني وكان سفر الرحمانية من العما الرباني إلى الاستواء العرشي موجوداً عن الجود وما دون العرش موجود عن المستوى على العرش وهو الاسم الرحمٰن الذي وسعت رحمته كل شيء وجوباً ومنه، ولما سافر هذا الاسم الرحمٰن سافرت معه جميع الأسماء المتعلقة بالكون فإنها وزعته وسدنته وأمراؤه كالرزاق والاسم المغيث والاسم المحيي والاسم المميت والاسم الضار والاسم النافع وجميع أسماء الأفعال خاصة فإن كل اسم لا يعرف إلا من فعل من أسماء الأفعال وهو ممن سافر مع الاسم الرحمٰن وكل اسم لا يعرف من فعل فليس له في هذا السفر مدخل البتة، فإذا أرادت أن تسافر في معرفة ما عدا أسماء الأفعال بأفكارها خرجت عن كرة العرش خروجاً غير مبائن ولا منفصل وأرادت التعلق بالجانب الأقدس الإلهي فوقعت في الحمى وهو سرادق العما فتخبطت فيه لكن لا بد للواصل أن يلوح له من بوارق الألوهية ما تحصل له به معرفة ما ولهذا سماه الصديق بالإدراك وسماه الصادق ﷺ «لا أحصي ثناء عليك» وذلك لما عاين ما لا يقبل ثناء معيناً لكن يقبل الثناء المجهول وهو لا أحصي ثناء عليك فإن الحيرة تقتضي ذلك ولا بد وأصحاب الفكر في عما وأصحاب الكشف في عما والكل في عما لأن الكل في عما والكل على صورة الكل وهذا السفر روحه ومعناه السفر من التنزيه إلى سدرة التشبيه من أجل إفهام المخاطبين وهذا أيضاً من العما عينه.

سفر الخلق والأمر وهو سفر الإبداع

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١١ - ١٢] بالفتق والرتق ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] وجاء بكلمة ثم بعد خلق الأرض تؤذن غالباً بأن الثاني بعد الأول بمهلة وهو زمان خلق الأرض وتقدير أقواتها في أربعة أيام من أيام الشأن يومان لشانها في عينها وذاتها ويوم لظهورها وشهادتها ويوم لبطونها وغيبتها ويومان لما أودع فيها من الأقوات الغيبية والشهادية في يومين.

ثم كان الاستواء الأقدس الذي هو المقصود والتوجه إلى فتق السموات وفطرها فلما قضاهن سبع سموات في يومين من أيام الشأن أوحى في كل سماء أمرها فأودع فيها جميع ما تحتاج إليه المولدات من الأمور في تركيبها وتحليلها وتبديلها وتغييرها وانتقالها من حال إلى حال بالأدوار والأطوار وهذا من الأمر الإلهي المودع في السموات في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] من الروحانيات العلية فبرز بالتحريكات

الفلكية ليظهر التكوين في الأركان.بحسب الأمر الذي يكون في تلك الحركة وفي ذلك الفلك فلما فتقها من رتقها ودارت وكانت شفافة في ذاتها وجرمها حتى لا تكون ستراً لما وراءها أدركنا بالأبصار ما في الفلك الثامن من مصابيح النجوم فيتخيل أنها في السماء الدنيا والله يقول ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢] ولا يلزم من زينة الشيء أن يكون فيه.

وأما قوله وحفظاً فهي الرجوم التي تحدث في كرة الأثير لإحراق الذين يسترقون السمع من الشياطين فجعل الله لذلك شهاباً رصداً وهي الكواكب ذوات الأذناب ويخترق البصر الجو حتى يصل إلى السماء الدنيا فلا يرى من فطور فينفذ فيه فينقلب خاسئاً وهو حسير أي قد أعي وجعل في كل سماء من هذه السبعة كوكباً سابحاً وهو قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] فتحدث الأفلاك بحركات الكواكب لا السموات فتشهد الحركات من السبعة السيارة أن المصابيح في الفلك الثامن وزينا السماء الدنيا لأن البصر لا يدركها إلا فيها فوقع الخطاب بحسب ما تعطيه الرؤية لهذا قال ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢] ولم يقل خلقناها فيها وليس من شرط الزينة أن تكون في ذات المزين بها ولا بد فإن الرجل والخيل من زينة السلطان وما هم قائمان بذاته ولما كملت البنية الإنسانية وصحت التسوية وكان التوجه الإلهي بالنفخ العلوي في حركة الفلك الرابع من السبعة وقبل هذا المسمى الذي هو الإنسان لكمال تسويته السر الإلهي الذي لم يقبله غيره وبهذا صح له المقامان مقام الصورة ومقام الخلافة.

فلما كملت الأرض البدنية وقدر فيها أقواتها وحصل فيها قواها الخاصة بها من كونها حيواناً نباتاً كالقوة الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة والنامية المغذية وفتقت طبقاتها السبعة من جلد ولحم وشحم وعرق وعصب وعضل وعظم استوى السر الإلهي الساري فيه منفخ النفخ الروحي إلى العالم العلوي من البدن وهو بخارات تصعد كالدخان ففتق فيها سبع سموات السماء الدنيا وهي الخنس وزينها بالنجوم والمصابيح مثل العينين وسماء الخيال وسماء الفكر وسماء العقل وسماء الذكر وسماء الحفظ وسماء الوهم.

وأوحى في كل سماء أمرها وهو ما أودع في الحس من إدراك المحسوسات ولا نتعرض للكيفية في ذلك للخلاف الواقع فيها وإن كنا نعلم ذلك فإن علمنا لا يرفع الخلاف من العالم وفي الخيال من متخيلات المستحيلات وفي العقل من المعقولات وهكذا في كل سماء ما يشاكلها من جنسها فإن أهل كل سماء مخلوقون منها فهم بحسب مزاج أماكنهم وخلق في كل سماء من هذه السبعة كوكباً سابحاً في مقابلة الكواكب السيارة تسمى صفات وهي الحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم والكلام كل يجري إلى أجل مسمى فلا تدرك قوة إلا ما خلقت له خاصة فالبصر لا يرى

سوى المحسوسات المبصرات والحس فينقلب خاسئاً فإنه لا يجد قطراً ينفذ فيه والعقل يثبت هذا كله يشهد بذلك الحركات الفلكية التي في الإنسان وذلك بتقدير العزيز العليم، فهذا سفر أسفر عن محياه ودل على تنزيه مولاه ونتج ظهور العالم العلوي فإن السفر إنما سمي سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال معناه أنه يظهر ما ينطوي عليه كل إنسان من الأخلاق المذمومة والمحمودة يقال سفرت المرأة عن وجهها إذا أزالت برقعها(١) الذي يستر وجهها فبان للبصر ما هي عليه الصور من الحسن والقبح قال الله تعالى يخاطب العرب ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [المدثر: ٣٤] معناه أظهر إلى الأبصار ومبصراتها قال الشاعر:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها

فإن العرب جرت عادتهم أن المرأة إذا أرادت أن تعلم أن وراءها شراً أسفرت عن وجهها وكان هذا القائل قد أعمل الحيلة في الوصول إلى محبوبته فشعر قومها به وعرفت المرأة بشعورهم فعندما بصرت به سفرت عن وجهها فعلم أن وراءها الشر فخاف عليها وانصرف وهو ينشد:

فقد رابني منها الغداة سفورها

وما مثل هذا السفر ينزل ربنا وإشباهه وقد أغنت الإشارة عن البسط والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر القرآن العزيز

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] السورة بكمالها وهو قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] هذا إنزال إنذار قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١] يعني القرآن العزيز في ليلة القدر قال أهل التفسير نقلاً: نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزل منها على قلب محمد ﷺ نجوماً وهذا سفر لا يزال أبداً ما دام متلواً بالألسنة سراً وعلانية وليلة القدر الباقية على الحقيقة في حق العبد هي نفسه إذا صفت وزكت ولهذا قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤] وكذلك النفس خلق فيها كل أمر حكيم فألهمها فجورها على المعنيين وتقواها(٢) كذلك وقلبه في الاعتبار السماء الدنيا التي نزل إليها القرآن مجموعاً فعاد فرقانا بحسب المخاطبين فليس حظ البصر منه حظ السمع وإنما قلنا نزل إلى قلبك دفعة واحدة فلسنا نعني أنك حفظته ووعيته فإن كلامنا إنما هو روحاني معنوي وإنما أعني أنه عندك ولا تعلم فإنه ليس من

(١) البُرْقُعُ: غطاء للوجه يكون للدواب ولنساء الأعراب (ج) براقع.
(٢) هنا إشارة لسورة الشمس الآية (٨): ﴿ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها﴾.

شرط السماء لما نزل إليها القرآن أن تحفظ نصه.

ثم إنه ينزل عليك نجوماً منك بكشف غطائك عنك وقد رأيت ذلك من نفسي في بدء أمري ورأيت هذا لشيخي أبي العباس العريني من غرب الأندلس من أهل العليا وسمعت ذلك عن جماعة من أهل طريقنا أنهم يحفظون القرآن أو آيات منه من غير تعليم معلم بالتعلم المعتاد ولكن يجده في قلبه ينطق بلغته العربية المكتوبة في المصاحف، إن كان أعجمياً روينا عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله قال عنه أبو موسى الديبلي أنه ما مات حتى استظهرا القرآن من غير تلقين ملقن معتاد فأما كونه لا يزال ينزل على قلوب العباد لما قام الدليل على استحالة إقامة العرض زمانين وقام الدليل على استحالة انتقاله من محل إلى محل وإن حفظ زيد لا ينتقل إلى عمرو فعندما تسمع الأذن الملقن يلقي الآية عليها أنزلها الله على قلبه فوعاها فإن كان القلب في شغل عاد الملقن فعاد الإنزال فالقرآن لا يزال منزلاً أبداً فلو قال إنسان أنزل الله علي القرآن لم يكذب فإن القرآن لا يزال يسافر إلى قلوب الحافظين له.

وما كون النبي ﷺ إذا جاءه جبريل بالقرآن بادر بقراءته قبل أن يقضي إليه وحيه وذلك لقوة كشفه فإنه كان يكشف على ما جاء به جبريل عليه السلام فيتلوه وتعجل به لسانه قبل أن يقضي إليه وحيه كما يكشف المكاشف عند ما يخطر لك في قلبك ويتكلم على خاطرك وهذا غير منكور عند أكثر الناس فذاك المحل به أليق لكن أدبه ربه فأحسن أدبه فقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] فأمره أن يتأدب مع جبريل عليه السلام إذ هو معلمه الكلم الطيب بالعمل الصالح.

فصل

الإنسان الكلي على الحقيقة هو القرآن العزيز نزل من حضرة نفسه إلى حضرة موحده وهي الليلة المباركة لكونها غيباً والسماء الدنيا حجاب العزة الأحمى الأدنى إليه ثم جعل هناك فرقاناً ينزل نجوماً بحسب الحقائق الإلهية فإنها تعطي أحكامها مختلفة فيعرف الإنسان لذلك فلا يزال على قلبه من ربه نجوماً حتى يجتمع هناك ويترك الحجاب وراءه فيزول عن الأين والكون ويغيب عن الغيب فالقرآن المنزل حق كما سماه الله حقاً ولكل حق حقيقة، وحقيقة القرآن الإنسان كما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[1] قال العلماء أرادت قوله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٩١، ١٦٣)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٤٩٩) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٩٢، ٣١٨)، والبيهقي في (دلائل النبوة ١/ ٣١٠)، والسيوطي في (الدرر المنثور ٥/ ٢، ٦/ ٢٥٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٣٧٨، ١٨٧١٨) والبخاري في (الأدب المفرد ٣٠٨)، وصاحب (أخلاق النبوة ٢٩)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٦/ ٤١)، وصاحب (مناهل =

لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] فحقق هذا السفر تحمد عاقبته... (١) الآيات.

سفر [...](١) الرؤية الله تعالى والاعتبار من

وقول الله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

سبحان من أسرى إليه بعبده ... ليرى الذي أخفاه من آياته
كحضوره في غيبه وكسكره ... في صحوه والمحو في إثباته
ويرى الذي عنه تكون سره ... في منعه إن شاءه وهباته
ويزيل ما أبدا له من جوده ... بوجوده والفقد من هيآته
سبحانه من سيد ومهيمن ... في ذاته وسماته وصفاته

قرن سبحانه التسبيح بهذا السفر الذي هو الإسراء ينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن تحكم عليه خياله من أهل الشبه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق من الجهة والحد والمكان فلهذا قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] فجعله مسافراً به ﷺ يعلم أن الأمر من عنده عز وجل هبة آلهية وعناية سبقت له مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وجعله ليلاً تمكيناً لاختصاصه بمقام المحبة لأنه اتخذه حبيباً وأكده بقوله ليلاً مع أن الإسراء لا يكون في اللسان إلا ليلاً لا نهاراً لرفع الإشكال حتى لا يتخيل أنه أسرى بروحه ويزيل بذلك من خاطر من يعتقد من الناس أن الإسراء ربما يكون نهاراً فإن القرآن وإن كان نزل بلسان العرب فإنه خاطب به الناس أجمعين أصحاب اللسان وغيرهم والليل أحب زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة بالليل ولتكون رؤية الآيات بالأنوار الإلهية خارجة عن العادة عند العرب بما لم تكن تعرفها فإن البصر لا يدرك شيئاً من المرئيات بنوره خاصة إلا الظلمة والنور الذي به يكشف الأشياء إذا كان حيث لا تغلب قوة نور البصر فإذا غلب حكمه مع نور البصر حكم الظلمة لا يرى سواه إذ كان البصر لا يدرك في الظلمة الشديدة سوى الظلمة فالبصر يرى بالنور المعتدل النور وما يظهر له النور من الأشياء المدركة ولا فائدة عند السامع لو كان العروج به نهاراً في رؤية الآيات فإنه معلوم له فلهذا كان ليلاً.

وأتى أيضاً بقوله: ﴿لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] ليحقق أن الإسراء كان بجسده الشريف ﷺ فإن قوله أسرى يغني عن ذكر الليل قليلاً في موضع الحال من عبده كما قال:

= الصفاه ١)، وابن كثير في (التفسير ٥/ ٤٥٤، ٨/ ٢١٤) والطبري في (التفسير ٢٩/ ١٣)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٣٥٢).

(١) بياض في الأصل.

يا راحلين إلى المختار من مضر زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا

وأدخل الباء في قوله بعبده لأمرين في نظر المحققين من أهل الله الأمر الواحد من أجل المناسبة بين العبودية التي هي الذلة وبين حرف الخفض والكسر فإن كل ذليل منكسر وأضافه إلى الهو ولم يكن منها اسم ظاهر للحق إلا من الأسماء النواقص التي لا تتم إلا بصلة وعائد فأسرى بعبده صلته والعائد إليه المضمر غيب بلا شك وهو هنا مضمر فهو غيب في غيب فكأنه هو الهو كما يقول غيب الغيب فانبأ بشرف الإسراء.

وكذلك ذكر المسجدين الحرام والأقصى وهذا يناسب ما ذكرناه من باب العبد وحرف الخفض هي الباء والمسجد مفعل موضع سجود الرجل والسجود عبودية والحرام يقتضي المنع والحجر فهو يطلب العبودية والأقصى يقتضي البعد والعبودية في غاية البعد من صفات الربوبية فاختار سبحانه لنبيه الشرف الكامل بهذين الأمرين بأعلى ما يكون من صفات الخلق وليس إلا العبودية وما يشاكلها من حروف الخفض والمساجد والحرام والأقصى وكذلك مما شرفه به في مقابلة هذه العبودية الكلية التي تعطي المعرفة التامة بأنه ما جعل له من أسمائه ما يقيده به لأن هذه العبودية المذكورة ههنا لا تقتضي تقييداً باسم إلهي من أسماء التأثير ولكن يطلب من الألوهة ما يشاكلها في الرفعة والتنزيه فإن العبد إذا رفع من جميع الوجود وأكرم نزهت عبوديته عن الصفات السيادية الربانية الإلهية فهو تنزيهها وإذا وصفت بأوصاف الربوبية شبهت وفي التشبيه هلاكها قال تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩].

وقال كذلك ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: ٣٥] فكذلك الألوهة إذا كنى عنها في حق العبد بالأسماء التي تطلب وجود الخلق فليس ذلك بعلو ولا رفعة في حق العبد المخاطب بتلك الأسماء فإن فيها ضرباً مشابهاً بما تقتضيه العبودية من الافتقار إلى الأثر فكما في العبودية في هذا الإسراء حقها من جميع الوجوه كذلك وفي الألوهية حق ما يقتضي هذا الوفاء المنسوب إلى العبد فأتى بالهو وبهو الهو الذي هو غيب الغيب فلما نزل ﷺ من عبوديته إلى ما ذكرناه أسرى به إلى غيب الغيب الذي ذكرناه فمن هناك شاهد حيثية الحق أحداً فرداً فإن المحبة تقتضي الغيرة فلا يبقى للعبد أثر فإن العبد قادر وما عليه تحجير فما ظهر هنالك أصلاً اسم سوى هذا الهو ولما كان الوحي كان مسامرة لكونه ليلاً وأعلى مجالس الحديث المسامرة لأنها خلوة في خلوة وموضع إدلال وتقريب مصطفى وأما الآيات التي رآها فمنها في الآفاق ومنها في نفسه قال عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [فصلت: ٥٣] وقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١] وقاب قوسين من آيات الآفاق حقق به مقام العبد من سيده وأدنى مقام المحبة والاختصاص بالهو ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠] مقام المسامرة وهو هو الهو غيب الغيب وأيده ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم:

١١] والفؤاد قلب القلب وللقلب رؤية وللفؤاد رؤية فرؤية القلب يدركها العمى إذا صدرت عن الحق بإيثار غيره بعد تقريبه إياها ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] والفؤاد لا يعمى لأنه لا يعرف الكون وما له تعلق إلا بسيده ولا يتعلق من سيده إلا بغيب الغيب وهو هو الهو لمناسبة المقامات والمراتب ولهذا قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] فإنه قد يغلط البصر كثيراً وإن كان هذا عين الجهل من قائله فإنه لا يغلط إلا الحاكم لا ما يدركه الحواس فالذي يقول يغلط البصر لكونه يرى الأمر على خلاف ما هو عليه فيكذبه صاحبه فنفى عنه هذه الصفة لأن الكذب إنما يقع في عالم التشبيه والكثرة وهنا ليس ثم تشبيه أصلاً فإن العبد هنا عبد من جميع الوجوه منزّه مطلق التنزيه في العبودية وكذلك غيب الغيب الذي هو هو الهو والآيات التي رآها في نفسه مشاكلته لهو الهو بعبودة العبودة في غيب الغيب لعين قلب القلب الذي هو الفؤاد وما كان أحد يراها وآيات الآفاق ما ذكره عليه السلام مما رأى في النجوم والسموات والمعارج العلى والرفرف الأدنى وصريف الأقلام والمستوى وما غشى الله به سدرة المنتهى وهذا كله حول هذا المقام المخصص بالعبد الذي أقيم فيه في غيب الغيب وقد نبّه على هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] ولم يذكر بركة المقام لأنه فوق الذكر لعدم التشبيه وهو مقام يتخطف الناس منه لعزته والمسجد الحرام للمسجد الأقصى كالجنة مع النار حفت الجنة بالمكاره أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حوله وحفت النار بالشهوات إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله فبطن لظهر وظهر لبطن وينتج هذا السفر مشاهدة ما ذكرناه من غيب الغيب والكلام في هذا المقام يطول فنقبض العنان ويكفي هذا القدر من الإشارة التي أوردناها فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر الابتلاء وهو سفر الهبوط من علو إلى سفل ومن قرب إلى بعد فيما يظهر وكأنه مناقض للسفر الذي تقدمه وفيه ما فيه وإن لم يقو قوته

قال الله عز وجل يخاطب آدم وحواء ومن نزل معهما ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨] وقد تكلمنا على سفر الأب الأول في الروحانيات وهو أبو آدم وأبو العالم وهو حقيقة محمد ﷺ وروحه فلنتكلم على سفر الأب الجسمي وهو أبو محمد ﷺ وأبو بني آدم كلهم خاصة فكل واحد منهما أب وابن لصاحبه من هذا الوجه، فاعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى إذا أراد أن يحدث أمراً أشار إليه بعلامات لمن فهمها يتقدم على وجود الشيء تسمى مقدمات الكون يشعر بها أهل الشعور وكثيراً ما يطرأ هذا في الوجود في عالم الشهادة ولا سيما إذا ظهر في موضع ما لا يليق بذلك الموضع فإنه يخاف من

ظهور ما يناسب ما ظهر وهذه الطيرة[١] عند العرب والفال[٢] فما كان مما تحمده النفس كان فالاً وما كان مما يكرهونه كان عندهم طيرة ولهذا أحب الشارع ﷺ الفال وهو الكلمة الحسنة وكره الطيرة أي كره أن يتطير بشيء والفال عند العرب خير والطيرة شر ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولا فاعل إلا الله وهو ﷺ يكره أن يتطير بما يجريه الله من المقدور فإن كراهة ذلك عدم احترام الألوهية والأولى أن يتلقى ما لا يوافق الغرض منهما بالحمد والتسليم والرضا والانقياد ورؤية ما دفع الله مما هو أعظم من الذي نزل. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في مثل هذا: ما أصابني الله تعالى بمصيبة إلا رأيت أن لله علي فيها ثلاث نعم إحدى ذلك كونها لم تكن في ديني، الثانية كونها كانت ولم يكن ما هو أعظم منها، الثالثة ما لي فيها من الأجر وحط الخطايا فانظر إلى حضوره وحسن نظره فيما يبتليه الله به رضي الله عنه.

ولما كان الأمر هكذا جارياً عرفناه بحكم العادة والتجربة ولم يتقدم لآدم عليه السلام عادة ولا تجربة لهذا الفن فلم يتفطن آدم عليه السلام كتحجير الله عليه الأكل من الشجرة وموطن الجنة لا يقتضي التحجير فإنه يأكل منها فيها ما يشاء ويتبوأ منها حيث يشاء فلما وقع التحجير في موطن لا يقتضي ذلك عرفنا أنه لا بد أن تظهر حقيقة ذلك الأثر وأنه يستنزل من عالم السعة والراحة إلى عالم الضيق والتكليف ولو عرفها آدم ما تهنأ زمان مقامه في الجنة ومن جملة ما نسب آدم إلى نفسه من الظلم في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] حيث لم يتفطن لإشارتك بالتحجير والمنع في موطن التسريح والإباحة ولهذا نهى ولم يؤمر أمر إيجاب وكان حاملاً للمخالف من ولده في ظهره والطائع فاوقع المخالفة عن حركة المخالف فلما رماه من صلبه ما بلغنا أن آدم عليه السلام عصى ربه بعد ذلك أبداً وأفرد بالمعصية دون أهله في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١] والنهي وقع عليهما والفعل وقع عنهما لأنها جزء منه فكأنها ما ثم إلا هو ولأنه أقرب إلى الذكرى من حواء فنسي والمرأة أنسى من الرجل ولهذا قامت المرأتان في الشهادة مقام الرجل الواحد لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وذلك لأن المرأة شق من الرجل فامرأتان شقان وشقان نشأة كاملة فامرأتان رجل واحد فهي ناقصة الخلق معوجة في النشيء لأنها ضلع فأهدرت من اللفظ ولم تذكر وذكر آدم عليه السلام لنقيض ما ذكرناه في حواء ونسيان آدم عليه السلام إنما كان لما أخبره الله تعالى به من عداوة إبليس وما تخيل آدم عليه السلام أن أحداً يقسم بالله كاذباً

(١) الطِّيَرَةُ: التشاؤم.

(٢) الفَأْل: قول أو فعل يُستبشر به. ويقال: لا فأل عليك؛ أي: لا ضير ولا شرّ (ج) أفؤلٌ وفؤول، وقد تُسهّل الهمزة فيقال: الفال.

فلما أقسم بالله أنه ناصح لهما فيما ذكره لهما تناولا من الشجرة المنهي عنها وفي هذا تنبيه في أن الاجتهاد لا يسوغ مع وجود النص في المسألة وفي عداوة إبليس لحواء بشرى لها بالسعادة لأنها لو كانت من حزب الشيطان ما كان عدواً لها والذم تعلق بصورة الكسب لا بالفاعل المكتسب ولو تعلق الذم بالمكتسب لبغضنا العصاة ونحن إنما نكره منهم المعصية ولا تزال المعصية مكروهة أعني معصية الله وكذلك أيضاً لا تقع الكراهة منا على السبب المعصي به فإنه قد ينسخ تحريمه ويرجع حلالاً فتزول الكراهة فلو تعلق الذم به لعينه لم يزل مذموماً فتعلق الذم إنما هو لأمر دقيق خفي إضافي يكاد لا يثبت وكذلك الحمد فافهم، وتفطنت المعتزلة لسر في هذه المسألة فانتبهت له الأشاعرة وهو سر دقيق حسن فحقق النظر فيه تجد الذي عثرت عليه المعتزلة.

ثم نرجع ونقول فلما وقع ما وقع من آدم وحواء أهبطا إلى الأرض فهذا سفر في الظاهر من عنده وكذلك سفر إبليس من عنده فوجد إبليس في سفره الملك والراحة التي يؤل بها إلى الشقاء الدائم ووجد آدم المشقة والتعب والتكليف الذي يؤل به إلى السعادة وكان من علو سفره هذا أنه سافر من شهوة نفسه إلى معرفة عبوديته فإن الجنة لمجرد الشهوات لهذا قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] وأكمل له هنا لباسه فإنه كان في الجنة صاحب لباس واحد وهو الريش ولم يعرف طعماً للباس التقوى لأن الجنة ليست بمحل للتقوى لأنها نعيم كلها والتقوى يطلب ما يتقي منه فأذن فلا يكون في الجنة.

ولما لم يكن عنده عليه السلام لباس التقوى ووقع النهي لم يكن له علم بما يتقيه إذ التقوى من صفات هذه الدار وما عدا الجنة فلما نزل من الجنة أنزل عليه لباس سر النشأة ولباس التقوى ثم نهى وأمر وكلف فلم يتصور منه بعد ذلك مخالفة حماية هذا اللباس فصار نزوله إلى هذه الدار من تمام نشأته ومرتبته ثم رحلته إلى الجنة من كمال مرتبته ونفسه والدنيا دار تمام والآخرة دار كمال وليس بعد الكمال مطلب فما بعد الدار من دار أصلاً فأقام آدم عليه السلام في سفره هذا يقتني المعارف الكسبية من جهة التكليف التي لم يكن يحصل له دون التكليف وهذا إن الدنيا دار تمام للعبد واقتناء المعارف الفكرية التي لا تعطيها إلا الدنيا فإن نشأة الجنة كشف كلها واحد يقتني معارفة التدبير والتفصيل والحسن والأحسن والأولى والأحرى ومعرفة الترتيب ابتداء وهذا لا يكون إلا في الدنيا من أجل كثافة النشأة والبخارات المانعة من الكشف فيحتاج إلى قوة لا يكون له إلا بوجود هذه الموانع ولولاها لم تعطه فهذا من تمامه ولهذا قال سهل بن عبد الله: ليس للعقل فائدة في الإنسان إلا ليدفع به الإنسان سلطان شهوته خاصة وإذا غلبت الشهوة بقي العقل لا حكم له.

ومما يؤيد ما ذكره سهل ما أطلعنا الله تعالى عليه عند كشف الأسرار فأرانا في

أسرارنا بإلهامه الأنزه أن الملائكة في المعارف خلقت وكذلك الجمادات والنباتات والحيوان خلق في المعارف والشهوة ولهذا هو مع معرفته وشفقته من الساعة لا يرجع عن شهوته وشفقته من أجل ما يصير إليه مع ما نراه من المخالفة منا، رأى بعضهم رجلاً يضرب رأس حمار له فنهاه عن ذلك فقال له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب والإنسان خلق في المعارف الضرورية والشهوة والعقل فبعقله يرد شهوته ومما اقتناه آدم عليه السلام في معصيته وسفره من أسماء ربه ومن آثارها ومشاهدتها التي لم تكن قبل ذلك يعرفه وهو الغافر المغفرة وإن كان الغفور فمن أجل أن معصيته شديدة بالنسبة إلى مقامه يقتضي ما تقتضيه مائة ألف معصية من غيره مثلاً وهو سبحانه في حق هذا الغير غفور فقد يكون غفوراً في حق آدم من هذا الوجه وغافراً من كونها مخالفة واحدة وربما وقعت بتأويل منه ولو نسي النهي ما عوقب أصلاً وإنما نسي ما ذكرناه، وكذلك اقتناء الاجتباء والتوبة والاستغفار والعفو والخوف وإلا من الوارد عقيب الخوف فإنه أشد لذة من الاستصحاب وكذلك نتج له هذا السفر معرفة التركيب والإنشاء والتحليل فعرف من ذلك نشأة بنيته بتعاقب الأدوار شيئاً بعد شيء بخلاف تكوين الجنة فإنه دفعه في حق الناظر وإن الهم مصروف في الجنة لمجرد اللذة والنعيم والهم في الدنيا مصروف إلى الزيادة من العلم والبحث عنه فلهذا يعرف من هنا ما لا يعرفه من هناك فينتج له سفره من مثل هذا كثيراً والأسفار كثيرة وأخاف من التطويل وهذا السفر للآدمي يحوي على كثير يحتاج أن يفرد له ديوان كذلك كل سفر ذكرناه ونذكره في هذا الكتاب فالحق ما سكتنا عنه بما تكلمنا عليه ما يناسب ترشد إن شاء الله.

سفر إدريس عليه السلام

هو سفر العز والرفعة مكاناً ومكانة

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧] ويقال إنه أول من كتب بالقلم من بني آدم فأول إمداد القلم الأعلى له عليه السلام كان قد أسرى به إلى أن بلغ السماء السابعة فصارت السموات كلها في حوزته.

واعلموا أن السموات كلها قد جعلها الله محلاً لعلوم الغيبية المتعلقة بما يحدث الله في العالم من الكائنات جوهرها وعرضها صغيرها وكبيرها وأحوالها وانتقالاتها وما من سماء إلا وفيه علم مودع بيد أمينها وأودع الله نزول ذلك الأمر إلى الأرض في حركات أفلاكها وحلول كواكبها في منازل الفلك الثامن وجعل لكواكب هذه السموات السبع اجتماعات وافتراقات وصعوداً وهبوطاً وجعل آثارها مختلفة وجعل منها ما يكون بينه وبين كواكب أخر مناسبة وجعل منها ما يكون بينه وبين كواكب أخر منافرة كلية

وذلك أنه إذا أودع عند الواحد ضد ما أودعه عند الآخر كانت المنافرة لا أنهم أعداء وإنما ذلك لحقائق خلقهم الله تعالى عليها يقضي بذلك ويشغلهم بطاعة ربهم وتسبيحه لا يعصون الله ما أمرهم كما جاء في خلقه مالك خازن النار أنه ما ضحك قط بخلاف رضوان الذي خلق من سرور وفرح وكلاهما عبدان صالحان مطيعان ليس بينهما عداوة ولا شحناء غير أن الآثار هنا في العالم الأسفل تنبعث عن تلك الحقائق وعندنا أغراضنا قائمة فتقع بيننا التحاسد والعداوة والأصل من ذلك وأما عدم المنافرة بين المتناسبين منها فهو إن أوجد الواحد على خلاف ما أوجد الآخر لا على ضده فكل ضد خلاف وما كان خلاف ضد فإن وكيل السماء السابعة يضاد وكيل السماء السادسة حتى أن ما يعلمه صاحب السماء السادسة إذا صار وقت الحكم فيه للملك الموكل فيه في السماء السابعة أفسد ما أصلحه صاحب السماء السادسة كما يفعل أيضاً صاحب السادسة إذا أصلح ما يفسده صاحب السابعة وكل ملك ما عنده أنه يفسد وإنما يقول في فعله أنه أصلح من حيث إنه امتثل فيه أمر ربه وأدى ما أمن عليه وهو الأمر الذي ذكر الله تعالى أنه أوحى في السموات فقال عز من قائل: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] فإذا أنست بهذ القدر وعلمت أنه لا يطعن في العقد وإلا فأية فائدة كانت في قول الله تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] فبماذا سخرها يا أخي في هذا وأشباهه أليس الله قد سخر العالم بعضه لبعض فقال: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] فذكر أن في السماء أموراً مسخرة لنا مثل الأرض فلا يقدح في عقيدة مسلم كونه يعلم ما أوحى في السماء من أمرها وفيماذا سخرها عالمها ولو كان ذلك لأطرد في الأرض وفي السماء ونحن في كل زمان نهرب إلى الأسباب التي نصبها الله لنا وعرفنا بها على جهة أنها مسخرة لا على أنها فاعلة نعوذ بالله لا أشرك به أحداً وإنما كفر الشارع من اعتقد أن الفعل للكواكب لا لله وأن الله يفعل الأشياء بها هذا هو الكفر والشرك وأما من يراها مسخرة وأن الله أجراها حكمه فلا بل من جهة ما أودع الله فيها وما أوحى الله فيها من الأمور ورتب فيها من الحكم فقد فاته خير كثير وعلم كثير وماذا بعد الحق إلا الضلال.

واعلم أن إدريس عليه السلام لما علم أن الله تعالى بالعلم الذي أوحاه إليه قد ربط العالم بعضه ببعضه وسخر بعضه ورأى أن عالم الأركان مخصوص بالمولدات رأى اجتماعات الكواكب وافتراقها في المنازل واختلاف الكائنات واختلاف الحركات الفلكية ورأى السريعة والبطيئة وعرف أنه مهما جعل سيره وسفره مع البطىء أن السريع يدخل تحت حكمه فإن الحركة دورية لا خطية فلا بد أن يرجع عليه دور الصغير السريع فيعلم من مجاورة الهبط فائدة المسرع فلم ير ذلك إلا في السماء السابعة فأقام عندها ثلاثين سنة يدور معها في نطع فلك البروج في مركز تدوير وكيلها وفي الفلك الحامل لفلك

التدوير والفلك الحامل لأفلاك التداوير هو الذي يدور به فلك البروج فلما عاين ما أوحى الله في السماء وعاين أن الكواكب قريبة الاجتماع من برج السرطان فعلم أنه لا بد أن يكون الله ينزل ماء عظيماً وطوفاناً عاماً لما تحققه من العلم ومشى في دقائق الفلك فعلم الجمل والتفصيل.

ثم نزل فاختص من أبناء دينه وشرعه ممن عرف أن فيه ذكاء وفطنة فعلمهم ما شاهد وما أودع الله من الأسرار في هذا العلم العلوي وأنه من جملة ما أوحى الله في هذه السماوات أنه يكون طوفان عظيم ويهلك الناس وينسى العلم وأراد بقاء هذا العلم على من يأتي بعدهم فأمر بنقشها في الصخور والأحجار ثم رفعه الله المكان العلي فنزل بفلك الشمس وهو الفلك الرابع وسط الأفلاك السماوية وهو القلب، لأن فوقه خمس كور وتحته مثل ذلك فأعطاه الله في هذا السفر الذي رفعه به إليه مقام القطبية والثبات وجعل الأمر يدور عليه وعنده يجتمع الصاعد والنازل ونتج له هذا السفر علم الزمان والدهر وما يكون فيه وعلم الزمان من اسنى المعارف الموهوبة نتج له روحانية الليل والنهار وما سكن فيهما فمن سافر إلى عالم قلبه كما سافر إدريس عاين الملكوت الأفخم وتجلى له الجبروت الأعظم وعاين سر الحياة الذي هو روحها والساري بها في جميع الحيوانات وفرق بين الروح الكثير والروح القليل وأعطى كل ذي حق حقه وعرف من كتب نقوشه السفلية ومراتب أرواحه العلوية وانبعاث الفروع من الأصول وانعطاف الفروع على الوصول وصورة الكون وحكمه الدور وما أشبه هذه المعارف ويكفي هذا القدر من سفر إدريس عليه السلام.

سفر النجاة وهو سفر نوح عليه السلام

لما عرف نوح عليه السلام أن القرآن الذي قدره الله وأجراه حكمه قد قرب وقته ورأى أن ذلك يكون في برج السرطان وهو مائي وهو البرج الذي خلق الله الدنيا به وهو منقلب غير ثابت ولما كان البرج بهذه الصفة فكان طالع الدنيا به شاء الحق بفنائها وانقلابها إلى الدار الآخرة مثل طالعها وهو الأسد برج ثابت وهذه حكمة عليم فأخذ نوح عليه السلام ينشىء السفينة ولم يكن آيته ﷺ في القرآن ولا في الطوفان فإنه ربما أدرك علم ذلك بعض أصحابه من العلماء فشورك فيه فجعل آيته التنور ولو قال بالقرآن لكان علماً لا علامة ولا آية ولهذا سخر به قومه وربما سخر به أصحاب علم التعاليم من أهل عصره حتى كان من أمره ما كان وخلف ابنه لكونه عملاً غير صالح فكان من المغرقين وسافر نوح بأصحابه وجعل في السفينة من كل زوجين اثنين وقال: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١] بعدما فار التنور وألقت الحاملات حملها فجمع له في الإهلاك بين المائين ماء الأرض وماء السماء ولم تزل تجري بهم السفينة في موج كالجبال ونوح عليه السلام ينادي ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾

[هود: ٤٢] والابن ينادي ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣] ونوح عليه السلام يقول ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود: ٤٣] وهم أهل السفينة فإن دعاءه ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] سبقت وأجيبت ففرق من آوى إلى الجبل وكل من لم يكن في السفينة ثم جاء النداء من الغيب من الهواء فإنه لم يذكر المنادي نفسه فيه وجاء بالقول دون النداء للقرب فبلعت الأرض ماءها وأقلعت السماء وانتقص الماء واستوت سفينة النجاة على الجودي(١) إشارة إلى الجود الإلهي وقال هذا القول من هذا المقام ﴿بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وهم الذين سخروا فاعلم أن الله عز وجل انهى السر اللطيف الذي أقامه الحق في هذا المنزلة منزلة نبيه نوح عليه السلام قد سوى سفينتك وصنعها بيديه ووحيه وكانت عند وحيه بعينه يعني محفوظة بحيث أراها يقول الله تعالى فمن أنت حتى ينزل الحق لك هذا النزول ولا سيما من مقام الإنابة.

ثم إن نفسك الأمارة بالسوء وشيطانك ودنياك وهواك لم يزالوا يسخرون بك ما دمت تنشيء هذه السفينة نشأة النجاة والتنور محل النار إلى جانبك يقول لهم منه يخرج الماء وهم قد تحققوا أن المقابل من جميع الوجوه لا يستحيل لمقابله أصلاً فسخروا وقالوا إنك ناقص العقل فما فرقوا بين محل النار والماء وذلك لجهلهم بجوهر العالم وصوره فلو علموا أن النار صورة في الجوهر والماء أيضاً صورة في الجوهر لما سخروا.

وإنما تخيلوا أن الماء جوهر وإن النار جوهر ثم تقابلا تقابلاً فأحالوا ما قال وسخروا منه وأنت مشتغل بإنشاء سفينتك أي سفينة نجاتك واستعدادك لأمر الله تعالى عن أمر الله وهو الأنا فقل للساخرين إنهم إن هلكوا في شيء فهم لما هلكوا فيه لا يخرجون منه أبداً وزيادة فاركب في سفينتك بالباء التي هي اسم الله وأقم ألف التوحيد بين الباء وسين باسم فإنك لا ترى في هذه الرحمٰن الرحيم فنحن نتخلف عن سفينتك فإن جريانها بالباء وهي الحافظة وبالباء مرساها بساحل الجود الإلهي فإن بالجود ظهر الوجود فظهر بالجودي ما كان في السفينة وألق في سفينتك من كل زوجين اثنين للتوالد والتناسل فإن تضرب العالم العلوي في العالم السفلي تتكون أنت والمولدات كلها فلا بد من تحصيل الزوجين في هذا السفر فإنه سفر هلاك.

ولما كان الماء يماثل العلم في كون الحياة عنهما حساً ومعنى لهذا أهلكوا بالماء لردهم العلم وكان من التنور لأنهم ما كفروا إلا بماء التنور وما ردوا إلا العلم الذي شافههم به على لسان تنور جسمه وما علموا أنه مترجم عن معناه الذي هو النور المطلق فانحجبوا بماء التنور عن التنور وما علموا أنه النور دخلت عليه تاء تمام النشأة بوجود الجسم فعاد تنوراً أي نوراً تام الملك فهو نور النار مظهره.

(١) الجُودِيُّ: الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام.

وأما إحالة الاستحالة فصحبهم فيما جهل وذلك لو أنهم نظروا إلى التنور لرأوه ينبع الماء منه وليس بينهما تقابل من جميع الوجوه فإن البرودة جامعة فقد جهلوا سر الله في الطبيعة وسر الله في اختصاص التنور فهلكوا وما هلك كل من شافهه بالخطاب إلا بماء التنور خاصة لأنهم ما ردوا سواه وسائر العالم إنما أهلك بماء التنور وماء السماء، وماء السماء فهو ماء الدولاب الدائر فإنه مقطر في إنبيق[١] الزمهرير[٢] وأنه عاد إلى مأمنه انتشار، وإهلاك الله عز وجل بالنار لكن هنا واسطة الرسالة فأدرج النار في الماء لما لم يكشف عن الساق فأخرج النار الرطوبات والبخارات وأخذ علواً وقد عاد النار بخاراً وأخذ في الجو أخذ الدولاب إذا خرج من الماء فما زال يصعد حتى بلغ دائرة الزمهرير فتقاطر مطراً بتقدير العزيز العليم فليست إلا دوائر التقدير في كرة الإنشاء لا تزال أبداً في الدنيا ولا في الآخرة فنتج هذا السفر وقف الحكمة الإلهية مع القدرة النافذة في التناسل على الزوجين ونتج له أن الإلهية إذا لم تكن علوية فليست بصحيحة النسب عليه ونتج له أن الجود علة تكون النجاة، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يدعو على قومه بالهلاك دعا عليهم بالبخل فلما بخلوا هلكوا وتبين أن كل كون في العالم لا بد أن يتوجه عليه القول فتارة يغيب الغيب إذا جاء القول على بناء ما لم يسم فاعله مثل وجيء يومئذ بجهنم وقيل بعداً وقيل يا أرض ابلعي ماءك وتارة بالأنا كقوله إذا قلنا وتارة بالألوهية مثل قال الله وتارة بالربوبية مثل قال ربك فكل قول بحسب الاسم الذي يضاف إليه فمن سافر سفر نوح فإنه سيعرف من العلوم البرزخية والكونية شيئاً، وفي هذا السفر يتعلم الصنعة ولهذا أخرها الجود فإنها من أجل الجود وجدت ويكفي هذا القدر من سفر نوح فإن سره يطول.

سفر الهداية وهو سفر إبراهيم الخليل عليه السلام

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] فأضافه بفداء ابنه لما نزل عليه لأن اللذة إنما تعظم على قدر الغصة ثم إنه لما بشر في إجابة دعائه في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠] ابتلي فيما بشر به لأنه سأل من الله سواه والله غيور فابتلاه بذبحه وهو أشد عليه من ابتلائه بنفسه.

وذلك أنه ليس له في نفسه منازع سوى نفسه فبأدنى خاطر يردها فيقل جهاده وابتلاءه بذبح ابنه ليس كذلك لكثرة المنازعين فيه فيكون جهاده أقوى ولما ابتلي بذبح ما

(١) الإِنْبيقُ: جهاز كان يُستعمل قديماً في تقطير السوائل والزيوت الطيارة. وهو مؤلف من إناء مُقَبَّب تتصل به أنبوبة طويلة ضيقة توضع على فم إناء آخر يسمى القرعة، فيه ما يُراد تقطيره مغموراً بماء يغلي فيصعد بخاره ويجري في الأنبوب إلى قارورة ضيقة الفم، حيث يكون البخار صار ماءً مقطّراً. ولا يزال الإنبيق يُستخدم من الاستخلاص الزيوت الطيارة بالتقطير (ج) أنابيق. ومن العربية اشتق الاسم الأجنبي.

(٢) الزَّمهَريرُ: شدة البرد.

سأله من ربه وتحقق نسبة الابتلاء وصار بحكم الواقعة فكأنه قد ذبح وإن كان حياً بشر بإسحاق عليه السلام من غير سؤال فجمع له بين الفداء وبين البدل مع بقاء المبدل منه فجمع له بين الكسب والوهب فالذبح مكسوب من جهة السؤال وموهوب من جهة الفداء فإن فداءه لم يكن مسؤولاً وإسحاق موهوب.

ولما كان إسماعيل قد جمع له بين الكسب والوهب في العطاء فكان مكسوباً موهوباً لأبيه فكانت حقيقة كاملة لذلك كان محمد ﷺ في صلبه بل لكون محمد ﷺ في صلبه صح الكمال والتمام لإسماعيل فكانت في شريعتنا ضحايانا فداء لنا من النار فمن طلب سفر الهداية من الله فليتحقق عالم خياله، فإن الحقائق لا بد أن تنزل عليه فيه وهو منزل صعب لأنه معبر ليس مطلوباً لنفسه وإنما هو مطلوب لما نصب له ولا يعبره إلا رجل ولهذا سمى تأويل الرؤيا عبارة لأن المفسر يعبر منها إلى ما جاءت له كما عبر النبي ﷺ من القيد إلى الثبات في الدين ومن اللبن إلى العلم.

فإذا وصل وجد فلو عبر الخليل عليه السلام من ابنه إلى الكبش لرأى الفداء قبل حصوله وكان يمتثل الأمر فارغ القلب لمعرفته بالمآل ولكن ظلمة الطلب والسؤال من ربه غير ربه منعه من العبور لأن الظلمة يتعذر العبور فيها لأنه لا يدري أين يضع قدمه ولم تكن أيضاً تحصل له تلك اللذة التي حصلت له ولا ذاك الامتنان الإلهي المشهود وكان الفداء بالحمل الذي هو بيت شرف الوسط وروح العالم لأنه أشرف البيوت فكان بدلاً من جسده لا من روحه لاشتراكهما في النسبة فإن الذبح لا يقع إلا في الجسم والهدم والخراب لا يقع إلا في البيوت.

فإذا سافر الإنسان في عالم خياله جازه إلى عالم الحقائق فرأى الأشياء على ما هي عليه وحصل له الوهب المطلق الذي لا يتقيد بكسب وصار يأكل من فوقه بعدما كان يأكل من تحت رجله ولما كان الوهب يبقيك بخلاف المشاهدة كان سحقاً ولم يكن محقاً فإن المسحوق مفرق الأجزاء فهو أبعد من حال المحق ولولا ما علق السؤال أولاً بقوله: ﴿هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] لكانت البشرى بالمشاهدة لا بإسحاق فإسحاق إسحاق السائل بسؤاله الكون من محق العين أي أبعده وكانت إشارة إلى مقام البعد المحال فإن الأمور الإلهية لا تنزل أبداً إلا بحسب الاستعداد والمحل هنا غير منجرد إليه فكيف ببهبة العين وهو غير قابل والواهب عليم حكيم والوقت قاض والابن من عالم التبديل.

سفر الإقبال وعدم الالتفات

وهو سفر لوط إلى إبراهيم الخليل عليه السلام واجتماعه به في اليقين

الخبر المروي في ذلك معلوم محفوظ عند العلماء وروحه فينا هو المطلوب لنا في الاعتبار.

اعلم أن اسم لوط أعني هذه اللفظة اسم شريف جليل القدر لأنه يعطي اللصوق بالحضرة الإلهية ولهذا قال: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [خزد: ٨٠] يريد القبيلة لأني لا أستطيع الانتقال من الركن الإلهي إلى الركن الكوني وقد شهد له رسول الله ﷺ بذلك فقال «يرحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى زكن شديد»[١] فنعم الشاهد والمشهود له فلاستناده إليه ولصوقه به في علم الله سمى لوطاً لم يضف إلى غيره وجعل له السرى لأنه سفر في الغيب إذ لفظ السرى لا يطلق الأعلى سير الليل ففي الاعتبار لا في التفسير قيل له أسر باهلك أي بجميع ذاتك فشاهد الحقائق كلها إلا امرأتك فاعتبرناها فينا الأمر بترك نفسه الأمارة بالسوء التي لا حظ لها في المعارج العلى المعنوية ويسار إلى اليقين وهو موضع معروف سمي بهذا الاسم وفيه كان ينتظره إبراهيم الخليل عليه السلام لأنه موطنه ولهذا قال ﷺ «نحن أولى بالشك من إبراهيم»[٢] في اليقين فحصل ذلك المقام للنبي لوط عليه السلام وفي الصبح جاء اليقين له لأنه طلوع الشمس وكشف الأشياء عيناً بعدما كانت غيباً فأعطت اليقين بلا شك ولا ريب.

فهذا أنموذج من ذلك أي حظنا من سفر لوط وكذلك كل سفر أتكلم فيه إنما أتكلم فيه في ذاتي لا أقصد التفسير تفسير القصة الواقعة في حقهم، وإنما هذه الأسفار قناطر وجسور موضوعة نعبر عليها إلى ذواتنا وأحوالنا المختصة بنا فإن فيها منفعتنا إذ كان الله نصبها معبراً لنا ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى فما أبلغ قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وقوله، وذكرى لما فيك وما عندك بما نسيته فيكون هذا الذي قصصته عليك يذكرك بما فيك وما نبهتك عليه فتعلم أنك على كل شيء وفي كل شيء ومن كل شيء.

شعر

فإني وإن كنت من كل شيء ... فإني مع الحق في كل شي
فإني ظل به ظاهر ... وإن كنت ظلا فإني لفي
فعين هبوطي صعودي إليه ... بسعد السعود لدى كل حي
فقد زاد رشدي على كل رشد ... كما زاد غيي على كل غي
كما هو مع كل ميت وحي ... كذا هو في كل نشر وطي

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٣٢٦، ٣٥٠).
(٢) أخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية ١/ ١٨٠).

سفر المكر والابتلاء

في ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام

اعلم أنه إذا أكرم الله عبداً سافر به في عبوديته يقول عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] فما سماه إلا بأشرف أسمائه عنده لأنه ما تحسن عبد بحسن أحسن ولا أزين من حسن عبوديته لأن الربوبية لا تخلع زينتها إلا على المتحققين بمقام العبودية:

يا مشبهاً يوسف في حسنه رفقاً على مشبه يعقوب
إنه له صبراً على نائكم يقصر عنه صبر أيوب
لولا لحوق النقص قلنا رضي وأنه ليس بمطلوبي
وإنما مطلبي منه الذي يعلمه فذاك مرغوبي
فالأمر ما بيني وبين الذي اسأله الوصل بمحبوبي

واعلم أن الذين تحققوا مقام العبودة تعرض لصاحبه للبلاء ثم إن من شأن هذا الموطن أنه لا يكمل فيه عز لأحد ولا راحة ولما وهب الله عز الحسن يوسف عليه السلام ابتلي بذل الرق ومع ذلك الحسن العالي الذي لا يقاومه شيء بيع بثمن بخس دراهم معدودة من ثلاثة دراهم إلى عشرة لا غير وذلك مبالغة في الذلة تقاوم مبالغته عزة الحسن.

ثم سلب الرحمة من قلوب الإخوة، والحسن مرحوم أبداً بكل وجه فظهر أن الأمر الإلهي لم يكن بيد الخلق منه شيء سوى التصريف تحت القهر فزال بهذا الذل العظيم عن ذلك الحسن العرضي فبقي في سفره طيب النفس عزيزاً بالعزة الإلهية لا غير والقصة معروفة فلا معنى لذكرها في عالمها ولكن الفائدة في ذكرها في عالمنا أعني العالم الإنساني في نفسه فاعلم أن الله تعالى لما أراد من النفس المؤمنة أن تسافر إليه اشتراها من إخوتها الأمارة واللوامة بثمن بخس من عرض العاجلة وحال بينها وبين العقل الذي هو أبوها فبقي العقل حزيناً لا تفتر له دمعة فإن الإلهام الإلهي والامداد الرباني إنما كان لهذا النفس وكان العقل يتنزه في الحضرة الإلهية بوجود هذه النفس فلما حيل بينه وبينها لم يزل يبكي حتى كف بصره وذلك أن البصر وإن لم يكن مكفوفاً صاحبه فإن الظلمة إذا تكاثفت وحجبت المبصرات صار صاحب البصر أعمى، وإن كان البصر موجوداً يبصر به الظلمة ولما كان الحزن ناراً والنار تعطي الضوء لذلك قيل: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [يوسف: ٨٤] فجاء بالبياض فإن البياض لون جسماني كما أن الضوء نور روحاني.

ثم إنه لما وقع البيع وحصل في الملك قيل للمرأة التي هي عبارة عن النفس

الكلي ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١] فمن كرامتها به أن وهبت نفسها له ورأته النفوس الجزئية خارجاً عنها فقالت: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: ٣١] لما رأته من تقديسه نفسه عن الشهوات الطبيعية وهذا مما يدلك على عصمته من أن يهم بسوء فإن الملك ليس من السوء في شيء ولهذا صوبت النفس الكلي قولهم لها فاستعصم ولئن لم يفعل لأسجننه فعندما همّ بها ليأخذ منها ما أودع الله من الحقائق فيها من غير أمر إلهي له بذلك غار الحق أن يتصرف عبده في شيء من غير أمره فأظهر له في سره برهان عبوديته فتذكر عبوديته فامتنع من التصريف بغير أمر سيده فحبسته النفس في سجن هيكله فلم يزل يناجي في سره سيده بالعبودة حتى أقرت النفس أنها الطالبة لا هو فأثبت له السيد الحفظ والأمانة ولو همّ بسوء لم يكن أميناً ولو فعل لم يكن حفيظاً ولهذا قال: ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ [يوسف: ٢٤] والهمُّ بالسوء من السوء وهو مصروف عنه أعني السوء فلم يُكن يهم بسوء فولاه الملك والسيادة بدلاً من العبودية الكونية الظاهرة التي كان فيها قبل ذلك.

ثم أجدب محل العقل الذي هو الأب وسمع بالرخاء الذي في مدينة ابنه وهو لا يعلم أنه ابنه لأنه أعمى فبعث إليه بالرحم المتصلة لينيله شيئاً مما أمن عليه فبعث إليه بثوبه الذي فيه رائحته وهو على صورته فلما استنشق الرائحة وألقاه على وجهه أبصر قميصه فأخذ في الرحلة إليه ابتداء في عز يناقض سفر ابنه فلما دخل عليه سجد لأنه معلمه الذي يهبه من الله ما تقوم به ذاته ويتنعم به وجوده فقد تبين أن النفس هنا بمنزلة يوسف بوجوه.

أحدها: ما ذكرناه من وقوع البيع والشراء ومنها قوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [يوسف: ١٠١] والملك فيه المطيع والعاصي والموافق والمخالف وفي النفس قيل: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس: ٨].

ومنها أيضاً قوله: ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ١٠١] وقال: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] والرؤيا إنما تكون من عالم الخيال وهو العالم الوسط وهو بين عالم العقل وعالم الحس وكذلك النفس بين عالم العقل وعالم الحس فتارة تأخذ من عقلها وتارة تأخذ من حسها هكذا ولهذا دفعت المرأة لغلبة الأنوثة وإن كان تأنيثها غير حقيقي مع ذلك الحس فلو كانت الذكورية غالبة لم تدفع للنفس من أجل المودة والرحمة التي يسكن بها الذكر للأنثى والأنثى للذكر بخلاف الأنثى للأنثى والذكر للذكر فإن المودة لا تثبت بينهما ولولا الشبه الذي ظهر في الغلمان بالإناث ما حن إليهم أحد فالحنان إنما وقع على الحقيقة للأنثى إما بالحقيقة أو بالشبه ولهذا إذا بقل[1] وجه الغلام

(١) بَقَلَ وجه الغلام: نبت شعره.

وطر[1] شاربه رحلت المودة والرحمة التي كانت توجب السكون إليه ولهذا قيل:

وقالوا العذار جناح الهوى ... إذا ما استوى طار عن وكره

هذا البيت أنشدنيه قائلة وهو الكاتب الأديب أبو عمرو بن مهيب بإشبيلية عمله في حمو بن إبراهيم بن أبي بكر الهدنجي وكان أجمل أهل زمانه رأه عندنا زائراً وقد خط عذاره فقلت له يا أبا عمرو أما ترى إلى هذا الحسن الوجه فعمل الأبيات في ذلك وهي:

وقالوا العذار جناح الهوى ... إذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذاك فخيرهم ... قياماً لعذري أو عذره
إذا كمل الحسن في وجنة ... فخاتمه ويك من شعره

وقد ورد أن في وجوه الغلمان لمحات من الحور العين فيا أيتها النفس المنيعة احذري في سفرك أن تغفلي عما يجب عليك لسيدك من الوقوف عند حدوده والحفظ لحرمه فإنك إذا فعلت ذلك سينيلك حرمته بحرمته ويهبك نعمته بنعمته.

سفر الميقات الإلهي لموسى عليه السلام

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الديار من الديار

اعلم أن العبد إذا كان عبداً حقيقة ووفى الجناب الإلهي السيادي ما يستحقه من الأدب والخدمة وكان معه أبداً على قدم الحذر والمراقبة لأنفاسه لعلمه بأنه يعلم السر وأخفى فلا يطمع في شيء منه البتة فلا يزال جامداً لا تقوم به حركة عن موطن عبوديته ولا شوق إلى منحه من منح سيده فكيف إلى مجالسته أو محادثته أو مسامرته غير أن الشوق كامن في فطرة العبد بما هو إنسان كالنار في الحجر:

النار في احجارها مخبوة ... لا تصطلي ما لم يثرها الأزند[2]

فلا يظهر إلا بشيء غريب زائد على ذاته فإن وعد السيد عبده لمحادثته أو مجالسته ثار الشوق الكامن بين ضلوعه وحن إلى وعد ربه لكن لا يدري متى يفجأه الوعد لكونه غير مربوط بحد وأجل فإن كان الوعد بضرب ميقات هاج الشوق وعظم غليانه لانقضاء المدة فأعطى العجلة عند العبد وهو قوله: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: ٨٣] وكان معذوراً فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

(١) طَرَّ شاربه: قصّه.
(٢) الزَّنْدُ: العود الأعلى الذي تُقدح به النار، ويُطلق الزند الآن على الآلة الفولاذية الصغيرة التي تجعل الشرر يتطاير من الحجر الصواني عندما نقدحه بها (ج) أزناد وزناد وأزند.

ثم إن المواقيت لما كانت آجالاً كان حكمها حكم الآجال وحكم الآجال كما قد سمعت في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٢] كذلك قال: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]فهذا ميقات ثم قال: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] وهذا الميقات المضروب ميقات غيب لأنه ليلي إذ كان الأمر الذي أجله ضرب الميقات غيباً أيضاً فإن المدلولات أبداً تطابق أدلتها فلما تعينت المدة بالثلاثين ولم يخوفه أولاً بالأربعين لئلا يطول عليه أو يحدس في سره بذكر الأربعين التي هي أربع من العقد.

إن ذلك إشارة إلى انقضاء هيكله المربع فيعظم أسفه ولا يقل وأين الأربعون من الأربعة فاعلم أن هذا الهيكل إنما قام من الأربعة المركبة وهي الأربعون والأربعة لا تركيب فيها فإنها بسائط ولكن هي أصل الأربعين فكذلك هذا الهيكل لم يقم من البسائط الأربعة التي هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وإنما قام من المركبة التي هي السوداء والصفراء والبلغم والدم وكل واحدة من هذه مركبة من حرارة ويبوسة كالصفراء وحرارة ورطوبة كالدم وبرودة ويبوسة كالسوداء وبرودة ورطوبة كالبلغم فكان الوعد المسمى بالأربعين عنده وجاء الذكر بالثلاثين لما ذكرناه ولم يكن المراد بالأربعين إلا هذا أو مثله مما يطابقه فإن الأمر الحاصل بعد الميقات لا يبقى رسماً للعبد عند العبد فإن كانت محادثة فالعبد إذن كله وإن كانت مشاهدة فالعبد عين كله فقد زال عن حكم ما تقتضيه ذاته مع أنه تقتضيه ذاته ولكن لا لعينها ولم يكن قبل ذلك ذاق هذا المقام ولا شاهد هذه الحال فبالضرورة كان يبعد عنده ولذلك قال:

إذا ما تجلى لي فكلي نواظر ... وإن هو ناداني فكلي مسامع

فلما أكمل الثلاثين وهو الميقات الأول حركه بالتطهير لإظهار تمام الميقات فاستاك[1] فأتم الميقات من أجل السواك[2] ولو أتمه من غير أن يجعل تمامه مشعراً بعقوبة لحزن موسى عليه السلام وظن أنه أيضاً يعده العشر بعد آخر فلما جعل لذلك سبباً وهو تطهير الفم لجأ إلى التحفظ فلم يتحرك في شيء من غير أمر إلهي وأيضاً لما أوقع التقديس خرج عن عبوديته والحضرة الإلهية لا تقبل إلا العبد والعبد ليست له القدوسية فغارت أن يدخل عليها المنازع لها في صفتها من التقديس ولا سيما بغير أمر إلهي فإن العزيز لا يراه ذو عزة وإنما يراه الذليل لأنها ما تجد ما يمنحه فالعزيز إذا دخل على العزيز ليس له ما يمنحه إلا العزة وبها دخل عليه فما يمنحه فلا سبيل إلى دخوله عليه إلا بما تقتضيه حقائق العبودية فلهذا أيضاً أتم له عشراً ليزول عنه التقديس الذي

(١) استاك استياكاً وتسوّك تسوُّكاً: تدلّك بالمسواك، ونظف فمه وأسنانه به.
(٢) السِّواك: عُود الأراك الذي تُنظَّف به الأسنان بالدلك (ج) سُوُكٌ.

ابتغاه وهذه كلها أسباب إلهية وضعها الحق في العالم لإظهار حكمته في كونه فإذا تم الميقات وتحرر العبد بتمامه من رق الأوقات ولم يبق عبداً إلا له تعالى وفاه وعده فناجاه وكلمه فبعد أن وفاه الوعد حظه وقدس سمعه ولفظه وأعطاه الكلام الكل كما أعطاه السمع الكل فإنه كما كان أذناً كله عند سماعه كان لساناً كله عند مراجعته فعرف ذوقاً ومشاهدة عين أن الكل يقبل الكل وأنه واحد في كل حضرة يتميز فهذا سفر غيبي معنوي زماني ظهر في اللسان المحمدي بقوله، من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فيسمع أولاً قلبه ثم ينطق لسانه بما وعاه سمع قلبه ولكن صاحب هذا السفر لا بد أن يخلف في قومه من ينوب منابه.

وقد ذكرنا المسافر فانظر أنت يا أخي في النائب حتى يكون لك في المسألة مدخل بوجه ما وعند التجلي يكون سفر الجبال منهزمة أمام جلال المتجلي إذ لا طاقة للجبال على مشاهدة الغيب أصلاً ولهذا قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] هذا مع التنزل فكيف مع سماع الكلام برفع الوسائط فكيف الرؤية فتحقق هذا الفصل تشهد علماً كثيراً.

سفر الرضا وهو قوله عز وجل

عن موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] حين قال له: ﴿۞وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [طه: ٨٣].

عجلت إلى ربي ليرضى لسرعتي ... فلما وصلنا قال لم عجل العبد
فقلت له الوعد الكريم أتى بنا ... إليك ولكن ما أرى صدق الوعد
فقال لي الرحمٰن كمل شروطه ... كما قد أمرتم فانتفى القرب والبعد

ومن ذلك:

إن الرضا هو أصلي ... الذي خلقت عليه
وحدي ولم أر غيري ... يؤول فيه إليه

مواهب الله لا نهاية لها فما لها آخر ترجع إليه فتنقضي والعبد ما توفي فيما كلفه الله وسعه ولاحق استطاعته فصح وثبت رضي الله عنهم فيما أتوا به من الأعمال ورضوا عنه ورضوا بما وهبهم مما عنده مما لا يتناهى كثرة فرضي الله عنهم ورضوا عنه فالرضا من صفات الحق والرضا من صفات الخلق بما ينبغي للحق وبما يليق بالمخلوق وإن كان لا يستغني عن الابتداء الإلهي لأنه فقير بالذات محتاج على الدوام لبقاء وجوده وإبقائه عليه وفي رضائي عنه رضاه عني وأنا حكيم وقتي عليّ يدور الوجود ويخدمني.

إن الحكيم الذي الأكوان تخدمه ... لأنه ينزل الأشيا منازلها

يبدو إلى كل ذي عين بصورته ... ولا يقول بأن الحق نازلها
فإن تبدت إلى عيني حقيقته ... يكون كوني بلا شك منازلها

واعلم أن الإنسان إذا جهل حاله جهل وقته ومن جهل وقته جهل نفسه ومن جهل نفسه جهل ربه فإن رسول الله ﷺ يقول «من عرف نفسه عرف ربه»، إما بالنقيض كالمعرفة العامة وإما بالصورة كالمعرفة الخاصة وهي التي عول عليها أهل الخصوص من الجماعة ونحن وإن كنا نقول بذلك فمعرفة العامة عندنا أرجح، فإنها الجامعة بين الابتداء والانتهاء وإليها الرجوع ولا بد عامة وخاصة فاعلم ذلك، وكن على بصيرة من أمرك في ذلك وعلى سنة من ربك عسى يتلوك شاهد منك فتكون سعادتك به إن شاء الله فتكون ممن سبقت له الحسنى من الله جل ثناؤه وعز جلاله ولما قال الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣﴾ [طه: ٨٣] أضرب موسى عليه السلام عن الجواب وجوابه أن يقول أعجلني كذا وكذا ويبين فقال: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ [طه: ٨٤] يشير إلى حكم الاتباع ثم ذكر عجلته فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] إني سارعت إلى إجابة دعائك حين دعوتني وقومي على أثري فقال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: ٨٥] أي اختبرناهم وأضلهم السامري بالعجل الذي قال لهم هو في شأنه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] وسبب ذلك أنه لما مشى مع موسى عليه السلام كشف الله عن بصره حتى أبصر الملك الذي هو على صورة الثور من حملة العرش فتخيل إله موسى الذي يكلمه فأخرج لهم العجل وكان قد عرف جبرئيل حين جاءه وأنه لا يمر بشيء إلا حيي بمروره فقبض قبضته من أثر فرس جبريل ورمى بها في العجل فحيي العجل وخار لأنه عجل والخوار صوت البقر وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى ونسي السامري إذا سأله عابدوه أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً فقال لهم هارون: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٠] فقال لهم ما ذكر الله في كتابه عنه أنه خاطبهم به.

سفر الغضب والرجوع

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ [الأعراف: ١٥٠].

غضبت على نفسي لنفسي فلم أجد ... سواه فقلت الذنب للمتقدم
فما زلت مسروراً وما زلت قارعاً ... لما كان مني فيه سر التندم
فلو كنت حقاً لم أكن واحداً به ... ولو كنت خلقاً لم أقل بالتقدم

غضبان على قومه أسفاً عليهم لما فعلوه من اتخاذهم العجل إلهاً وإنما كان عجلاً لأن السامري لما مشى مع موسى عليه السلام في السبعين الذين مشوا معه كشف الله عنه غطاء بصره فما وقعت عينه إلا على الملك الذي على صورة الثور وهو من حملة

العرش لأنهم أربعة واحد على صورة أسد وآخر على صورة نسر وآخر على صورة ثور ورابع على صورة إنسان فلما أبصر السامري الثور تخيل أنه إلٰه موسى الذي يكلمه فصور لهم العجل وقال هذا إلٰهكم وإلٰه موسى وصاغه من حليهم ليتبع قلوبهم أموالهم لعلمه أن المال حبه منوط بالقلب وعلم أن حب المال يحجبهم أن ينظروا فيه هل يضر أو ينفع أو يرد عليهم قولاً إذا سألوه.

وقال لهم هارون يا قوم إنما فتنتم أي أخبرتم به لتقوم الحجة لله عليكم إذا سألتم وإن ربكم الرحمٰن ومن رحمته بكم أنه أمهلكم ورزقكم مع كونكم اتخذتم إلهاً تعبدونه غيره سبحانه ثم قال لهم فاتبعوني لما علم أن في اتباعهم إياه الخير وأطيعوا أمري لكون موسى عليه السلام أقامه فيهم نائباً عنه فقالوا لن نبرح عليه يريدون عبادة العجل عاكفين أي ملازمين حتى يرجع إلينا موسى الذي بعث إلينا وأمرنا بالإيمان به فحجبهم هذا النظر أن ينظروا فيما أمرهم به هارون عليه السلام فلما رجع موسى إلى قومه وجدهم قد فعلوا ما فعلوا فألقى الألواح من يده وأخذ برأس أخيه يجره إليه عقوبة له بتأنيه في قومه فناداه هارون عليه السلام بأمه فإنها محل الشفقة والحنان: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ﴾ [طه: ٩٤] ولقد خشيت لما وقع ما وقع من قومك أن تلومني على ذلك: ﴿بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤] أي تلزم قولي الذي أوصيتك به.

ثم رد وجهه إلى السامري فقال له فما خطبك أي ما حديثك يا سامري فقال له السامري ما رآه من صورة الثور الذي هو أحد حملة العرش فظن أنه إلٰه موسى الذي يكلمه فلذلك صنعت لهم العجل وعلمت أن جبريل ما يمر بموضع إلا حيي به لأنه روح فلذلك قبضت من أثره لعلمه بتلك القبضة فنبذتها في العجل فخار فما فعل السامري إلا عن تأويل فضل وأضل فإنه ما كان تأويل يصيب مع علمه أن التجلي في الضوء جاءت به الشرائع مع التنزيه.

فقبل موسى حذر أخيه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١] وأما الذين عبدوا العجل فما اعطوا النظر الفكري حقه للاحتمال الداخل في القصة فما عذرهم الحق ولا وفى عابدوه النظر في ذلك، فثبت بهذه الآية النظر العقلي في الإلهيات حتى يرد الشرع بما يرد في ذلك، وأما الذلة التي نالت بني إسرائيل فمشهودة إلى اليوم ما أقام الله لهم علماً وما زالوا أذلاء في كل زمان وفي كل ملة وجعل الله ذلك جزاء المفتري على الله حيث نسب إليه من غير ورود شرع ما لا يليق في النظر الفكري أن يكون عليه الآله المعبود من الصفات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سفر السعي على العائلة

لقد فزت بالسعي الجميل على أهلي بربي فجلى لي العناية في شغلي
فلولاهم ما كنت عبداً مقرباً ولا كنت من أهل السيادة والفضل
ولا سلكت نفسي إذا ما زجرتها عن الشغل بالأكوان في أقوم السبل
وكنت من المختار في ظل عرشه إذا كانت الأنصار تأتي مع الرسل

قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: ١٠] فانظر ما أعجب قوة النبوة لأنه وجد الهدى وهذا يدلك على أنه ما قطع فيما أبصر أنه نار ولا بد وكل نار فهو نور إذا اشتعل والأنوار محرقة بلا شك في الأجسام القابلة للاحتراق والاشتعال، ورد في الخبر الصحيح: لأحرقت سبحات وجه ما أدركه بصره من خلقه[١]. والسبحات الأنوار وأخبر أن السبحات تبلغ أشعتها مبلغ ناظر العين في الإدراك.

واعلم أن الأمر الواحد قد تكون له وجوه مختلفة من كونه كذا عنه كذا ومن كونه كذا أي حكم آخر يكون عن ذلك أمر آخر فالأمر من كونه يرى ما هو من كونه يعلم ومن كونه ما هو من كونه يسمع وإن كان الأمر الذي يدرك به أمر واحد في عينه وتختلف تعلقاته فنقول فيه بالنظر إلى الأمر الواحد أنه يسمع بما به يبصر بما يتكلم إلى غير ذلك وبعض النظار يجعل لكل حكم إدراكاً خاصاً غير الإدراك الآخر فتعدد وإن كنا لا نقول بذلك ولكن سقناه ليعلم السامع أنا قد علمنا أن ثم من يقول بهذه المقالة وإن كنا لا نرتضيها وإنما اختلف التعلقات لاختلاف المتعلق لا لاختلاف المتعلق اسم فاعل:

فالعين واحدة والحكم مختلف والقائلون بذا قوم لهم نظر
اللَّه أعظم أن تدرى مقاصده في خلقه بل له الآيات والعبر
جل الإلٰه فلا عقل يحصله وعز قدراً فما يحظى به بشر
لكن له صور فينا محققة جاء الخطاب بها في ضمنها صور
تعنو لصورة من يعزى له صور فما ترى صوراً إلا لها سور

واعلم أن كل خير في السعي على الغير والسعي على الأهل من ذلك وشرف الأهل بشرف من يضاف إليه ورد في الحديث في أهل القرآن أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته[٢] فما أعظم أجر من سعى في حق الله إلا من أجل الأهلية فافهم، إذا كانت

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٢٩٣)، وابن ماجة (مقدمة ١٣)، وأحمد بن حنبل ٤/٤٠١، ٤٠٥.
(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٣/٢٤٢).

عناية الله بأهل البيت النبوي المحمدي ما ذكر الله في كتابه لنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال الفراء لما سُئل عن الرجل ما هو؟ قال القدر فإذا كان الله تعالى مع أهل بيت النبوة يريد ذهاب الرجس وحصول التطهير فما ظنك بأهل القرآن الذي هم أهله وخاصته، فالحمد لله الذي جعلنا منهم وأقل الأهلية في ذلك حمل حروفه محفوظة في الصدور فإن تخلق بما حمل وتحقق به وكان من صفاته فبخ[١] على بخ.

ولقد بلغني عن أبي العباس الخشاب من أصحاب أبي مدين رضي الله عنه بمدينة فاس أن رجلاً دخل عليه وبيده كتاب من كتب الطريق فقرأ عليه ما شاء الله وأبو العباس ساكت فقال له الرجل يا سيدي لم لا تتكلم لي عليه فقال له أبو العباس: اقرأني فعظم على الرجل هذا الكلام فدخل على شيخنا أبي مدين وقال له: يا سيدنا كنت عند أبي العباس الخشاب وقرأت عليه كتاباً في الرقائق ليتكلم لي عليه فقال لي: اقرأني فقال الشيخ: صدق أبو العباس على ما كان يحوي ذلك الكتاب؟ فقال: على الزهد والورع والتوكل والتفويض وما يقتضيه الطريق إلى الله فقال له الشيخ: فهل كان فيه شيء ما هو حال لأبي العباس الخشاب؟ قال: لا، قال له الشيخ: فإذا كانت أحوال الخشاب جميع ما يحوي عليه ذلك الكتاب ولم تتعظ بأحواله ولا تخلقت بشيء من ذلك فما فائدة قراءتك عليه وسؤالك أن يتكلم لك وقد وعظك بحاله وأفصح في ذلك ونصح فخجل الرجل وانصرف. أخبرني بهذه الحكاية عنه الحاج عبد الله المروزي[٢] بإشبيلة في جماعة، فانظر يا وليي إلى حسن طريقتهم ما أعجبها جعلنا الله منهم وألحقنا بهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سفر الخوف

فـــررت مـــنـــي إلـــيـــه أو خـــفـــت مـــنـــه عـــلـــيـــه
وذاك مـــن جـــهـــل نـــفـــسـي بـــمـــا تـــؤول إلـــيـــه

قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١] وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

ما مر يوم علينا إلا بكيت عليه إذا مشى وتقضي بما يؤول إليه

---

(١) بَخ: كلمة تقال في المدح والرضا بالشيء. وتكرر للمبالغة فإن وصلت كسرت ونونت (بَخٍ بَخٍ).
(٢) هو عبد الله بن عثمان بن جبلة الأزدي العتكي، مولاهم المروزي (١٤٥ ـ ٢٢١ هـ = ٧٦٢ ـ ٨٣٦ م) ويقال له: عبدان، حافظ للحديث، ثقة. كانت الرحلة إليه في خراسان. وولاه عبد الله بن طاهر قضاء الجوزجان، فاستعفى. قال ابن ناصر الدين: تصدق بألف ألف درهم في حياته.
الأعلام ٤/١٠٢، وتهذيب التهذيب ٥/٣١٣.

إنـي رأيـت أمـوراً وكـلـهـا فـي يـديـه تجري على حكم وقتي والحكم في لديه

الخوف من مقام الإيمان قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال في حق الملائكة ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠] وأفعالهم أفعال الخائفين وقال في حق طائفة يمدحهم ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧] فلكل موطن خوف يخصه إذا حققت فما متعلق كل خوف إلا ما يكون من الله وهو محدث فما الخوف إلا من المحدثات والله يوجد في ذلك فتعلق خوفنا بالموجد لذلك وهذا قوله وخافوني إن كنتم مؤمنين فجعل الخوف نتيجة الإيمان فإنه موقوف على العلم الإلٰهي الذي يأتي به الصادق من عند الله فإن العلم من غير إيمان لا يعطيه ولا سيما وقد دل الدليل أن العالم مصنوع لله تعالى وثبت أنه تعالى عليم حكيم فخرج العالم على أحسن صنعه من عالم.

فما ثم ما يدل على فساده لكن ينتقل من حال إلى حال ومن منزل إلى منزل فهذا غير محال ولهذا الانتقال حصل الخوف عند الرجال من الله لا يعرفون مراد الله فيهم ولا إلى أين ينقلهم ولا في أي صفة وطبقة يميزهم فلما أبهم الأمر عليهم عظم خوفهم منه أما خوف الملائكة فهو خوف يزول عن مرتبة إلى مرتبة أدنى ولا سيما وقد روي أن إبليس كان من أعبد الخلق لله تعالى وحصل له الطرد والبعد من السعادة التي كان يرجوها في عبادته من الله تعالى لما حقت عليه كلمة العذاب عاد إلى أصله الذي خلق منه وهو النار فما عذب إلا به فسبحان الحكم العدل ورجال الله يخافون من الاستبدال وهذا الذي يدعوهم إلى تفقد أحوالهم مع الله عز وجل في كل نفس ولا سيما والله يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨] يعني فيما وقع منهم من المخالفة لأمر الله بل يكونون على أتم قدم وأقواه في طاعة الله:

فـلـولا الـلّـه مـا عـرف الـمـقـام ولا وجـد الـوراء ولا الأمـام

فبالله وجدنا وإليه دعينا ورددنا ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] ولما أقامني الله في مقام الخوف كنت أخاف من ظلي أن أنظر إليه لئلا يحجبني عن الله وعلى هذا كله فما هي الدنيا دار أمان ولو بشر الإنسان بالسعادة فإنها محل نقص الحظوظ وسبب ذلك إنما هو التكليف الشرعي فإذا زال التكليف الذي هو خطاب الشارع بالأمر والنهي ارتفع عن العبد الخوف العرضي وبقيت له الهيبة فيكون خوفه هيبة للمشهد الإلهي قال الشاعر يصف إجلال حضرة قوم:

كـأنـمـا الـطـيـر مـنـهـم فـوق أرؤسـهـم لا خـوف ظـلـم ولـكـن خـوف إجـلال

جعلنا الله من أهل الهيبة والتعظيم فإن ذلك لا يكون إلا من استيلاء العظمة بسلطانها على قلب العبد المعتني به في المشاهد القدسية الإلٰهية واعلم أن الخفا في اللسان هو الظهور قال امرؤ القيس:

خـــفـــاهـــن مـــن انـــفـــاقـــهـــن

أي أظهرهن يعني اليرابيع فإن اليرابيع تجعل لجحرتها التي تتخذها في الأرض بابين إذا جاء الصائد من الباب الواحد خرج من الباب الآخر ويسمى ذلك الجحر النافقاء(١) ومنه سمي المنافق منافقاً لأن له وجهين وجهاً يقابل به المؤمنين ويظهر أنه معهم ووجهاً يقابل به الكفار ويظهر أنه معهم فجعلوا لمن هذه صفته اسم المنافق والله يقول في حق من قال: ﴿نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥] يقول إن طلبك الأعداء من جانب خرجت من الجانب الآخر طلباً للسلامة منهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فتكون من أهل باب واحد وكان المنافقون في زمان رسول الله ﷺ يأتون إلى المؤمنين بوجه به يظهرون أنهم معهم ويأتون إلى المشركين بوجه يظهرون به أنهم معهم ويقولون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وأخبر الله تعالى: أنه يستهزىء بهم بذلك الفعل الذي يفعلونه مع المؤمنين وهم لا يشعرون فهذا من مكر الله بهم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠] فإن شعر به فليس بمكر.

سفر الحذر

لقد جاءني الوحي العزيز بأن أسري بنفسي وأهلي عالم الخلق والأمر
بأن الإلٰه الحق ربي قد قضى بموت عدو الدين في غمة البحر(٢)

يقول الله تعالى حكاية عن قول شخص: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: ٥٦] والحذر نتيجة خوف يقول تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] فإنه من أخذ حذره من شيء لم يؤت عليه منه وأكثر ما يؤتى على الشخص من مأمنه أي من الجهة التي يأمن على نفسه منها فينبغي للعاقل أن لا يأمن إلا من الجهة التي أمنه الله منها فإن قوله سبحانه هو الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الصادق سبحانه وهذا الحذر إن ساعد القدر حينئذ ينفع فإنه ورد لا ينجي حذر من قدر إلا أن يكون ذلك الحذر من القدر حينئذ تكون به النجاة ولقد بالغنا في ذلك بقولنا:

يـــا حـــذري مـــن حـــذري لـــو كـــان يـــغـــنـــي حـــذري

فأبلغ الحذر إنما هو في الحذر من الحذر أن يتخذه مستنداً ومن رحمة الله تعالى بنا أن حذرنا نفسه وأبلغ من هذا ما يكون فقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] ومن رأفته أن حذرنا نفسه فإنه من ليس كمثله شيء لا يعرف أبداً إلا بالعجز

---

(١) النَافِقاءُ: مَنْفَذٌ مسدودٌ في جحر الضب واليربوع، يستطيع فتحه والخروج منه إذا هوجم من باب الجُحر (ج) نوافق.

(٢) الغُمَّة: الكربة والحزن (ج) غمم.

عن معرفته وذلك أن نقول ليس كذا وليس كذا مع كوننا نثبت له ما أثبته لنفسه إيماناً لا من جهة عقولنا ولا نظرنا فليس لعقولنا إلا القبول منه فيما يرجع إليه فهو الحي الذي لا إلٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر عالم الغيب والشهادة الرحمٰن الرحيم الخالق الباريء المصور الحكيم بهذا وأمثاله أخبرنا عن نفسه فنؤمن بذلك كله عن علمه بذلك لا على تأويل منا لذلك فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينضبط لعقل ولا ناظر فما لنا من العلم به من طريق الإثبات إلا ما أوصله إلينا في كتبه وعلى ألسنة رسله المترجمين عنه ليس غير ذلك ونسبة هذه الأسماء إليه غير معلومة عندنا فإن المعرفة بالنسبة إلى أمر ما موقوفة على علم المنسوب إليه وعلمنا بالمنسوب إليه ليس بحاصل فعلمنا بهذه النسبة الحاصلة ليس بحاصل فالفكر والتفكر والمتفكر يضرب في حديد بارد جعلنا الله وإياكم ممن عقل ووقف عندما وصل إليه منه سبحانه ونقل.

واعلم أن سفر الحذر يخرج صاحبه من المحسوس إلى المعقول ومن النعيم إلى العذاب ومن الستر إلى التجلي ومن الموت إلى الحياة القائمة بالأكوان التي تنتجها معرفتنا بالعالم ويؤدي إلى العلم بالنشأة الإنسانية ومن أين صدرت من حيث جسميته وبالحركة المستقيمة دون المنكوسة والأفقية وإن عرفهما فبحكم التبعية ويعلم كل مقام يقتضي له الزيادة والشفوف على غيره والبصيرة في كل ما يبصره ويأتيه فله فيه تفكه ونعيم ويقف من هذا المقام بهذه الصفة على علم التوارث وفي ماذا يقع وما الذي يورث وممن يورث ومن يرث ومن هذا السفر يعرف مشارق الأنوار ومطالع أهلة الأسرار فيحذرون من إدراك الصفات التي تغيبهم عن ذواتهم والنعيم بها إلا أنه تكون النجاة لهم عقيب هذا كله يحذرون منه ولو كان العدو ما كان من القوة فإنهم الغالبون بنصر الله فإنه سبحانه لا يقاوم ولا يغالب فإنه العزيز الرحيم وهذه الصفة إذا قامت بالعبد فإن الله يأخذ بيده في جميع أموره ويهديه إلى ما فيه نجاته وله من خرق العوائد المشي على الماء والنجاة من الأعداء أعداء الأرواح والبشر وهلاك الأعداء وينتج هذا السفر القرب الإلهي المقرون به سعادة الأبد وفي هذا المقام يأمن صاحبه في سفره فيه من كل ما يحذره من القواطع التي تحول بينه وبين سعادته الأبدية ولو صال عليه جميع من الأرض عليهم وظهر عليهم ويحصل لصاحبه المتصف به من الكشف ما يقف به على غوامض الأسرار إذ كان نوره يبقر كل شبهة وجهل ويبطل كل تمويه وزور ويورث النفس شجاعة وإقداماً وقوة فيفعل بالهمة ما لا يقدر على فعله بالإجرام ولا بالعدد غير أن صاحب هذا السفر يحصل له في أول دخوله فيه هلع طبيعي وضيق صدر وخوف لما يراه في أول طريقه من ضعف وقوة هذا المقام وهذا الضعف والذلة القائمة به تورثه العزة والقوة ويكشف له علم الظاهر والباطن فلا يخفى عليه شيء ويتولاه الله بنفسه في

خروجه إلى الإرشاد والهداية فيكون معاناً وتحصل له البشرى من الله حتى يأمن فيتوفر داعيته إلى التبليغ فإن الخوف مانع والجبن صارف غير أن الحق يؤيد صاحب هذا السفر تأييداً يعرفه ويأنس به ويركن إليه لا بد من ذلك ويعطي الحجة والقوة والظهور على خصمائه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين آمين

كتاب الوصايا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من وصايا سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ محيي الدين ابن العربي الحاتمي الطائي رضي الله عنه وأرضاه.

قال: الذي أوصيك به أيها الأخ الإلهي أيدك الله بروح منه حتى تخبر به عنه أن تعرف الحق سبحانه وتعالى من حيث ما أخبرك به عن نفسه أنه عليه مع اعتمادك على ما اقتضاه البرهان الوجودي مما ينبغي أن يكون الحق عليه سبحانه من التنزيه والتقديس فتجمع بين العلم الذي أعطاك الإيمان وبين العلم الذي اقتضاه الدليل العقلي ولا تطلب الجمع بين الطريقين بل خذ كل طريقة على انفرادها واجعل الإيمان لقلبك بما أعطاك من معرفة الله بمنزلة البصر لحسك بما أعطاك من معرفة ما تقتضيه حقيقته واحذر أن تصرف نظرك الفكري فيما أعطاكه الإيمان فتحرم عين اليقين فإن الله أوسع من أن يقيده عقل عن إيمان أو إيمان عن عقل وإن كان نور الإيمان يشهد العقل من حيث ما أعطاه فكره بصحة ما أعطاه من السلوب ولا يشهد نور العقل من حيث فكره بصحة ما أعطاه نور الإيمان والكشف لكن نور العقل به يكون القبول الخارج عن الفكر يشهد بصحة ما أعطاه الكشف والإيمان:

للشرع نور وللألباب ميزان	والشرع للعقل تأييد وسلطان
والكشف نور ولكن ليس تدركه	إلا عقول لها في الوزن رجحان

واعلم يا أخي أن العقول بأسرها الملكية والبشرية بل العقل الأول الذي هو أول موجود في عالم التدوين والتسطير قد علمت قصورها وجهلها بحقيقة ذات باريها وأنها ما تعرف من هذه الذات المنزهة إلا قدر ما يطلب العالم منها من المناسبة وتلك صفات الإلٰه فما عرفت سوى المرتبة فاشتركت العقول البليغة والقاصرة في هذا الجهل والقصور وما عدا هذه المعرفة فهو العلم بما سوى الله والعلم بما سوى الله لا حاجة لنا به أعني الحاجة المهمة التي بحصولها يكون كمال النفس فإن الصفة النفسية التي لهذه الذات المنزهة من المحال أن تكون سوى واحدة وهي عين الذات وتعيينها من حيث الإثبات محال فالعلم بها محال فإنها ذات لا تقبل التركيب فتعالت عن الفصول المقومة لها.

فإذا كان الأمر على ما ذكرناه فلم يبق إلا التهيؤ لما يكون منه من حيث الوهب الإلٰهي فإن القوى لا تعطي إلا ما فيها وجميع ما فيها تابع لها في الخلق فمحال أن تعلم

موجدها علمه بنفسه فإذا هيأت المحل للتجلي الإلهي فهو أكمل ما يحصل من العلم وهو علم عقول الملائكة والأنبياء والخواص من عباد الله من المجردين والهياكل النورانية فلا تتعب خاطرك في التفكر في العلم بالله قال الله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠] وقال عليه السلام «لا تتفكروا في ذات الله»(١) فالشغل بما لا يوصل إليه تضييع لما يستحقه الوقت.

واعلم يا أخي أنه ما انتقش من العلم الإلهي في العالم إلا قدر ما هو العالم عليه إلى يوم القيامة علواً وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] وسفلاً وهو قوله تعالى حين ذكر الأرض: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] فإذا صفت النفس وصقلت مرآتها فلا تقابل بها العالم ليحصل فيها وينتقش فيها ما في العالم بأسره فإنه لا فائدة فيه ولكن قابل بها الحضرة الذاتية من حيث ما تعلم نفسها مقابلة افتقار وتعرية ليهبها الحق من معرفته ما لا يمكن حصوله إلا بهذه الطريقة وهذا القدر من العلم ما هو مما ينتقش في العالم الخارج عنك فإن قيل لك فقد انتقش في اللوح المحفوظ جميع ما يكون إلى يوم القيامة وقد علمه القلم الذي هو العقل الأول وهذا الحاصل لك هو مما في العالم فكيف الأمر؟.

قلنا ما انتقش في اللوح المحفوظ ولا سطر القلم فيه إلا العلوم التي تنقال ويأخذها النقل وأما ما لا ينقال مما يعطيه التجلي الذي أردناه هنا فما انتقش في العالم أصلاً وحصوله له في الإنسان إنما هو من الوجه الخاص الإلٰهي الذي لكل موجود وهو خارج عن علم العقل الأول وغيره مما هو دونه فاعلم ذلك.

واعلم أن السبب الموصل إلى نيل ما ذكرناه تفرغ الخاطر والقلب من كل علم ومن الفكر المطلوب لاقتناء العلوم ونحو ما كتب ونسيان ما علم والجلوس مع الله على الصفا وتجريد الباطن من التعلق بغير ذات الحق جل جلاله على ما هو عليه من الإطلاق لا تجالسه على شيء معين فإن فعلت وعينت وفتح عليك لم يحصل سوى ما عينت وليكن هجيرك في جلوسك بباطنك الله الله من غير تخيل بل بتعقل الحروف لا بتخيلها ولا تنتظر الفتح الإلٰهي بواسطة هذا الجلوس وهذا الحال بل اذكره مثل هذا الذكر لما يستحقه جلاله من إيثارك إياه من حيث هو لا من حيث علمك به أو عقيدتك بل بجهل عام ثم إنه إن فتح لك باباً من أبواب العلم به مما لم يتقدمك فيه ذوق وأتاك بلسان روح قدسي فلا ترده ولا تقف عنده واشتغل بما كنت عليه فإن اختلفت الأذواق بلسان الأرواح المجردة فلتكن حالك معها حالك مع الروح الأول إلى أن يقدح لك في باطنك ما هو خارج عن أذواق الملأ الأعلى ولم تشم في ذلك رائحة واسطه روح أقدس فانظر أيضاً ذلك الذوق الغريب فإن دل على اسم إلهي من هذه الأسماء التي بأيدينا

(١) أخرجه الربيع بن حبيب في (المسند ٣/ ١٤، ١٧، ٢٤).

سواء كان اسم تنزيه أو غير تنزيه فليكن حالك مع هذا الذوق حالك مع أذواق الأرواح ولا فرق فإن وجدت ذوقاً يحيرك ولا تقدر على دفعه وتجد مع تلك الحيرة تفريقاً فلتكن حالك مع تلك الحيرة حالك مع الأرواح والأسماء سواء فإن وجدت ذوقاً يحيرك وتجد مع الحيرة سكوناً لا تقدر على دفعه فذلك المطلوب فعليه فليعتمد فإن وجدت قدرة على دفع ذلك السكون فلا تعتمد على ذلك السكون فإن تقيد لك ذلك الذوق في نفسك مرتين بينهما تمييز حتى تعلم أن قد كان ذلك مرتين فما هو المطلوب فلا تعتمد عليه فإذا تخلصت من كل ما ذكرناه فإن رددت إليك وإلى عالم الحس علمت من أين نطقت الرسل وتنزلت الكتب والصحف وعلمت ما بقي من الأبواب مفتوحاً وما سد منها ولماذا سد ما سد منها وعلمت ما تقول وما يقال لك ورزقت الفهم عن كل شيء وأنكرت المعروف وعرفت المنكور وأنكرت المنكور وعرفت المعروف وكنت أعلم الخلق بأنك أجهل الخلق ولم يبق لك من الهجير إلا رب زدني علماً فيه تحيى وفيه تموت فقد دللتك على ما فيه سعادتك في الدارين وما يؤل إليه نفوس العارفين في النشأتين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تمت الوصية والحمد لله رب العالمين

كتاب حلية الأبدال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ أنعمت فزد

الحمد لله على ما ألهم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا عظيماً، وصلى الله على السيد الأكرم، المعطي جوامع الكلم في الموقف الأعظم، وسلم تسليماً.

أما بعد فإني استخرت الله تعالى ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمنزل المية بالطائف في زيارتنا عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ وكان سبب استخارتي سؤال صاحبي أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحراني رحمه الله وأبي عبد الله محمد بن خالد الصدفي التلمساني وفقهما الله أن أقيد لهما في هذه الأيام أيام الزيارة ما ينتفعون به في طريق الآخرة فاستخرت الله في ذلك وقيدت لهما هذه الكراسة التي سميتها حلية الأبدال.

وما يظهر عنها من المعارف والأحوال تكون لهما ولغيرهما عوناً على طريق السعادة، وباباً جامعاً لفنون الإرادة، ومن موجد الكون، نسأل التأييد والعون.

فصل

الحكم نتيجة الحكمة والعلم نتيجة المعرفة فمن لا حكمة له لا حكم له، ومن لا معرفة له لا علم له، فالحاكم العالم لله قائم، والحكيم العارف بالله واقف، فالحاكمون العالمون لاميون، والحكماء العارفون بائيون.

فصل

لما سعف الزاهد بترك دنياه والمتوكل يكله أمره إلى مولاه والمريد بالسماع والوجد، والعابد بالعبادة والجهد، والحكيم العارف بالهمة والقصد، وغاب العالمون الحاكمون في الغيب فلم يعرفهم عالم ولا مريد ولا عابد ولا شهدهم متوكل ولا زاهد، فترك الزاهد للعوض وتوكل المتوكل لنيل الغرض، وتواجد المريد لتنفيس الكرب، واجتهاد العابد رغبة في القرب، وقصد العارف الحكيم بهمته الوصول، وإنما يتجلى الحق لمن انمحى رسمه، وزال عنه اسمه فالمعرفة حجاب على المعرفة والحكمة باب

عنده يكون الوقوف، وما بقي من الأوصاف فأسباب كالحرف، وهذه كلها علل تعمي الأبصار، وتطمس الأنوار، فلولا وجود الكون لظهر العين، ولولا الأسماء لبرز المسمى، ولولا المحبة لاستمر الوصال، ولولا الحظوظ به لملكت المراتب، ولولا الهوية لظهرت الأنية، ولولا هو لكان أنا، ولولا أنت لبدأ رسم الجهل قائماً ولولا الفهم لقوي سلطان العلم فإذا تلاشت هذه الظلم وطارت بمرهفات ألفنا هذه التهم.

شعر

تجلى لقلبك من لم يزل ... به قاطنا في غيوب الأزل
وما حجب العين عن دركها ... سواك ولكن بضرب المثل
تبين للقلب أن الذي ... رآه به دائماً لم يزل
وجاء الخطاب بعلم الكلام ... ويبدي سناه رسوم المحل

فصل

كان لنا بمرشانة الزيتون ببلاد الأندلس صاحب من الصالحين يعلم القرآن وكان فقيهاً مجيداً حافظاً ذا ورع وفضل وخدمة للفقراء اسمه عبد المجيد بن سلمة أخبرني وفقه الله قال: بينما أنا ليلة في مصلاي قد أكملت حزبي وجعلت رأسي بين ركبتي أذكر الله تعالى إذ تحسست لشخص قد نقض مصلاي من تحتي وبسط عوضاً منه حصيراً حصيفاً(١) وقال صل عليه وباب بيتي عليَّ مغلق فداخلني منه جزع فقال لي: من يأنس بالله لم يفزع ثم قال لي: اتق الله في كل حال ثم إني ألهمت فقلت له: يا سيدي بماذا يصير الأبدال أبدالاً؟ فقال لي بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في «القوت»، الصمت والعزلة، والجوع والسهر، ثم انصرف عني ولا أعرف كيف دخل ولا كيف خرج غير أن بابي على حاله مغلق والحصير الذي أعطانيه تحتي وهذا الرجل هو من الأبدال واسمه معاذ بن أشرس رضي الله عنه فهذه الأربعة التي ذكرها هي عماد هذا الطريق الأسنى وقوائمه ومن لا قدم له فيها ولا رسوخ فهو تائه عن طريق الله تعالى وغرضنا في هذه الكراسة الكلام في هذه الفصول الأربعة وما تعطيه من المعارف والأحوال، جعلنا الله وإياكم ممن تحقق بها وداوم عليها إنه على ذلك قدير.

فصل

في الصمت(٢): الصمت على قسمين، صمت باللسان عن الحديث بغير الله تعالى

(١) استحصف الحبل: اشتد فتله.
(٢) انظر حديث القشيري عن الصمت في رسالته ص ١١٩ ـ ١٢٤.

مع غير الله تعالى جملة واحدة، وصمت بالقلب عن خاطر يخطر له في النفس في كون من الأكوان البتة فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه خف وزره، ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلى له ربه، ومن صمت قلبه ولم يصمت لسانه فهو ناطق بلسان الحكمة، ومن لم يصمت بلسانه ولا بقلبه كان مملكة للشيطان ومسخرة له، فصمت اللسان من منازل العامة وأرباب السلوك، وصمت القلب من صفات المقربين أهل المشاهدات، وحال صمت السالكين السلامة من الآفات، وحال صمت المقربين مخاطبات التأنيس.

فمن التزم الصمت في جميع الأحوال كلها لم يبق له حديث إلا مع ربه فإن الصمت على الإنسان محال في نفسه فإذا انتقل من الحديث مع الأغيار إلى الحديث مع ربه كان نجياً مقرباً مؤيداً في نطقه إذا نطق نطق بالصواب لأنه ينطق عن الله قال تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣] فالنطق بالصواب نتيجة الصمت عن الخطأ والكلام مع غير الله خطأ بكل حال وبغير الله شر من كل وجه قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] ولكمال شروطها قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ولحال الصمت مقام الوحي على ضروبه والصمت يورث معرفة الله تعالى.

فصل

في العزلة[١]: العزلة سبب لصمت اللسان فمن اعتزل عن الناس لم يجد من يحادثه فأداه ذلك إلى الصمت باللسان، والعزلة على قسمين عزلة المريدين وهي بالأجسام عن مخالطة الأغيار، وعزلة المحققين وهي بالقلوب عن الأكوان فليست قلوبهم مجالاً لشيء سوى العلم بالله تعالى الذي هو شاهد الحق فيها، الحاصل من المشاهدة وللمعتزلين نيات ثلاث، نية اتقاء شر الناس، ونية اتقاء شره المتعدي إلى الغير وهو أرفع من الأول فإن في الأول سوء الظن بالناس، وفي الثاني سوء الظن بنفسه وسوء الظن بنفسك أولى لأنك بنفسك أعرف، ونية إيثار صحبة من جانب الملأ الأعلى فأعلى الناس من اعتزل عن نفسه إيثار الصحبة ربه فمن آثر العزلة على المخالطة فقد آثر ربه على غيره، ومن آثر ربه لم يعرف أحد ما يعطيه الله تعالى من المواهب والأسرار، فإنه لا تقع العزلة أبداً في القلب إلا من وحشة تطرأ على القلب من المعتزل عنه وآنس بالمعتزل إليه وهو الذي يسوقه إلى العزلة فكانت العزلة تغني عن شرط الصمت فإن الصمت لازم لها فهذا صمت اللسان.

وأما صمت القلب فلا تعطيه العزلة، فقد يتحدث الواحد في نفسه بغير الله تعالى

(١) انظر حديث القشيري عن العزلة في رسالته ص ١٠١ ـ ١٠٤.

مع غير الله فلهذا جعلنا الصمت ركناً من الأركان في الطريق قائماً بنفسه فمن لازم العزلة وقف على أسرار الوحدانية الإلهية هذا ينتج له من المعارف ومن الأسرار أسرار الأحدية التي هي الصفة وحال العزلة التنزيه عن الأوصاف البشرية سالكاً كان المعتزل أو محققاً وأرفع أحوال العزلة الخلوة فإن الخلوة عزلة في العزلة فنتيجتها أقوى من نتيجة العزلة العامة فينبغي للمعتزل أن يكون صاحب يقين مع الله تعالى حتى لا يكون له خاطر متعلق خارجاً عن بيت عزلته فإن حرم اليقين فليستعد لعزلته قوته زمان عزلته حتى يتقوى يقينه بما يتجلى له في عزلته لا بد من ذلك هذا شرط محكم من شروط العزلة والعزلة تورث معرفة الدنيا.

فصل في الجوع(١)

الجوع هو الركن الثالث من أركان هذا الطريق الإلٰهي وهو يتضمن الركن الرابع الذي هو السهر كالعزلة تتضمن الصمت، والجوع جوعان، جوع اختيار وهو جوع السالكين، وجوع اضطرار وهو جوع المحققين، فإن المحقق لا يجوع نفسه ولكن قد يقلل أكله إن كان في مقام الأنس، فإن كان في مقام الهيبة كثر أكله فكثرة الأكل للمحققين دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلوبهم بحال العظمة من مشهودهم وقلة الأكل دليل على صحة المحادثة بحال المؤانسة من مشهودهم وكثرة الأكل للسالكين دليل على بعدهم من الله وطردهم عن بابه واستيلاء النفس الشهوانية البهيمية بسلطانها عليهم وقلة الأكل لهم دليل على نفحات الجود الإلٰهي على قلوبهم فيشغلهم ذلك عن تدبير جسومهم والجوع بكل حال ووجه سبب داع للسالك والمحقق إلى نيل عظيم الأحوال للسالكين والأسرار للمحققين ما لم يفرط تضجر في الجائع فإنه إذا أفرط أدى إلى الهوس وذهاب العقل وفساد المزاج فلا سبيل للسالك أن يجوع الجوع المطلوب لنيل الأحوال إلا عن أمر شيخ وأما وحده فلا سبيل لكن يتعين على السالك إذا كان وحده التقليل من الطعام واستدامة الصيام ولزوم أكلة واحدة بين الليل والنهار وأن يغب الإدام الدسم فلا يأتدم في الجمعة سوى مرتين إن أراد أن ينتفع به حتى يجد شيخاً فإذا وجده سلم أمره إليه وشيخه يدبر حاله وأمره إذ الشيخ أعرف بمصالحه منه وللجوع حال ومقام فحالة الخشوع والمسكنة والذلة والافتقار وعدم الفضول وسكون الجوارح وعدم الخواطر الردية هذا حال الجوع للسالكين، وأما حاله في المحققين فالرقة والصفا والمؤانسة وذهاب الكون والتنزه عن الأوصاف البشرية بالعزة الإلٰهية والسلطان الرباني ومقامه المقام الصمداني وهو مقام عال له أسرار وتجليات وأحوال ذكرناها في كتاب مواقع النجوم في عضو القلب ولكن في بعض النسخ فإني

(١) انظر حديث القشيري عن الجوع في رسالته ص ١٤٠ ـ ١٤٤.

استدركته فيه بمدينة الجابية[١] سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكان قد خرجت منه نسخ كثيرة في البلاد لم يثبت فيها هذا المنزل فهذا فائدة الجوع لصاحب الهمة لا جوع العامة فإن جوع العامة جوع صلاح المزاج وتنعيم البدن بالصحة لا غير والجوع يورث معرفة الشيطان عصمنا الله وإياكم منه.

فصل في السهر

السهر نتيجة الجوع فإن المعدة إذا لم يكن فيها طعام ذهب النوم، والسهر سهران سهر العين وسهر القلب فسهر القلب انتباهه من نومات الغفلات طلباً للمشاهدات وسهر العين رغبة في بقاء الهمة في القلب لطلب المسامرة فإن العين إذا نامت بطل عمل القلب فإن كان القلب غير نائم مع نوم العين فغايته مشاهدة سهره لمتقدم لا غير وإما أن يلحظ غير ذلك فلا، ففائدة السهر استمرار عمل القلب وارتقاء المنازل العلية المخزونة عند الله تعالى وحال السهر تعمير الوقت خاصة للسالك والمحقق غير أن المحقق في حالة زيادة التخلق الرباني لا يعرفه السالك وأما مقامه فمقام القيومية وربما بعض أصحابنا منع أن يتحقق أحد بالقيومية وبعضهم منع من التخلق بها، لقيت إذاً أبا عبد الله بن جنيد فوجدته يمنع من ذلك وأما نحن فلا نقول بذلك فقد أعطتنا الحقائق أن الإنسان الكامل لا يبقى له في الحضرة الإلهية اسم إلا وهو حامل له ومن توقف من أصحابنا في مثل هذه المسألة فلعدم معرفته بما هو الإنسان عليه في حقيقته ونشأته فلو عرف نفسه ما عسر عليه مثل هذا والسهر يورث معرفة النفس. تمت أركان المعرفة إذ المعرفة تدور على تحصيل هذه الأربعة. المعارف معرفة الله والنفس والدنيا والشيطان فإذا اعتزل الإنسان عن الخلق وعن نفسه وصمت عن ذكره بذكر ربه إياه وأعرض عن الغذاء الجسماني وسهر عند موافقة نوم النائمين واجتمعت فيه هذه الخصال الأربعة بدلت بشريته ملكاً وعبوديته سيادة وعقله حساً وغيبه شهادة وباطنه ظاهراً وإذا ترحل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية يجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الولي فإن ظهر شوق من أناسي ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلمها وكلمته وهو يتخيل أنه مطلوبه وهو غائب عنه حتى يقضي حاجته منه وقد تتجسد هذه الروحانية إن كان من صاحبها شوق أو تعلق همة بذلك الموطن وقد يكون هذا من غير البدل والفرق بينهما أن البدل يرحل ويعلم أنه ترك بدل له وغير البدل لا يعرف ذلك وإن تركه لأنه لم يحكم هذه الأربعة الأركان التي ذكرناها وفي ذلك قلت:

---

(١) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمالي جوران، إذا وقف الإنسان في الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له وتظهر من نوى أيضاً. (معجم البلدان ٢/ ٩١).

يـــا مــــن أراد مـــنـــازل الأبـــدال　　مـن غـيـر قـصـد مـنـه لـلأعـمـال
لا تـطـمـعـن بـهـا فـلـست مـن أهـلـهـا　　إن لـم تـزاحـمـهـم عـلـى الأحـوال
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من　　يـدنـيـك مـن غـيـر الـحـبـيـب الـوالـي
فـإذا سـهـرت وجـعـت نـلـت مـقـامـهـم　　وصـحـبـتـهـم فـي الـحـال والـتـرحـال
بـيـت الـولايـة قـسـمـت أركـانـه　　ســاداتـــنـــا فـــيـــه مـــن الأبـــدال
مـا بـيـن صـمـت واعـتـزال دائـم　　والـجـوع والـسـهـر الـنـزيـه الـعـالـي

والله يوفقنا وإياكم لاستعمال هذه الأركان، وينزلنا وإياكم منازل الإحسان، إنه هو الولي المنان والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

يتلوه كتاب نقش الفصوص لسيدي الشيخ الإمام العالم محيي الدين بن عربي نفع الله به آمين.

كتاب نقش الفصوص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم بارك علي وتممه

١ ـ فص: ـ حكمة الهية في كلمة آدمية: اعلم أن الأسماء الحسنى تطلب بذواتها وجود العالم فأوجد الله العالم جسداً مسوى وجعل روحه آدم عليه السلام وأعني بآدم وجود العالم الإنساني وعلمه الأسماء كلها فإن الروح هو مدبر البدن بما فيه من القوى وكذلك الأسماء للإنسان الكامل بمنزلة القوى ولهذا يقال في العالم إنه الإنسان الكبير ولكن بوجود الإنسان فيه وكان الإنسان مختصراً من الحضرة الإلٰهية ولذلك خصه بالصورة فقال إن الله خلق آدم على صورته(١) وفي رواية: على صورة الرحمٰن.

وجعله الله العين المقصودة من العالم كالنفس الناطقة من الشخص الإنساني ولهذا تخرب الدنيا بزواله وتنتقل العمارة إلى الآخرة من أجله فهو الأول بالقصد والآخر بالإيجاد والظاهر بالصورة والباطن بالسورة أي المنزلة فهو عبد الله ورب بالنسبة للعالم ولذلك جعله خليفة وأبناءه خلفاء ولهذا ما ادعى أحد من العالم الربوبية إلا الإنسان لما فيه من القوة وما أحكم أحد من العالم مقام العبودية في نفسها إلا الإنسان فعبد الحجارة والجمادات التي هي أنزل الموجودات فلا أعز من الإنسان بربوبيته ولا أذل منه بعبوديته فإن فهمت فقد أبنت لك عن المقصود بالإنسان فانظر إلى عزته بالأسماء الحسنى وطلبها إياه تعرف عزته ومن ظهوره بها تعرف ذلته فافهم ومن هنا تعلم أنه نسخة من الصورتين الحق والعالم.

٢ ـ فص: ـ حكمه نفثية في كلمة شيثية ـ اعلم أن عطيات الحق على أقسام، منها أنه يعطي لينعم خاصة من اسمه الوهاب وهي على قسمين هبة ذاتية وهبة أسمائية، فالذاتية لا تكون إلا بتجل للاسماء وأما الأسمائية فتكون مع الحجاب ولا يقبل القابل هذه الأعطية إلا بما هو عليه من الاستعداد وهو قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] فمن ذلك الاستعداد قد يكون العطاء عن سؤال بالحال لا بد منه أو عن سؤال بالقول، والسؤال بالقول على قسمين، سؤال بالطبع، وسؤال امتثال للأمر الإلهي، وسؤال بما تقتضيه الحكمة والمعرفة لأنه أمير مالك يجب عليه أن يسعى في إيصال كل

(١) سبق تخريجه.

ذي حق إلى حقه مثل قوله: إن لأهلك عليك حقاً ولنفسك ولعينك، ولزورك[1]، الحديث.

٣ ـ **فص:** ـ حكمة سبوحية في كلمة نوحية ـ التنزيه من المنزه تحديد للمنزه إذ قد ميزه عما لا يقبل التنزيه فالإطلاق لمن يجب له هذا الوصف تقييد فما ثم إلا مقيد أعلاه بإطلاقه.

واعلم أن الحق الذي طلب من العباد أن يعرفوه هو ما جاءت به ألسنة الشرائع في وصفه فلا يتعداه عقل قبل ورود الشرائع فالعلم به تنزيهه عن سمات الحدوث فالعارف صاحب معرفتين بالله معرفة قبل ورود الشرائع ومعرفة تلقاها من الشرائع ولكن شرطها أن يرد علم ما جاءت به إلى الله فإن كشف له عن العلم بذلك فذلك من باب العطاء الإلٰهي الذاتي وقد تقدم في شيث.

٤ ـ **فص:** ـ حكمة قدوسية في كلمة إدريسية ـ العلو علوان علو مكان مثل قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] والعما والسماء وعلو مكانة ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] والناس بين علم وعمل فالعمل للمكان والعلم للمكانة، وأما علو المفاضلة فقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥] فهذا راجع إلى تجليه في مظاهره فهو في تجل ما أعلى منه في تجل آخر مثل ﴿كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومثل ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ومثل، «جعت فلم تطعمني».

٥ ـ **فص:** ـ حكمة مهيمنية في كلمة إبراهيمية ـ لا بد من إثبات عين العبد وحينئذ يصح أن يكون الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله فعم قواه وجوارحه بهويته على المعنى الذي يليق به وهذه نتيجة حب النوافل وأما حب الفرائض فهو أن يسمع الحق بك ويبصر بك والنوافل تسمع به وتبصر به فقدرك بالنوافل على قدر استعداد المحل وتدرك بالفرائض كل مدرك فافهم.

٦ ـ **فص:** ـ حكمة حقية في كلمة إسحاقية ـ اعلم أن حضرة الخيال هي الحضرة الجامعة الشاملة لكل شيء وغير شيء فلها على الكل حكم التصوير وهي كلها صدق ـ وتنقسم قسمين، قسم يطابق لما صورته الصورة من خارج وهو المعبر عنه بالكشف، وقسم غير مطابق وفيه يقع التعبير والناس هنا على قسمين، عالم ومتعلم، والعالم

(١) أخرجه الترمذي في (السنن ٧٤٨)، وأبو داود في (السنن ٤٢٥٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٢٦٨)، والهيثمي في (موارد الظمآن ١٢٨٧)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/١٢٦)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٠٦١)، والألباني في (إرواء الغليل ٧/٧٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٣٦٦٦، ٢٤١٦٥)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٣/١/٢٨٧)، وابن الجوزي في (تلبيس إبليس ٢٢٠).

يصدق في الرؤيا، والمتعلم يصدق الرؤيا حتى يعلمه الحق ما أراد بتلك الصورة التي حل له.

٧ ـ **فص**: ـ حكمة علية في كلمة إسماعيلية ـ وجود العالم الذي لم يكن ثم كان يستدعي نسباً كثيرة في موجده أو اسماً ما شئت فقل لا بد من ذلك وبالمجموع يكون وجود العالم فالعالم موجود عن إحدى الذات منسوب إليها أحدية الكثرة من حيث الأسماء لأن حقائق العالم تطلب ذلك منه ثم العالم إن لم يكن ممكناً فما هو قابل للوجود فما وجد العالم إلا عن أمرين، عن اقتدار إلهي منسوب إليه ما ذكرناه، وعن قبول فإن المحال لا يقبل التكوين ولهذا قال تعالى عند قوله: ﴿كُن﴾ قال: ﴿فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فنسب إلى العالم من حيث قبوله.

٨ ـ **فص**: ـ حكمة روحية في كلمة يعقوبية ـ الدين عند الله الإسلام ومعناه الانقياد ومن طلب منه أمراً فانقاد إلى الطالب فيما طلب فهو مسلم فافهم فإنه نسري والدين دينان دين مأمور به. وهو ما جاءت به الرسل ودين معتبر وهو الابتداع الذي فيه تعظيم الحق فمن رعاه حق رعايته ابتغاء رضوان الله فقد أفلح. والأمر الإلٰهي أمران ـ أمر بواسطة فما فيه من الأمر الإلٰهي إلا صيغته واسطة وهو الذي لا يتصور مخالفته وبالواسطة قد يخالف وليس وأمر بلا المأمور بلا واسطة وإلا لكان خاصة لا الموجود.

٩ ـ **فص**: ـ حكمة نورية في كلمة يوسفية ـ النور يكشف ويكشف به وأتم الأنوار وأعظمها نفوذ النور الذي يكشف به ما أراد الله بالصور المتجلية المرئية في النوم وهو التعبير لأن الصورة الواحدة تظهر له معان كثيرة مختلفة يراد منها في حق صاحب الصورة معنى واحد فمن كشفه بذلك النور فهو صاحب النور فإن الواحد يؤذن فيحج وآخر يؤذن فيسرق وصورة الأذان واحدة وآخر يؤذن فيدعو إلى الله على بصيرة والآخر يؤذن فيدعو إلى ضلالة.

١٠ ـ **فص**: ـ حكمة أحدية في كلمة هودية ـ غايات الطرق كلها إلى الله والله غايتها فكلها صراط مستقيم لكن تعبدنا الله بالطريق الموصل إلى سعادتنا خاصة وهو ما شرعه لنا فللأول وسعت رحمته كل شيء فالمآل إلى السعادة حيث كان العبد وهو الوصول إلى الملائم ومن الناس من نال الرحمة من عين المنة ومنهم من نالها من حيث الوجوب ونال سبب حصولها من عين المنة، وأما المتقي فله حالان حال يكون فيه وقاية لله من المذام وحال يكون الله له وقاية فيه وهو معلوم.

١١ ـ **فص**: ـ حكمة فتوحية في كلمة صالحية ـ لما أعطت الحقائق أن النتيجة لا تكون إلا عن الفردية والثلاثة أول الأفراد جعل الله إيجاد العالم عن نفسه وإرادته وقوله، والعين واحدة والنسب مختلفة، فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠] ولا يحجبنك تركيب المقدمات في النظر في المعقولات فإنها

وإن كانت أربعة فهي ثلاثة لكون المفرد الواحد من الأربعة يتكرر في المقدمتين فافهم، فالتثليث معتبر في الانتاج والعالم نتيجة بلا شك.

١٢ ـ **فص:** ـ حكمة قلبية في كلمة شعيبية ـ اعلم أن القلب وإن كان موجوداً من رحمة فإنه أوسع من رحمة الله لأن الله أخبر أن قلب العبد وسعه ورحمته لا تسعه فإنها لا يتعلق حكمها إلا بالحوادث وهذه مسألة عجيبة إن عقلت، وإذا كان الحق كما ورد في الصحيح يتحول في الصور مع أنه في نفسه لا يتغير من حيث هو فالقلوب له كأشكال الأوعية للماء يشكلها مع كونه لا يتغير عن حقيقته فافهم ألا ترى أن الحق كل يوم هو في شأن كذلك القلب يتقلب في الخواطر ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] ولم يقل، عقل، لأن العقل يتقيد بخلاف القلب فافهم.

١٣ ـ **فص:** حكمة ملكية في كلمة لوطية ـ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الروم: ٥٤] فالضعف الأول بلا خلاف ضعف المزاج في العموم والخصوص والقوة التي بعده قوة المزاج وينضاف إليه في الخصوص قوة الحال، والضعف الثاني ضعف المزاج وينضاف إليه في الخصوص ضعف المعرفة أي المعرفة بالله بضعفه حتى يلصقه بالتراب فلا يقدر على شيء فيصير في نفسه عند نفسه كالصغير عند أمه الرضيع ولذلك قال لوط ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] يريد القبيلة ويقول رسول الله ﷺ، «رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد»[١]، يريد ضعف المعرفة، فالركن الشديد هو الحق مدبره ومربيه.

١٤ ـ **فص:** ـ حكمة قدرية في كلمة عزيرية ـ لله الحجة البالغة على خلقه لأنهم المعلومون والمعلوم يعطي العالم ما هو عليه في نفسه وهو العلم ولا أثر للعلم في المعلوم فما حكم على المعلوم إلا به واعلم أن كل رسول نبي وكل نبي ولي وكل رسول ولي.

١٥ ـ **فص:** ـ حكمة نبوية في كلمة عيسوية ـ من خصائص الروح أنه ما يمر على شيء إلا حيي ذلك الشيء ولكن إذا حيي يكون تصرفه بحسب مزاجه واستعداده لا بحسب الروح فإن الروح قدسي ألا ترى أن النفخ الإلهي في الأجسام المسواه مع نزاهته وعلو حضرته كيف يكون تصرفه بقدر استعداد المنفوخ فيه ألا ترى السامري لما عرف تأثير الأرواح كيف قبض فخار العجل فذلك استعداد المزاج.

١٦ ـ **فص:** ـ حكمة رحمانية في كلمة سليمانية ـ لما كانت له من حيث لا يشعر قالت بالقوة في كتاب سليمان إنه كتاب كريم وما ظهر آصف بالقوة على الإتيان بالعرش دون سليمان إلا ليعلم الحق أن شرف سليمان عظيم إذ كان لمن هو حسنة من حسناته

(١) سبق تخريجه.

له هذا الاقتدار ولما قالت في عرشها ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ عثور على علمها بتجديد الخلق في كل زمان فأتت بكاف التشبيه وأراها صرح القوارير كأنه لجة وما كان لجة كما أن العرش المربي ليس عين العرش من حيث الصورة والجوهر واحد وهذا سار في العالم كله والملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده الظهور بالمجموع على طريق التصرف فيه تسخير الرياح تسخير الأرواح النارية لأنها أرواح في رياح بغير حساب لست محاسباً عليها.

١٧ ـ فص: ـ حكمة وجودية في كلمة داودية ـ وهب لداود فضلاً معرفة به لا يقتضيها عمله فلو اقتضاها عمله لكانت جزاء، ووهب له فضلاً سليمان عليه السلام فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ﴾ [ص: ٣٠] وبقي قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ﴾ [سبأ: ١٠] هل هذا العطاء جزاء أو بمعنى الهبة وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] ببنية المبالغة ليعم شكر التكليف وشكر التبرع فشكر التبرع «أفلا أكون عبداً شكوراً»[(١)]، قول النبي عليه السلام وشكر التكليف ما وقع به الأمر مثل واشكروا لله وأشكروا نعمة الله وبين الشكرين ما بين الشكورين لمن غفل عن الله، وداود منصوص على خلافته والإمامة وغيره ليس كذلك، ومن اعطى الخلافة فقد أعطى التحكم والتصرف في العالم ترجيع الجبال معه بالتسبيح والطير توذن بالموافقة فموافقة الإنسان له أولى.

١٨ ـ فص: ـ حكمة نفسية في كلمة يونسية ـ عادت بركته على قومه لأن الله أضافهم إليه وذلك لغضبه فكيف لو كان فيه حاله حال الرضا فظن بالله خيراً فنجاه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين يعني الصادقين في أحوالهم ومن لطفه أنبت عليه شجرة من يقطين[(٢)]

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٢/ ٦٣، ٦/ ١٦٩، ٨/ ١٢٤)، ومسلم في (الصحيح صفات المنافقين ٧٩، ٨٠، ٨١)، والترمذي في (السنن ٤١٢)، والنسائي في (السنن ٣/ ٢١٩) وابن ماجة في (السنن ١٤١٩، ١٤٢٠)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٢٥١، ٢٥٥، ٦/ ١١٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٤٩٧، ٣/ ١٦، ٧/ ٣٩)، والطبراني في (المعجم الصغير ١/ ٧١، ١١٨)، وابن خزيمة في (الصحيح ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/ ٢٧١)، وابن حجر في (المطالب العالية ٥٢٩)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ١/ ٢٦، ٢/ ٣٧٣)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٧/ ٢٥٠، ٨/ ٢٨٩)، (بغوي ٤/ ١٧٤، ٧/ ٣٧٨)، والساعاتي في (بدائع المنن ٣١٦، ٣١٧)، وابن حجر في (فتح الباري ٨/ ٥٨٤، ٩/ ١٠٥، ١١/ ٣٠٣)، والبغوي في (شرح السنة ٤/ ٤٥)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١٢٢٠)، وصاحب (ميزان الاعتدال ٤٧٣١)، وابن حبان في (المجروحين ١/ ١٦١، ٢/ ٣١) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٨٥، ١٨٦، ٧/ ٧٨)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٧٨، ٨٥)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٤/ ٣٣١، ٧/ ١٩٧، ٢٦٥، ١٤/ ١٠١، ٣٠٦)، والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٤٦٥، ٢/ ٢٥١، ٣٩١، ٩/ ٤٧، ٥٩)، وأحمد بن حنبل في (الزهد ١٧، ٩٢)، وابن المبارك في (الزهد ٣٦)، وصاحب (مناهل الصفا ٢٦)، والترمذي في (الشمائل ١٤٠)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ١١١، ٦/ ٧٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٥٨٠، ١٨٥٨١، وابن عبد البر في (التمهيد ٦/ ٢٢٤)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٣/ ٢٣٢.

(٢) اليَقْطِينُ: ما لا ساق له من النبات كالقِثّاء والبطيخ، وغلب على القرع. وثمرته يقطينة.

إذ خرج كالفرخ فلو نزل عليه الذباب أذاه لما ساهمهم أدخل نفسه فيهم فعمت الرحمة جميعهم.

١٩ ـ **فص**: ـ حكمة غيبية في كلمة أيوبية ـ لما لم يناقض الصبر الشكوى إلى الله ولا قاوم الاقتدار الإلهي لصبره وعلم هذا منه أعطاه الله أهله ومثلهم معهم وركض برجله عن أمر ربه فأزال بتلك الركضة آلامه ونبع الماء الذي هو سر الحياة السارية في كل حي طبيعي فمن ماء خلق وبه يرى فجعله رحمة له وذكرى لنا وله ورفق به فيما نذره تعليماً لنا ليتميز في الموفين بالنذر وجعلت الكفارة في أمة محمد ﷺ لسترهم عما يعرض لها من العقوبة في الحنث والكفارة عبادة والأمر بها أمر بالحنث إذ رأى خيراً مما حلف عليه فراعى الإيمان وإن كان في معصيته فإنه ذاكر لله فيطلب العضو الذاكر نتيجة ذكره إياه وكونه في معصية أو طاعة حكم آخر لا يلزم الذاكر منه شيء.

٢٠ ـ **فص**: ـ حكمة جلالية في كلمة يحيوية ـ أنزله منزلته في الأسماء فلم يجعل له من قبل سمياً فبعد ذلك وقع الاقتداء به في اسمه ليرجع إليه وآثرت فيه همة أبيه لما أشرب قلبه من مريم وكانت منقطعة من الرجال فجعله حصوراً بهذا التخيل والحكماء عثرت على مثل هذا فإذا جامع أحد أهله فليخيل في نفسه عند إنزاله الماء أفضل الموجودات فإن الولد يأخذ من ذلك بحظ وافر إن لم يأخذ كله.

٢١ ـ **فص**: ـ حكمة مالكية في كلمة زكرياوية ـ لما فاز زكريا برحمة الربوبية ستر نداءه ربه عن أسماع الحاضرين فناداه بسره فأنتج من لم تجر العادة بإنتاجه فإن العقم مانع ولذلك قال الريح العقيم وفرق بينها وبين اللواقح وجعل الله يحيى ببركة دعائه وارث ما عنده فأشبه وارث جماعة من آل إبراهيم.

٢٢ ـ **فص**: ـ حكمة إيناسية في كلمة إلياسية ـ يقول أحسن الخالقين ويقول الله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] فخلق الناس التقدير وهذا الخلق الآخر الإيجاد.

٢٣ ـ **فص**: ـ حكمة إحسانية في كلمة لقمانية ـ لما علمَ لقمان أن الشرك ظلم عظيم للشريك مع الله فهو من مظالم العباد وله الوصايا بالجناب الإلهي وصايا المرسلين وشهد الله له بأنه أتاه الحكمة فحكم بها نفسه وجوامع الخير.

٢٤ ـ **فص**: ـ حكمة إمامية في كلمة هارونية ـ هارون لموسى بمنزلة نواب محمد ﷺ بعد انفصاله إلى ربه فلينظر الوارث من ورث وفيما استنيب فتعينه صحة ميراثه ليقوم فيه مقام رب المال فمن كان على أخلاقه في تصرفه كان كأنه هو.

٢٥ ـ **فص**: ـ حكمة علوية في كلمة موسوية ـ سرت إليه حياة كل من قتله فرعون من أجله ففراره لما خاف إنما كان لإبقاء حياة المقتولين فكأنه في حق الغير فأعطاه الله الرسالة والكلام والإمامة التي هي الحكم كلمة الله في غير حاجته لاستفراغ همه فيها

فعلمنا أن الجمعية مؤثرة وهو الفعل بالهمة ولما علم علم من علم مثل هذا ضل عن طريق هداه حين اهتدى غيره به فأقامه مقام القرآن في المثل المضروب فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] وهم الخارجون عن طريق الهدى الذي فيه.

٢٦ ـ فص: ـ حكمة صمدية في كلمة خالدية ـ جعل آيته بعد انتقاله إلى ربه فأضاع ألائه وأضاع قومه فأضاعوه ولهذا قال ﷺ في ابنته: «مرحباً بابنة نبي أضاعه قومه»[١] وما أضاعه إلا بنوه حيث لم يتركوا الناس ينبشونه لما يطرأ على العرب من العار المعتاد.

٢٧ ـ فص: ـ حكمة فردية في كلمة محمدية ـ معجزته القرآن والجمعية إعجاز على أمر واحد لما هو الإنسان عليه من الحقائق المختلفة كالقرآن بالآيات المختلفة بما هو كلام الله مطلقاً وبما هو كلام الله وحكاية الله فمن كونه كلام الله مطلقاً هو معجز وهو الجمعية وعلى هذا يكون جمعية الهمة ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير: ٢٢] أي ما ستر عنه شيء ولا ﴿بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] فما بخل بشيء مما هو لكم ولا بظنين أي ما يتهم في أنه بخل بشيء من الله هو لكم الخوف مع الضلال قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢] أي ما خاف في حيرته لأنه من علم أن الغاية في الحق هي الحيرة فقد اهتدى فهو صاحب هدى وبيان في إثبات الحيرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ٢٤٨، ٨/ ٧٩)، ومسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٩٩) وابن ماجة في (السنن ٢٦٢١)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٢٨٢)، والبخاري في (الأدب المفرد ١٠٣٠)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٢/ ٢/ ٤٠)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٦١٢٩)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٨٥، ١٠/ ٢٩٦)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ١٣١، ٨/ ١٣٥، ١٠/ ٥٦٢، ١١/ ٨٠)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٩٩) وأبو نعيم (حلية الأولياء ٢/ ٤٠)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٦/ ٣٦٤، ٧/ ١٦٥)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٤١٠)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٥/ ٢٢٦)، والنسائي في (تهذيب خصائص علي ٦٢).

كتاب الوصية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال النبي ﷺ «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إلٰه إلا الله»(١)، لا تحقر شيئاً من عملك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجبه فإنه ما كلف بالأمر إلا وله بذلك اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك في المرتبة أعظم عنده فإنك محل لوجود ما كلفك به. كان عليه السلام يمزح ولا يقول إلا حقاً وقال «هل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»(٢)، وقال بعض الحكماء لا شيء أحق بطول السجن من اللسان وقد خلقه الله خلف الشفتين والأسنان ومع هذا يفتح الأبواب ويكثر الفضول، وعليك بعيادة المرضى لما فيه من الاعتبار لأن الله عند عبده إذا مرض ألا ترى المريض ما له استعانة إلا بالله ولا ذكر إلا الله فلا يزال الحق بلسانه منطوقاً وفي قلبه التجأ إليه، والمريض لا يزال مع الله أي مريض كان لحضور الله عنده، وأطعم السائل وأسقه فإنه أنزلك منزل الحق الذي يطعم عباده ويسقيهم، وقد أمرك بالإنفاق مما هو مستخلف فيه فلا ترد سائلاً ولو بكلمة طيبة وطلق الوجه مسروراً به، وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء ويقول أهلاً والله وسهلاً تحمل زادي إلى الآخرة، وإياك وظلم العباد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وظلم العباد أن تمنع حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها، ولا تنهر السائل مطلقاً فإن الجائع يطلب الطعام والضال يطلب الهداية.

وإذا رأيت عالماً لم يعمل بعلمه فاعمل أنت بعلمه حتى توفي العلم حقه ولا تنكر عليه فإن له درجة علمه عند الله، وعليك بالتجمل فإنه عبادة مستقلة لقوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: ٣١] أن رجلاً قال له عليه السلام أحب أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً فقال عليه السلام، «إن الله جميل يحب الجمال»(٣)، وقال «إن الله أولى أن تتجمل

(١) أخرجه ابن عبد البر في (التمهيد ٦/ ٣٨)، والترمذي في (السنن ٣٥٨٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٤/ ٨٩، ٢٨٩، ٥/ ١١٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٧١، ٣٧٣، ٥/ ١٠)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ١٧٢)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ١٢٥).

(٢) أخرجه الألباني في (السلسلة الصحيحة ٣/ ١١٥).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (الإيمان ١٤٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ١٣٣، ١٣٤، ١٥١، ٢٤١)، والحاكم في (المستدرك ١/ ٢٦)، والطبراني في (المعجم الكبير ٨/ ٢٤٠، ٢٩٣، ١٠/ ٢٧٣، ١٨/ ٣٦٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/ ٢١٤، ٥/ ١٣٢، ١٣٣)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح =

له»، وعليك بمراقبة الله فيما أخذ منك وفيما أعطاك فإنه ما أخذ منك إلا لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين وإذا أحبك عاملك معاملة المحب محبوبه وما من شيء يزول عنك إلا وله عوض سوى الله:

لكل شيء إذا فارقته عوض ... وليس لله إن فارقت من عوض

وكذلك إذا أعطاك فإن من جملة ما أعطاك الصبر على ما أخذه منك فأعطاك الشكر وهو يحب الشاكرين، وقال موسى يا رب ما حق الشكر؟ قال إذا رأيت النعمة مني فذلك حق الشكر، وعليك بأداء الأوجب من حق الله وهو أن لا تشرك به شيئاً من الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الأسباب الموضوعة والركون إليها بالقلب فإن ذلك من أعظم رزية دينية في المؤمن وهو المراد بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] وقال عليه السلام «أتدرون ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»[(١)]، فدخل فيه الشرك الخفي والجلي الذي هو قطع الإسلام ثم قال أتدرون ما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم وذلك بأن لا تتوجه إلا إلى الله عذبهم بالاعتماد على الأسباب لأنها معرضة للفقر ففي حال وجودها يعذبهم بتوهم فقدها وبعد فقدها بفقدها فهم معذبون دائماً وإذا لم يشركوا استراحوا ولم ينالوا بفقدها ألماً.

وإياك أن تريد علواً في الأرض فإن من أراده أراد الولاية وقال عليه السلام: «أنها يوم القيامة حسرة وندامة»[(٢)]، والزم الخمول ولا تطلب من الله إلا أن تكون صاحب ذلة ومسكنة وخشوع وخضوع وكل من أوصاك بما في استعماله سعادتك فهو رسول من الله

= ٥١٠٨)، والبغوي في (شرح السنة ١٣/ ١٦٠)، وابن حجر في (المطالب العالية ٢١٧٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٤٩٨، ٨/ ٣٣٨، ٣٤٨، ٩/ ٥٥٥، ٥٥٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٧١٦٥، ١٧١٦٦، ١٧١٦٧، ١٧١٦٨، ١٧١٨٧، ١٧١٨٨، ١٧١٨٩، ١٧١٩٠، ١٧١٩١)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٤٧٧٧، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٤٧٨١، ٤٧٨٢، ٤٧٨٣، ٧٧٨٠)، والقرطبي في (التفسير ١/ ٢٩٦، ٧/ ١٩٧، ٢٠/ ١٠٣)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ٢٦٩)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ١/ ٢١١، ٣/ ٣١٢، ٤/ ١١٦، ١٦٧)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٧٩، ٤/ ١١٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٢٩٠)، والشجري في (الأمالي ٢/ ٢١٧) والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٥٦٧)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٢٦٠)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ١٦٩)، (بغوي ٤/ ٨٥)، وابن الجوزي في (تلبيس إبليس ٢٠٢)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٤٢)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج الأحاديث الكشاف ٤٣)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٧/ ١٤١)، وأبو عوانة في (المسند ١/ ٣١)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ١١٠٠)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ١٩٨)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٦٠)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ١١٦٠)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٢٩).

(١) أخرجه الترمذي في (السنن ٢٦٤٣).

(٢) أخرجه المنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ١٦٠).

إليك فاشكره عند ربك، وكن ممن علم وعمل به ولا تكن ممن علم ولا يعمل به فتكون كالسراج يضيء للناس ويحترق، وعليك بتودد المؤمنين فإنهم كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى[١].

قال عليه السلام: «إن الجليس الصالح كصاحب المسك إن لم يصبك منه أصابك من ريحه، والجليس السوء كصاحب الكير[٢] إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه»[٣]، وعليك بإقامة حدود الله فيمن ولاك فإنك مسؤول عنه وأقل الولايات نفسك فأقم حدود الله فيها، وإذا خطر ببالك خير فذلك لمة الملك فإن نهاك عنه مانع فذلك لمة الشيطان، ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع فتعين عليك طلب علم الشريعة لإقامة حدود الله تعالى، وعليك بإسباغ الوضوء خاصة في البرد فإنه عليه السلام قال «ألا أنبئكم ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره»[٤]، وعليك بالاغتسال في كل جمعة فإن الغسل في الأسبوع مطهر للبدن مرضي للرب أي العبد فعل فعلاً يرضى الله به من حيث إن الله أمره بذلك فامتثل هو بأمره، وعليك بالصلاة المكتوبة بالجماعة وإن المراد بذلك الاجتماع على إقامة الدين، والتهجد أن تنام من أول الليل ثم تقوم إلى الصلاة ثم تنام ثم تقوم إليها إلى أن يطلع الفجر.

وقد ذهب ابن راهويه[٥] إلى أن من لم يذكر التسبيحات لم تصح صلاته فاخرج من الخلاف ما استطعت، وعليك بالجهاد الأكبر وهو جهاد هواك قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] ولا أكفر من نفسك فإنها تكفر نعمة الله عليها وإذا جاهدت نفسك بهذا الجهاد خلص لك الجهاد الأكبر الذي إن قتلت فيه كنت

---

(١) هنا إشارة إلى حديث: «الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده» أخرجه البخاري (أدب ٢٧)، ومسلم (برّ ٦٦).

(٢) الكِيرُ: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحدّاد وغيره للنفخ في النار لإشعالها (ج) أكيار وكيرةٌ.

(٣) أخرجه البخاري (ذبائح ٣١)، (بيوع ٣٨)، ومسلم (برّ ١٤٦)، وأبو داود (أدب ١٦) وأحمد بن حنبل ٤، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨.

(٤) أخرجه مسلم (طهارة ٤١)، والترمذي (طهارة ٣٩)، والنسائي (طهارة ١٠٦)، وابن ماجة (طهارة ٤٩)، والدارمي (وضوء ٣٠)، وأحمد بن حنبل ٢/ ٢٣٥، ٢٧٧، ٣٠١، ٣٠٣، ٤٣٨، ٣/ ٣.

(٥) ابن راهويه (١٦١ ـ ٢٣٨ هـ = ٧٧٨ ـ ٨٥٣ م).

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه. عالم خراسان في عصره من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وقيل في سبب تلقبه «ابن راهويه» إن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو: راهويه! أي ولد في الطريق. وكان إسحاق ثقة في الحديث له تصانيف منها «المسند». استوطن نيسابور وتوفي بها.

الأعلام ١/ ٢٩٢، وتهذيب ابن عساكر ٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٤، وتهذيب التهذيب ١/ ٢١٦، وميزان الاعتدال ١/ ٨٥، وابن خلكان ١/ ٦٤، وحلية ٩/ ٢٣٤، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥.

من الأحياء الذين عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله، ولا يزال العبد في الجهاد الأكبر لأنه مجبول على خلاف ما دعاه إليه الحق فإنه بالأصالة متبع لهواه الذي هو بمنزلة الإرادة في حق الحق فيفعل الحق ما يريده ويريد الإنسان أن يفعل ما يهوى، احفظ حق الجار والجوار وقدم الأقرب داراً فالأقرب ولا تحقر أحداً من الخلق فإن الله ما احتقره حين خلقه، قيل: مر عيسى عليه السلام بخنزير فقال له مر بالسعادة قيل له في ذلك فقال لا أعود لساني إلا قول الخير قال الشاعر:

إنــمــا الــنــاس حــديــث بــعــدهــم ... فــلــتــكــن خــيــر حــديــث يــســمــع
وإذا شــاكــتــك مــنــهــم شــوكــة ... فــلــتــكــن أقــوى مــجــن يــدفــع
وإذا مــا كــنــت فــيــهــم هــكــذا ... أنــت والــلّــه إمــام يــنــفــع

وإياك والخيلاء فارفع ثوبك فوق كعبك أو إلى نصف ساقك لقوله عليه السلام، «إزرة المؤمن إلى نصف ساقه»[١]، وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «تقصيرك الثوب حقاً أبقى وأتقى وأنقى» وعليك بالبذاذة فإنها من الإيمان[٢] وهي عدم الترفه في الدنيا، وقد ورد اخشوشنوا[٣] وهي من صفات الحاج وصفة أهل يوم القيامة فإنهم شعث غبر حفاة عراة فإن ذلك أنفي للكبر والبعد من العجب والزهو والخيلاء والصلف ولا شك أنها أذى في طريق سعادة المؤمن ولا يماط هذا الأذى إلا بالبذاذة فلذلك جعلها عليه السلام من الإيمان، وعليك بالحياء فإن الله حيي والحياء من الله ترك كل ما لا يرضي الله به وعليك النصيحة لقوله عليه السلام، «الدين النصيحة»[٤]، والناصح في

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن ٣٥٧٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ٦)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٢٤٤)، والبغوي في (شرح السنة ١٢/ ١٢)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٤٣٣١) وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٣٨، ٥/ ١٨٦٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٥٩)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤١٠٩٨)، والهيثمي في (موارد الظمآن ١٤٤٥)، والحميدي في (المسند ٧٣٧)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٢/ ٣٤١)، ومالك في (الموطأ ٩١٤)، وابن عبد البر في (التمهيد ٣/ ٢٤٥)، والربيع بن حبيب في (المسند ١/ ٥٥)، والساعاتي في (منحة المعبود ١٨٠٢)، وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ١٤٥٩)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٥/ ٣٦٦)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٥٧٣٥)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (ترجّل ٢)، وابن ماجة (زهد ٤).

(٣) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٩/ ٤٠)، وابن حجر في (لسان الميزان ٢/ ١٨٣٨) والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٠٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤٣٨، ٩/ ٣٥٨).

(٤) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ٢٢)، ومسلم في الصحيح (الإيمان ب ٢٣ رقم ٩٥ ت ١٩٢٦)، والنسائي في (السنن ٧/ ١٥٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٩٧)، والدارمي في (السنن ٢/ ٣١١)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ٨٧)، والطبراني في (المعجم الكبير ٢/ ٤١، ١١/ ١٠٨)، وابن أبي عاصم في (السنة ٢/ ٥١٩، ٥٢٠)، والحميدي في (المسند ٨٣٧)، وأبو عوانة في (المسند ١/ ٣٧) =

دين الله هو الذي يؤلف بين عباده وبين ما فيه سعادتهم وهو يحتاج إلى علم كبير وعقل وفكر صحيح وروية حسنة واعتدال مزاج فلا يصلح لها كل واحد، وعليك بالورع في المنطق كما تتورع في المأكل والمشرب والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات، وإياك والعجلة إلا فيما أمر به وهو الصلاة في أول الوقت وإكرام الضيف وتجهيز الميت والبكر إذا أدركت وكل عمل للآخرة، وعليك بصلة الرحم فإنها شجنة من الرحمٰن وبها وقع النسب بيننا وبين الله فمن وصل رحمه وصله الله ومن قطعه قطعه الله، كن فقيراً من الله كما أنت فقير إليه مثل قوله عليه السلام، «أعوذ بك منك»[(١)]، ومعنى فقرك من الله أن لا تشم منك رائحة من روائح الربوبية بل العبودية المحضة كما أنه ليس في جناب الحق شيء من العبودية ويستحيل ذلك عليه فهو رب محض فكن أنت عبداً محضاً وإياك والبطنة فإنها تذهب بالفطنة فكل لتعيش وعش لتطيع ربك ولا تعش لتأكل ولا تأكل لتسمن وعامل كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته فعامل الله بالوفاء لما عاهدته عليه من الإقرار بالربوبية وعامل الرسل بالاقتداء والملائكة بالطهارة، وعلى هذا قال عليه السلام، «يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس ووجع البطن، يا علي إذا دخلت فقل بسم الله وبالله أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يقول الله في ذكر عبدي والناس غافلون»[(٢)].

قال بعض المشائخ قلت لشيخي: أوصني قال: يا ولدي سد الباب واقطع الأسباب وجالس الوهاب يكلك من غير حجاب، وسأل بعضهم: أي الإخوان أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زلتي ويسد خلتي ويقبل علتي، أوحى الله إلى موسى كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من الماء القراح[(٣)] إذا جنه الليل يأوي إلى

= والشافعي في (المسند ٢٣٣)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ١٣٧، ١٣٨)، والبغوي في (شرح السنة ١٣/ ٩٣)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٢٦٧)، والساعاتي في (بدائع المنن ٢)، والألباني في (إرواء الغليل ١/ ٦٢، ٦٣)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٤٩٦٩)، وابن حجر في (تعليق التعليق ٨/ ٢٢٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥)، والقرطبي في (التفسير ٨/ ٢٢٧)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٢/ ١٠، ٦/ ٤٦٠)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٧)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ١٣٧، ٧/ ٣٢٥)، وابن حجر في (المطالب العالية ١٩٧٩، ٣٢٨٤)، وأبو نعيم في (تاريخ أصفهان ١/ ١٨٩)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ١/ ١٥٥، ١٨٤، ١٨٧)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٨٥)، وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ٢٠١٩، ٢٠٢٠)، والبخاري في (التاريخ الصغير ٢/ ٣٥)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٢/ ١٨٨) وصاحب (الأذكار النووية ٢٧٩، ٢٨٨، ٣٦٣).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٢١٨).

(٣) القَراح: الخالص في كل شيء. يقال: ماءٌ قراح.

كهف من الكهوف استيناساً بي واستيحاشاً ممن عصاني، من أحسن سريرته أحسن الله علانيته ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه ومن أصلح لما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، سأل أبو حازم الأعرج[١]: ما في بالك يا شيخ؟ قال: الرضا عن الله والغنا عن الناس.

حج هارون الرشيد[٢] راجلاً لأجل يمينه حين حنث بها فقعد يستريح في ظل ميل فمر به البهلول[٣] وقال له:

هب الدنيا تواتيكا ... أليس الموت يأتيكا
ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيكا
إلى كم تطلب الدنيا ... وظل الميل يكفيكا

من سلك سبيل السداد بلغ كنه المراد والله أعلم.

---

(١) أبو حازم الأعرج (توفي ١٤٠ هـ = ٧٥٧ م).
سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له: الأعرج. عالم المدينة وقاضيها وشيخها، فارسي الأصل. كان زاهداً عابداً، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه، فقال: إن كانت له حاجة فليأت وأما أنا فما لي إليه حاجة. قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: «ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم» أخباره كثيرة.
الأعلام ٣/١١٣، وتذكرة الحفاظ ١/١٢٥، وتهذيب التهذيب ٤/١٤٣، وابن عساكر ٦/٢١٦ ـ ٢٢٨ وصفة الصفوة ٢/٨٨، وحلية ٣/٢٢٩.

(٢) هارون الرشيد (١٤٩ ـ ١٩٣ هـ = ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م).
هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) بن المنصور العباسي، أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق. وأشهرهم، ولد بالري، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية فصالحته الملكة إيريني، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي (سنة ١٧٠ هـ) فقام بأعبائها وازدهرت الدولة في أيامه. واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسة كارلوس الكبير الملقب بشارلمان، وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً. له شعر، وهو أول خليفة لعب بالكرة والصولجان له وقائع كثيرة مع ملوك الروم، وهو صاحب وقعة البرامكة. ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام. توفي في «سناباد» من قرى طوس وبها قبره.
الأعلام ٨/٦٢، والبداية والنهاية ١٠/٢١٣، وابن الأثير ٦/٦٩، والطبري ١٠/٤٧، ١١٠.

(٣) بهلول المجنون (توفي نحو ١٩٠ هـ = نحو ٨٠٦ م).
بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب. من عقلاء المجانين. له أخبار ونوادر وشعر. ولد ونشأ في الكوفة، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه. كان في منشأته من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون.
الأعلام ٢/٧٧، وفوات الوفيات ١/٨٢، ونزهة الجليس ١/٣٨٠).

كتاب اصطلاح الصوفية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وعليك أيها الولي الحميم والصفي الكريم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم قد سألونا في مطالبة مصنفاتنا أهل طريقنا مع عدم معرفتهم بما تواطأنا عليه من الألفاظ التي بها نفهم بعضاً عن بعض كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم فأجبتك إلى ذلك ولم أستوعب الألفاظ كلها ولكن اقتصرت منها على الأهم فالأهم وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل من ينظر فيه بأقل نظرة لما فيها من الاستعارة والتشبيه وقد أوردنا ذلك لفظة لفظة والله المؤيد والنافع بمنه لا رب غيره.

فمن ذلك الهاجس: يعبرون به عن الخاطر الأول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطىء أبداً وقد يسميه سهل السبب الأول ونقر الخاطر، وإذا تحقق في النفس سموه إرادة، وإذا تردد الثالثة سموه هماً، وفي الرابعة سموه عزماً، وعند التوجه إلى الفعل إن كان خاطر فعل سموه قصداً ومع الشروع في الفعل سموه نية.

الإرادة(١): وهي لوعة في القلب يطلقونه ويريدون بها إرادة التمني وهي منه وإرادة الطبع ومتعلقها الحظ النفسي وإرادة الحق ومتعلقها الإخلاص.

المريد: هو المتجرد عن إرادته وقال أبو حامد هو الذي صح له الأسماء في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم.

المراد: عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له فهو يجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة.

السالك: هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه فكان العلم له عيناً.

المسافر: هو الذي سافر بفكره في المعقولات وهو الاعتبار فعبر من العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى.

السفر: فعبارة عن القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر.

---

(١) انظر حديث القشيري عن الإرادة في رسالته ص ٢٠١ ـ ٢٠٥.

الطريق: فعبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها.

الوقت[١]: فعبارة عن حالك في زمن الحال لا تعلق له بالماضي والمستقبل.

الأدب[٢]: فوقتاً يريدون به أدب الشريعة، ووقتاً أدب الخدمة، ووقتاً أدب الحق، وأدب الشريعة الوقوف عند مرسومها، وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها، وأدب الحق أن تعرف ما لك وما له والأديب من أهل النشاط.

المقام[٣]: عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام.

الحال[٤]: فهو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل بعد المثل إلى أن يصفو وقد لا يعقبه المثل ومن هنا نشأ الخلاف فمن أعقبه المثل قال بدوامه ومن لم يعقبه مثل قال بعدم دوامه وقد قيل الحال بغير الأوصاف على العبد.

وأما عين التحكيم: فهو تحري الولي بما يراه إظهاراً لمرتبته لأمر يراه.

الانزعاج: هو أثر الوعظ الذي في قلب المؤمن وقد يطلق ويراد به التحرك للوجد والأنس.

الشريعة[٥]: عبارة عن الأخذ بالتزام العبودية.

الشطح: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين.

العدل والحق المخلوق به: فعبارة عن أول موجود خلقه الله وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

الإفراد: فعبارة عن الرجال الخارجين عن نظر القطب.

القطب وهو الغوث: فعبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام.

الأوتاد: فعبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

وأما البدلاء: فهم سبعة ومن سافر من القوم عن موضع وترك جسداً على صورته

(١) انظر حديث القشيري عن الوقت في رسالته ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) انظر حديث القشيري عن الأدب في رسالته ص ٢٨٣ ـ ٢٨٨.
(٣) انظر حديث القشيري عن المقام في رسالته ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٤) انظر حديث القشيري عن الحال في رسالته ص ٥٧ ـ ٥٨.
(٥) انظر حديث القشيري عن الشريعة في رسالته ص ٨٢ ـ ٨٣.

حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

وأما النقباء: فهم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلثمائة.

وأما النجباء: فهم أربعون وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا يتصرفون إلا في حق الغير.

وأما الإمامان: فهما شخصان أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

وأما الأمناء: فهم الملامتية.

وأما الملامتية: فهم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بواطنهم أثر البتة وهم أعلى الطائفة وتلامذتهم يتقلبون في أطوار الرجولية.

وأما المكان: فعبارة عن منزل في البساط لا يكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وجاوزوها إلى المقام الذي فوق الجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت.

القبض: حال الخوف في الوقت وقيل وارد يرد على القلب توجبه إشارة إلى عتاب وتأديب وقيل أحد وارد الوقت.

البسط: هو عندنا من يسع الأشياء ولا يسعه شيء وقيل هو حال الرجا وقيل هو وارد توجبه إشارة إلى قبول ورحمة وأنس.

الهيبة: هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب وقد تكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال.

الأنس: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلٰهية في القلب وهو جمال الجلال.

التواجد: استدعاء الوجد وقيل إظهار حالة الوجد من غير وجد.

الوجد: ما يصادف القلب من الأحوال المغيبة له عن شهوده.

الوجود[١]: وجدان الحق في الوجد.

الجلال: نعوت القهر من الحضرة الإلٰهية.

الجمال: نعوت الرحمة والإلطاف من الحضرة الإلٰهية.

الجمع: إشارة إلى حق بلا خلق.

جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية في الله.

---

(١) انظر حديث القشيري عن التواجد والوجد والوجود في رسالته ص ٦١ ـ ٦٤.

الفرق[١]: إشارة إلى خلق بلا حق وقيل مشاهدة العبودية.

البقاء: رؤية العبد قيام الله على كل شيء.

الفناء: رؤية العبد للعلة بقيام الله على ذلك.

الغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه.

الحضور[٢]: حضور القلب بالحق عند غيبته.

الصحو: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي.

السكر[٣]: غيبة بوارد قوي.

الذوق: أول مبادي التجليات الإلهية.

الشرب[٤]: أوسط التجليات.

الري: غاياتها في كل مقام.

المحو: رفع أوصاف العادة وقيل إزالة العلة وقيلْ ما ستره الحق ونفاه.

الإثبات[٥]: إقامة أحكام العبادة وقيل إثبات المواصلات.

القرب: القيام بالطاعة وقد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين.

البعد[٦]: الإقامة على المخالفات وقد يكون البعد منك ويختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال وكذلك القرب.

الحقيقة[٧]: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦].

النفس[٨]: روح يسلطه الله تعالى على نار القلب ليطفىء شررها.

الخاطر[٩]: ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانياً كان أو ملكياً أو نفسياً

---

(١) انظر حديث القشيري عن الجمع والفرق في رسالته ص ٦٤ ـ ٦٧.
(٢) انظر حديث القشيري عن الغيبة والحضور في رسالته ص ٦٩ ـ ٧٠.
(٣) انظر حديث القشيري عن الصحو والسكر في رسالته ص ٧١.
(٤) انظر حديث القشيري عن الذوق والشرب في رسالته ص ٧٢ ـ ٧٣.
(٥) انظر حديث القشيري عن المحو والإثبات في رسالته ص ٧٣ ـ ٧٤.
(٦) انظر حديث القشيري عن القرب والبعد في رسالته ص ٨٠ ـ ٨٢.
(٧) انظر حديث القشيري عن الحقيقة في رسالته ص ٨٢ ـ ٨٣.
(٨) انظر حديث القشيري عن النَفَس في رسالته ص ٨٣.
(٩) انظر حديث القشيري عن الخواطر في رسالته ص ٨٣.

أو شيطانياً من غير إقامة وقد يكون لكل وارد لا تعمل لك فيه.

علم اليقين: ما أعطاه الدليل.

عين اليقين: ما أعطته المشاهدة والكشف.

حق اليقين[١]: ما حصل من العلم بما أريد له ذلك المشهود.

الوارد[٢]: ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة من غير تعمل ويطلق بإزاء كل ما يرد من كل اسم على القلب.

الشاهد[٣]: ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد فذلك هو الشاهد وهو على حقيقة ما يضبطه القلب من صورة المشهود.

النفس[٤]: ما كان معلوماً من أوصاف العبد.

الروح[٥]: يطلق بإزاء الملقى إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص.

السر[٦]: يطلق فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه، وسر الحقيقة بإزاء ما تقع به الإشارة.

الوله: إفراط الوجد.

الوقفة: هو الحبس بين المقامين.

الفترة: خمود نار البداية المحرقة.

التجريد: إماطة السوى والكون من القلب والسر.

التفريد: وقوفك بالحق معك.

اللطيفة: كل إشارة رقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة وقد تطلق بإزاء النفس الناطقة.

العلة: تنبيه الحق لعبده سبب وبغير سبب.

الرياضة: رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد به وبالجملة فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية.

المجاهدة[٧]: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال.

---

(١) انظر حديث القشيري عن علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين في رسالته ص ٨٥.
(٢) انظر حديث القشيري عن الوارد في رسالته ص ٨٥.
(٣) انظر حديث القشيري عن الشاهد في رسالته ص ٨٦.
(٤) انظر حديث القشيري عن النَفس في رسالته ص ٨٦.
(٥) انظر حديث القشيري عن الروح في رسالته ص ٨٨.
(٦) انظر حديث القشيري عن السر في رسالته ص ٨٨.
(٧) انظر حديث القشيري عن المجاهدة في رسالته ص ٩٧ ـ ١٠١.

الفصل: فوت ما ترجوه من محبوبك وهو عندنا تميزك عنه بعد حال الاتحاد.

الذهاب: غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه كان المحبوب ما كان.

الزمان: السلطان.

الزاجر: واعظ الحق في قلب المؤمن وهو الداعي.

السحق: ذهاب تركيبك تحت القهر.

المحق: فناؤك في عينه.

الستر: كل ما سترك عما يفنيك وقيل غطاء الكون وقد يكون الوقوف مع العادات وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال.

التجلي[١]: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

التخلي: اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق.

المحاضرة: حضور القلب بتواتر البرهان وعندنا مجاراة الأسماء بينها بما هي عليها من الحقائق.

المكاشفة: تطلق بإزاء تحقيق الإبانة بالقهر وتطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال وتطلق بإزاء تحقيق الإشارة.

المشاهدة[٢]: تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك.

المحادثة: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى.

المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزله به الروح الأمين على قلبك.

اللوائح: وهي ما تلوح للأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال وعندنا ما تلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة السلب.

الطوالع: أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار.

اللوامع[٣]: ما يثبت من أنوار التجلي في وقتين وقريباً من ذلك.

---

(١) انظر حديث القشيري عن الستر والتجلي في رسالته ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) انظر حديث القشيري عن المخاطرة والمكاشفة والمشاهدة في رسالته ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٣) انظر حديث القشيري عن اللوائح والطوالع واللوامع في رسالته ص ٧٦ ـ ٧٧.

البواده: ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة أما موجب فرح وأما موجب ترح.

الهجوم(١): ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع منك.

التلوين: تنقل العبد في أحواله وهو عند الأكثرين مقام ناقص وعندنا هو أكمل المقامات وحال العبد فيه حال قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

التمكين(٢): عندنا هو التمكن في التلوين وقيل حال أهل الوصول.

الرغبة: رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق.

الرهبة: رهبة الظاهر لتحقق الوعيد ورهبة الباطن لتقلب العلم ورهبة السر لتحقيق علم السبق.

المكر: إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الآيات والكرامات من غير أمر ولا حد.

الاصطلام: نعت وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه.

الغربة: تطلق بإزاء مفارقة الوطن في طلب المقصود ويقال غربة عن الحال من حقيقة النفوذ فيه وغربة عن الحق من الدهش عن المعرفة.

الهمة: تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى وتطلق بإزاء أول صدق المريد وتطلق بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام.

الغيرة: غيرة في الحق لتعدي الحدود وغيرة تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر وغيرة الحق ضنته على أوليائه وهم الضنائن.

الحرية: إقامة حقوق العبودية لله تعالى فهو حر عن ما سوى الله.

المطالعة: توقيعات الحق للعارفين ابتداء وعن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون.

الفتوح: فتوح العبارة في الظاهر وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح المكاشفة.

الوصل: إدراك الفائت.

الاسم: الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية.

الوسم: نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل.

الزوائد: زيادات الإيمان بالغيب واليقين.

---

(١) انظر حديث القشيري عن البواده والهجوم في رسالته ص ٧٨.

(٢) انظر حديث القشيري عن التلوين والتمكين في رسالته ص ٧٨.

الخضر: يعبر به عن البسط.

اليأس: يعبر به عن القبض.

الغوث: هو واحد الزمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطي الالتجاء إلى عنايته.

الواقعة: هو ما يرد على القلب من ذلك العالم بأي طريق كان من خطاب أو مثال.

العنقاء: هو الهواء الذي فتح الله فيه به أجساد العالم.

الورقاء: هو النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ.

العقاب: القلم وهو العقل الأول.

الغراب: الجسم الكلي.

الشجرة: الإنسان الكامل.

السمسمة: معرفة تدق عن العبارة.

الدرة البيضاء: العقل الأول.

الزمردة: النفس الكلية.

السبخة: الهباء.

الحرف: اللغة وهو ما يخاطبك به الحق من العبارات.

السكينة: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب.

التداني: معراج المقربين.

التدلي: نزول المقربين ويطلق بإزاء نزول الحق إليهم عند التداني.

الترقي: التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف.

التلقي: أخذك ما يرد من الحق عليك.

التولي: رجوعك إليك منه.

الخوف: ما تحذر من المكروه في المستأنف.

الرجاء: الطمع في الأجل.

الصعق: الفناء عند التجلي الرباني.

الخلوة[١]: محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد.

الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.

(١) انظر حديث القشيري عن الخلوة في رسالته ص ١٠١.

المخدع: موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين.

الحجاب: كل ما ستر مطلوبك عن عينك.

النوالة: الخلع التي تخص الأفراد وقد تكون الخلع مطلقة.

الجرس: إجمال الخطاب بضرب من القهر.

الاتحاد: تصيير الذاتين واحدة ولا يكون إلا في العدد وهو حال.

القلم: علم التفصيل.

الأنانية: قولك أنا.

النون: علم الإجمال.

الهوية: الحقيقة في عالم الغيب.

اللوح: محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم.

الآنية: الحقيقة بطريق الإضافة.

الرعونة: الوقوف مع الطبع.

الإلهية: كل اسم إلهي مضاف إلى البشر.

الختم: علامة الحق على القلوب من العارفين.

الطبع: ما سبق به العلم في حق كل شخص.

الآلية: كل اسم إلهي مضاف إلى ملك أو روحاني.

المنصة: مجلي الأعراس وهي تجليات روحانية.

السوى: هو الغير.

الجسد: كل روح ظهر في جسم ناري أو نوري.

النور: كل وارد إلهي يطرد الكون عن القلب.

الظلمة: قد تطلق على العلم بالذات فإنها لا تكشف معها غيرها.

الضياء: رؤية الأعيان بعين الحق.

الظل: وجود الراحة خلف الحجاب.

القشر: كل علم يصون فساد عين المحقق لما يتجلى له.

اللب: ما صين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالكون.

لب اللب: مادة النور الإلهي.

العموم: ما يقع من الاشتراك في الصفات.

الخصوص: أحدية كل شيء.

الإشارة: تكون مع القرب مع حضور القلب وتكون مع البعد.

الغيب: كل ما ستره الحق عنك منك لا منه.

عالم الأمر: ما وجد عن الحق من غير سبب ويطلق بإزاء الملكوت.

عالم الخلق: ما وجد عند سبب ويطلق أيضاً بإزاء عالم الشهادة.

العارف والمعرفة: من أشهده الرب نفسه فظهرت عليه الأحوال والمعرفة حاله.

العالم والعلم: من أشهده الله ألوهيته وذاته ولم يظهر عليه حال والعلم حاله.

الحق: ما وجب على العبد من جانب الله وما أوجبه الحق على نفسه.

الباطل: هو العدم.

الكون: كل أمر وجودي.

الرداء: الظهور بصفات الحق.

الرين: محل الاعتدال في الأشياء.

الكمال: التنزيه عن الصفات وآثارها.

البرزخ: العالم المشهود بين عالم المعاني وعالم الأجسام.

الجبروت: عند أبي طالب هو عالم العظمة وعند الأكثرين العالم الوسط.

الملك: عالم الشهادة.

الملكوت: عالم الغيب.

مالك الملك: هو الحق في حال مجازاة العبد على ما كان أمره به.

المطلع: النظر إلى عالم الكون والناظر بعين الحق.

حجاب العزة: هو العمى والحيرة.

المثل: هو الإنسان وهي الصورة التي فطر عليها.

العرش: مستوى الأسماء المقيدة.

الكرسي: موضع الأمر والنهي.

القدم: ما ثبت للعبد في علم الحق.

العيد: ما يعود على القلب من التجليات بإعادة الأعمال.

الحد: الفصل بينك وبينه.

الصفة: ما طلب المعنى كالعالم.

النعت: ما طلب النسبة كالأول.

الرؤية: المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة حيث كان.

كلمة الحضرة: كن.

اللسن: ما يقع به الإفصاح الإلهي لآذان العارفين.

الهو: الغيب الذي لا يصح شهوده.

الفهونية: خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال.

السواء: بطون الحق في الخلق والخلق في الحق.

العبودة[١]: من شاهد نفسه لربه مقامه العبودة.

الانتباه: زجر الحق للعبد على طريق العناية.

اليقظة: الفهم عن الله في زجره.

التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً وهي الخلق الإلهية وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفسافها.

التحلي: الاتصاف بالأخلاق الإلهية وعندنا الاتصاف بأخلاق العبودية وهو الصحيح فإنه أتم وأزكى.

سر السر: ما انفرد به الحق عن العبد.

جملة هذه الألفاظ مائة وثمان وتسعون. ألفه المؤلف رضي الله عنه بمدينة ملطية[٢] في عشر صفر سنة خمس عشرة وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فرغ بحمد الله وعونه ظهر يوم الأحد ثالث ربيع الثاني أحد شهور سنة سبع وتسعين بعد تسعمائة الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده على ما أنعم ظاهراً وباطناً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) انظر حديث القشيري عن العبودة في رسالته ص ١٩٧.

(٢) مَلَطْيَةُ: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين. (معجم البلدان ٥/ ١٩٢).

فهرس المحتويات

كتاب الياء (١٠٧)

كتاب الأزل (١١٥)

رسالة الأنوار (١٢٣)

كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى

كتاب التراجم

كتاب المنزل القطب ومقامه وحاله

رسالة الانتصار (٢٦٤)

كتاب الكتب (٢٧٢)

كتاب المسائل (٣٠٣)

كتاب التجليات (٣٢٢)

كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار

كتاب الوصايا (٣٨٥)

كتاب حلية الأبدال

كتاب نقش الفصوص (٣٩٤)

كتاب الوصية (٤٠١)

كتاب اصطلاح الصوفية (٤٠٧)

رسائل ابن عربي

يحتوي على الكتب والرسائل التالية :



منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Tel & Fax:+961.1.366135 - 3643
+961.1.378541 - 3785
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Leban
Riad el Solh Beirut 1107 22
e-mail:sales@al-ilmiyah.co
info@alilmiyah.co
www.al-ilmiyah.co

ISBN 2-7451-3205-9